مَعَانِي القُرآنِ وإعرابُه

لِلزَّجَّاجِ

أبي إسحق إبراهيم بن السَّرِيّ

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شَرحُ وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزءُ الأوّل

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا : نابعلبكي - تلكس : ٢٢٣٩٠

الزَّجَّاج

أَبـو إسحق إبراهيم بن السَّـريّ بنُ سَهل، غلب عليـه اسم الزَّجَّـاج لأنه كان أَول حياته يحترف خِـرَاطةَ الـزُّجَاج، فهـو لقب مهنته، كـان دخله من هذا العمـل ضئيلاً لا يكـاد يتجاوز الـدرهمين وربما كـان درهمـاً واحـداً أَو درهمـاً ونصف الدرهم[1]، وتاقت نفسه مع مـا هو فيـه مِنْ إقلال، إلى التَّعَلُّم ومَعْـرِفةِ اللُّغَـةِ فاتصـل بمجلس ثعلب، وظَلَّ يستفيـد منه حتى وفـد المبرد على بغـداد واتخذ له حَلْقَةً في المسجد فانتقل الزجاج إلى حلقة المبرد وتَرَكَ ثعلَباً.

كـان المبرد لا يُعلِّم إلا بـأَجْرٍ ولا يبـذل لتلاميـذه من علمه إلا بقـدر مـا يـدفعون لـه من المال[2]، وكـان يُنْتَظَر بهـذا أَن يكون حظ الـزجـاج من تعليم أُستاذِهِ ضئيلاً جـداً، لكنه عـرض أَن يدفـع للمبرد درهمـاً واحداً كـل يوم، مـا امتدت حياتهما، سواء احتـاج إلى التعلـم أو استغنى عنه، ويمنحـه المبرد في مقـابلة ذلك من العلم أَقصى مـا يبـذل من التعليم، وقبـلَ المبـردُ مـا عـرضـه الزجاج، فلزمه، وكان يخـدمه في أمـوره مع ذلـك[3]، وكان هـذا تلميذاً ذكيـاً مجـداً استـطاع أَنْ يَحْصَـل في زمن قصيـر على قـدر واسـع من المعلومـات، واكتسب إلى جـانب ذلك ثقـةَ أُسْتاذه، وكـان من تلاميـذه المقرَّبين إليـه. وقد

(١) في انباه الرواة: درهم ودانقان أو درهم ونصف.

(٢) كان لا يعلم مجاناً، ولا بأجرة إلا على قدرها (انباه الرواة) ١/١٥٩ ـ ٦٠.

(٣) تاريخ بغداد.

وفى كل منهما لصاحبه، وظل الزجاج يدفع لأستاذه هذا الأجر، ولما اتسع رزقه بذل له عطاءً أكثر وبعث إليه بالهدايا الثمينة، وظل يرعاه في آخر حياته ويرفُق به في كِبَرِه حتى انتقل المبَرِّدُ إلى جوار رَبه راضياً عن تلميذه.

ثراءُ الزجاج :

عاش الزجاج طوال أيام تَعلُّمِه على هذه العيشة الضئيلة المقلة ثم أخذت أخلاف الرزق تدرّ عليه وأسبابُ الحياة تنفسح له حتى صار من الأثرياءِ.

وأول ما كان من أسباب ثرائه، أن بعض بني مارقةَ[1] ـ وهم قبيلة عربية كانت تسكن العراق قريباً من نهر الصَّراةِ، ببغداد ـ كانوا في حاجة إلى معلم لأولادهم واستعانوا في ذلك بالمبرِّد، إذ كان من المعلمين الذين لهم شهرة وله تلاميذ يحسنون القيام بهذا العمل. ورجا الزجاجُ أستاذَه أن يُسميَه لهم ففعل ـ فكان ذلك أَوَّلَ يَساره وكان يُنفذُ للمبَرد من هناك ثلاثين دِرْهماً كل شهر ويزيده ما يستطيع من الهدايا.

ثم إن الوزير عبيد اللّه بن سليمان طلب مؤدباً لابنه القاسم وسأل المبردَ أن يختارَه له، فاختار الزجاجَ، وكتب الوزيرُ إلى بني مارقة يستنزلهم عنه فوافقوا، وأصبح الزجاج مؤدب القاسم وتَوثقت أَوَاصرُ المودَّة بينهما ورسخت قدم الزَّجَّاج في بيت الوزارة.

تمنى الزجاج على القاسم إذا أصبح وزيراً مكان أبيه أن يمنحه عشرين ألف دينار، وتولى القاسم الوزارة مكان أبيه[2] ولكنه تهيب منح الزجاج هذا

---

(١) في تاريخ بغداد وانباه الرواة: «بني مارمة»، بالميم، والذي في كتب التراجم الأخرى مارقة. بالقاف.

(٢) كانت خلافة المعتضد من سنة ٢٧٩ إلى سنة ٢٨٩، نحو عشرة أعوام، وقد مات عبيد اللّه بن وهب والد القاسم سنة ٢٨٨، وحزن عليه الخليفة لما كان له عنده من مكانة، واستوزر ابنه =

المبلغ خشية من الخليفة المعتضد، وتهيب الزجاج أن يسأله، ولكنَّ الوزير أخبره أنَّهُ على ذكر من وَعْده ثم وجهه إلى طريق آخر. وهو أن يتوسط إليه في قضاء حاجات الناس، فيقدمَ رِقاعهم إليه ويأخذَ منهم جُعْلاً على وَساطَتِهِ وزادَ القاسمُ، -وهذا مما يؤسف له- أن قال للزجاج. . . «ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً، تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر»[1] بل رُبَّما وجهه الوزير إلى مُمَاكَسةِ ذوي الحاجات وسؤالهم المزيد من الأجر[2]، وبهذا حصل الزجاج على المبلغ الذي أراد في مُدَّة وجيزة، بل حصل على أكثر منه ولكنه كان كلما سأل الوزير أجاب أنه لمَّا يحصل بعد على العشرين ألفاً حتى اكتمل لديه ضعفه. ولكن الوزير مع هذا منحه ثَلاَثَةَ آلاف من عنده هُو صلةً له، وأمره أن يظل فيما هو عليه من تقديم الرقاع والوساطة لطلاب الحاجات كيلا يحسب الناس أن صلته بالوزير قد قُطِعَتْ أو أن مكانته عنده قد تغيرت، . وقال له: أعرض على على رسمك وخذ بلا حساب[3].

أثرى الزجاج من هذا الطريق وحصل في نحو عام واحد على ما يزيد على أربعين ألفَ دينار، وهو طريق غير مشروع، ومع ذلك استمر فيه وهو في هذا الثراءِ.

ثم هيِّئ له أن يتصل بالخليفة المعتضد أيضاً وينادمه.

وكان سبب هذا الاتصال أنّ أحدَ جُلَساءِ الخليفة من الكتاب وهو محمد

= القاسم جبرا لمصابه (الكامل ١١/٨٥) وكان القاسم كيساً حاذقاً ذا فضل وكرم، وفيه تواضع ومهابة، ووزر بعد المعتضد للمكتفي، وتدل مكانته العلمية على مدى ما أفاد من الزجاج.

(١) ياقوت ١/١٣٣.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، والانباه أيضاً ١/١٦١.

ابن يحيى بن عباد ـ الذي يعرف باسم محبرة[1] النديم، وكان حسن الأدب، ألف للمعتضد كتاباً جامعاً في اللغة، سماه جَامع النطق، تأسى فيه بالخليل ابن أحمد في كتاب العَيْن، وعمله جداول على حروف الهجاءِ، فاستعصى فهمه على الخليفة وطلب من القاسم بن عبيد اللّه أن يتطلب من يفسره، واعتذر عن ذلك كل من ثعلب والمبرد لكبر سِنّهما، وأُحيل الكتاب على الزجاج فقام به وسَمَّى شرحه «الثنائِي» أو «مَا سُمِّي من جامع النطق» ـ وهي نسخة واحدة كتبت للخليفة وحده.

وقد أجاز المعتضد الزجاج على هذا الكتاب، وجعله من ندمائه فأصبح له رزق في الندماءِ، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، ثلثمائة دينار كل شهر.

وبهذا أصبح الزجاج من ذوي المكانة والثراء.

خلق الزجاج:

يوصف الزجاج في كتب التراجم بأنه كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب، وكان من أتباع أحمد بن حنبل مؤثراً لمذهبه حتى كان آخر ما قاله وهو على فراش الموت: «اللهم احشرني على مذهب أحمد ابن حنبل»[2]. وفي كتابه «معاني القرآن» مواضع كثيرة تُفْصِح عن قوة إيمانه وثبات عقيدته، واستعداده للدفاع عن الإسلام، كما يبدو تورعه في تحذيره من قراءَة لم ترد وإن كانت اللغة تجيزها.

ويذكر مترجموه دليلاً على حسن خلقه أيضاً أنه اختصم مرة مع رجل يُدْعَى مسينيد[3] فشتمه الزجاج وسبه، فكتب إليه مسينيد بهذه الأبيات:

---

(١) في انباه الرواة: ١٦٤: محمد.

(٢) ياقوت ١/ ١٣٠.

(٣) في أنباه الرواة وتاريخ بغداد «مسينة».

أبى الـزجـاج إلا شتْـمَ عِـرْضـي لـيـنـفـعـه فـأثَّـمـة وضـرَّه[1]
وأقـسـم صـادقـاً مـا كـان حـرٌ لـيـطلق لفـظه فـي شتم حُـرَّة[2]
ولـو أنـي كـررت لـفَـرَّ مـنـي ولـكـن لـلـمـنُـونِ عـليَّ كـرَّه
فـأصبـح قـد وقـاه اللَّه شَـري لـيـوم لَا وَقَـاهُ الـلَّهُ شَـرَّه

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً واعتذر إليه وسأله أن يعفو عنه ويسامحه.

هذا الحدث - في الواقع - يدل على خلق مسينيد أكثر مما يدل على حسن أخلاق الزجاج. فظاهر من هذا الشعر أن الزجاج شتم الرجل وأطلق لسانه في سب عرضه، وشتْم أُمِّه، ولكن الرجل رد نفسه عن النيل من الزجاج أو عقوبته بالمثل، فعلَ ذلك خشية من اللَّه، مؤثر أن يدع صاحبه ليوم الحساب حيث ينتقم اللَّه تعالى له.

وبهذا الشعر أيقظ في نفس الزجاج عاطفة الخوف من اللَّه والحياءِ من الناس، فهو قد ذكر قُدْرَتَه على الانتقام ولكنَّ ذِكْرَهُ الموتَ جعله يؤثر العفْوَ، وذكر أنَّ الزجاج على العكس من ذلك ارتكب إثمَ شَتْمِه وأصبح عُرْضَةً لانتقامِ اللَّه في يوم الحساب ولو أن الزجاج لم يعتذر إليه بعد هذا كله لأصبح قالة سوءٍ على لسان الناس، فكان لا بد أن يعتذر اعتذاراً لا يمحو فقط سوء فعله، بل يحمل الناس على الثناءِ عليه، ولكن إذا كان الاعتذار والرجوع إلى الحق فضيلة، فأفضل منها عدم التردي فيما يعتذر منه.

ويؤخذ على الزجاج أيضاً شرهُه المادِّي وقبوله المال من طريق غير شريفة. فوساطته للناس في قضاءِ حاجاتهم لم تكن إلَّا نوعاً منَ الرّشوة، تواطأ

---

(١) كسبه الشتم إثماً ومضرة.

(٢) شتم الزجاج أم مسينيد. ويروى البيت: لينطق لفظهُ.

عليها هو والوزير، وشجعه الوزير عليها سواء كانت حقاً أو باطلاً، وقد جمع منها مبلغاً ضخماً واستمر عليها حتى بعد أن أثرى.

وإذا أغضينا عن عدم شرعية التعاقد بينه وبين المبرد باعتباره نوعاً من التعاون العلمي دفَعَت الحاجةُ الزجاجَ إليه، فإننا نجد الزجاج أَخَلَّ مرة بهذا العقد، فشغلته شؤون الوزير عن بر أستاذه وانقطع عنه مدة، وكان المبرد قد أَسَنَّ وأصبح في حاجة لهذا العون، فاستدعى الزجاج وسأله: أيكُونُ حَسَدُ الإنسان من غير نفسه قال: لا، قال المبرد فما معنى قول اللّه تعالى: ﴿وَدَّ كثيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أنفُسِهِمْ﴾[1].

ولم يستطع الزجاج أن يجيب، وقال المبرد إذن فاعلم أنه قد بقي عليك أشياء كثيرة لم تتعلمها[2].

وعاد الزجاج إلى بر أستاذه.

فهو إذن أهمل أستاذه إذ شعر أنَّه استقل بنفسه واستغنى عنه، ثم دفعه شعوره بالحاجة إليه إلى برِّه. والمبرد بدَوْرِه لا يريد أن ينال من عَطْفِه على سبيل الصدقة، ولا حتى طلباً للوفاءِ بما تعاقدا عليه، ولكنه أشعره بنقص علمه واستمرار حاجته للاستفادة من أستاذه.

عصره:

عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري، وفترة من أول القرن الرابع -

---

(١) البقرة من الآية ١٠٩.

(٢) انظر هذه القصة في أنباه الرواة ١ - ١٦٤، وطبقات النحويين البصريين للزبيدي، وفيه أن الزجاج أجاب أن حسد الإنسان قد يهيجه عليه شخص آخر، وقد ينبعث من نفسه وهذه الطائفة يثور حسدهم من أنفسهم لا من شيء خارجي، وانظر الآية. في معاني القرآن ص (١٩٣ من هذا الجزء) فهناك وجهة أخرى.

وهـذا الزمن الـذي عاش فيـه يعتبر من أخصب العصـور الفكريـة في التاريـخ العـربي، نضجت فيه ثمـار العلوم في مختلف أنواعهـا ـ وغني بعلماءٍ كثيـرين ذوي شهرة واسعة في شتى ميـادين العلوم، ولا نزال إلى وقتنـا الحاضـر نعيش على هذا التراث الفكري الذي خلفه هؤلاءِ العلماءُ الأفذاذ.

كـانت العلوم الأجنبيـة التي تـرجمت إلى اللسـان العـربي قـد دُرِسَتْ وهُضِمَت وتفاعلت مع الثقافة العربية، فَغَذَّت أفكار العرب ومدت عقولهم بزاد جديد من النقـد والتفكير، على هـذه الثقافـة الوافـدة اعتمد رجـال الكلام في جَدَلِهِمْ وافتراضـاتهم العقلية، كمـا اعتمد عليهـا رجال الفـرق فيما فَـرَّعُوه من مسائل وتقارعُوا به من أَدلَّة وحُجَج حتى الذين كـانوا بِمَبْعَـدَةٍ عن موضـوعات الفلسفة وفروعها، لم يكونوا بعيدين عن التأثر بها ولا سالمين من أساليبها، بل نجدها قد هجمت على رجال البحث اللغـوي ففرعـوا بوحْيِهـا النحو وفلسفـوه حتى نجدهم يكتبون في «علل النحو»[1] ويشرحون مَسَائِله تشريحاً لا علاقة له بكيفية النطق وإنما يبحث في أسباب الحـركة وتعليلهـا بحثاً لم يخـطر للأولين ببال.

وبوجه عـام يمكن أن نميز بين مدرستين مختلفتين، إحداهمـا تلك التي درست علوم اليـونان وثقـافتهم عن طريق مبـاشر واتصـل بها نتـاجهم الفكري ومـوضوعـات أبحاثهم وهم رجـال الفرق والكـلام، والأُخرى مـدرسة العـرب الخُلّصِ الذين كانـوا يقفون جهـدهم العلمي ودرسهم على اللغة العـربية ومـا يتصل بدرسها من قواعد النحو والتصـريف، وأَشعار العـرب وحكمهم وأَمْثَالِهم وتفسيـر القرآن الكـريم ومـا تحـويـه آيـاتـه من غـوامض اللغـة ودقيق مسـائـل الإعراب.

---

(١) كتاب للزجاجي مليء بالعلل النحوية الثانوية التي ننفر منها الآن.

والفرق بين المدرستين عظيم جداً، يكفي لكي نَتَبَيَّنَه أن نقرأ كتاباً مثل حيوان الجاحظ وكامل المبرّد، فالأول إلى جانب ما حوى من غزير الأفكار وواسع المعلومات وعميق البحث، مليءٌ أيضاً بالأشعار وفرائد الحكم وشوارد الأمثال وحيثما قرأنا منه نجده يوجهنا إلى فكرة أو يمدنا بمعلومات، أما المبرد فقد شغله إعراب الأبيات وشرح ما بها من أساليب البيان وموازنة قول بقول وبيان فاضل الأقوال ومفضولها عن أي شيءٍ آخر من البحوث.

ويتعرَّضُ كلٌّ من الكتابين لشرح آيات قرآنية، فيوردها هذا استدلالاً لرأي أو احتجاجاً على آخر أو استنتاجاً لفكرة، بينما يوردها الآخر لحل مشكلة إعرابية أو تأييد وجهة نظر نحوية أو تصديقاً لأسلوب تعبيري وهكذا.

منهج الدراسة العربية:

وإلى هذا الوقت كانت دراسة النحو قد انتهتْ، وقَوَاعِدُ النطق قد جُمِعتْ وبُوِّبَتْ، فاتَّجه النحويّون إلى تشريح عللها وتحليل جزئياتها، فلم يكن همهم أن يُبَيِّنُوا كيف تنطق كلمة أو كيف تكتب وإنما يُبَيِّنُونَ لِمَ كانت هكذا وَلَمْ تكن كذلك. وكانت المدرستان الكبيرتان في النحو قد تقاربتا كثيراً - نذكر من تقاربهما سببين إثنين نراهما أكثر أهمية من غيرهما.

أولهما: قدوم العلماءِ البارزين من نحويي البصرة والكوفة جميعاً إلى بغداد، بعدَ أن أصبحت مقر الخلافة وبها الوزراءُ والقُوَّادُ والأثْرِيَاءُ وكلهم ينشد معلمين لأولادهم، وكان المبردُ إمام النحو البصري وثعلب إمام النحو الكوفي يجلسان معاً في المسجد لكلٍّ حَلْقَتُهُ ومن حوله تلاميذه وربما جمع التلاميذ بين الأستاذين وآوى الواحد منهم إلى هذه الحلقة فترة وإلى الثانية فترة أخرى.

ومن هذا التزاوج نشأت مدرسة حديثة بغْدادية تجمع مزايا المدرستين أو

تتخذ لها مذهباً خاصاً لا هو بصري خالص ولا هو كوفي خالص، ولا هو خال من أي منهما وإنما هو مذهب مستقل تكونت لَبِنَاتُه منهما جميعاً. وهذا يعلل لنا نشأة الأفكار الجزئية المستقلة لدى ناشئة هذا العصر من أمثال الزجاج، وابن السراج، والزجاجي ومعاصريهم.

والأمر الثاني هو رحلة الأخفش ـ سعيد بن مسعدة ـ إلى الكوفة، فقد رَحَل أولا لينتقم لأستاذه سيبويه من الكسائِي فلما أقام هناك تأثر هو جزئياً بمذهب الكوفيين كما غَذَّى أفكار الكوفيين بمذهب سيبويه ووجهات نظره النحويَّة. ولهذا نجد الأخفش يتخذ لنفسه مذهباً خاصاً هو غالباً مذهب وسط بين المدرستين، وقد درَّس الأخفش كتاب سيبويه هناك وكان الكسائِي نفسه ممن تلقوه عنه سراً، وكافأه على درسه بمكافأة سخية، وعندما مات الفراءُ كان كتاب سيبويه تحت وسادته.

وكتاب سيبويه كان حينئذ عمدة الدراسة النحوية، ولا بد لدارس النحو من قراءته، وكان المبرّدُ يقول لمن يسأله أن يقرأ هذا الكتاب عليه: هل ركبت البحر!؟ استعظاماً له، ولم يخل واحد من النحويين المعروفين من عمل في هذا الكتاب، من شارح له أو شارح لشواهده أو نُكته، أو الرد عليه ومعارضته في بعض مسائله، أو الانتصار له وهلمّ جرّاً. وكان ذلك مما قرب بين المذهبين.

دراسة جديدة:

بجانب ذلك اهتم النحويون بدراسات نحوية ولغوية خاصة، من ذلك شرح أبواب معيَّنة من النحو لما بها من غموض وصعوبة مثل باب المقصور والممدود، وباب التأنيث والتذكير، وباب ما لا ينصرف وهكذا.. أبواب مُعَّيَنة يدْرُسُها أكثر من نحوي اهتماماً بها. وفي دراسة اللغة همَّهم بجانب جمع

للغة تبويبُ مسائِلها وإيجادُ محْورٍ لمجمـوعات منهـا ترْتبط بـه وتتبلور حولـه، مثل خلق الإنسان، وخلق الفرس، والأنواءِ، والإبل، وهكذا، والمقصـود منها تعريف الناشئة بهذه اللغويات وتسهيل درسها عليهم.

ثم تأْتي الدراسة القرآنيـة، فنجد أكثـر من نحوي يؤلف «مَعَـاني القرآن» وبدأت هذه الدراسة القرآنية «بمجاز القرآن» لأبي عبيدة. ثم زاد عليه الأخفش سعيد بن مسعدة وهذَّبه وأصلح منه وقال الكتـاب لمن أصلحه، وَمِنَ الأخفش أخذ كل من الكسائي والفراءِ كتـابه معـاني القرآن، على مـا بينها من اختـلاف في الشرح والترتيب وكتب قطربٌ، محمد بن المستنير بحوثاً قرآنية طريقة اتجه فيها إلى الدفاع عن القرآن مثل الرّد على المـلاحدة، ولكن بحـوثه بـوجه عـام لغوية ونحوية، وكان لكتاب الفَـرّاءِ شهرة خـاصة لأنـه أول كتاب مـطول جمع إلى شـرح اللغويـات والمسائـل النحويـة شرح معـاني الآيـات. وردَّ على أبي عبيدة كثيراً مما أخطأ فيه. واقتصر بعضهم على إعراب القرآن أو إعراب ما هو مشكل فيه من الآيات. واستمرت هذه الحركة بكل جوانبها إلى العصـر التالي فنجد المدرسة التالية تهتم بهذه البحـوث نفسها كمـا فعل أبـو جعفر النحـاس وابن الراوندي بمصر وهما من تلاميذ الزجاج.

وإذ كانت حركـة النحو قـد انتهت إلى هذا الحـد، اتجه العلمـاءُ وجهة نحوية ولغـوية جـديدة قـادها أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني[1] وهي دراسة الصَّوْتيَّات العـربية والـربط بين روايات اللغـة وقراءَات القـرآن، ونشطت هـذه الحركة في القرن الرابع.

وبحـوث اللغويين والنحـويين في القرن الثـالث كـانت تـرتبط بقـراءَات القرآن ورواياتـه، وكان للنحـويين الأوائل قـراءَات أكثرهـا فيما وراءَ القـراءَات العشر. فعُنِيَ هؤلاءِ بتخريجها وتوجيه إعرابها.

---

(١) ومن مشهوري هذا العصر في القراءات ابن مجاهد وابن الأنباري وابن خالويه.

وقد كانت دراسة القرآن مِنْ حيث روايتُه أَحدَ الأُسس الهامة في دراسة اللغة في هذا العصر، وبعض النحويين ـ مثل الكسائِيِّ وأبي عمرو ـ لهم قراءة سبعية، والكسائي أَخذ عن المفضل الضّبي الراوي القاص المشهور.

ورواية الأَشعار وقص الأَخبار تمثل ركناً من الدراسة اللغوية وهي حركة بدأَت قبل ذلك وكان لها أَثرها دائماً في الثقافة اللغوية والنحوية جميعاً. ولم يكن القُصاص ممن يعتمد عليهم في الحديث ولا يعتبرون مصدراً موثوقاً به في شؤون الدين. لكنهم كانوا مصدراً هاماً في الأَدب واللغة، وكانت هذه المعلومات مما يُكَوِّنُ به الناشئ وتتطلبها مجالس الخلفاءِ والكبراءِ وتعمَرُ بها الأنديةُ الأَدبية والمساجد جميعاً.

عصر المناظرات:

كان احتشاد العلماءِ من مختلف الجهات وفي مختلف العلوم مدعاة للتنافس فيما بينهم، فكثرت المناظرات بين العلماء كل يريد إظهار تفوقه وميزة المذهب أَو الطائفة التي ينتمي إليها، وحقاً كانت المناظرات موجودة من قبل، ولكن شاعت في هذا العصر شيوعاً يسوغ لنا أَن نسميه عصر المناظرات، كانت قصور الخلفاءِ وبيوت الوزراءِ والكبار من رجال الشعب وحوانيت الوراقة، مجالس علم ومقامات للتناظر بين العلماء، وكان الناس يهتمون بنتائج هذه المناظرات اهتماماً يذكرنا بالنقائض التي راجت في العصر الأموي[1].

وتحفظ كُتب التاريخ مُثُلاً كثيرة من هذه المناظرات، بين أَصحاب المذاهب الفقهية ورجال الكلام والنحويين واللغويين، ولعل هؤلاءِ كانوا أَكثر من غيرهم، إذ كان منهم المؤدبون لأَولاد الخلفاءِ والوزراءِ، وكل يريد أن يظهر على نظيره لينال بشهرته حظوة أكثر ومكانة أرسخ وأجراً أعظم.

وقد جمع الزجاجي ـ تلميذ الزجاج ـ طائفة من هذه المناظرات في كتابه

(١) لم تكن النقائض تأخذ مأخذ الجد كهذه المناظرات.

«مجالس العلماءِ»، وفي كتب التراجم والتاريخ كثير منها، وكما أن بغداد نمت علماءَ المصرَيْن - البصرة، والكوفة - وقربت بين مذهبيهما، أبرزت مذهبها هي أيضاً وأذكت روح التنافس بين عَلَمائِهما وشجعتهم على الإكثار من المناظرات.

كان ثعلب كبير نحويي الكوفة قد سبق إلى بغداد ثم جاءَ بعده المبرد كبير نحويي البصرة في عصره، ولم يكن ثعلب مستريحاً لقدوم المبرد لأنه نازعه مكانته، ثم زاده استياءً أن مِنْ تلاميذه من تحوَّلَ من مجلسه إلى مجلس المبرد كما فعل الزجاج نفسه حتى خَتنه أبو علي الدينوَرِي، كان يخرج من بيته ومعه مَحْبرته ليقرأ كتاب سيبويه على المبرد[1]، وكان ذلك يغيظ ثعلباً، وكان يعاتب أبا علي فلا يلتفت إليه. إذ كان يرى المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب، لأن المبرد قرأه على علماءَ قد درسوه أما ثعلب فعرف الكتاب من قراءَته الخاصة[2].

وأينما وجد هذان العالمان في مكان ثارت بينهما أسباب المناظرة وطلب الحاضرون مناظرتهما[3]، وكان المبرد يميل إلى مناظرة ثعلب بينما كان هذا يروغ منه ولا يميل إلى مناظرته[4]، ذلك أن المبرد كان فصيح العبارة حلو الكلام جيد التراكيب ولم يكن ثعلب مع علمه موصوفاً بالبلاغة، وكان في كتبه لا يخرج عن طباع العوام في كتبهم، ومذهبه في حديثه مذهب العلميين[5].

وقد جر التنافس بينهما إلى خُصومَةٍ بين أتباعهما. وقد أورد ياقوت طرفاً من

---

(١) انظر الانباه حـ ١ - ١٤٤. ومعجم الأدباء ٥/ ١٢٠.

(٢) ياقوت: ٥/١٢٠ - ١٢١.

(٣) البغية ١١٥، وياقوت ٥ - ١٣٦، ١٩ - ١٢٠٠.

(٤) ياقوت ١٩ - ١١٨، الانباه ١ - ١٤٥.

(٥) الانباه ١ - ١٤٥.

خصومة الزجاج وثعلب نفسه، كما أورد الزجاجي في مجالس العلماءِ شيئاً من هذا.

ذكر الزجاج نقداً لفصيح ثعلب أورد فيه عشرة مآخذ على هذا الكتاب[1]. قال ياقوت إن العلماءَ باللغة لم يسلموا للزجاج بها. وقد ألفوا تآليف في الانتصار لثعلب. ومن العجيب أن الزجاج نفسه وقع في بعض الأخطاءِ التي أخذها على ثعلب فقد أخذ عليه أنه قال: عرق النَّسَا، والصواب أن يقال النسا فقط كما قال أمرؤ القيس.

فأثبت أظفاره في النسا[2].

وكان النحويون أشهر في المناظرات وكان لهم مكان خاص يجتمعون فيه للتناظر، وكان الجرمي لكثرة ميله إلى المناظرة يسمى النباح.

ولكنه في تفسير الآية: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾ قال إن يعقوب عليه السلام كان به عرق النسا.

ولم تكن هذه المناظرات كما هو واضح، يراد بها تحقيق مشكلة علمية أو الوصول إلى الحقيقة فيما اختلفت فيه المذاهب ولكن كان الهدف الأساسي هو الظفر بالشهرة والغلب على الخصم بوجه ما. فذلك طريق الشهرة وطريق الرزق ومفتاح الثراءِ، ومناظرة سيبويه والكسائِي مشهورة معروفة[3] ولم يكن الغرض منها إلَّا القضاءَ على سيبويه، حتى ليقال إن الأعراب الذين حُكِّمُوا للفصل في هذه الخصومة لم يقولوا شيئاً سوى أن قالوا: الحق ما قال الكسائِي.

ومن يقرأْ هذه المناظرات يجد بها كثيراً من المغالطات، زَوَّرَها، صاحبها

---

(١) ياقوت ١ ـ ١٣٩. وانظر فيما يأتي ص ٤٤٣.

(٢) عجزه: فقلت هبلت ألا تنتصر.

(٣) أنظرها في مجالس الزجاجي.

ليورط بها خصمه ويكسره أمام الناس ويظفر هو ببطولة المعركة وشرف الانتصار، وهو انتصار يجوز على العامة، ولا يثبت للنقد والتمحيص.

وكان من عادة ثعلب إذا وَفَد أحدُ العلماءِ على مسجد بغداد أن يبعث ببعض تلاميذه ليسألوه ويُعَجِزوه لتبقى له هو وحده مكانته العليا ويستبدَّ بالشهرة الواسعة في بغداد، وقد فعل ذلك مع المبرد، فأرسل إليه الزَّجَّاجَ ضمن من أرسل ليحاجُّوه ويظهروا نقصه عن تلاميذ ثعلب ولكن المبرد بَهَتَهُمْ بسعة علمه وقدرته على الجدل وتفريع مسائل العلم فتحول الزجاج إليه وترك مجلس ثعلب[1].

ومع سعة النشاط في هذه الحركة هدأت سريعاً بعد هذين العالمين. ثعلب والمبرد. وتحول النحو وجهة أخرى كما ذكرنا. وبوفاتهما انتهت مرحلة من مراحل التطور التاريخي لعلم النحو.

ثقافة الزَّجَّاج:

الزجاج من المعلمين تلميذٌ لثعلب وللمبرد، وأُستاذ لابن السراج، وأبي عَلِي الفَارسيّ، والحسن بن بشر الآمدي، وغيرهم، ومَدرَسَةُ المعلمين في ذلك الوقت كانت تقوم على دراسات معينة قوامها دراسة اللغة ورواية الأشعار والأخبار وما إلى ذلك مما وصفناه آنفاً، فهي تمثِّل الدراسة العربية البحتة، وكتاب سيبويه ـ كما ذكرت ـ ركنٌ أساسيّ في هذه الدراسة، والزَّجاج واحدٌ من هؤلاءِ، وكل ميزته أنه من نابغي مدرسة المبرّد، ولا أتردَّد أَن أُقدِّمَهُ على الأَخْفَش راوي الكامل. وكان من جماعة المعلمين أمثالِ الفراءِ مَنْ تَأَثَّر بالثقافة الأجنبية وشارك في بحوث الكلام، ولكن الزجاج لم يكن له حظ يذكر من هذه الثقافة

---

(١) انباه الرواة ٣/٢٤٩.

اللهم إلا ما تسرب إلى ذهنه من طريق غير مباشر.

وفي هذا الميدان الخاص يتفوق الزجاج في درس اللغة تفوقاً ملحوظاً، واستشهاداته الشعرية في «معاني القرآن» تدل أيضاً على سعة روايته للشعر، وقد تعمق دراسة النحو وانفرد بمذهب خاص له فيه، ولم يدرس قراءات القرآن ورواياته ولكنه ألمّ بقراءات اللغويين ومعظمها من الشواذ، لهذا نجده يتردد في غير موضع فيقول يجوز في هذه الآية كذا وكذا إن كان قُرئ به. أو هذا ما تجيزه اللغة ولا تقرأن به حتى ثبتت رواية صحيحة أنه قرئ به وهكذا.

وقد ذكر أنه اعتمد في القراءات التي أوردها على ما روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام.

وككثير من المعلمين لم يكن الزجاج قويَّ العِبَارَةِ حَسنَ الأسلوب فعبارته تلتوي في كثير من الأحيان وتركيبها تنقصه الناحية الفنيَّة فقد تَطُول وتكثُر متعلقاتها، وقد يقدّم ما يستحق التأخير، وقد يُؤدَّى المعنى بعبارة طويلة حيث يمكن أن يؤدى بأقل منها، ولكن يخفف من حدة هذا النقد أن عبارته تستقيم في أكثر الأحيان ولا بأس عليه أن ضعف في هذه الناحية وقد قوي في نواحٍ أخرى - ثم إن كثرة المعلمين كانوا كذلك، فكان أبو عبيدة لا يقيم بيت الشعر وكان ثعلب يكتب كما يكتب العوام، ويخطئ في بعض عباراته(١).

ولا يوازن الزجاج بثعلب ولا بالمبرد، فيبدو كل منهما أوسع منه قراءة ودرساً، كما يُبدَوان أحسن تعبيراً وأقدر على الكتابة منه، ومن يوازن بين كتابته وكتابة ثعلب في فصيحه أو في مجالسه، أو ما كتبه المبرد في كامله يجد الفرق واسعاً بين كتابتهما وكتابة الزجاج. والجزءِ التفسيري الذي تركه المبرد في كتاب

---

(١) انظر ياقوت ٥/١١٧.

الكامل يعطي صورة ما عما كتبه في كتابه «مَعَاني القُرآنِ»، وهوَ أُسلوب يمتاز -ولا ريب-عن أُسلوب الزجاج، والموازنة أيضاً بين كتابي «خلق الإنسان» لكل من الأَصمعي والزجاج تظهر صورتين مُتَباينتين، فكتاب الزجاج جافّ يخلو من الروح الأَدبي لم يرد فيه غير بيت واحد أَو بيتين من الشعر، فهو متن لغوي يسرد الكلمات سرداً، بينما كتاب الأَصمعي غنيٌّ بالأَمثال والشواهد الأَدبية مما يجعل دراسته شيقة حبيبة للقارىء.

والزّجاج مع هذا ليس فقيراً في النوادر والأَخبار، فله كتاب النوادر الذي يحوي - فيما نظن - كثيراً من الطرف والأَخبار النادرة، وقد كان الزجاج من ندماءِ المعتضد والمكتفي، كما كانت له مكانته لدى الوزير أبي عبيد وابنه القاسم.

ومهما يكن من شيءٍ فهو نحوي كبير ولغوي كبير، وله تلاميذه ومدرسته كما له أَثره في ثقافة عصره.

بقي شيءٌ آخر نشير إليه:

جاءَ في معجم الأُدباءِ أَن الزَّجاج حين عهد إليه أَن يفسر جامع النطق استعار كتب اللغة من ثعلب والسكري لأنه كان ضعيف العلم باللغة(١).

وهذا وصف خطير، لا نجد ما يسوغه، فإِن المبرد حين اعتذر عن تفسير هذا الكتاب لكبر سنه أقترح أَن يقوم الزجاج به(٢)، وهو لا يقترحه إلا لعلمه بكفايته له، وقد قام به الزجاج خير قيام، أَما استعارته كتب اللغة فلا تعني ضعفه. لهذا قد تعني هذه الكلمة أَنه لم يكن لديه كتب لغة، أَو أَنه كان أَقل من هذين الأُستاذين.

---

(١) حـ ١ - ١٥٠.

(٢) نفسه ١٤٩.

معاني القرآن:

قد يكون هذا الكتاب أهم آثار الزجاج، وكُتّاب التراجم يضَعُونَه دائماً في رأْس القائمة من كتبه، وربّما ذكروا قبله «ما فسره من جامع النطق» ولكن هذا الأَخير لم ينسخ منه غير نسخة واحدة خصصت للخليفة. فلم يكن النفع بها عامّاً، والاسم الكامل لهذا الكتاب هو «معاني القرآن وإعرابه» مما يؤذن أن إعراب القرآن قسيم للمعنى في عمله، وفي المقدمة قال: هذا كتاب إعراب القرآن ومعانيه، فقدم الإعراب على المعنى، ونجده يؤكد ذلك مرة أُخرى إذ يقول:

«وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأَنَّ كتاب اللّه ينبغي أن يتبين ألا ترى أن اللّه يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فَحُضضنا على التّدبُّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأَحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم[1]. . . . .».

فالإعراب إذَنْ مقصد أَساسي للزّجاج والمعنى ينبني عليه، وما لم يتوقف على إعراب ينقل ما قال المفسرون فيه، فيقول مثلاً: والذي في التفسير، أو وقال المفسرون، فيكون عمله هو الرواية لا غير. ويختم عبارته بقوله: واللّه أعلم.

استغرق الزَّجاج في تأْليف هذا الكتاب نحو ستة عشر عاماً، بدأ يمليه سنة ٢٨٥ هـ وانتهى منه في سنة ٣٠١ هـ، أي قبل وفاته بنحو عشرة أعوام. أملاه وهو في القمة من نضجه الفكري وتَمكُّنه اللغوي، ولم تُذْكَرْ راويةٌ للكتاب ولا سبب لتأْليفه، ولعله فعل ذلك قُرْبَى إلى اللّه تعالى أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه، ويبدو أنه درسه غير مرّةَ، لأَننا نجد تبايناً جوهرياً بين النسخة ـ ك ـ

---

(١) ص ١٨٥.

والنسخ الأخرى في تقديم بعض العناصر أو الآيات. وفي تغيير كثيرٍ من الألفاظ والعبارات مما فهمنا معَهُ أنّه كان إملاءً آخر. يبدو كذلك أن الكتاب تدوول كثيراً يدل على ذلك اختلاف كتابة النسخ التي توصلنا إليها، وبعض هذه النسخ مشحون بالتعليقات والتفسيرات خصوصاً النسخة «ر» التي حصلنا عليها من المعهد البريطاني فإنها تحمل من هذه التعليقات ما يعادل الكتابة الأولى.

ومنهج الزَّجاج في تفسيره: أن يَبْدَأ عَقِبَ ذكر الآية القرآنية، باختيار ألفاظ منها ليحللها على طريقته هو في الاشتقاق اللغوي، فيذكر أصل الكلمة والمعنى اللغوي الذي تدل عليه، ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردها جميعاً إلى أصل واحد، ويستشهد على رأيه بما يؤيده من كلام العرب شعراً أو غير شعر، وقد يستطرد فيشرح الأمثلة التي يستشهد بها ثم يعود لإعراب الآية إن كان فيها ما يحتاج إلى إعراب، وفي هذا المقام يناقش النحويين الآخرين فيرد رأيهم أو رُبَّما يؤيده، وفي هذا الصدد يورد قراءات اللغويين، وهي غالباً قراءات شاذة مما وراء العشرة، كما يورد القراءات المشهورة ليبين المعنى على هذه القراءات فيقبله أو يرده، وقد يقف عند حرف من حروف اللغة مثل «لن» أو «بل» أو «لا»... فيشرحه شرحاً نحوياً حتى يستوفيه ثم يقول: فهذا جميع ما قال النحويون في هذا.

والزجاج بغدادي أدنى إلى مذهب البصريين ـ لأنه تلميذ المبرد ـ فهو في شرحه يجري غالباً على مذهب أهل البصرة، ولكن في بعض الأحيان يُؤْثر مذهب الكوفيين ويجري عليه[1] ثم له هو مذهبه الخاص الذي كثيراً ما يكون مرفوضاً من الآخرين[2]، وعلى أي حال هو معتمد على نفسه كل الاعتماد

(١) انظر مثلاً ص ٧١.

(٢) انظر فيما سبق إعرابه إياك.

فيما يتعلق باللغويات والأعاريب، أما ذكر المعنى الذي لا يتوقف على شرح لغوي فقد قلنا: إنه يرجع فيه إلى المفسرين، وكثيراً ما يَلْجأُ إلى القرآن نفسه فيستعين بآية على شرح أُخرى.

ويعنى الزجاج بعد هذا أن يؤكد أن القرآن معجزة، ووجهة إعجازه عنده أنّ النبي تحدَّى به الكتابيين وَأَنْبأَهُم بما في كتبهم مع أنه أُمِّيٌّ لم يكن يقرأ كُتُبَ السابقين ولم يجلس إلى معلم يستفيد منه هذه المعلومات، فذلك إذن وحي من اللّه تعالى. كرَّرَ الزَّجاج هذا في غير موضع من هذا الكتاب، ولكنَّهُ لم يلتفت إلى بلاغة التعبير وما في الآيات القرآنية من تركيب فني خاص يعجز البشر أَنْ يعملوا مثله، ولا بأْس عليه في هذا لأنه رجل نحوٍ لا رجل بلاغةٍ. أَوْ هُو معلم لا كاتب.

ولا يلتفت كثيراً إلى ذكر أَسباب نزول الآيات ولكنه لا يغْفله عندما يدعو الأمر إلى ذلك، كما يستعين أيضاً بالأَحاديث ووقائع التاريخ، ولكن هذه كلها مكملات ثانوية بجانب المقصد الأَهم وهو الشرح اللغوي.

ويعنى الزجاج بتفسير القرآن بالقرآن، فيستشهد على المعنى الذي يشرحه في آيةٍ بِمَا يذكر في آية أُخرى قد تكون أَصرح وأَبين مما تدل عليه الآية التي يشرحها، وهو في هذا الصدد قوي بارع واستشهاداته قوية في دلالتها على ما يريد.

أَما من ناحية ما ورد في شأْن الآيات من أَسباب النزول فلا يذكره إلا بشيءٍ من التحفظ، فيقول روي في التفسير كذا وكذا أَو قال المفسرون، وما أَشبه ذلك فيخلي نفسه من مسؤولية صحة القول أَو عدم صحته ويُحملُّها الذين رَوَوْهُ، والأَحاديث التي أَوردها قليلة جدًّا.

وفي غير موضع من الكتاب يشير إلى قيمة الأَساس اللغوي والنحوي في

فهم نصوص القرآن، فالتفسير الذي لا يعتمد على فهم اللغة لا قيمة له ـ أو بعبارة أخرى لا يمكن فهم الآية إلا بعد فهم تركيبها اللغوي والتَّهدِّي إلى إعرابها، ومعرفة ما لها من معانٍ واستعمالات في اللسان العربي.

وهذا الأساس في الواقع قَيِّم جداً، وقد يوجه إلى معان فرعية لم تلتفت اليها أذهان المفسرين، وقد انتفع به المستشرقون خصوصاً «فتشر» و«جولدزيهر» في بحوثهما القرآنية وفي الوقت الحاضر يتجه الباحثون في التفسير القرآني إلى مثل هذه النزعة، إذ يرون أنَّه لا بدّ من استيعاب المعاني التي تفيدها الجملة أو الكلمة ثم اختيار ما يناسب سياقها ولحاقها.

وفي هذا الاختيار قد تختلف وجهات النظر، ولكن قد يكون الوجهان أو الوجوه التي اختيرت كلها صحيحة.

ولعل من ينهج هذه الطريقة يجد عوناً كبيراً في كُتُب الزجاج ومن جرى مجراه من اللغويين.

قيمةُ هذَا التَّفْسير:

أشرت من قبل إلى أن الكتاب كان مُتَداولاً بكثرة، في حياة الزجاج وبعد موته وكان ممن تلقاه عنه من تلاميذه أبو علي الفارسي، وقد ولد الفارسي سنة ٢٩٠ هـ، أي أن عمره عندما أتم الزجاج كتابه كان نحو عشرة أعوام ويدل هذا على أن الزجاج ظل يقرأ كتابه حتى أواخر أيام حياته وأن الطلاب يحرصون على قراءَته من وقت مبكر من عمرهم[1]. وقيمة الكتاب اللغوية هي التي اجتذبت إليه الأنظار، وقد قرر الزمخشري في كشافه أنه اعتمد على الزجاج في دراسته اللغوية[2] وفي بعض الأحيان ينقل من الزجاج نقلاً كاملاً غير أنه عادةً يُغْضِي

(١) توفي الزجاج سنة ٣١١ هـ على أكثر الأقوال، فيكون عمر أبي علي نحو عشرين سنة.

(٢) انظر الكشاف ٢ ـ ٧٣.

عن الناحية الاشتقاقية فيختصر الشرح اللغوي[1]، واتكاؤه عليه ظاهر في إعرابه فواتح السور[2].

ومن المفسرين المتأخرين الذين اعتمدوا عليه البغوي ومحمد بن الخازن فكل منهما كان يرجع إلى رأيه لا في اللغة فقط بل في جوانب أخرى من التفسير. والبغدادي - صاحب «خزانة الأدب» - يذكر في مقدمة كتابه أنه اتخذ معاني القرآن للزجاج أصلاً من الأصول التي رجع إليها[3]، وابن منظور في لسان العرب يورد دائماً رأي الزجاج، ونُقُوله عنه مأخوذةٌ من معاني القرآن وهو لا ينقل عنه اللغة فقط بل ينقل الرأي والشواهد الشعرية أيضاً.

ومن ميزات الكتاب: أنه راجع المفسرين السابقين من النحويين واللغَويين وأشار إلى قراءاتهم وما يتجه عليها من معان قرآنية، وكان هؤلاء اللغويون قبل الزجاج قد كتبوا عدداً من الكتب مختلفة المنهج والطريقة في التفسير وكل منها يسمى «معاني القرآن»[4]، وكلٌّ أعْربَ الآيات وفقاً لمذهبه النحوي والمدرسة التي ينتمي إليها وحلل الكلمات تحليلاً لغوياً وفقاً لمعلوماته الخاصة، وبعض هؤلاء همه أن يوضح الآيات التي يبدو بينها تضارب في المعنى، وبعض همه أن يشرح المعاني المجازية وهكذا[5] وقد أشار الزجاج إلى هؤلاء وناقش آراءهم عندما دعا الأمر إلى ذلك، ونظراً لما لكتاب سيبويه وآرائه من أهمية لدى النحويين واللغويين في عصر الزجاج، عُني بعَرْضِ هذه الآراء كما عني بآراءِ الخليل بن

---

(١) انظر الآية ﴿إن الله يبشرك بيحيى﴾.

(٢) انظر ج ١ ص ١٢، ١٥، ٧١، ٧٦٧ وأنظر أيضاً في كتاب سيبويه الباب الذي عقده لهذه الحروف (٢٥٦ ج ٣ ت. هرون).

(٣) انظر ج ١ ص ٣.

(٤) انظر ضحى الإسلام حـ ٢ ص؛ ٥٠ - ٥٥، ص ١٤٦ وانظر الفهرست ص ٥٠.

(٥) نفسه، وابن النديم ص ٥٠.

أحمد، لأنه أستاذ سيبويه، ولأن الزجاج متأثر بكتاب «العين» وجارٍ على منهجه[1]. ومن المهم أيضاً أنه أورد أقوالاً لسيبويه لم يتضمنها كتابه، كما أن الزجاج نفسه أورد شروحاً لغويةً لَيْسَتْ مذكورة في كتب النحويين. وهذا مما يزيد قيمة الكتاب من الوجهة النحويَّة. أما هذه الخلاصة اللغوية التي جاءَت في هذا التفسير فإنها قَيّمة حقاً، ولا يحصل عليها بكل هذه السهولة وبكل هذا الوفاءِ من الكتب الأُخرى.

والزَّجاج ـ على أي حال ـ عالم لغوي كبير وكتابه أثر جيد له. ومن الذين عُنوا بهذا الكتاب تلميذا الزجاج في مصر «أبو جعفر النحاس» «وابن الراوندي»، وكل منهما دَرَسَه واستفاد منه، وكانت نسخة «ابن الراوندي» مرجعاً تصحح عليه نسخ الناسخين، فالكتاب إذَنْ قرئ وتدوول، على أيدي هذين العالمينِ المِصريَّيْنْ، وهو أثر آخر للزجاج في ثقافة المصريين.

ويبدو في الكتاب استفادة الزجاج من مجاز «أبي عبيدة»، وأخذه كثيراً من شواهده، ولكنه على أي حال له منهجه الخاص وطريقته التي تميزه عن سائر المفسرين اللغويين.

و «ابن جرير الطبري» ـ شيخ المفسرين ـ مستفيد بدوره منهما معاً ومن غيرهما من مفسري هذه المدرسة، غير أنه ناقش «أبا عبيدة» كثيراً وسفَّهه، وإن كان «الطبري» عادة لا يذكر أسماء من يناقشهم.

وإذا كان الزجاج قد جعل همه الأول هو الناحية اللغوية متحملاً وحده مسؤوليتها، وألقى على المفسرين مسؤولية التفسير النقلي: فإنه لم يتخل عن الدفاع عن الإسلام وشرح بعض مسائله بإطالة كلما سنحت فرصة أو وُجِدَ

(١) انظر ضحى الإسلام حـ ٢ ـ ٣١٣.

داعٍ، فهو أفاض في شرح مسائل من الميراث ودَافع ضِدَّ الرافضة والشيعة دفاعاً يستحق التقدير، إذ لم يدع فيه لهما منفذاً ولا وجهة نظر يؤيدان بها آراءَهما. ولكنه حتى في هذا الدفاع معتمد على اللغة واستخراج دقائقها. وقدرته على إفحام هؤلاء ترتكز على أسس من اللغة أكثر مما تعتمد على أي شيءٍ آخر[1].

(١) انظر آيات الميراث في سورة النساء.

مآخذ على الكتاب

أشرت من قبل إلى أهمية الكتاب وسعة انتشاره وتداوله، فلأذكر الآن ما يؤخذ عليه وهي مآخذ هينة على كل حال.

(١) الزجاج وأبو عبيدة:

كان أبو عبيدة لكثير من الأسباب بغيضاً لدى معاصريه سواءٌ في ذلك علماء عصره أو غيرهم من الناس، وقد أخرج كتابه مجاز القرآن[١] الذي عناه أن يبين فيه المعاني المجازية والتشبيهات وما وراءَ المعنى اللغوي، وقد جرى فيه على الطريقة اللغوية من شرح الكلمات والاستشهاد على شرحه بأشعار العرب وما أثر عنهم من لغة وأمثال، ولم ينل هذا الكتاب قبولاً لدى معاصريه بل عابوه وشنّعوا على صاحبه، حتى الفراءُ المعروف بنزعته الفلسفية وتحرره العقلي غمزه في غير موضع من كتابه «معاني القرآن»، وجاءَ أبو عبيد القاسم بن سلام فشرع في كتابة تفسير قرآني ـ والقاسم كان جماعة حسن التصنيف لا كاتباً أصلي التأليف ـ فنقل كثيراً عن أبي عبيدة والفراء، ولكن أحمد بن حنبل كتب إليه أنْ: قد بلغني أنك تكتب كتاباً في القرآن أقمت فيه الفراءَ وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن فلا تفعل.. فترك أبو عبيد الكتاب، وكان قد انتهى إلى الحج والأنبياءِ[٢] فأخذه أبو إسحق إسماعيل بن الحسن فأتمه.

---

(١) أورد كل من: ابن النديم والقفطي وياقوت أسماء كتب تفسيرية لأبي عبيدة غير مجاز القرآن، ومال محققه الدكتور محمد فؤاد سازكين إلى أنه كتاب واحد. سمي بهذه الأسماء.

(٢) انظر طبقات القُرَّاء الورقة ٤٥.

أما الزجاج فقد جارى أبَا عبيدة في بعض آرائه وضمن كتابه هذا ما لم يوافق العلماءُ أبا عبيدة عليه، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض مواضعه من تعليقنا، وزاد على ذلك أن وثقه وقال إنه ثقة لا يروي غير الصحيح، هذا مع أن الزجاج كان حَنْبلي المذهب، وكان آخر ما دعا اللّه به أن يحشره على مذهب أحمد بن حنبل(١).

هذه النزعة -من متابعة أبي عبيدة ومخالفة ابن حنبل- تدل على مدى ما للزجاج من حرية في الرأي واستقلال في الفكر، ولكن هذا لا يمنع أنَّ ما جارى فيه أبا عبيدة خطأ لا يقبل. وما تابعه فيه نقد من كثيرين خُصوصاً من الفراءِ والأصمعي.

وقد نبهنا إلى بعض الأخطاء التي جارى فيها الزجاج أبا عبيدة، كما أشرنا إلى إستفادته من مجازه.

ومع هذا فالزجاج له شخصيته وليس منبهماً أو مائعاً في أي من أسلافه، وقد تحاشى كثيراً من أخطاء أبي عبيدة ولم يجاره في لغوياته التي انفرد بها وهي تجاري قواعد اللغة ولا تتفق ومذاهب التفسير، كما ردَّ آراءَ أبي عبيدة أحياناً وفندها فكان موقفُه منه موقفه من اللغويين السابقين، ولا بأس من مجاراته في بعض الآراء وإن كانت شاذة لأن الزجاج نفسه له آراءٌ شاذَّة، وميزة الزجاج أنه رجل متدين يخشى أن يقع في محرم إذا شذ في تفسيره، أما أبو عبيدة فجريء معتمد على معلوماته اللغوية دون تقيد بشيءٍ.

(ب) مذهب الزجاج الاشتقاقي:

للزجاج مذهب خاص في اشتقاق الكلمات وأخذ بعضها من بعض، فهو يرى أن كلَّ لفظتين اتفقتا في بعض الحروف وإن نقصت حروف إحداهما عن

---

(١) ياقوت ١/ ١٣٠.

حروف الأُخرى، فإنَّ إحداهما مأْخوذة من صاحبتها، وقد أَورد هذه القاعدة في كتابه «معاني القرآن» وجرى عليها[1]، فكما ذكرت من قبل، يقف عند الكلمة فيذكر الكلمات المشتركة معها في الحروف أَوْ فِي بعضها، ثم يوجد معنى جامعاً أَساسياً لكل هذه المعاني التي جاءَت في الكلمات العديدة.

وللزجاج كتاب يسمى «كتاب الاشتقاق» لم أَقف عليه ولا أُظنه موجوداً، ولكن يفهم من كتاب «معاني القرآن» ومن القاعدة التي كرّرها الزجَّاج وجرى عليها، أَنه سلك في كتابه هذا المسلك. فتلك هي طريقته.

وجاءَ في المزهر هذا المثال:

قال الزجاج شجرتُ فُلاناً بالرمح، تأْويله جعلته فيه كالغُصْنِ في الشجرةِ، وقيل للحلقوم وما يتصل به كأَغصان الشجرة. وتشاجر القوم إنما تأْويله اختلفوا كأَغصان الشجرة، وكل ما تفرع من هذا الباب فأَصله الشجرة[2].

وقد نقل ياقوت عن كتاب الموازنة لحمزة الأَصفهاني[3] نقداً لمذهب الزجاج في الاشتقاق جاءَ فيه بعد ذكر القاعدة التي سبقت:

«... فيقول: الرَّجل مشتقّ من الرِّجْلِ، والثَّوْر إنما سمي ثوراً لأَنه يُثِير الأَرضَ، والثَوب إنَّما سمِّيَ ثوباً لأَنه ثَابَ[4] لباساً بعد أَن كان غَزْلاً، حسيبُه اللّه. كذا قال، قال: وزعم أَن الْقَرْنَانَ[5]. إنَّمَا سُمِّيَ قَرْنَاناً لأَنَّهُ مطيق لفجور

(١) انظر ص ٢٠٢.

(٢) المزهر ١٦٧.

(٣) هو حمزة بن الحسن المؤدب، له كتاب «الموازنة بين العربي والعجمي» قال القفطي لم يأت أحد بمثله، صنفه لعضد الدولة البويهي وكان حمزة شعوبياً، أنظر ترجمته في أنباه الرواة حـ ١ - ٣٣٥.

(٤) صار وتحول ثوباً.

(٥) الديوث يقبل اقتران غيره بزوجته.

امرأته، كالثَّورِ القَرنان أي المطيق لحمل قَرْنِه، وفي القرآن ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ﴾(١) أي مطيقين.

«قال: وحكى يحيى بن علي(٢)... أنه سأله بحضرة عبد الله بن أحمد(٣)... من أي شيءٍ اشتق الجرجير، قال لأن الريح تُجَرْجِرُه قال: وما معنى تجرجره، قال تجرره، قال ومن هذا قيل للحبل الجرير، لأنه يجر على الأرض، قال والجرة لم سميت جرَّةً، قال: لأنها تُجَرُّ على الأرض، فقال لو جرت على الأرض لانكسرت».

ويمضي ياقُوت في نقله فيحكي أنه سئل عن الفصيل الْمُجُرُّ، فقال الزجاج لأنهم جروا لسانه، قال السائل فإذا جروا أُذنه أيسمى مجراً،؟ قال الزجاج هذا لا يجوز، قال نقضت العلة التي جئت بها.

ثم يَحْكي أن الزجاج سئل أيضاً عن اشتقاق القصعة فقال لأنها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العَلَّاف: يلزمه أن يقول الْخَضْخَضُ مشتق من الْخَضِيضِ(٤) والْعُصْفُرُ(٥) مشتق من الْعُصْفُورُ.... والعذب من الشراب مشتق من العذاب، والخَريف من الخَروف... والخنفساءُ من الفساءِ، والخنثى من الأُنثى، والمخنث من المؤنث. ضَرْطُ إبليس على ذا من أَدَب(٦).

ومن هذا نرى أن معاصري الزجاج بالغوا في نقده وألزموه قياساً في اللغة

---

(١) سورة الزخرف ١٤.

(٢) يحيى بن علي المعروف بابن المنجم النديم، أديب شاعر واسع المعلومات من ندماء المعتضد والمكتفي توفي سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) ابن حمدون النديم.

(٤) الخضخض خرز أبيض، والخضيض المكان المترب المبلل.

(٥) نبت يستعمل لصبغه الأحمر، يقال عصفرت الثوب.

(٦) انظر ياقوت حـ ١ ـ ١٤٤ ـ ١٤٦.

لم يقل به، ثم افترضوا افتراضات بعيدة وآخذوه بها. والذي جَرَّ إلى هذا هو أن الزجاج نفسه بالغ في مذهبه الاشتقاقي، ولكن مبالغتَه ما كانت تجر إلى هذا كله.

بجانب ذلك نجد كبار اللغويين الذين سبقوا عصر الزجاج لم يكونوا يهتمون بالاشتقاق كثيراً، فالأصمعي وأبو عبيدة لم يعرفوا اشتقاق منىً أو على الأصح لم يتكفلوا لها اشتقاقاً وأبو حاتم لم يعرف اشتقاق «ئاون» اسم فرس[1]، ولم ينقصهم ذلك شيئاً، ولكن نجد أبَا الحسن الأخفش يجري في طريق الزجاج نفسه فيقول: الدُّكانِ مشتق من الدَّكْدَك - وهي أرض فيها غِلْظِ وانبساط، وناقة دَكَّاءُ إذا كانت مفتَرشَةَ السنام أو مجبوتة[2].

وقد شَغَل الاشتقاقُ تفكيرَ كثير من النحويين واللغويين وألف غير واحد منهم في اللغة كتاباً سَماه «الاشتقاق»[3] ونجد لهم اتجاهاً غير بعيد مما ذهب إليه الزجاج، فيونس كان يقول: إن اللِّمَّةَ سميت لِمَّةً لأنها ألمت بالأذنين[4]، وسأل أبو عمرو أعرابياً: لم سميت الخيل خيلاً فقال لأنها تمشي الْعِرَضْنَة ففسرها أبو عمرو بأن الخيل مأخوذ من الْخُيَلَاءِ، كما قالوا: إن مِنًى سُمِّيَت مِنىً لما يمني فيها من الدِّمَاءِ[5].

ونقل السُّيوطي عن ابن دِحْيَةَ: الاشتقاق من أغرب كلام العرب وهو ثابت عند اللّه تعالى بنقل العدول عن رسول اللّه ﷺ. وهي جمع المعاني الكثيرة

---

(١) المزهر ١٦٨.

(٢) نفسه، أي لا سنام لها.

(٣) من الذين تركوا كتباً بهذا الاسم الأخفش الصغير سعيد بن مسعدة، وأبو الحسن، والأصمعي، وقطرب، وأبو نصر الباهلي، وابن السراج والمبرد، ولعل كتاب ابن دريد أكبرها وأشملها، وانظر المزهر ١ - ١٦٩، وابن النديم ٦٨ - ٩٣.

(٤) طبقات النحويين (٥٠).

(٥) المزهر ١٦٥.

في الألفاظ القليلة. فمن ذلك قوله فما صح عنه، يقول اللّه أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي[1]...

أما سبب إهمال الأولين له فيذكر فيه السيوطي أيضاً أن التّفاريع الكثيرة عن الحروف القليلة تأتي بمعان بعيدة عن الأصل كما في الرضاب والضراب، وهي مأخوذة من الضَّرَب[2].

وكذلك نجد اتفاقاً بين مذهب الزجاج وسيبويه[3]، ونجد تقارباً أو اتفاقاً أكثر بين الزجاج وابن دريد، لأن كلا الرجلين متأثر بكتاب العين، وعلى أي حال فالذي يؤْخذ على الزجاج هو مبالغته في الاشتقاق، وتشدده في رد الكلمات المتشابهة إلى أصل واحد، حتى ولو كان الشبه ضعيفاً، أو كانت الحروف المشتركة قليلة، ثم لا ريب لدينا أن خصوم الزجاج بالغوا في نقده.

ويبدو أن الذي وجَّه الزجاج هذه الوجهة هو مهنته التعليمية ورغبته في إيجاد رابط يجمع الكلمات الكثيرة تحت معنى واحد، ليُسَهِّلَ على الدارسين إحاطتهم بهذه الكلمات، ثم إن اشتغاله بتفسير جامع النطق واهتمامه بكتاب العين، مما أوحى إليه بهذه الطريقة، وقد قدمنا مدى تأثره بهذا الكتاب حتى لا تكاد توجد له حكاية في اللغة إلّا مِنْهُ[4].

وأياً ما كان فتفسيره تفسير لغوي لا يضيره حشد هذه اللغويات فيه، ولا نماري في أن كثيراً منها لا يمس النص القرآني، وحذفه لا يضير.

(جـ) نقد الفارسي:

ألف أبو علي الفارسي ـ تلميذ الزجاج ـ كتاباً في نقد معاني القرآن سماه

---

(١) المزهر ١٦٤.

(٢) الرضاب: الريق، والضراب إتيان الفحل الناقة والضَّرَب: العسل، والضريب الجليد.

(٣) انظر المزهر ١٦٨.

(٤) ضحى الإسلام حـ ٢ ـ ٢٦٨.

«الإغفال» ويسمى أيضاً «كتاب المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن»[1].

جاءَ في مقدمتِهِ:

«هذه مسائل من كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن السري في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح منها، للإغفال الواقع فيها، ونحن ننقل كلامه في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه وعلى جملته، وعن النسخة التي سمعناها منه فيها، ثم نتبعه بما عندنا. وباللّه التوفيق».

ثم مضى يسرد المسائل التي يريد شرحها وردَّ الزجاجَ فيها مبتدئاً من ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ثم فاتحة الكتاب، ثم سورة البقرة وهكذا ـ عدا السور التي لا مآخذ فيها» وتبلغ صفحات الكتاب ٦٤٩ صفحة، فهو كتاب كبير.

والمآخذ التي رد أُستاذه فيها بوجه عام مآخذ لغوية ونحوية، وأكثرها متعلق بما جاءَ في كتاب سيبويه، مما يدل على أن الفارسي أعمق دراسة لهذا الكتاب، وأدق في شرحه من الزجاج، ولكن هذا النقد لا يخلو من حدة وتحامل أحياناً، كتبه الفارسي وهو في شرخ شبابه، وكان قد تلقى هذا الكتاب وهو في سن مبكرة، لأنه حتى وفاة الزجاج لم يكن بلغ العشرين من عمره.

ومن أمثلة نقده أن الزجاج ذكر في تفسيره ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ أنه يكره أن يذكر ما قاله النحويون في اشتقاق اسم الجلالة، فرده الفارسي بأنه قد فعل ذلك في سورة الحشر عند تفسيره الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ...﴾ الخ.

ثم خطأه في هذا الشرح. إذ حكى عن سيبويه رأياً منسوباً للخليل بن أحمد، وهو غير صحيح، ثم مضى الفارسي يشرح كلمة «اللّه» ويبين اشتقاقها، وما قال النحويون في ذلك.

---

(١) اطلعت على نسختين منه بدار الكتب والوثائق إحداهما بخط قديم وبرقم ٥٠٢ تفسير، والأخرى بخط حديث جميل وهي برقم ٦٩٩، وبها كلمات قليلة ناقصة. والكتاب مطبوع الآن.

فالتخطئةُ راجعة إلى الحكاية عن سيبويه.

وفي الآية: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار﴾ ذكر الزجاج أن علة جزم لم الفعل أنها ردته إلى المضي، وعلل نصب «أن» المصدرية للمضارع أنها كانت معه بمنزلة الاسم الصحيح، ثم قال الزجاج إنَّ كل حرف لزم الفعل وأحدث فيه معنى فله من الإعْرَابِ على قسط معناه.

نقض الفارسي هذه القواعد الثَّلاثَ، فذكر أنه يلزم على هذا أن «إذَنْ» و «كي» لا تنصب لأنها لا تُؤول مع الفعلِ بعدها بإسم.. ويلزم أيضاً أن «إن» الشرطية لا تجزم لأنها لا ترد المضارع إلى المضِيِّ، وبأن السين وسوف لهما أثر في الفعل إذ يمحضان المضارع للاستقبال ومع هذا لا أثر إعرابيًّا لهما(١).

وقد عاد الفارسي لهذا النقد مرَّةً أخرى عند ذكره الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ فقد حكى الزجاج عن الخليل رأيَيْن في «لن» أحدهما أنها تنصب كما تنصب «أن» وليس ما بعدَها صلة لها أي لا تُؤول معه بمصدر والثاني أن الأصل فيها «لَا أَن» فحذفت الهمزة استخفافاً، وتخطئة الفارسي هنا أنه لم يُروَ عن الخليل إلا رأْيٌ واحد..

نقدُ الفارسي كما ترى لا يرجع إلى نقد التفسير، وإنما يرجع إلى معارضة في علل نحوية، أو إلى نقد رواية. ومع هذا، ففي النقد الأول يُلْزِمُ الفارسيُّ الزجاجَ بقياس لغوي أو اطراد علة، وفي الثاني: لا يجادل أحدٌ في أن «لن» تنصب المضارع ولا تُؤول معه بمصدر، فالنقد يرجع إلى الرواية لا إلى القاعدة.

وبوجه عام درْسُ الفارسي كتاب سيبويه أعمقُ من درس الزجاج وأدق وتعليلاته النحوية أدنى للقبول من آراءِ الزجاج.

---

(١) انظر ص ٦٧.

وكتاب «الإغفال» أو «المسائل المصلحة» قَيِّم بما يحوي من تشريحات نحوية ولغوية، ولكنه لا يُغُضُّ من «معاني القرآن» ككتاب تفسير.

وقد أشرنا في التعليق على هذا الكتاب إلى كثير مما جاءَ في الإغفال وأغضينا عمّا لا يمس جوهر الكتاب.

ولا ريب أن أبا علي بنى لنفسه بهذا الكتاب مكانة ومجداً، برده على هذا العالم الكبير، وقد تتبعه في آرائه الخاصة التي انفرد بها مثل كاف الخطاب والهاء في إياك وإياه وغيرها من نحويات الزجاج.

ولا يستفيد من كتاب الفارسي من لم يكن قرأ كتاب سيبويه ودرسه.

ميلاد الزجاج ووفاته:

أكثر ما يذكرهُ أصحاب التراجم ويميلون إليه أن الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. ولكن هناك أقوالاً أخرى في سنة وفاته، قيل كانت سنة ٣١٠، وقيل ٣١٦، وقيل ٣٢٠ وقد آثرنا المشهور المتداول.

وفي معجم الأُدباءِ أنه مات في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، . وحكي أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه فعقد أصابعه يشير إلى أنه عمر سبعين عاماً. وإذن فهو قد ولد في سنة إحدى وأربعين وَمِائتين.

وقد ألف عدداً من الكتب في النحو واللغة والعروض والأدب، وصدرنا الكتاب بقائمة الكتب التي تركها.

وبعد فهذا هو الجزءُ الأولُ من معاني القرآن للزجاج وأسأل تعالى أن يعينني على إخراج بقية الكتاب وأن يجعل في عملي ما أُثاب عليه منه سبحانه وتعالى وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد للّه رب العالمين.

القاهرة ـ ديسمبر سنة ١٩٧٢ — **عبد الجليل شلبي**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَال أَبو إسحاق إبراهيمُ بنُ السَّري الزَّجَّاج:

هذا كتابٌ مختصر في إعرَاب القُرآنِ ومَعَانِيه، وَنَسْأَلُ اللَّه التَّوْفِيق فِي كُلِّ الأُمُورِ[١].

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٢]:

الجالب للباءِ معنى الابتِدَاء، كَأَنَّك قُلْتَ: بَدَأْتُ بِاسْمِ اللَّه الرحمن الرحيم، إلا أَنَّهُ لم يُحْتَج لذكر «بَدأت» لأَن الحال تنبئ أَنك مبتدئ. وسقَطت الأَلف من باسم اللَّه في اللفظ وكان الأَصلُ: «باسم اللَّه» لأَنها[٣] أَلف وصل دخلتْ ليتَوَصَّلَ بِهَا إلى النُّطْقِ بالسَّاكِن. والدَّلِيل على ذلِكَ أَنَّك إذَا صغرت الاسم قلت سُمَيٌّ والعرب تقول: هَذا إسم، وهذا أُسم، وهذا سِمٌ.

قال الرَّاجزُ:

بِاسمِ الذي في كلِّ سُورَةٍ سِمُهُ[٤].

---

(١) هذه المقدمة ليست في ك، والمقدمة هناك هي: الحمد للَّه وبه نستعين، وهو حسبنا ونعم المعين، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

(٢) ك: باسم اللَّه فقط.

(٣) في الأصل لأنه.

(٤) في اللسان إسم وإسْم، وسمٌ وسم، وخرج «سِمٌ» - بالكسر - على أنه لغة منه قال اسم بكسر الهمزة، فطرح الألف وألقى حركتها على السين وهذا الرجز أنشده أبو زيد لرجل من كلب:

أرسل فيها بازلاً يقرمه ... وهو بها ينحو طريقاً يعلمه

وسُمه أيضاً روى ذلِك أبُو زَيد الأنصَارِيّ وَغَيْرُه من النَّحوِّيينَ، فَسَقَطَت الألف لمَا ذكَرْنا[١].

وكذلكَ قولك: «ابن» الألف فيه ألف وصل، تقول في تصغيره «بُنَيّ». ومعنى قولنا إسم: أنه مشتق من السمو، والسمو الرفعة، والأصل فيهِ سَمَوٌ -بالواو- على وزن جَمَل، وجمعه أسْمَاء، مثل قِنْو وأقْناءٍ[٢]، وحَنْو وأحْنَاء[٣]. وَانَّما جُعِلَ الاسْم تنويهاً باسم اللَّه على المعنى، لأنَّ الْمَعْنَى تحتَ الإسْمِ[٤].

ومنْ قال: إنَّ اسْماً مأْخوذٌ من «وَسَمْتُ» فهو غلط، لأنَّا لا نعرف شيئاً دخلته ألف الوصل وحُذفت فاؤه، أعني فاءَ الفعل، نحو قولك «عِدَة» و «زِنَة»، وأصْله[٥] «وعْدة» و «وَزْنة». فلو كان «اسم» وسمة لكان تصغيره إذا حذفت منه

= باسم الذي في كل سورة سمه

وروى الكسائي هذا الرجز عن بعض بني قضاعة بضم السين «سمُه». وقال ابن سيده: الضم في قضاعة كثير. فالرجز شاهد على الكسر والضم جميعاً.

(١) ط: لما قلنا.

وأبو زيد الأنصاري، هو سعيد بن أوس من مشهوري نحاة البصرة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان سيبويه يسميه الثقة، وأخذ عن الكوفيين ولم يفعل ذلك غيره من البصريين، كما روى معظم كتابه «النوادر» عن المفضل الضبي، واشتهر أيضاً باللغة والغريب، ت ٢١٥ هـ ابن خلكان ١، ٢٦٠، طبقات النحويين ٦٥.

(٢) القنو - بالكسر والضم - والقناء - بالكسر - والفتح -: الكباسة وجمعه أقناء، وقِنِي وقُنَى، وقُنْوَان).

(٣) الحِنْوُ والحَنْوُ - بالكسر والفتح - كل ما فيه عوج من البدن وغيره وكل يجمع على أحناء، وحِنِي، وحُنِي.

(٤) يجاري الزجاج أبا عبيدة في أن الاسم هو المسمى، وأبو عبيدة ذكر هذا في غير موضع من «مجاز القرآن» ورده كثيرون منهم الفراء والمبرد، وقسا عليه الطبري في رده أنظر مجاز أبي عبيدة ص ١٦ قال باسم اللَّه إنما هو باللَّه. لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه قال لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما....

(٥) في الأصل: «وأصلها».

ألف الوصل «وُسَيْم»، كما أن تصغيرَ عِـدة وَصِلة: وُعَيْدة، ووُصَيْلة، ! ولا يقْـدِر أَحَد أنْ يَرى أَلِف الوَصْلَ فيما حذفَتْ فاؤه من الأسماء.

وسقـطت الألف في الكتـاب[1] من «بِسْم اللّه الـرّحمن الـرّحيم» ولم تسقط في ﴿إقرأْ باسمِ ربك الذي خَلَقَ﴾ لأنه اجتمع فِيهـا مع أنهـا تسقط في اللفظ كثرةُ الاسْتعمَال.

وزعم سيبويه[2] أن معنى الباء الإلصاق، تقول كتبتُ بالقلم والمعنى أن الكتـابة ملصقـة بالقلم، وهي مكسـورة أبـداً لأنـه لا معنى لهـا إلا الخفض[3] فوجب أن يكون لفظها مكسوراً ليفصل بين ما يجُرّ وهو إسم نحو كـاف قولـك كزيد[4]، وما يجر وهـو حرف نحـو بزيـد، لأن أصل الحـروف التي يُتَكلم بها وهي على حرف واحد الفتـحُ أبداً إلاّ أن تجِيءَ علةٌ تـزيلُه لأن الحرف الـواحد لا حظَّ له في الإعراب، ولكن يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأ بساكن فأختير الفتح لأنه أخف الحركات، تقول رأيت زيداً وعمراً، فالواو مفتوحة، وكـذلك فعمـراً الفاءُ مفتوحة، وإنما كسـرت اللام في قـولك: «لِـزَيدٍ» ليفصـل بين لام القسم ولام الإضافة[5] ألا ترى أنك لو قلت: إنَّ هذا لِـزيدٍ علم أنـه ملكه، ولـو قلت: «إن هذا لَزيدٌ» علم أَنَّ المشار إليه هو زَيدٌ فلذَلكَ كُسِرَت اللام في قولك لِزَيْدٍ ولـو قلت: إنَّ هـذا المـال لَـكَ، وإنَّ هـذا لأَنْت فتحت الـلام لأَنَّ اللبس قـد زال[6].

(١) في الكتابة.

(٢) سيبويه، هـو أبو بشـر عمرو بن عثمـان بن قنبر، مـولى بني الحارث بن كعب، وكتـابه «كتـاب سيبويه» أم النحو، لم يسبقه كتاب مثله ولا استغنى عنه نحوي بعده، أخذ عن الخليل، وعيسى ابن عمر ويونس وغيرهم. وأخذ اللغة عن الأخفش الأكبر، ت ١٨٠، ونيف على الأربعين (البغية ٣٦٦ ابن خلكان ١ ـ ٤٨٧).

(٣) لا تؤدي معنى إعرابياً غيره.

(٤) الزجاج يعتبرها أسماء. وهذا مذهبه.

(٥) الملكية.

(٦) حيث لا يحتاج الضمير إلى توكيد، ولا اشتراك فيه.

والذي قلناه في اللام هو مذهب سيبويه ويونس[1] والخليل[2]، وأبي عمرو بن العلاء[3] وجميع النحويين الموثُوقِ بِعلْمِهِمْ.

وكذلك تقول: أَزَيْدٌ في الدار؟ فالألف مفتوحة وليْس في الحُروف المبتدأة مما هو على حرفٍ (حرفٌ)[4] مكسور إلا الباءُ ولام الأمر وحْدهما[5] وإنما كسرتا للعلة التي ذكرنا، وكذلك لام الإضافة، والفتح أصلها.

وأما لام كي في قولك: جئتُ لِتَقُومَ يا هذا، فهي لام الإضافة التي في قولك «المالُ لِزَيدٍ»، وإنما نُصبت تقوم بإضمار «أنْ» أو «كَيْ» الَّتي في معنى «أنْ»، فالمعنى: جئتُ لِقيَامِك.

وما قلناه في اشتقاق «اسم» قول لا نعلم أَحداً فسرَّه قَبْلنا.

---

(١) يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي - مولى لهم - من أهل جُبَّل، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء، وكان ثقة في روايته، عسير الحفظ قليل النسيان وكان يشبه بالقلة ضيقة الحلق ت ١٨٢.

ابن خلكان ١ - ١٥٥. البغية ٤٢٦.

(٢) الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أزدي كان شاعراً لغوياً ذكياً لذكائه نوادر تروى، وهو واضع علم العروض وصاحب كتاب العين الذي أراد أن يجمع فيه اللغة كلها، ولكنه لم يكمله.

وهو أستاذ سيبويه وأكثر رواية سيبويه عنه توفي سنة ١٧٥ هـ عن ٤٤ سنة.

أنظر عنه أخبار النحويين البصريين ٣٠ والبغية ١ - ٢٤٣ وابن خلكان ١/٢١٦. وأنظر أمالي المرتضى ١ - ٩٤.

(٣) أبو عمرو، اسمه زبان (بالباء) من علماء البصرة وأحد القراء السبعة، أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق وكان أوسع منه علماً، وكان يقرىء بجامع البصرة أمام الحسن البصري. ثقة واسع الرواية والعلم ت ١٥٤ هـ غاية النهاية ١ - ٢٨٨.

(٤) ك فقط.

(٥) ط: إلا الباء ولام الأمر. . . وكذلك لام الإضافة، وإنما كسرت للعلة. . ألخ. ولام الإضافة هي لام الجر.

وأمّا قولك: ليضْربْ زيدٌ عمراً، فإنما كسرت اللام ليُفْرقَ بينها وبين لام التوكيد(١)، ولا يبالى بشبهها بلام الجر لأن لام الجر لا تقع في الأفعال، وتقع لام التوكيد في الأفعال، ألا ترى أنك لو قلت: لَتَضْرِبْ وأنت تأمر لأشبه لام التَّوكيد إذا قلت: إنك لتَضْرِبُ. فهذا جملة ما في الحروف التي على حرف واحد.

فأما اسم اللَّه عز وجل فالألف فيه ألفُ وصل، وأكْرهُ أنْ أذكر جميع ما قال النحويون في اسم اللَّه أعني قولنا «اللَّه» تنزيهاً للَّه عزّ وجلّ(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الرحمن الرحيم﴾.

هذه الصفات للَّه عزّ وجلّ، معناه(٣) فيما ذكر أبو عبيدة(٤): ذو الرحمة، ولا يجوز أنْ يُقَال «الرَّحْمَانُ» إلَّا لِلَّه، وإنما كَان ذَلك لأنَّ بناءَ فَعْلان من أبنية ما يُبالغُ في وَصْفِهِ، ألا ترى أنك إذَا قُلْت(٥) غضْبانَ فمعناه الْمُمْتليء غضَباً، فَرحْمانُ الَّذي وَسِعَتْ رحْمَتُهُ كلَّ شيءٍ فَلاَ يَجُوزُ أنْ يُقَال لغير اللَّه رحمان، وخُفِضَتْ هذه الصِّفَاتُ لأنَّها ثَنَاءٌ على اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ فكان إعرابُها إعراب اسْمه، ولو قلت فِي غَيْرِ القُرآنِ: بسم اللَّه الكريمَ والكريمُ، والحمد للَّه ربَّ العالمين، وربُّ العالَمينَ: جاز ذلك، فمن نصب ربَّ العالمين فإنَّمَا ينْصبُ

---

(١) هي ساكنة في الأصل، وكسرت لوقوعها أول الكلمة، فإن سبقت بحرف كانت ساكنة نحو وليتق اللَّه ربه.

(٢) أخذ عليه أبو علي الفارسي أنه ذكر ذلك في آخر سورة الحشر وسيأتي ذلك.

(٣) معنى هذا اللفظ أو هذا التعبير.

(٤) أبو عبيدة: معمر بن المثنى أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وكان أجمع الناس لأخبار العرب وأيامهم ولكنه كان يكره العرب، ويتهم باليهودية، ترك كتباً كثيرة منها «مجاز القرآن» وهو تفسير لغوي موجز فيه كثير من المآخذ، ولكن الزجاج يعتمد عليه كثيراً وينقل أقواله، توفي أبو عبيدة سنة ٢٠٨ هـ. ابن خلكان ٢ ـ ١٣٨ البغية ٣٩٥.

(٥) عبارة ك: ألا ترى غضبان معناه الممتلىء.

لأَنَّهُ ثَنَاءٌ على اللَّه، كأَنه لَمَّا قَال: الحمدُ للَّه اسْتدلَّ بهذَا إللفْظِ أَنه ذاكـرٌ اللَّه، فقوله: ربَّ العالمين كأَنه قال أَذْكُرُ ربَّ العالمين، وإِذا قـال ربُّ العالمين فهـو على قولك: هو ربُّ العالمين: قال الشاعر:[1]

وكـلّ قـومٍ أَطـاعـوا أَمْـرَ مُـرْشِـدهم إلا نُمَيــرا أَطــاعتْ أَمــر غَــاوِيهَــا
الـظَّاعِنِينَ ولمَّــا يُـظْعِـنُـوا أَحَــداً والـقــائِـلِيـنَ لِـمـنْ دارٌ نـخَــلِّيـهَــا

فيجوز أَن يُنْصب «الظاعنين» على ضربين: على أَنه تـابعٌ نُميْـرا، وعلى الذَّم، كأَنَّه قال: أَذْكُر الظَّاعِنِينَ[2]، ولك أَن تَرْفَعَ تريدُ هم الظاعنون، وكذلك لك في «الْقَائِلينَ» النصبُ والرفعُ، ولك أَنْ ترفَعهُما جميعاً، ولـك أَنْ تنْصِبهما جمِيعـاً، ولك أَن تـرفَع الأَول وتنْصب الثَّـانِي، ولـك أَن تنْصِبَ الأَولَ وتـرفَـعَ الثاني. لا خلاف بين النحويين فيما وَصَفْنا.

(١) هو ابن خياط العكلي، والبيتـان في كتاب سيبـويه ٢ ـ ٢٤٩ وروايتهمـا هناك بـرفع الـظاعنين، وهما أيضا في الإنصاف ٢٧٦، ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١٧٣ والبيت الثاني في اللسان (ظعن).
(٢) الأولى أن يكون التقدير «أذم».

ومن سورة الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلّه رَب العالَمِينَ﴾.

(معنى الْحَمْد الشُّكْرُ والثناءُ على اللّه تعالى[١]).

﴿الحمدُ﴾ رفع بالابتداءِ، وقوله: ﴿لِلَّه﴾ إخْبارٌ عَنِ الْحمْدِ والاختيارُ في الكلاَم الرَّفْعُ، فَأَمَّا القُرآنُ فلا يُقْرأُ فِيه ﴿الحمدُ﴾ إلا بالرّفع، لأَن السُّنَّة تتبع فِي القرآن، ولاَ يُلْتَفَتُ فِيه إلى غَيـر الـرِّوايـةِ الصّحِيحَـةِ الَّتي قـدْ قـرأَ بهـا القُـرَّاءُ المشْهُـورُونَ بالضَّبطِ والثِّقـةِ، والـرّفْـعُ القَـراءَةُ، ويجـوزُ في الكـلام أَنْ تقـول «الْحَمْـدَ» تريـد أَحْمَد اللّهَ الْحَمْدَ فـاستغنيْت عن ذِكْـرِ «أَحْمَـد» لأن حَـالَ الحَمدُ يجب أن يكونَ عليها الْخَلْقُ، ألاّ أنَّ الرّفْـعَ أَحْسَنُ وأَبلغ في الثناءِ على اللّه عزّ وجلّ[٢].

وقد رُوي عن قوم من العـرب: «الحمدَ لله» و «الحمدِ للّه»، وهـذه لغة من لا يُلْتَفَتُ إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه[٣].

وإنَّما تشاغلْنَا نحنُ بِرواية هذا الحـرف لِنُحَذِّرَ النـاس من أَنْ يَسْتعْمِلُوه،

---

(١) في ك فقط.

(٢) قراءة النصب لها وجه من الإعراب ولكن المعنى فيهـا يختلف، فالجملة الاسميـة تدل على أن اللّه وحده المستحق للحمد، أما الفعلية فتدل على إنشاء حمد من المتكلم، ولهذا قال الطبري إن متعمدها يستحق العقوبة أنظر الطبري ١ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٣) لغة الجر. وانظر معاني الفراء ص ٣ ج ١.

أَوْ يَظُنَّ جاهل أَنَّهُ يجُوزُ في كِتاب اللَّه عزّ وجلّ، أو فِي كَـلَامٍ ، وَلَمْ يأْتِ لهـذَا نظيرٌ في كَلام العَرب. ولا وَجْه لَه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قـد فسرنـا أنـه لا يَجُـوز في القـرآن إلا ﴿رَبِّ الْعَـالَمِينَ الـرحمَنِ الرحيمِ﴾[1] وَإِنْ كان الـرفع والنصب جـائزين في الكـلام، ولا يتخَيَّر لكتـاب اللَّه عزّ وجلّ إلا اللفظ الأَفْضل الأَجْزَل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿العالمين﴾ معناه كـلُّ مَا خلق اللَّه، كَمَـا قَال: ﴿وَهُـوَ ربُّ كلِّ شيءٍ﴾ وَهُوَ جَمْع عَالَم، تَقُول: هَؤُلاءِ عَالَمُـونَ، وَرأَيتُ عالَمِين، ولا واحدَ لعَالَمٍ منْ لَفْـظه لأنَّ عَالَمـاً[2] جمع لأشيـاء مختلفة، وأَنْ جُعـل «عَالَمٌ» لواحدٍ منها صار جمعاً لأَشْياء مُتَّفِقَة[3].

والنُّـونُ فُتِحَتْ في العَالمينَ لأَنَّهـا نُونُ الْجَمَـاعَة[4] وزعم سيبـويـه أَنَّهـا فتحت ليفرِّق بينَها وبينَ نون الإِثْنَين، تقول: هـذان عالمـانِ، يا هـذا، فتكسر نونَ الإثنين لالتقاء السّاكنين، وهذا يُشْـرح في موضِعـه إنْ شاءَ اللَّه، وكـذلك نونُ الجماعة فتحت لالتقاء الساكنين، ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو واليـاء ألا ترى أَنك تقـول «سَوْفَ» أفعـل فتفتح الفَـاءَ من «سوْف» لالتقـاء الساكنين، ولم تَكْسِر لثقل الكسرة بعد الواو وكذلـك تقول: أَيْنَ زيـد فتفتح النـون لالتقاء الساكنين بعد الياءِ.

وقوله عز وجل: ﴿مَالِكِ يوْمِ الدِّينِ﴾.

القراءَة الخفض على مجرى الحمدُ للَّهِ مالِكِ يومِ الدِّينِ وإنْ نُصب ـ في

(١) ص (٤٣).

(٢) ك: عالم.

(٣) مثل عالم الأدب وعالم الكتب وعالم الإنسان أو الحيوان. أو الطيور. الخ.

(٤) عالمون ملحق بجمع المذكر السالم، وعالم اسم جمع.

الكلام ـ على ما نُصِب عليه «ربُّ العالمين والرَّحْمنِ الرَّحِيم» جازَ في الكلام، فأَمَّا في[1] الْقراءَةِ فلا أَسْتَحْسِنه فيها، وقَدْ يجوز أَنْ تَنْصِب ربَّ العالمين ومالك يوم ِ الدِّين على النِّداءِ في الكَلام كما تقول: الحمدُ للَّه يا ربَّ العَالمين، «ويا مَالكَ يَوْم ِ الدِّين»[2] كـأَنك بعد أَن قُلْت: «الحمـدُ للَّهِ» قلت لكَ الْحمْدُ يا ربَّ العالمين ويا مالك يوم الدين.

وقُـرِئ (مَلِكِ يَوْم ِ الدِّين، ومَا لِكِ يَوْم ِ الدِّين)[3].

وإِنّما خُصّ يومُ الـدِّين واللَّه عز وجـل يَملك كلَّ شَيءٍ لأَنَّـه اليومُ الـذي يضْطَرّ فيه الْمخْلوقُـونَ إلى أَنْ يعْرِفُـوا أَنَّ الأَمْر كلَّه للَّه، أَلا تـراه يقولُ: ﴿لِمَنَ الْمُلك الْيوْم﴾[4] وقوله:

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾[5] فهـو اليوم الذي لا يملك فيه أَحـد لنفسه ولا لغيره نَفْعـاً ولا ضَرّاً، ومن قـرأَ ﴿مَالِك يَوْم ِ الدِّين﴾ فعلى قولـه «لِمَنُ الْمُلْكُ الْيَوْم». وهو بمنزلة مَنِ الْمَالكُ الْيـوْم[6]، ومن قرأَ «مَـالِك يَـوْم ِ الدِّين» فعلى معنى «ذُو الْمَمْلَكَةِ» في يوم الدين، وقيل إِنها قراءَة النبي ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿يَوْم الدِّين﴾.

الدين في اللغة الجزاءُ، يقال! كما تَدِين تُدَان، المعنى كما تعمل تُعْطى، وتُجَازَى، قال الشاعر[7]:

---

(١) ط: وأما.

(٢) ب: ملك يوم الدين ومالك، ك. يا رب العالمين ويا مالك.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك الاتراه قال: والآية في سورة غافر ١٦.

(٥) الانفطار ١٩.

(٦) فاعل بمعنى الصفة المشبهة. أي هو الملك وحده في هذا اليوم.

(٧) يزيد بن عمرو بن نفيل الكلابي، وجه هذا الشعر إلى الحرث بن شمر الغسـاني وكان الحرث قد اغتصب ابنته وهو غائب، على عادته مع بني قيس بن عيلان، فلما عاد يـزيد قـال فيه هـذا الشعر.

=

واعلم وأيْقن أن مُلكك زائلٍ ... واعلم بأنَّ كما تدِينُ تُدَانُ

أي تجازى بما تعفل، والدِّينُ أيضاً في اللغة العَادَة، تقولُ العربُ ما زَال ذلك دِينِي، أي عَادَتي. قال الشَّاعر(١):

تقول إذا دَرَأْتُ لها وضيني ... أهذا دِينه أبداً ودِيني

وقوله عز وجل: ﴿إيَّاكَ نعْبُد﴾.

معنى العبادة في اللغة الطَّاعةُ مع الخُضُوع، يقال هذا طَرِيقٌ مُعَّبد إذا كان مُذلَّلًا بكثْرةِ الوَطءِ، وبعِيرٌ معبَّدٌ، إذا كانَ مَطْلِيًّا بِالْقَطْرَانِ، فمعنى ﴿إياك نَعْبُدُ﴾: إياك نطيع الطَّاعة التي نَخضَع مَعها، ومَوْضِع ﴿إيَّاك﴾ نصبٌ بوقوع الفعل عليه ومَوْضع الكاف في ﴿إياك﴾ خفض بإضافة «إيَّا» إليها(٢)، و«إيَّا» اسم للمُضْمَر المنصوب إلا أنهُ يُضاف إلى سَائِر الْمُضمَراتِ، نحو: إيَّاكَ ضَربْتُ وإياه ضربت، وإياي حدَّثْت، ولو قُلْتَ: «إيَّا زَيدٍ» كان قبيحاً(٣) لأنه خُصَّ به الْمُضْمَر، وقد رُوِي عن بعض العَرَب، رواه الخليل: «إذا بَلَغَ الرَّجُل السِّتين فإيَّاه وإيَّا الشَّوابِّ»(٤).

= الكامل للمبرد ١ ـ ١٩٢ ـ المخصص ١٧ ـ ٩٥٥.

(١) المثقب العبدي شاعر جاهلي فحل اسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة عاش زمن عمرو بن هند، والبيت من نونيته المعروفة، يصف ناقته بأنها أجهدت لكثرة الأسفار فهي تتخوف وتحزن كلما رأته يتهيأ للسفر.

الوضين: الحبل يشد به الرحل، درأته: مددته.

أنظر المفضلية ١١٩ ـ ص ٣٩٤.

(٢) هذا رأي الزجاج أما النحويون فعلى أن الكاف حرف خطاب وأيا وحدها ضمير. ويعزى للخليل مثل هذا الرأي الذي ذكره الزجاج.

أنظر الأشموني وحاشية الصبان باب النكرة والمعرفة ج ١ ـ ٢٩.

(٣) هو ممنوع لا يجوز.

(٤) مثل عربي ينسب لعمر بن الخطاب، وهو يذكر في كتب النحو مثالاً للتحذير الشاذ، «إياه» و«إيا الشواب» منصوبان على التحذير شذوذاً وليس أي منهما مضافاً والشواب يقرأ بالنصب لا

ومن قال إن ﴿إياك﴾ بكماله الاسمُ، قيل له: لم نر اسما للمضمر ولا للمظهر يُضَاف وإنَّما يتغَيَّرُ آخرُهُ ويبْقَى ما قَبْل آخِرِهِ على لفظٍ واحد[1]، والدَّلِيل على إضافته قولُ العرب: «إِذَا بَلغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ فإِيَّاه وإِيَّا الشَّواب» يا هَذَا. وإجراؤُهم الهاءَ في إيَّاهُ مَجْرَاها في عصاه[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾.

الأَصل في نستعين: نَسْتَعْوِن لأَنَّهُ إنَّما معناه من الْمَعُونَـةِ والعَوْن. ولكنَّ الواو قُلِبَتْ ياءً لِثِقَل الكَسْرَةِ فيها، ونُقِلَتْ كَسْرَتُهَا إلى العين، وبقيَتْ الياءُ سَاكِنَةً، لأنَّ هذا مِنَ الإعْلالِ الذي يَتْبَع بعضُه بعْضاً نحو أعان يُعِينَ وَأَقَامَ يُقِيمُ، وهذا يُشْرَحُ في مَكانِهِ شَرْحاً مُسْتَقْصًى إنْ شَاءَ اللَّه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِهْدِنـا الصراط المستقيم﴾.

معناه المنهاج الواضح قال الشاعر:[3]

أميرُ المؤْمنين على صراط إذا اعوج المناهج مستقيم

أي على طريق واضح.

ومعنى ﴿اهدنا﴾ وهم مهتدون: ثَبِّتْنا على الْهُدَى. كما تقول للرجل القائم: قم لي حتى أعود إليك، تعني: أثبت لي على ما أنت عليه[4].

= بالجر. والمثل يعني ابتعاده عن النساء جميعاً في هذه السِّنّ.

أنظر التصريح وحاشية الصبان على الأشموني باب التحذير.

(١) يريد أنه يقال إياك وإياهما وإياهم فتبقى إيا ويتغير ما بعدها وهو يعتبره جزءاً منها.

(٢) أي كأن يقال عصاك وعصاه وعصاي، وليس الأمر كما زعم لأن إياه ضمير فلا يأتي بعده ضمير مضاف إليه، أما عصا فيضاف للضمير وللظاهر يقال عصاه وعصا موسى.

(٣) هو جرير بن عطية الخطفي، الشاعر الأموي المعروف ت ١١٠.

أنظر الأغاني ٧ ـ ٣٥، والديوان ٥٠٧. ـ ويروى البيت: إذا اعوج الموارد.

الموارد: جمع موردة ومورد، وهو مكان ورود الماء أو الطريق إليه.

(٤) يقال: قام له على حاجته إذا رعاها له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿صِرَاطَ الَّذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

صفة لقوله عزّ وجلّ: ﴿الصراط المستقيم﴾، ولك في عليهم ضَمُّ الهاءِ وكسـرُها (تقـول: الذين أَنعمت عليهِمْ وعليهُمْ[١]) وعلى هـاتين اللُّغتين معظم القُرَّاءِ، ويجوز عليهمو (بالواو[١]) والأصل في هذه ـ الهَاءُ في قولك: ضـربتهو يـا فَتى ـ ومررت بِهُـو يا فتى ـ أَنْ يتَكَلَّم بهَـا في الـوَصْـل بـواو[٢]، فـإذا وَقَفْتَ قلت: ضَربْتُه ومررتُ به[٣].

وزعم سيبويه أن الـواو زِيدَتْ على الهـاءِ في الْمُذَكَّـرِ كما زيـدت الألِف في المؤنث في قولك: ضَرَبْتُهَا ومررتُ بِهَا، لِيَسْتَوي المذكَّرُ والمؤنَّثُ في باب الزِّيَادَةِ. والقولُ في هذه الواو عند أَصحـاب سيبويـه والخليل أَنهـا إِنَّما زيـدتْ لخفاءِ الهاءِ وذلك أَنَّ الهاءَ تَخرجُ منْ أَقْصَى الحَلْقِ، والوَاوُ بعدَ الهاءِ أَخْـرَجَتْها منَ الْخَفَاءِ إلى الإبَانة، فلهذا زِيـدَتْ، وتسقط في الوَقْف، كمـا تَسْقُط الضَّمّةُ والكسرةُ في قولك: أَتَانِي زَيْدٌ، ومَرَرْتُ بزيد، إلاَّ أَنَّهـا واو وَصْل[٤] فـلاَ تَثْبتُ لئلا يلتبس الوصل بالأَصل. فإذا قلت: مررت بهُو ـ يـا فتى ـ فَإنْ شِئْتَ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِهِي فقلَبْتُ الواو يـاءً لانْكِسار مـا قَبْلَهَا، أَعني اليَـاءَ المنكَسِرَةَ فـإن قال قائل: بين الكسرة والواو الهاءُ، قيل الهاءُ ليست بحاجز حصين، فكأن الكسرةَ تَلِي الوَاوَ، ولوْ كانَتْ الهاءُ حـاجزاً حَصِينـاً ما زيـدتْ الواوُ عليهـا. وقد قُـرِئَ فَخَسَفْنَـا بهي وبِدَارِهِي الأَرْضَ[٥]، وبهـوُ وبدارِهُـو الأَرضَ، من قـراءَة أَهْـلِ الحجاز، فَإنْ قُلْت: فـلانٌ عليه مـال، فَلك فيه أَرْبَعَـةُ أَوجُه: إن شِئْتَ كَسَـرْتَ

(١) ليست في ك.

(٢) أي تمد في النطق.

(٣) بالإسكان.

(٤) عبارة ك: كما تسقط الضمة والكسرة في أتاني زيد... ولأنها واو وصل. ومعنى واو وصل أنها زيدت ووصلت بالكلمة وليست منها.

(٥) القصص ٨٢ ـ ٨١.

الهاءَ[1] وإنْ شِئْتَ أثْبَتَّ اليَاءَ، وكذلك في الضَّمّ إنْ شِئت ضَمَمْتَ الهاءَ، وإنْ شِئْتَ أثْبَتَّ الوَاو، فقلت عَلَيْهِ وعليهي، وعليْهُ وعَلَيْهُو (مَالٌ[2]).

وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿إن تحمل عليه يلهث﴾[3]، وقوله:

﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾[4] فالقراءَة بالكسر بغير ياءٍ في «عليه» وهي أجود هذه الأربعة ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز إلا أن تثبت به رواية صحيحة أو يقرأ به كثير من القراءِ، فمن قال عليهُ مال (بالضم[5]) فالأصل فيه عليهو مال، ولكن حَذَفَ الواوَ لسكونها وسكون الياءِ واجتماعِ ثَلاَثَةِ أَحْرفٍ مُتَجَانِسَة، وترك الضمة لتدل على الواو، ومن قال عليهُو فإنما أثبت الواو على الأصل، ويجعل الهاءَ حاجزاً، وهذا أضعف الوجوه لأن الهاءَ ليست بحاجز حصين، ومن قال: عَلَيْهِ مال فإنما قدر عليهي مال فقلب الواو ياءً للياءِ التي قبلها، ثم حذف الياءَ لسكونها وسكون الياءِ التي قبلها، كما قلبت الواو في قوله: مررت به يا فتى، ومن قال: عليهي مال[6] فالحُجَّةُ في إثْبات الياءِ كالحجة في إثبات الواو ألا ترى أنَّ عليهي مال أجودُ من عليهو مال.

وأجود اللغات ما في القرآن وهو قوله عَلَيْهِ(قَائماً)[7] والذي يليه في الجودة عليهُ مال بالضمِ، ثم يلي (هذا[7]) عليهي مال ثم عليهو مال بإثبات الواو، وهي أردأ الأَرْبَعَة.

فَأما قولهم «عَلَيْهُمْ» فأَصل الهاءِ فيما وصفنا أنْ تكونَ معها ضمّة، إلاَّ أنَّ الوَاوَ قد سَقطت، وإنَّما تُكْسر الهاءُ للياءِ الَّتِي قَبْلَهَا، وإنَّمَا يكُونُ ما قَبْلَ مِيم

---

(1) أي بدون ياء.

(2) ليست في ك.

(3) الأعراف ـ ١٧٦.

(4) آل عمران ـ ٧٥.

(5) ليست في ك.

(6) ك عليه.

(7) ك فقط.

الإِضْمَارِ مضْمُوماً، فَإِنَّمَا أَتَتْ هذه الضَّمَّةُ لميم الإِضْمَار، وقُلِبَتْ كسرةً للياءِ(١).

وإنَّما كثر «عَلَيْهِمْ» في القرآن «وعليهُم» ولم يكثر «عليهِمي» و«عليهُمُو(٢)» لأنَّ الضمة التي على الهاءِ(٣) من «عليهم» للميم، فهي أقوى في الثبوت، أَلَا تَرى أَنَّ هذه الضَّمّة تأْتي على الْميم في كلِّ ما لحقته الميمْ، نحو عليكمْ، وبكُمْ، ومنكُمْ، ولا يجوز في علِيكُمْ: «عَليكِم» (بكسر الكاف(٤)) لأن الكافَ حاجز حصينٌ بين الياءِ والميم، فلا تُقْلَبْ كَسْرَةً، وقد روي عن بَعْضِ العرب: «عَليكِمْ» و«بِكمْ» (بكسر الكاف(٤)). ولا يلتفت إلى هذه الرواية، وأنشدوا(٥).

وإنْ قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ   من الدَّهر ردوا بَعْضَ أَحْلَامِكُمْ ردُّوا

(بكسر الكاف)(٦) وهذه لغة شاذة، والرواية الصحيحة: فضل أحلامكُم، وعلى الشذوذ أنشد ذلك سيبويه(٧).

فَأَمَّا «عليهمو» فأصل الجمع أَن يكون بواو، ولكنَّ الميم استغنى بها عن الواو، والواوُ تثقل على أَلسِنَتَهم، حتى إِنَّه ليس في أسمائهم اسم آخره واو

---

(١) ما قبل ميم الإضمار يكون مضموماً، ولكن كسرت الهاء لتناسب الياء التي قبلها لأن الهاء حرف حلقي ضعيف، ولم يأت هذا الكسر في عليكم لأن الكاف حرف قوي.

(٢) ك: عليهمو مع عليهمي.

(٣) في الأصول: التي بعد الهاء.

(٤) ليست في ك.

(٥) للحطيئة جرول بن أوس مخضرم مطعون النسب سيء الخلق من أشهر الهجائين والمداحين، أخباره في الأغاني ٢ ـ ١٢٤، والبيت من قصيدة جيدة يمدح بها لأي بن شماس وينصره علي الزبرقان بن بدر، الديوان ٧٢، الخزانة ١ ـ ٤٠٩ الجمهرة ١٥٣.

(٦) ليست في ك.

(٧) أنشد البيت بالكسر.

قبلها حركة، فَلِذلك حُذِفَتِ الواو، فأما مَن قرأ «عَلَيْهُمُوا ولا الضَّالين» فقليل، ولا ينبغي أن يقرأ إلا بالكثير[1] وإن كان قد قرأ به قوم فإنه أقل من الحذف بكثير في لُغَة العرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

فيخفض (غَيْر)[2] على وجهين، على البَدلِ مِنَ الذين كأنَّهُ قال: صراط غَيْرِ المغضُوبِ عليهم، ويستقيم أن يكون ﴿غَيْرِ المغْضُوبِ عليهم﴾ من صفة الذين، وإن كان ﴿غير﴾ أصله أن يكونَ في الكلام صفة للنكرة[3]، تقول: مررت برجل غيرِك، فغيرك صفةٌ لرَجل، كأنك قلت: مررتُ برجل آخر، ويصلح أن يكون معناه: مررت برجُل ليس بك وإنما وقع ههنا صفةً للذين، لأن «الذين» ههنا ليس بمقصود قصدُهم[4] فهو بمنزلة قولك: «إنِّي لأَمُرُّ بالرَّجُلِ مِثْلك فأُكرمه».

ويجوز نصب ﴿غير﴾ على ضربين: على الحال وعلى الاستثناءِ فكأنك قلت: إلَّا المغْضُوبَ عليهم، وحق ﴿غير﴾ من الإعراب في الاستثناءِ النصب إذا كان ما بعد إلا مَنْصوباً[5]، فأما الحال فكأنك قُلْتَ فيها: صراط الذين أنعمْت عليهم لا مغْضوباً عليهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ الضَّالِّينَ﴾.

---

(١) ك: بالكسر.

(٢) ك: فيخفض على ضربين.

(٣) ط: وإن كان «غير» إنما أصله في الكلام أن يكون.

(٤) القياس أن يقول «قَصْدُه» أي هذا اللفظ، وقد ذكر ضمير المذكر بعد عائداً على «الذين» لكنه نظر إلى معنى الذين فأعاد الضمير جمعاً وليس بجيد والغرض أن الذين هنا لا تدل على أشخاص معينين وإنما تدل على جنس عام، وبهذا العموم أشبهت النكرة.

(٥) تؤدي معنى «إلا» في إفادة الاستثناء وما بعدها يجر بالإضافة، وهي تأخذ حكم المستثنى.

فإنما عَطفَ بالضّالين على المغْضُوب عليهم، وإنما جاز أَنْ يقـع ﴿لا﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾ لأن معنى ﴿غَيْر﴾ متضَمّن معنى النفي، يجيز النحويون: أَنت زيداً غيرُ ضَارب، لأَنه بمنزلة قولك أَنت زيـداً لَا تضْرِبُ، ولا يجيزون أَنتَ زيداً مثل ضارب، لأَن زيداً من صلة ضارب فلا يَتقَدّم عليه[1].

وقول القائلين بعـد الفَراغ من الحَمْـد، ومن الدّعـاءِ «آمِين» فيه لغتـان. تقول العربُ: أمين، وآمين، قال الشاعر:

تبـاعـد عني فُـطْحُـل إِذْ دَعـوتـه   أَمينَ فـزاد اللّه مـا بيننـا بعـدا[2]

وقال الشاعر أَيضاً:

يـا رَبُّ لا تـسلبـنّي حبّهـا أَبـداً   ويـرحم اللّهُ عبـداً قـال آمينـا[3]

ومعناه: اللهمّ استجب، وهما موضوعان في موضع اسم الاستجابـة كما أن قولنا: «صه» موضوع موضع سكوتاً[4].

وحقهمـا من الإعراب الـوقف[5] لأَنهما بمنـزلة الأَصـوات إِذْ كـانـا غيـر مشْتقين منْ فعل إلا أَنَّ النون فتحت فيهما لالتقاءِ السَّاكنين، فإِن قَال قائل: أَلَا كُسِرت النُّونُ لالتقاءِ الساكنين، قيل: الكسرة تَثْقُـل بعدَ اليـاءِ، أَلا تَرى أَن أَيْن وكيف فتحتا لالتقاءِ الساكنين ولم تُكْسَرا لِثِقَلِ الكسرةِ بعدَ الياءِ.

---

(١) الأصل أنت مثل ضارب زَيْداً. ولا يفصل بينهما أيضاً.

(٢) البيت في اللسان (أمن) وفي الطبري والقرطبي في شرحهما هذه الآية.

(٣) البيت في اللسان «أمن» منسوباً لعُمَرَ بن أبي ربيعة، وفي فصيح ثعلب ٨٧ لمجنون ليلى.

(٤) أي أنه اسم فعل أمر بمعنى أستجب.

(٥) تبنيان على السكون.

ومن سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تبارك وتعالى: ﴿ألم﴾.

زعم أَبو عبيدة معمرُ بنُ المثنى أَنَّها حُروفُ الهجاءِ افْتتاح كلام، وكذلك: ﴿المر﴾، و﴿المص﴾(١)، وزعم أَبو الحسن الأخْفش أَنَّها افتتاح كلام(٢) ودليل ذلك أَن الكلام الذي ذُكِرَ قَبلَ السُّورَةِ قَد تَمَّ.

وزعم قطرب أَن: (٣) ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ و﴿المر﴾ و﴿كهيعص﴾ و ﴿ق﴾،

---

(١) أبو عبيدة يعتبرها أيضاً أسماء للسور، ففي «مجاز القرآن»: ألم افتتاح مبتدأ كلام شعار للسورة.

(٢) رأي الأخفش أنها حروف يستهل بها الكلام مثل «ألا».

والأخفش هو سعيد بن مسعدة، مولى آل مجاشع بن دارم، من أهل بلخ، سكن البصرة وقرأ على سيبويه وكان أَسَنّ منه وهو أنبغ تلاميذه، والوحيد الذي روى كتابه، ولولاه لضاع الكتاب، رحل إلى الكوفة ودرس الكتاب هناك، لكبار النحويين الكوفيين، منهم الجرمي، والفراء، والكسائي.

وترك الأخفش هذا عدة كتب في اللغة، وله «معاني القرآن» الذي يشير إليه الزجاج كثيراً ت ٢٢١ هـ.

ويعرف بالأخفش الأوسط تمييزاً له من الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد أستاذ سيبويه، والأصغر هو علي بن سليمان تلميذ المبرد، وراوي الكامل.

أخبار النحويين ٣٩. مراتب النحويين ٦٨.

البغية ٢٥٨. طبقان النحويين ٧٤.

نزهة الألباء ٩١.

(٣) قطرب هو محمد بن المستنير من تلاميذ سيبويه، كان يدلج إليه ليلا فإذا استيقظ رآه على بابه،

و ﴿يس﴾ و ﴿نون﴾، حروف المعجم ذكرت لتدل على أن هذا القرآن مؤلف[1] من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف ا. ب. ت. ث. فجاءَ بعضها مقطَّعاً وجاءَ **تمامها مُؤَلَّفاً ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه.**

ويروى عن الشعبي[2] أنه قال: لِلَّه في كُلِّ كتابٍ سِرٌّ وسِرُّه في القرآن حروف الهجاءِ المذكورة في أوائل السُّورِ.

ويروى عن ابن عباس ثلاثةُ أوجه في ﴿الم﴾ وما أشبهها، **فوجه منها أنه قال:**

أَقسم اللَّهُ بهذه الحروف أن هذا الكتاب الَّذِي أُنزل[3] على محمد ﷺ هو الكتاب الذي عنده، عزّ وجلّ لا شكَّ فيه، والقول الثَّاني عنه أن: ﴿الر﴾، ﴿وحم﴾، ﴿ونون﴾، اسم للرحمن عزّ وجلّ - مقطَّع في اللفظ موصُول في المعنى، والثَّالث عنه أنَّه قال: ﴿الم﴾ معناه أنا اللَّه أعلم، و ﴿الر﴾ معناه أنا اللَّه أرى،

= فقال له ما أنت إلا قطرب ليل، كان بارعاً في النحو واللغة ولكن ابن السكيت ضعف رأيه في اللغة واتهمه بالكذب. لقطرب عدة مؤلفات منها النوادر، والأضداد، والهمز - الخ. وكلها تدل على عمق وسعة علم، أما رأيه هذا فشائع بين المفسرين.

أنظر الفهرست ٥٢، البغية ١٠٤ الوفيات ١ - ٤٩٤.

(١) في الأصل المؤلف.

(٢) الإمام الشعبي هو عامر بن شرحبيل الحميري، راوية من التابعين ولد ومات بالكوفة، بعد أن جاوز الثمانين، روى عن عبد اللَّه بن عمر، له مع عبد الملك والحجاج مجالس مروية في كتب الأدب، وهو أحد أئمة الأمصار الأربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة ومكحول بالشام والحسن البصري بالبصرة. توفي سنة ١٠٥ هـ.

تاريخ بغداد ١٢ - ٣٣٤ ابن خلكان ١ - ٢٤٤.

٣) لأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل وما أنزل على رسول اللَّه ﷺ مما هو مكتوب هناك لا شك فيه ولا تغيير.

و﴿المص﴾ معناه أنا اللَّه أعلم وأفصل[1] و ﴿المر﴾ معناه أنا اللَّه أعلم وأرى.

فهذا جميع ما انتهى إلينا من قول أهل اللغة والنحويين في معنى ﴿الم﴾ وجميع ما انتهى إلينا من أهل العلم بالتفسير.

ونقول في إعراب ﴿الم﴾ و ﴿الر﴾ و ﴿كهيعص﴾ وما أشبه هذه الحروف.

هذا باب التهجي.

---

(١) أي أقضي.

هذا باب حروف التهجي

وهي : الألف والباءُ والتاءُ والثاءُ وسائر ما في القرآن منها .

فإجْماع النحويين أنَّ هذه الحُروف مَبْنِيَّة على الوقف لا تعرب ومعنى قولنا «مبنية على الوقف» أنك تُقَدِّرُ أنْ تسكت على كل حرف منها، فالنطق: ألف، لام، ميم، ذلك. والدليل على أنك تقدر السكت عليها[1] جمعك بين ساكنين في قولك «لام» وفي قولك «ميم». والدَّليل على أنَّ حروف الهجاءَ مَبْنِيّة على السكت كما بني العَدَدُ على السَّكْت: أنَّك تقول فيها بالوقف مع الجمع بين ساكنين، كما تقول إذا عددت واحدْ. اثنانْ. ثَلاثَهْ. أربعهْ. . . ولولا أنك تقدر السكت لقلت: ثلاثةً، بالتاءِ[2] كما تقول: ثلاثاً يا هذَا. فتصير الهاءَ تاءً مع التنوين واتصال الكلام .

وحقها من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر، زَعم سيبويه أنَّك أردْتَ أنَّ المعجمَ حروف يُحْكى بها ما فِي الأسْماءِ المؤَلَّفةِ من الحروف[3] فجرى

---

(١) ط، ب: ودليل ذلك.

(٢) أي وليس بالهاء والوقف.

(٣) أشبهت أسما الأصوات في أنها تعبر عن معاني أسماء، فسكنت وأراد أنها سكنت في هذا الموضع وما أشبهه، وقد تعرب كالأسماء المتمكنة وفي ك:
أنك أردت أن تقطع المعجم حروفاً تحكي بها ما في الأسماء المؤلفة من الحروف فجرت مجرى ألخ .

مجرى ما يحكى به نحو «غاق»، وغاق يا فتى، إنَّما حكى صوتَ الغُراب[1]، والدليل أَيْضاً على أنها مَوْقُوفَة قولُ الشَّاعر[2]:

أَقْبَلْتُ من عند زياد كالخَرِف   تخطُّ رِجْلاي بخَطٍّ مختلف

تَكَتَّبَانِ في الطريق لَامَ أَلِفْ

كأنه قال: لامْ أَلِفْ، بسكون «لام» ولكنه أَلقى حركة همزة «أَلف» على الميم ففتحها.

قال أَبو إسحق: وشرح هذه الحروف وتفسيرها أَنَّها ليست تجري مجرى الأَسماءِ الْمُتمكِّنَة، والأَفعال المضَارِعة التي يجب لها الأَعرابُ، وإنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب فيه إلاَّ مع كماله، فقولك «جَعْفَر» لا يجب أن تُعْرَبَ منه الجيمَ ولا الْعَيْنَ ولا الفَاءَ ولا الرَّاءَ، دون تكميل الاسم، فإنّما هي حكاياتٌ وُضِعَتْ على هذه الحروف، فإن أَجريتها مَجْرى الأَسماءِ وحدثت عنها قلت: هذه كاف حسنة، وهذا كاف حسنٌ، وكذلك سائرُ حُرُوف الْمُعْجَم، فمنْ قال هذه كاف أَنَّثَ لمعْنى الْكَلِمَةِ، ومن ذكَّر فلمعنى الحرف، والإعرابُ وقع فيها لأَنك تخرجها من باب الحكاية.

قال الشاعر!

كافاً ومِيمين وسيناً طَاسِماً[3]

---

(١) ك: إذا حكى صوت الغراب.

(٢) هو أبو النجم العجلي، يصف حالة سكر له، وزياد هو صديقه الذي شرب عنده، يريد أنه كان يتمايل فتخط رجلاه في الطريق ما يشبه «لام الف» وأبو النجم هو الفضل بن قدامة، من بني بكر بن وائل كان رجازاً وشاعراً أوصف من العجاج وكان معاصراً له، أنظر الأغاني ٩ ـ ٧٧ والخزانة ١ ـ ٤٩.

والأبيات في اللسان «كتب» بإختلاف قليل، وكتاب سيبويه ٢ ـ ٣٤ ط باريس.

(٣) كتاب سيبويه ٢ ـ ٣١ باريس، ابن يعيش ٦٩ ـ ٢١، ويروى طامساً.

وقال أيضاً:

كمــا بيـنت كــاف تَـلُوح ومِيـمُهــا[1]

ذكَّرَ طَاسِماً لأنه جَعله صفةً للسين، وجعل السِّين في معنى الحرف وقال تلوح، فأنث الكاف، ذهبَ بها مذهب الكلمة، قال الشـاعر يهجـو النحويين، وهو يَزيدُ بن الحكم[2].

إذا اجـتـمـعـوا عـلى أَلـف وواو ويــاءٍ لاح بــيـنــهـمــو جــدال

فـأما إعـرابُ «أَبِي جَادٍ» و «هَـوَزٍ» و «حُـطِّي»، فـزعم سيبـويـه أَنَّ هـذه مَعْروفاتُ الاشتقـاق في كلام العـرب، وهي مَصْروفـة، تقول: علمْتُ أَبـا جادٍ وانتفعتُ بـأَبي جاد، وكـذلك «هـوز» تقـول: نفعني «هـوز»، وانْتَفَعْتُ بهـوَزٍ، (وكذلك حُطِّي)[3]، «وَهُنَّ» مصْروفات منوّنَات. فأَمـا «كلمون»[4] و «سَعْفَص» و «قُـرَيْشِيَات»، فـأَعْجَمِيَّات تقـول: هذه كَلَمْـونَ ـ يـا هـذا ـ وتعلمت كَلَمُـونَ وانتفَعْتُ بكلمون، وكذلك «سعفص».

فَأَمَّا قُرَيْشِيَاتٌ فاسْم للجَمْع[5] مصروفة بسبب الأَلف والتاءِ، تقول: هَذه

---

(١) كتاب سيبويه ٢/٣١ وابن يعيش أيضاً وهو للراعي، وصدره:
أهاجتك أبيات أبان قديمها، وفي اللسان (كهف): أشاقتك أطلال تعفت رسومها.

(٢) ط: يزيد بن الحرث، وهو خطأ أو اختصار، وابن الحكم، ثقفي أسلم يوم فتح الطائف وله مع الحجـاج موقف معـروف، وقد احتضنـه سليمـان بن عبـد الملك، ولكنـه انشق على الأمـويين وانضم إلى يزيد بن المهلب، أنـظر الأغاني ١١ ـ ٩٦ السـاسي ورغبة الأمـل ٨ ـ ٤١ وجاء في الخـزانة ١/٣٥٥ أن البيت ليـزيد بن الحكم كمـا نسبه الـزجاج وابن الأنبـاري والقالي، وروى الحـريـري في درة الغواص عن الأصمعي أنـه قـال: أنشـدني عيسى بن عمـر بيتـاً هجـا بـه النحويين. الخ.

(٣) ليست في ك.

(٤) ط وكلمون.

(٥) في الأصل وك: إسم للجميع، والغرض في الروايتين أنه إسم دال على جمع.

قَرَيْشِيَاتٌ ـ يا هذا وَعَجِبْتُ مِنْ قُرَيْشِيَّات (يا هذا)[1].

ولقطرب قول آخر في ﴿آلم﴾: زعم أنه يجوز: لما لغا القومُ في القرآن فلم يتفهموه حين قالوا ﴿لاَ تَسْمَعُوا لهـذا القرآن والغَوْا فِيه﴾[2] أُنْزِلَ ذكرُ هـذه الحروف، فسكتوا لمَّا سمعوا الحروف طمعاً في الظفر بمَا يحبون ليفهموا[3] -بعد الحروف ـ القرآن وما فيه، فتكون الحجة عليهم أثبت إذا جحدوا بعد تفهم وتعلم.

قال أبو إسحق: والذي اختاره من هذه الأقوال التي قيلت في قوله عزّ وجلّ: ﴿الم﴾ بعض ما يروى عن ابن عباس رحمة اللّه عليه. وهو أن المعنى: ﴿ألم﴾ أنا اللّه أعلم، وأن كل حرف منها له تفسيره، والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها، قال الشاعر[4]:

قلنا لها قفي قَالَتْ قافْ لا تَحْسَبي أنَّا نَسِينَا الإيجَاف

فنطق بقاف فقط، يريد قالت أقف.

وقال الشاعر أيضاً:

نَادَوْهمو أَنِ الْجِمُوا، أَلاَتا قالوا جميعاً كلهم: أَلاَ فَا[5]

(١) ليست في ط.

(٢) فصلت ٤١ ـ ٢٦.

(٣) أنزلت مقطعة ليسكتوا ويتأملوا فيفهموا كلمة طمعاً تعليل لأنزلت.

(٤) أبو وهب الوليد بن عقبة، أخو عثمان من الرضاعة، ولاه الكوفة فشرب وأم الناس سكران فعزله عثمان وحده، وقال هذا الشعر وهو في طريقه إلى المدينة، يخاطب الإبل، ويقول لا تظنيني أترفت ونسيت طرد الابل أنظر الأغاني ٤/١٨١ ساسي، والأبيات في الخصائص ١ ـ ٣٠، ٨٠.

والصحابي ٩٤، وشرح شواهد الشافية ٢٧١، وكتاب سيبويه ٢ ـ ٦٢ باريس.

(٥) الكامل ١ ـ ٢٤٠ وشرح شواهد الشافية ٢٦٢، ٢٦٤، للقيم بن أوس.

تفسيره: نادوهموا أَنْ ألْجمُوا، ألا تركبون، قالوا جميعاً: ألا فارْكَبوا، فإنَّما نطق بتاءٍ وفاءٍ كما نطق الأَوّل بقَافٍ.

وأنشد بعض أهل اللُّغَةِ للقيم بن سَعْد بن مالك:

إنْ شئْتَ أَشْرَفْنا كلانا فدعا اللَّهَ ربًّا جُهْدَه فاسْمَعَا
بالخير خيرات وإنْ شَرًّا فآى ولا أُريد الشر إلا أَن تآءَ

وأنشد النحويون:

بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أُريد الشر إلا إن تَا

يريدون: إن شَرًّا فَشَرٌّ، ولا أُريد الشر إلا أَن تَشَاءَ.

أُنشد جميع البصريين ذلك[1]

فهذا الذي أختاره في هذه الحروف واللَّه أعلم بحقيقتها.

فأما ﴿ص﴾ فقرءَ الحسن[2]: صادِ والقرآن، فكسر الدال، فقال أهل

= كتاب سيبويه ٢ ـ ٦٢ باريس، وجاء في اللسان (معي) أن الأبيات لحكيم بن معية التميمي، وجاءت كما يلي:

ان شئت يا أسماء أشرفنا معا دعا كلانا ربه فاسمعا
بالحير خيرات وإن شرا فأي ولا أريد الشر إلا أن تاي

قال: وبانقلاب الياء إلى الألف يسلم قول حكيم من الأقواء، وجاء بعد ذلك: قال لقمان بن أوس بن ربيعة بن مالك بن يزيد بن مناة بن غنم:

إن شئت أشرفنا كلانا فدعا . وأعاد البيتين كما ذكرهما من قبل

(١) ك: أنشد جميع البصريين هكذا.

(٢) الحسن بن أبي الحسن بن يسار، البصري، السيد الإمام أبو سعيد إمام البصرة في عصره، قرأ على حطان بن عبد اللّه الرقاشي، عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية، عن أبي عن زيد بن ثابت وعن عمر، وقرأ عليه جماعة منهم أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، ت ٢١٠ هـ.

غاية النهاية ت ١٠٧٤ ابن خلكان ١ ـ ١٦٠.

اللغة: معناه صاد القرآن بعملك، أي تَعَمَّدْهُ، وسقطت الياءُ للأمر ويجوز أن تكون كسرت الدال لالتقاءِ الساكنين إذَا نَوَيْتَ الوصلَ. وكذلك قرأ عبد اللّه بن أبي إسحق[١]: «صادِ والقرآن»، وقرأ أيضاً «قافِ والقرآن المجيد». فالكسرُ في مذهب بن أبي إسحق لالتقاءِ الساكنين[٢].

وقَرأ عيسى بنُ عمر[٣]: «صادَ والقرآنِ» ـ بفتح الدّال ـ وكذلك قرأ «نونَ والقلمِ» و «قافَ والقرآنِ» ـ بالفَتح أيضاً ـ لالتقاءِ السّاكنين، قال سيبويه: إذَا نَاديتَ أَسْحارَّ[٤] والأَسْحَارّ اسمُ نَبْتٍ ـ مشدَّد الراءِ ـ قلت في ترخيمه: يا أَسْحارَ أَقْبل، ففَتَحْتَ لالتقاءِ السَّاكِنين كما اخْتَرتَ الفتحَ في قولك عضَّ يا فتى فاتباع الفتحةِ الفَتْحُةَ كاتباع الألفِ الفَتْحَةَ ويجوز: يا اسحارِّ أَقْبِل، فتَكْسِر لالتقاء السّاكنَيْن.

وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز أن يكون صادَ وقافَ، ونونَ أسماءً للسور منصوبةً إلا أنها لا تُصْرف كما لا تصرف جملة أَسْماءِ المؤنث. والقولُ الأول أعني التقاءَ الساكنين، والفتحَ والكسر من أَجل الْتقائِها أقيسُ، لأنه[٥] يزعم أنّه ينْصب هذه الأشياء كأنّه قال: أذكر صادَ[٦]. وكذلك يجيز في «حم»،

---

(١) عبد اللّه بن أبي إسحاق الحضرمي ولاء أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل، ناظر أبا عمرو بن العلاء فقهره، كان ينقد الفرزدق كثيراً، وكانت له خلافات قليلة في القرآن خاصة من ذلك أنه كان يقرأ: الزانية والزاني، والسارق والسارقة بالنصب ت ١١٧ طبقات النحويين ٢٥ ـ ٢٧، أخبار النحويين ٢٠.

(٢) لأنه وصل الحرف بما بعده، والساكنان الألف والصاد.

(٣) عيسى بن عمر الثقفي أبو عمر مولى خالد بن الوليد نزل في ثقيف فنسب إليهم. إمام في النحو والعربية والقراءة، يقال إنه ترك نيفا وسبعين مصنفاً. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد اللّه بن أبي إسحق والحسن البصري وغيرهم ت ١٤٥ هـ. البغية ٣٧١.

(٤) في الأصل ناديت.

(٥) الأخفش.

(٦) أي وعدم والحذف أولى.

و «طس»، النّصبَ و «ياسين» أيضاً على أنها أسماءُ للسّور.

ولو كان قـرئَ بها لكان وجهُه الفتحَ لالتقاءِ الساكنين.

فأما ﴿كهيعص﴾ فلا تُبينُ [فيها] النون مع الصاد في القراءَة وكذلك ﴿حم عسق﴾ لا تبين [فيها] النون مع السين.

قـال الأخفش وغيره من النحـويين: لم تبَيّن النون لقـرب مخـرجهـا من السين والصَّادِ.

فأما «نُونْ والقَلم» فالقراءَة فيها تَبْيين النون مع الـواو التي في «والقلم»، وبتــرك التّبيين. إنْ شئتَ بيّنْتَ وإن شئْتَ لَمْ تُبيِّنْ، فقلت «نُــونْ والقَلم» لأن النون بعدت قليلاً عن الواو[1].

وأما قوله عزّ وجلّ[2] ﴿الٓمٓ﴾ اللّه ففي فتح الميم قولان أحدهُما لِجماعة من النحـويين وهو أن هـذه الحروف مبنيـة على الـوقف فيجب بعـدهـا قـطع ألف الـوصل فيكـون الأصل: أ. ل. م. اللّهُ لا إلـه إلا هـو. ثمَّ طـرِحتْ فَتْحةُ الهمزَةِ على الميم، وسقطت الهمزة كما تقول: واحدْ إثْنَان، وإن شئت قلت: واحدِ اثْنَان فألقَيْتَ كسرة اثنين على الدال.

وقال قوم من النحويِّين لا يسوغ في اللفظ أن ينطق بثلاثة أحرف سواكنَ فلا بدَّ من فتحـة الميم في ألم اللّه لالتقاءِ السـاكنين (يعني الميم واللام والتي بعدها)[4].

وهذا القول صحيح لا يمكن في اللفظ غيره.

---

(١) هذه عبارة ك وعبارة ط، ب: إن شئت قلت نون والقلم [أي بتشديد الواو] وإدغام النون فيها.

(٢) ك فأما.

(٣) كَ فيجب.

(٤) ليست في ك.

فأما من زعم أنَّه إنَّما أُلقي حركةَ الهمزة فيجب أن يقرأ «أَلِم اللَّه»(١).

وهذا لا أعلم أحداً قرأ به إلا ما ذُكر عن الرؤاسي(٢)، فأمَّا من رواه عن عاصم فليس بصحيح الرواية(٣).

وقال بعض النحويين لو كانت محركة للالتقاءِ الساكنين لكانت مكسورة، وهذا غلط لو فعلنا في التقاءِ الساكنين إذا كان الأول منهما ياءً لوجب أن تقول: كيفِ زَيد وأين زيد وهذا لا يجوز، وإنما وقع الفتح لثقل الكسرة بعد الياء»(٤).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ الكِتَابُ﴾.

زعم الأخفش وأبو عبيدة أن معناه هذا الكتاب قال الشاعر.

أَقُولُ لَهُ والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ ... تَأَمَّلْ خُفَافاً إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا(٥)

---

(١) بكسر الميم للتخلص من التقاء الساكنين بعد حذف حركة الهمزة.

(٢) ط الا الرؤاسي.

وهو محمد بن الحسن بن أبي سارة يكنى أبا جعفر، أستاذ الكسائي والفراء وأول من وضع كتاباً في النحو من الكوفيين، ويقال إن كل ما في كتاب سيبويه «قال الكوفي» إنما عنى به الرؤاسي وله اختيار في القراءة وذكره الداني في غاية النهاية.

أخبار النحويين ١٣٥، نزهة الألباء ٦٥، البغية ٣٣.

(٣) عاصم بن أبي النجود شيخ القراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد والتحرير وحسن الصوت وروى عنه ربيبه حفص ت ١٢٧ هـ.

ابن خلكان ١ ـ ٣٠٤. غاية النهاية ١٤٩٦.

(٤) هذه دفاع عن الرأي الذي سبق ذكره من أن الميم فتحت لالتقاء الساكنين، والمراد بالتقائهما هنا الجمع بينهما.

(٥) هو خفاف بن ندبة (أمه) يخاطب مالك بن حماد سيد بني فزارة وقد قتله خفاف ثأراً لمعاوية بن عمرو أخي الخنساء في خبر طويل مذكور في الأغاني ١٣ ـ ١٣٧ ويأطر متنه يلوي بدنه حتى يتلاقى طرفاه كالحبل وأنظر أيضاً الأغاني ٢ ـ ١٢٩ والخزانة ٢ ـ ٤٧١ والجمهرة ١٢ بيروت.

قال المعنى إنني أنا هذا. وقال غيرهما من النحويين: إن معناه القرآن ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى (ص)[1] ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفروا بِهِ﴾[2] وكذلك قوله: ﴿الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

فالمعنى هذا ذلك الكتاب.

ويجوز أن يكون قوله ﴿أَلَم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، فيقال «ذلك» للشيءِ الذي قد جرى ذكره، فإن شئتَ قلتَ فيه «هذا» وإنْ شِئتَ قلت فيه «ذلك»، كقولك انفقت ثلاثةً وثلاثةً فذلك ستة وإن شئت قلت هذا ستة، أو كقوله عز وجل في قصة فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ والْأُولَى﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[4]. وقال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا في الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْم عَابِدِينَ﴾[5]. وقال عز وجل ﴿آلمَرَ تلك آيَاتُ الْكِتَابِ والَّذِي انْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾[6] فقال ﴿ذلك﴾ فجائز أن المعنى: تلك علامات الكتاب، أي القرآن متكلم به بحروف العرب. التي نعقلها على ما وصفنا في شرح حروف الهجاءِ».

وموضع ﴿ذلك﴾ رفع لأنه خبر ابتداءٍ على [قول] من قال هذا القرآن ذلك

---

(١) ك عليهما السلام.

(٢) سورة البقرة (٢) ـ آية ٨٩.

(٣) سورة البقرة (٢) ـ آية ١٤٦.

(٤) سورة النازعات (٧٩) ـ الآيات ٢٣ ـ ٢٦، ومعنى ذلك: هذه الأحداث التي ذكرت.

(٥) سورة الأنبياء (٢١) ـ آية ١٠٦.

(٦) سورة الرعد (١٣) آية:

الكتاب. والكتاب رفع يسميه النحويون عطفَ البيان نحو قولك: هذا الرجل أخوك فالرجل عطف البيان أي يبين من الذي أشرت إليه، والاسم من ذلك «ذا» والكاف زيدت للمخاطبة ولاحظَّ لها في الإعراب[١] قال سيبويه: لو كان لها حظ في الإعراب لقلت: «ذاك نفْسِه زيد»[٢] وهذا خطأٌ ـ لا يجوز إلا «هذاك نَفْسُه زيد».

(ولذلك «ذانك» يشهد أن الكاف لا موضع لها. لو كان لها موضع لكان جرا بالإضافة، والنون لا تدخل مع الإضافة)[٣].

واللام تزاد مع ذلك للتوكيد، أعني توكيد الاسم لأنها إذا زيدت أسقطت معها «ها». تقول: ذلك الحق وذاك الحق، وها ذاك الحق، ويقبح هذلك الحق لأن اللام قد أكدت معنى الإشارة[٤]. وكسرت اللام لالتقاء الساكنين، أعني الألف من ذا واللام التي بعدها، وكان ينبغي أن تكون ساكنة ولكنها كسرت لما قلناه[٥].

وكذلك يجب أن يكون موضع ذلك رفعاً فيمن جعل ذلك خبراً عن ﴿الۤمۤ﴾.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

معناه لا شك فيه تقول: رابني فلان إذا علمت الرِّيبَة فيه وأرابني إذا أوهمني الريبة قال الشاعر[٦].

---

(١) ومن العجب أنه يعتبر الكاف في إياك ضميراً.

(٢) على أن نفس توكيد للكاف المضاف إليه.

(٣) هذه الفقرة في ك فقط.

(٤) المعروف عند جميع النحويين أنه لا يجوز ذكر هاء التنبيه مع اللام إلا رأيا رواه ابن هشام عن ابن معط، وقال ابن مالك: واللام أن قدمت ها ممتنعه.

(٥) كان حق اللام أن تبنى على السكون وكسرت للالتقاء الساكنين.

(٦) هو الفرزدق وقيل الأعشى وقيل المتلمس وقيل غيرهم أي إذا أحدثت ما يريبه قال إنه مجرد=

أخــوك الـذي إنْ ربتَــه قــال إنمــا أُرَبْتُ وإنْ عــاتبتــه لان جــانبــه

وموضع ﴿لا ريب﴾ نصب، قال سيبويـه: «لا» تعملُ فيمـا بعدهـا فتنصبـه ونصبها لما بعدها كنصب إنَّ لمَا بعدها إلا أنهَا تنصبه بغير تنـوين[١] وزعم أنها مع ما بعدها بمنزلة شيءٍ واحد.

كأنها جواب قول القائل: هل من رجل في الـدار، فمن غير منفصلة من رجل، فإنْ قال قائل فما انكرت أن يكون جواب هل رجلَ في الدار[٢]؟ قيـل: معنى «لا رجل في الدار» عموم النفي، لا يجوز أن يكـون في الدار رجـل ولا أكثر منه من الرجال إذا قلت: «لا رجل في الدار»، فكذلك «هل مِنْ رجل في الدار» استفهامٌ عنِ الواحد وأكثر منه، فـإذا قلت: «هل رجـلٌ في الدار» أو «لا رَجُلٌ في الدار» جاز أن يكون في الدار رجلان لأنك إنما أخْبَرْتَ أنَّه ليس فيها واحـد فيجوز أن يكـون فيها أكثـر، فإذا قلتِ لا رجُـلَ في الدار فهـو نفي عـام وكذلك ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وفي قوله ﴿فيه﴾ أربعةُ أوجه، القراءَةُ منها على وجه واحد ولا ينبغي أنْ يُتجاوَزَ إلى غَيْره وهو ﴿فيهِ هُدى﴾ بكسر الهاءِ (ويجوز في الكـلام وفي القراءة لو كان قـرئَ به)[٣]«فيهي هدى» بـإثبات الواو، و «فيهي هدي» بإثبات الياءِ، وقد شرحنا هذه الأوجه في إعراب الحمد[٤].

وهم وإنك لم تحدث شيئاً، وفي اللسان (راب) الرواية الصحيحة للبيت «أرَبْتُ» أي أنا الـذي أحدثت الريبة.

(١) أي هو مبني على الفتح.

(٢) أي لماذا منعت هذا. يريد نصب رجل بعد هل.

(٣) هذه الجملة ليست في ك والعبارة هناك. وهو قوله فيـه هدى، وفيهي هـدى بإثبـات الياء وفيهـو هدى... الخ.

(٤) انظر ص ٥٠ ـ ٥١.

فأمَّا قِرَاءَةُ «فيهْ هُدًى» بإدغام الهاءَ في الهاءَ فهو ثقيل في اللفظ، وهو جائز في القياس لأن الحرفين من جنس واحد إلا أنه يثقل في اللفظ لأن حروف الحلق ليست بأصل في الإدغام والحرفان من كلمتين، وحكى الأخفش أنَّها قِراءَة.

وموضع ﴿هدَى﴾ نصب، ومعناه بيان ونصبه من وجهين أحدُهُما أنْ يكون مَنْصُوباً على الحال من قولك: القرآن ذلك الكتاب هدى ويجوز أن يكون انتصب بقولك: لا ريْبَ فيه في حال هدايته فيكون حالاً من قولك لا شك فيه هادياً، ويجوز أن يكون موضعُه رفعاً من جهات: إحْدَاهَا أن يكون خبراً بعد خبرٍ كأنه قال: هذا ذلك الكتاب هدى، أي قد جمع أنه الكتاب الذي وعدوا به وأنه هدًى كما تقول: هذا حُلوٌ حامض، تُرِيدُ أنه قد جَمع الطَّعْمَين[1] ويجوز أن يكون رفعه على إضمار هو، كإنه لما تَم الكلام فقيل: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قيل: هو هدى.

ويجوز أن يكون رفعه على قولك: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كأنك قلت ذلك الكتابُ حَقًّا، لأن لا شك فيه بمعنى حقّ ثمّ قَال: بعد ذلك: ﴿فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾.

معناه يصدقون، وكل مؤْمِن بشيءٍ فهو مصدّق به فإذا ذكرتَ مؤْمناً ولم تقل هو مؤْمن بكذا وكذا فهو الذي لا يصلح إلا في اللّه ـ عزّ وجلَّ ـ، وموضع ﴿الذين﴾ جر تبعاً للمتقين ويجوز أن يكون موضعُهُم[2] رفعاً على المدح كأنه

---

(١) على هذا التقدير لا يكون من تعدد الخبر لأن الكلمتين أفادتا معنى واحداً، والخبر المتعدد كل كلمة فيه تفيد معنى مستقلاً مثل وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد، وقد أجازه بعض النحويين ولكن لم يسلم له. أنظر الأشموني حـ ١ ـ ١٦٣.

(٢) القياس أن نقول موضعها أو موضعه أي الكلمة أو اللفظ وعود ضمير الجمع عليها لأوجه ذا قيمة

لما قيل هدى للمتقين قيل مَنْ هُم فقيل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ويجوز أن يكون موضع الذين نصبا على المدح أيضاً كأنه قيل أذكر الذين.

﴿والذين﴾ لا يظهر فيهم الإعراب، تقول في النصب والرفع والجر: أتاني الذين في الدار ورأيت الذين في الدار ومررت بالذين في الدار، وكذلك الذي في الدار، وإنما منع الإعرابَ لأن الإعراب إنّما يكونُ في آخر الأسماءِ، والذي والذين مبهمان لا تتمان إلاَّ بِصِلاتِهِمَا فلذلك مُنِعَتِ الإعرابَ.

وأصل الذي لَذٍ على وزن عَمٍ فاعْلَمْ، كذلك قالَ الخليل وسيبويه والأخفش وجميع من يوثق بعلمه.

فإن قال قائل: فما بالك تقول: أتاني اللذان في الدار ورأيت اللذين في الدار فتعرب كلَّ ما لا يعربَ في تثنيته نحو هذان وهذين وأنت لا تعرب هذا ولا هؤُلاءِ، فالجواب في ذلك أن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحرف الذي جاء لمعنى فإذا ثنيته فقد بطل شبه الحرف الذي جاءَ لمعنى لأن حروف المعاني لا تثنى[1] فإنْ قَال قائِلٌ فَلَمَ منعته الإعراب في الجمع؟ قلت لأن الجمع الذي ليس على حد التثنية كالواحد، ألا ترى أنك قلت في جميع[2] هذا هؤُلاء يا فتى فجعلته اسماً واحداً للجمع، وكذلك قولك الذين، إنما هو اسم للجمع كما أن قولك سنين يا فتى اسم للجمع فبَنَيتَه كما بنَيْت الواحِد، ومن جمع الذين على حد التثنية قال: جاءَني الذونَ في الدار، ورأيت الذين

= له، وهو ناظر فيه إلى معنى الكلمة، وفي القرآن ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضَهُمْ﴾ واختلفت فيه آراء المفسرين.

(١) يجاري الزجاج في هذا من زعم من الكوفيين أنها تثنية حقيقية، وأن الموصول المثنى معرب، وجمهور النحويين من البصريين والكوفيين أنه اسم مبني جاء على هذه الصورة.

(٢) ط: جمع.

في الدار. وهذا لا ينبغي أنْ يقع لأن الجمع مستغنى فيه عن حد التثنية، والتثنية ليس لها إلا ضرب واحد[1].

ومعنى قوله: ﴿بالغَيْب﴾: ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر الغيب والنُّشور والقيامة وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

معناه يُتمُّونَ الصلاة كما قال: ـ ﴿وأتمُّوا الْحَجَّ والْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وضمت الياءُ من يؤْمنون، ويقيمون، لأن كل ما كان على أربعة أحرف نحو أكْرَمَ وأحسَنَ وأقام وآمن فمُسْتَقبله: يُكرم، ويُحْسِنَ، ويُؤْمِنُ ويُقيمُ «وإنما ضمت أوائل المستقبل ليفرق بين ذوات الثلاثة نحو ضرب، وبين ذوات الأربعة نحو دحرج»[2]، فما كان على ثلاثة فهو ضرب يَضرب أو تَضرب أو نَضرب[3]، ففصل بالضمة بينهما فإن قال قائل: فهلا فصل بالكسرة؟ ـ قيل الكسرة قد تدخل في نحو تَعْلم وتبيَضُ[4] ولأن الضمة مع الياءِ مستعمله، والكسرة لا تستعمل مع الياءِ. فمن قال أنت تعْلم لم يقل هو يِعْلم، فوجب أن يكون الفرق بينهما بالضمة لا غير.

والأصل في يُقيم «يُؤَقْيِمُ»[5] والأصل في يُكرمُ يؤكرم ولكن الهمزة

(١) أي هو ليس جمعاً حقيقياً حتى يعرب أعراب الجمع.
وهذا النطق كان في هذيل أو عقيل، وهو حتى في هذه الحالة ليس جمعاً حقيقياً، وهو على أصح الآراء مبني.
راجع في التصريح والأشموني وحاشية الصبان باب الموصول. حـ ١ ـ ١١١.

(٢) الأولى ليفصل بين ذوات الأربعة وغيرها.

(٣) ط ونضرب.

(٤) هي تلتة بهراء ـ بطن من تميم. يكسرون حرف المضارعة مطلقاً.
وهناك أفعال خاصة يكسر أول مضارعها عند جميع العرب عدا الحجازيين.
أنظر تاريخ آداب العرب للرافعي حـ ١ ـ ١٤٠ ومراجعه.

(٥) الأصل فيه يؤقوم ـ لأنه واوي من قام يقوم.

حذفت لأن الضم دليل على ذوات الأربعة ولو ثبت لـوجب أن تقول إذَا أنْبـأت عن نَفْسِك: أنا أُؤَقْوم وأنا أُؤَكْرِم، فكانت تجتمـع همزتـان فاستثقلتـا، فحذفت الهمـزة التي هي فاءُ الفعـل، وتبع سـائِرُ الفعـل بابَ الهمـزة فقلت أنت تُكرم ونحن نُكرم وهي تُكرم، كمـا أنَّ بابَ يَعِـدُ حُذفتْ منـه الواو لـوقوعهـا بين ياء وكَسْرة. الأَصل فيه «يَوْعِد» ثم حذفت في تَعد ونَعد وأَعد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون﴾.

معناه يصَّدَّقُون ـ قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أجل قريب فأَصَّدَّق﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَا أُنْزِل إِلَيْكَ﴾:

إن شئت خففت الهمزة في ﴿أُنزل﴾ ـ وكذلك في قوله[2] «أُلَيْك» وهـذه لغة غير أَهل الحجاز، فأَما أَهـل الحجاز فيخففـون الهمزة بين الـواو والهمزة. قال سيبويه: وإنما فعل بالهمزة ذلك دون سـائر الحـروف لأَنها بَعُـدَ مخرجهـا ولأَنهـا نبْرة في الصـدر. وهي أَبعـد الحـروف مخـرجـاً، وأَمَّـا إلَيْـك وإلَيْهم، وعَلَيْك[3] وعَلَيْهِمْ، فالأَصْل[4] في هذا «إلاك» وعَلَاك، وَإِلَاهُمْ وعَلاهم كما تقول إلى زيد وعلى إخوتك، إلا أَن الأَلف غُيِّرتْ مع المضْمَـر[5] فأُبْـدِلت ياء ليفصـل بين الأَلف التي في آخـر المتمكنـه وبين الأَلف التي في أَواخـر غيـر المتمكنـه التي الإضافـة لازمة لهـا، أَلا ترى أَن إلى وعَلَى ولـدى لا تنْفَرِدُ من

---

(١) سـورة المنافقـون (٦٣) ١٠، ١١ وبقيتها: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَـوْتُ فَيَقُـولَ رَبِّ لـولا أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قريب فَأَصَّدَّقَ﴾.

(٢) ليست في ك.

(٣) ك وعليك وعليكم وعليهم.

(٤) في ك، ط. الأصل بدون فاء. وهو غير جائز بعد إما.

(٥) ك المضمرة.

الإضافة، ولذلك قالت العرب في كلا في حال النصب والجر: رأيت كليهما، وكليكما، ومررت بكليهما وكليكما ـ ففصلت بين الإضافة إلى المظهر والمضمر لما كان كلا لا ينفرد ولا يكون كلاماً إلا بالإضافة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

موضع ﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، والخبر: ﴿عَلَى هُدىً مِن ربِّهِمْ﴾، إلا أن أولئك لا يعرب لأنه اسم للإشارة، وكسرت الهمزة فيه لالتقاءِ الساكنين، وكذلك قوله ﴿وَأُولئِك هُمُ المُفْلحُونَ﴾، إلَّا أنَّ ﴿هُمْ﴾ دخلت فصلاً، وإن شئت كانت تكريراً للاسم، كما تقول زيد هو العالمُ، فترفع زيداً بالابتداء، وترفع ﴿هو﴾ ابتداءً ثانياً، وترفع العالم خبراً «لهو»، والعالم خبراً لزيد، فكذلك قوله ﴿أُولئك هم المفلحون﴾[1] وإن شئت جعلت ﴿هو﴾ فصلاً وترفع زيداً والعالم على الابتداءِ وخبره، والفصل هو الذي يسميه الكوفيون عماداً.

(و «سيبويه» يقول إن[2] الفصل لا يصلح إلا مع الأفعال التي لا تتم نحو كان زيد هو العالم، وظننت زيداً هو العالِمَ)[3].

وقال سيبويه دخل الفصل في قوله عزّ وجلّ: . . ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً﴾[4] وفي قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خيْراً لَّهُمْ﴾[5] ـ وفي قوله: ﴿وَيَرى الَّذِينَ أُوتوا العِلم الذي أُنْزِلَ إليْكَ من ربِّكَ هو الحَقَّ﴾[6]. وفي قوله: ﴿وإذ قالوا اللهم إنْ كانَ هَذَا هُو الحقَّ مِنْ

---

(١) أي إعرابها كذلك.

(٢) ليست في ط.

(٣) العبارة كلها ليست في ب.

(٤) المزمل ٧٣ ـ ٢٠.

(٥) آل عمران ٣ ـ ١٨٠.

(٦) سبأ ٣٤ ـ ٦.

عِنْدك﴾[1] وما أَشبه هذا مما ذكر اللّه عزّ وجلَّ[2].

وكذلك (لك)[3] في الكلام في الابتداء والخبر، وفي قولك كان زيد هو العالم ذكرُ[4] هو، وأَنت، وأَنا. ونحن، دخلت إعْلاماً بأَن الخبر مضمون وان الكلام لمْ يتمّ [5]، وموضع دخولها إذا كان الخبر معرفة أَو ما أُشبه المعرفة. وأَن «هو» بمنزلة «ما» اللَّغْو في قوله عزّ وجلَّ: ﴿فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لهُمْ﴾[6] فإنما دخولها مؤكدة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿المُفْلحُون﴾.

يقال لكل من أصاب خيراً مُفْلحٌ ـ وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿قَدْ أَفلح المؤْمنون﴾[7] ـ وقال: ﴿قدْ أَفْلح مَن زكَّاها﴾[8]. والفلاح البقاءُ، قال لبيد بن ربيعة: [9]

---

(١) الأنفال ٨ ـ ٣٢ وفي الآيات جميعاً أفعال ناسخة.

(٢) ك ـ مما جاء في كتاب اللّه عزّ وجلّ.

(٣) ليست في ك.

(٤) وإن هو.

(٥) ك «أن» موضع» وفي ط وذكر هو.. ألخ أي يجوز أن تذكرها.

(٦) آل عمران ٢ ـ ١٥٩.

(٧) المؤمنون ٢٣ ـ ١.

(٨) الشمس ٩١ ـ ٩.

(٩) لبيد بن ربيعة العامري من قيس، من أشراف الشعراء المجيدين عمر نحو مائة وخمسة وأربعين عاماً. أدرك الإسلام وأسلم وهاجر، ثم نزل الكوفة على عهد عمر فأقام بها حتى مات أواخر خلافة معاوية.

قيل أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، والحق أنه قال شعراً غير كثير، وهو من أصحاب المعلقات. ومن الأجواد. وأخباره في الأغاني جـ ١٤ ـ ٩٣. والبيت في ديوانه ١ ـ ١٨١ أيضاً: يريد نرجو البقاء بعد عاد وحمير، وأدخل بعض الرواة البيت في قصيدته التي أولها:

أيامَيّ قومي في المآتم واندبي فتى كان ممن يبتني المجد أروعا

نـحُـلّ بـلاداً كلهـا حُـل قـبْـلنـا ونــرجُـو الفـلاح بعـد عـادٍ وتبَّعـا

أي نرجو البقاءَ. وقال عبيد[1]:

أفْـلِح بـمـا شئْـت فَـقَـدْ يـد رك بـالضَّعْف وقد يُخْـدَع الأريب[2]

أي أصب خيراً بما شئت، والفَلاّح: الأكار، والفِلاَحَة صنَاعَتُه، وإنما قيل له الفَلاّح لأنه يَشُقّ الأرض، ويقالَ فلحت الحديد إذا قطعته.

قال الشاعر: [3]

قـد علمت خيلك أنّي الصَّحْصَـحُ إنَّ الـحَـدِيـد بـالحـديـد يُـفْلَح

ويقـال للمكاري الفـلاح، وإنمـا قيـل لـه فـلاح تشبيهـاً بـالأكـار، قـال الشاعر[4]

لـهـا رطـل تكيـل الـزيت فيـه وفَـلاَّح يـسُـوق لـهَـا حِـمَـارا

وقـولـه عــزّ وجـلّ: ﴿إنَّ الَّـذِينَ كَفَـرُوا سَـواءٌ عَلَيْهِمْ أأَنْـذَرْتَهُـمْ أمْ لَـمْ تُنْذِرْهُمْ﴾.

---

(١) عبيد بن الأبرص شـاعر جـاهلي عاصـر امرأ القيس ولـه معه ومـع أبيه حجـر مواقف تـروى في أخبارهم. وهو من بني أسد الذين قتلوا حجراً. وقد عمـر طويـلاً وقتله النعمان في يـوم بؤسه. وأخباره في الأغاني ١٩ ـ ٨٤.

(٢) ديوانه ٧ والجمهرة ١٠٠ ـ والأريب الفطن الذكي.

(٣) الصحصح والصحصحان الأرض الصلبة، أي قد علم قومك أني صلب شديد. ولا يقطع الأقوياء إلا قوي مثلي. والبيت في اللسان (فلح) والقرطبي ١ ـ ١٥٨ والشطر الثاني في أمثال الميـداني ١ ـ ٨ ولم يذكر أحد قائله.

(٤) هو عمرو بن أحمر الباهلي. شـاعر إسـلامي يكنى أبا الخـطاب ـ ذكره ابن حجـر في الإصابـة ٦٤٦٦ ـ وقال يروي بـرواية جيـدة أنه عمـر، قيل هـو أخو أبي ثعلبـة الخشني الذي نـزلت فيه الآيـة: ﴿ومنهم من عاهـد اللّه لئن أتانـا من فضله. .﴾ وله تـرجمـة في المؤتلف ٣٧ والبيت في اللسان والتاج «فلح».

﴿إنَّ﴾ تنصب الذين، وهي تنصب الأسماءَ وترفع الأخبار، ومعناها في الكلام التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبت ورفعت لأنها تشبه بالفعل، وشبهها به أنها لا تَلِي الأفعال ولا تعمَل فيها، وإنما يذكر بعدها الاسم والخبر كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول إلا أنه قُدّم المفعُولُ به فيهَا ليفصل بين ما يشبه بالفعل ولفظه لفظُ الفعل وبين ما يُشَبَّه به وليسَ لفظُه لفظَ الفعل، وخبرها ههنا جملة الكلام، أعني قوله: ﴿سواءٌ عليْهم أأَنْذرتَهُمْ أم لَمْ تنْذِرْهُمْ﴾.

وترفع سواء بالإبتداء، وتقوم ﴿أأَنْذرتهم أمْ لمْ تُنذِرْهُم﴾ مَقامَ الخبر كأنه بمنزلة قولك سواء عليهم الإنذارُ وتركُه، وسواءٌ موضُوع موضعَ مُسْتَو، لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماءِ الفاعلين إلَّا وتأويلها تأْويل أسمائهم.

فأما دخول ألف الاستفهام ودخول أم التي للاستفهام والكلام خَبرٌ فإنَّما وقع ذلك لمعنى التسوية والتسوية آلتها ألف الاستفهام وأم[1] تقول: أزيد في الدار أم عمرو، فإنما دخلت الألف وأم لأن عِلْمَك قد استوى فيَ زَيد وعَمْرو، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة ولكنك أردت أن يُبيِّن لك الذي علمت ويخلص لك علمه من غيره، فَلِهذا تقول: قد علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرو، وإنما تريد أن تُسَوّي عند من تخبره العلمَ الذي قد خلص عندك. وكذلك ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، دخلت الألف وأم للتسوية.

فأما ﴿أأَنْذرْتهُمْ﴾ فزعم سيبويه أن من العرب من يحقق الهمزة، ولا يجمع بين الهمزتين وإن كانتا من كلمتين، فأما أهل الحجاز فلا يحققون واحدة منهما، وأما بعض القراء - ابن أبي إسحق وغيره - فيجمعون في القراءَة بينهما، فيقرأُون ﴿أأَنذرتهم﴾، وكثير من القراء يخفّف إحداهما، وزعم سيبويه أن

---

(١) أي أن الجملة ما زالت خبرية.

الخليل كان يرى تخفيف الثانية فيقول: ﴿أَأنْذرْتهُمْ﴾[1] فيجعل الثانية بين الهمزة والألف، ولا يجعلها ألفاً خالصة، ومن جعلها ألفاً خالصَةً فقد أخْطأ من جهتين: إحداهما أنه جمع بين ساكنين والأخرى أنه أبْدَل منْ همزة متحركة قبْلها حركةُ ألفاً، والحركة الفتح، وإنما حقُّ الهمزة إذا حركت وإنفتح ما قبلها: أن تُجْعَلَ بَيْنَ بَيْنَ، أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، فتقول في سأل: سال وفي رؤوف: رووف وفي بئس: بيس (بيْنَ بيْنَ)[2] وهذا في الحكم واحد وإنما تُحْكِمُه المشافهة.

وكان غير الخليل[3] يجيز[4] في مثل قوله تعالى: ﴿فقد جاءَ أشراطها﴾[5] تخفيف الأولى.

وزعم سيبويه أن جماعة من العرب يقرأون: فقد جا أشراطها يحققون الثانية ويخففون الأولى، وهذا مذهب أبي عمرو بن العلاء وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولى فيقول: ﴿فقد جاءَ اشراطها﴾. قال الخليل: وإنما اخترتُ تخفيف الثانية لإجماع الناس على بدل الثانية في قولك آدم، وآخر، لأن الأصل في آدم: أأدم، وفي آخر أأخر.

وقول الخليل أقيس، وقول أبي عمرو جيد أيضاً.

قال أبو إسحاق: الهمزة التي للاستفهام ألف مبتدأة: ولا يمكن تخفيف الهمزة المبتدأة ولكن إن ألْقِي همزَة ألف الاستفهام على سكون الميم من عليهم فقلت: «عَلَيْهمَ أنْذَرتهم» جاز. ولكن لم يقرأ به أحد، والهمزتان في

---

(١) ليست في ك.

(٢) ك وهذا في كتاب اللّه واحد.

(٣) في الأصل وط وغيره كان يجيز.

(٤) ك يقول: فقد جاء أشراطها يخفف الأولى.

(٥) القتال ٤٧ ـ ١٨.

قوله: ﴿فقد جاءَ أَشراطها﴾. همزتان في وسط الكلمة ويمكن تخفيف الأولى[1].

فأما من خفف الهمزة الأولى قوله: ﴿ءأنذرتهم﴾ (فإنّه)[2] طرحها البتَّةَ وألْقَى حركتَها على الميم، ولا أعلم أحداً قرأ بها والواجب على لغة أهل الحجاز أن يكون «عليهم أَنْذَرْتهم» فيفتح الميم، ويجعل الهمزة الثانية بين بين[3]. وعلى هذا مذهب جميع أهل الحجاز، ويجوز أن يكون ﴿لا يؤمنون﴾ خبر إنَّ، كأنه قيل: «إنَّ الَّذينَ كفروا لا يؤمنون، سواءٌ عليهم ءأنذرتهم أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ».

هؤلاءِ قوم أَنْبأَ اللَّهُ «تبارك وتعالى» النبيَّ «ﷺ» أَنَّهُمْ لا يؤْمنون كما قال عزّ وجلّ: ﴿ولاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتّمْ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[4].

فأما الهَمزتان إذا كانتا مكسورتين نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿على البغاء إنْ أَرَدْنَ تحَصُّناً﴾[5] وإذا كانتا مضمومتين نحو قوله: ﴿أَولياءُ أُولئِكَ﴾[6] فإن أبا عمرو يخفف الهمزة الأولى فيهما فيقول: ﴿على البغا إنْ أَرَدْنَ﴾ وأَوليا أولئك «فيجعل الهمزة الأولى من البغاء بين الهمزة والياء، ويكسرها» ويجعل الهمزة في قولك أَولياء أولئك (الأولى)[7] بين الواو والهمزة ويضمها.

وحكى أبو عبيدةَ أَن أَبا عمرو كان يجعل مكان الهمزة الأولى كسرة في ﴿البغاء إنْ﴾، وضمة في ﴿أَولياء أولئك﴾. أَبو عبيدة لا يحكي إلا ما سمع لأنه الثقة المأمون عند العلماء، إلا أَنه لا يضبط مثل هذا الموضع لأن الذي قاله محال، لأن الهمزة إذا سقطت وأُبدلت منها كسرة وضمة ـ على ما وصف ـ

---

(١) هذه الفقرة كلها في ب فقط.
(٢) ليست في ك.
(٣) أي لا تحقق ولا تخفف.
(٤) الكافرون ١١٨/٤.
(٥) النور ٢٤ ـ ٣٣.
(٦) الأحقاف ٤٦ ـ ٣٣.
(٧) ك، ط فقط.

بقيت الحركتان في غير حرف وهذا محال لأن الحركة لا تكون في غير محرَّك.

قال أبو اسحق: والذي حكيناه آنفاً رواية سيبويه عن أبي عمرو وهو أضبط لهذا[1].

وأما قوله: ﴿السفهاءُ ألا﴾ وقوله: ﴿وإليه النُّشُورُ. أأمنتم من في السماءِ أنْ﴾ - فإن الهمزتين إذا اختلفتا[2] حكى أبو عبيدة أن أبا عمرو كان يبدل من الثانية فتحة وهذا خلاف ما حكاه سيبويه. والقول فيه أيضاً محال لأن الفتحة لا تقوم بذاتها، إنما تقوم على حرف.

وجملة ما يقول النحويون في المَسْألة الأولى في مثل قوله: ﴿على البغاءِ إنْ﴾ أو ﴿أولياءُ أُولئك﴾ ثلاثةُ أقوال على لغة غير أهل الحجاز. فأحد هذه الثلاثة - وهو مذهب سيبويه والخليل - أن يجعل مكان الهمزة الثانية همزة بين بينَ، فإذا كان مضموماً[3] جعل الهمزة بين الواو والهمزة فقال: ﴿أولياءَ أولئك﴾ (وإذا كان مكسوراً جعل الهمزة بين الياءِ والهمزة، فقال:[4] على البغاءِين. وأما أبو عَمْرو فَقْرأ على ما ذكرناه[5] وأما ابن أبي إسحق - ومذهَبه مذهب جماعة من القراء - فيجمع بين الهمزتين، فيقرأ ﴿أولياءُ أُولئِكَ﴾ و ﴿على البغاءِ إنْ أردن﴾ بتحقيق الهمزتين.

وأما اختلاف الهمزتين نحو ﴿السفهاء ألا﴾ فأكثر القراء على مذهب ابن أبي إسحق، وأما أبو عمرو فيحقق الهمزة الثانية في رواية سيبويه، ويخفف

---

(١) أي إن الرواية هي تخفيف الهمزة وليس حذفها نهائياً كما روى أبو عبيدة.

(٢) في الأصل اختلفا.

(٣) أي إذا كان مكان الهمزة مضموماً.

(٤) هذه الزيادة لا بد منها ولم توجد في أية نسخة.

(٥) سبق آنفاً أنه يخفف الأولى فيهما.

الأولى فيجعلها بين الواو والهمزة، فيقول: ﴿السفهاءُ ألا﴾ (بين بين)[1]، ويقول: «من في السماي أنْ» فيحقق الثانية، وأما سيبويه والخليل فيقولان: السفهاءُ ولا. فيجعلان الهمزة الثانية واواً خالصة وفي قوله: ﴿من السماءِيَنْ﴾ ياء خالصة مفتوحة.

فهذا جميع ما في هذا الباب.

وقد ذكر أبو عبيد[2] أن بعضهم روى عن أبي عمرو أنه كان إذا اجتمعت همزتان طرحت إحداهما، وهذا ليس بثبتٍ لأن القياس لا يوجبه. وأبو عبيد لم يحقق في روايته، لأنه قال: رواه بعضهم، وباب رواية القراءة عن المقرئ يجب أن يقل الاختلاف فيه. فإن كان هذا صحيحاً عنه فهو يُجَوِّزُه في نحو ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، وفي مثل قوله: ﴿آلذكرين حرم أم الأنثيين﴾ فيطرح همزة الاستفهام لأن أم تدل عليها.

قال الشاعر:[3]

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بنُ مِنْقَر

---

(١) ليست في ك.

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي - عالم كبير متفقة أديب. ولد بهراه وعمل بها مؤدباً ثم انتقل إلى بغداد وكان منقطعاً للأمير عبد الله بن طاهر يهديه مؤلفاته وينال من جوائزه. وألف كتباً قيمة في الحديث، وعلوم القرآن والنحو وأدب القضاء، وقال عنه الجاحظ: لم يكتب الناس أصح من كتبه. له ترجمة في ابن خلكان ١ - ٤١٨، ٣٦٩ طبقات النحويين ٢١٧. غاية النهاية ١٧/٢ ونزهة الألباء ص ٩٣ - ٩٨ والأغاني ١١ - ١١ وابن النديم ١١٧ والنجوم الزاهرة ٢ - ٢٣٩١ - ١٧ توفي سنة ٢٢٤ هـ.

(٣) الأسود بن يعفر التميمي: شاعر جاهلي مقل. كان أعمى مغموراً ذكره ابن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير والنمر بن تولب والمُخَبَّل. وشعيث حي من تميم، وهو يرميهم بأنهم أدعياء دخلاء على بني تميم والبيت في المقاصد النحوية ٤ - ١٣٨ ونسب في الكامل ٢ - ١٨٧ ت أبو الفضل للأخطل. . وأنظر شواهد المغني ٥١، وكتاب سيبويه ٢ - ٢٣، ٣٤ والخزانة ٤ - ٤٥٠، ٩٠٤.

وقال عُمرُ بنُ أبي رَبِيعَةَ: [١]

لعَمــرُك مــا أدْري وإنْ كُنْتُ دَارِيــاً   بِسَبْــعٍ رَمَيْنَ الـجَمْــرَ أمْ بِثمــانِ

البيت الأول أنشده الخليل وسيبويه، والبيت الثاني صحيح أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾.

معنى ختم في اللغة وطبع (معنى)[٢] واحد. وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألاَّ يَدْخُله شَيْءٌ كما قال عزّ وجلّ: ﴿أم على قُلُوب أَقْفَالُها﴾[٣] وقال جلّ ذكره ﴿كلا بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[٤]. معناه غلب على قلوبهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾[٤] - وكذلك ﴿طبع عليها بكفرهم﴾[٥] وهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يجزي عنهم فصاروا كمن لا يسمع ولا يبصر.

قال الشاعر:

أصم عما ساءَه سميع [٦]

وكذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾.

هي الغطاءُ، فأما قوله: ﴿وعلى سمعهم﴾ وهو يريد وعلى أسماعهم ففيه

---

(١) من قصيدة له أولها: بدا لي منها معصم حين جمرت. أنظر العيني ٤ - ٤٤٣، وهو في ديوانه البيت الثاني من القصيدة.

(٢) ليست في ك.

(٣) القتال ٤٧ - ٢٤.

(٤) المطففين ٨٣ - ١٤.

(٥) النساء ٣ - ١٥٥ وفي الأصول: طبع عليها.

(٦) في اللسان صمم. بدون نسبة. يريد أنه يتصام عما يسوءه وهو يسمعه، وكذا في الأمالي الشجرية ١ - ٦٤.

ثلاثة أوجه: فوجه منها أن السمع في معنى المصدر فَوُحِّدَ، كما تقول: يعجبني حديثكم ويعجبني ضربُكُمْ ـ فوحَّد لأنه مَصْدَر. ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى أسماعهم، قال الشاعر:(١)

بها جيفُ الْحَسْرَى فأما عِظَامُها   فَبيضٌ، وأما جِلْدُهَا فصليب

وقال الشاعر أيضاً:(٢)

لا تُنْكِري الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا   في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينَا

معناه في حلوقكم، وقال:

كأنَّهُ وجه تركيَّيْن قد غَضِبَا   مستهدَفٍ لطعان غيرِ تَذْبِيبِ(٣)

أما ﴿غشاوة﴾، فكل ما كان مشتملاً على الشيء فهو في كلام العرب مبني على «فِعَالة» نحو الغِشاوة، والعِمَامة، والقِلاَدَة والعِصَابة، وكذلك أسْمَاء الصناعات لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها نحو الخِيَاطة

---

(١) هو علقمة الفحل ـ ابن عبدة ـ من تميم، شاعر جاهلي من الفرسان ـ كان معاصراً لامرئ القيس وخلفه على زوجه أم معبد في قصص معروف. ولهذا سمي الفحل. الأغاني ٧ ـ ١٢١ والبيت ضمن بائيته. طحا بك قلب في الحسان طروب: وهي المفضلية رقم ١١٩، البيت ٢٢.

يصف الصحراء التي اجتازها إلى الحرث بن جبلة ممدوحه وبها جيف الإبل التي رذحت وماتت. فتصلبت بقايا جلدها وذهب لحمها فبقي عظمها أبيض.

(٢) هو المسيب بن زيد بن مناة الغنوي، وأكثر رواية البيت: لا تنكروا يريد لا ينبغي أن ننكر ما بيننا من عداوة وبكل منا آثار الحرب. والشجى ما يعترض الحلق من العظم، ونحوه.

أنظر الشنتمري ١ ـ ١٠٧، ابن يعيش ١ ـ ٧٨١. اللسان (شجر).

(٣) البيت للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ويسب أمه.

وروايته: مستهدف لطعان غير منجحر ـ والقصيدة رائية وليست بائية. يدعى أنه فعل بأم جرير ـ ويصف فرجها بالحمرة والامتلاء، وأن شفريه كوجهي تركيين. وهذا موضع الاستشهاد بالبيت. والتركي يعرف بحمرة الوجه، وإذا غضب كان وجهه أشد حمرة. أنظر الخزانة ٣ ـ ٣٦٩.

والقصَارة، وكذلك على كل من استولى على شيء ما استولى عليه الفِعَالَة، نحو الخِلاَفةِ والإمارَةِ. والرفع في ﴿غشاوة﴾ هو الباب وعليه مذهب القُرَّاءِ، والنُّصب جَائز في النَّحو على أن المعنى: «وجعل على أبْصَارهم غِشَاةً»، كما قال اللَّه عزّ وجلّ في موضعٍ آخر: ﴿وختم علىٰ سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[1]. ومثيله من الشعر مما حمل على معناه قوله:

يا ليتَ بعْلَكِ قد غَدا مُتَقَلِّداً سيفاً ورمْحا[2]

معناه متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً. ويروي غِشْوة، والوجه ما ذكرناه وإنما غَشْوة ردٌّ إلى الأصل لأن المصادر كلها ترد إلى فَعْلة، والرفع والنَّصبُ في غَشْوة مثله في غِشَاوة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللَّه وباليَوْم الآخِر وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

عنى بذلك المنافقين، وإعراب ﴿مِنْ﴾ الوقف إلَّا أنَّهَا فُتِحَتْ لالتقاءِ الساكنين سكون النون. من قولك مِنْ وسكون النون الأُولى من النَّاس، وكان الأَصل أن يكسر لالتقاءِ الساكنين، ولكنها فتحَت لثقل اجتماع كَسْرَتَيْنِ - لو كان ﴿مِنِ النَّاسِ﴾ لثقل ذلك. فأما عن الناس فلا يجوز فيه إلا الكسر لأن أول «عن» مفتوح. و «مِنْ» إعرابُها الوقف[3] لأنها لا تكون اسماً تامًّا في

---

(١) الجاثية ٤٥ - ٢٣.

(٢) البيت لعبد اللَّه بن الزبعري من شعراء الرسول ﷺ المدافعين عنه وهو قرشي من سهم، وكان هجاء في الجاهلية وهجا عشيرة قصي، ثم أسلم وكان يهجو المشركين ويدافع عن النبي. ورواية البيت ورأيت زوجك - الكامل ١٨٣، وابن يعيش ١/٢٢٤، ٢/٥٠ وذكره الطبري في غير موضع من تفسيره، وفي اللسان - قال - ورغبة الآمل ٣/٣٤. والخزانة ١/٥١.

(٣) السكون.

الخبر إلا بصلة، فلا يكون الإعراب في[1] بعض الاسم[2].

فأما الإدغام في الياءِ في ﴿من يقول﴾ فلا يكون غيره، تقول «مَنْ يُقوِّم» فتُدْغِم بغُنَّةٍ وبغير غنة[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

دخلت الباءُ مؤكدة لمعنى النفي، لأنك إذا قلت: «ما زيد أخوك» فلم يسمع السامع «ما» ظن أنك موجب فإذا قلت: «ما زيد بأخيك» و﴿ما هم بمؤمنين﴾ علم السامع أنك تنفي وكذلك جميع ما في كتاب اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّه والَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يعني به المنافقين أيضاً.

ومعنى ﴿يخادعون﴾: يظهرون غير ما في نفوسهم، والتَّقِيَّة تُسَمَّى أيْضاً خِدَاعاً، فكأنهم لمَّا أَظْهَرُوا الإسْلامِ وأبْطَنُوا الكُفْر صارت تقيَّتُهُمْ خِدَاعاً، وجاءَ بفَاعِلَ لغير اثنين لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد نحو عاقبت اللص، وطارقت النعل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَما يَخْدَعونَ إلاَّ أنفسهم﴾.

تأويله أن الخداع يرجع عليهم بالعَذاب والعقاب وما يشعرون: أي وما يعلمون أنه يرجع عليهم بالعذاب يقال ما شعرت به: أي ما علمت به و«لَيْتَ شِعْرِي» ما صَنَعْتَ: معناه ليت علمي.

---

(١) في الأصل من.

(٢) حيث أن «من» لا يتم معناها إلا بما اتصل بها فهي جزء اسم، لهذا لا يظهر عليها. إعراب، هذا كلامه، وهي مبنية للشبه المعنوي بالحرف، وإعرابها في مثل هذا الموضع أنها مبتدأ، ومن يقول خبر، أي وبعض الناس يقول.

(٣) المقرر في قراءة حفص عن عاصم أنه متى كانت النون ساكنة قبل الياء وهما في كلمتين أدغمت النون في الياء وشددت الياء بغنة. أما الإدغام بغير غنة فهو في اللام والراء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

معناه نفاق، وقد يقال السُّقْمُ والمرض في البَدَنِ وفي الدِّينِ جميعاً كما يقال الصحة في البدن والدين جميعاً.

فمعنى قوله: ﴿مرض﴾ قال أبو عبيدة: معناه شك ونفاق، والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين.

وقوله: ﴿فَزَادَهُم اللَّهُ مَرضاً﴾.

فيه جوابان، قال بعضهم زادهم اللَّه بكفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(١). وقال بعض أهل اللغة: فزادهم اللَّه بما أُنزل عليهم من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله، قال: والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾. إلى قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلى رِجْسِهِمْ﴾(٢) وهذا قول بين واضح ـ واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

مَعْناه مُوجِع يَصلُ وجعَهُ إلى قُلُوبهِمْ، وتأويل أليم في اللغة «مُؤْلِمٌ». قال الشاعر: وهو عَمْرُو بنُ معدِ يكرب الزبيدي(٣).

---

(١) سورة النساء (٤) آية ١٥٥.

(٢) سورة التوبة (٩) من الآيتين ١٢٤، ١٢٥.

(٣) عمرو بن معد يكرب الزبيدي من مذحج، من مشهوري فرسان اليمن. أسلم حين دخل الإسلام اليمن وشارك في كثير من غزوات الإسلام ومات أواخر خلافة عمر. الأغاني ١٤/٢٥.
أما البيت فيقال إنه من قصيدة قالها في امرأة كان قد عقد عليها ولم يدخل بها فقيل له إن بها وضحاً، وهو داء تنفر منه العرب فطلقها فتزوجها آخر وتبين أن لا وضح بها. ويقال ان الشعر في أخته أم دريد بن الصمة، وكان الصمة سباها ولم يستطع عمرو استخلاصها. انظر الخزانة ٣/٤٦٠.

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعي السميعُ   يُؤرقُني وأَصْحَابِي هُجُوعُ

معنى السميع المسمع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَا كَانَوا يَكْذبُونَ﴾.

«ويقرأ»(١) يُكَذِّبُونَ. فمن قرأ ﴿يَكْذبُونَ﴾(٢) بالتخفيف فإنَّ كَذِبَهُم قولُهم أَنَّهُمْ مُؤمنون، ـ قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وأما يُكَذِّبُونَ بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

مَعْنَاهُ لَا تَصُدُّوا عَنْ دين اللّه، فَيَحْتَمِلُ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ضربين من الجواب: أحدهما أنهم يظنون أنهم مصلحون، والثاني أن يريدوا أن هذا الذي يسمونه إفساداً هو عنْدَنَا إصلاح.

فأما إعراب ﴿قيل﴾ فآخره مبني على الفتح، وكذلك كل فعل ماض مبني على الفتح، والأصل في ﴿قيل﴾ قُوِلَ ولكن الكسرة نقلت إلى القاف لأن العين من الفعل في قولك قال نقلت من حركة إلى سكون، فيجب أن تلزم هذا السكون في سائر تصرف الفعل. وبَعْضُهُمْ يَرُومُ الضَّمَّةَ في قِيل، وقد يجوز في غير القرآن:

قد قُولَ ذاك «وأفصح اللغات قِيلَ وَغِيضَ»، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾(٣)، وإن شئت قلت: قُيل، وغُيض، وسُيق تروم في سائر أوائل ما لم يسم فاعله الضم في هذا الباب(٤).

---

(١) ك ويكذبون.

(٢) ليست في ك.

(٣) سورة الزمر (٣٩) ـ آية ٧٣.

(٤) الروم: هو الإمالة بالضمة نحو الكسر، فهناك إذن ثلاثة أوجه: الكسر والضم والروم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

أَصل السَّفَهِ في اللغة خِفَّةُ الحلم، وكذلك يقال ثَوْبٌ سَفِيهٌ إذا كان رقيقاً بالِياً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾.

معنى ﴿أَلَا﴾ اسْتِفْتَاح وَتَنْبِيهٌ، وقوله: ﴿هم السفهاءُ﴾ يجوز أَن يكون خبر إنَّ و ﴿هم﴾ فَصْلٌ، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد، ويجوز أَن يكون ﴿هم﴾ إبتداء، والسفهاءُ خبر الإبتداء، وهم السفهاءُ خبر إن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

أَنْبَأَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُسِرُّه المنافقونَ مِنَ الكُفْرِ ومعنى شَيَاطِينِهمْ في اللغة: مَرَدَتُهُمْ، وعُتَاتُهُمْ في الكفر، ويقال خلوت إليه ومعه، ويقال خلوت به، وهو على ضربين: أَحدهما جعلت خَلْوتي معه، كما قال: خَلَوْتُ إليه (أي جعلت خلوتي معه)[1]، وكذلك يقال خَلَوْتُ إليهِ، ويصلح أَن يكون خلوت بِهِ سخرت منه. ونصب معكم كنصب الظروف، تقول: إنا معكم وإنا خَلْفَكم معناه إنا مستقرون معكم ومستقرون خلفكم. والقراءَة المجمَعُ عليها فتح العَين وقد يجوز في الاضطرار إسكان العين، ولا يجوز أَن يقرأَ بها، ويجوز إنَّا مَعْكُمْ للشاعر إذا اضطر قال الشاعر:

قَرِيشي منكمو وهواي مَعْكُمْ وَإن كانت زِيَارَتُكُمْ لِمَاما[2]

(١) ليست في ك.

(٢) البيت للراعي النميري، وهو عبيد بن حصين من قبيلة نمير التي هجاها جرير. سمي الراعي لكثرة نعته الإبل وجودة وصفه إياها ـ أنظر الأغاني ٢٠ ـ ١٦٨.

والبيت في التاج «مع» وكتاب سيبويه ٢ ـ ٤١ والشجري ١ ـ ٢٤٥ وهو من الشواهد النحوية الشائعة.

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَوْا إِلَى﴾ وجهان إن شئت أَسْكَنْتَ الوَاو وخففت الهمزة وكسرتها فقلت: ﴿خلوْا إِلَى﴾ وإن شئت أُلقيتِ الهمزة وكسرت الواو فقلت «خَلَوِ لِيَ» وكذلك يقرأُ أَهل الحجاز وهو جيد بالغ، و ﴿إِنَّا﴾ الأَصل فيه «إِنَّنا» كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّنِي معَكُما﴾[1] ولكن النون حذفت لكثرة النونات، والمحذوف النون الثانية من إنَّ، لأَن في «إن» نونين الأُولى ساكنة والثانية متحركة[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

نحنَ مبنية على الضم، لأَن نحن يدل على الجماعة، وجماعة المُضْمَرينَ[3] يدل عليهم ـ إذا ثُنِّيتَ الواحدَ من لفظه ـ الميم والواو، نحو فعلوا، وأَنتم، فالواو من جنس الضمة، فلم يكن بدٌّ من حركة ﴿نَحْنُ﴾ فحركت بالضم لأَن الضم من الواو، أَلا ترى أَن واو الجماعة إذا حركت لإلتقاء الساكنين ضمت، نحو﴿اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ﴾، وقد حركها بعضهم إلى الكسر فقال: «اشتروِا الضلالة»، لأَن إجتماع الساكنين يوجب كسر الأُولى إذا كانا من كلمتين، والقراءَة المجمع عليها: ﴿اشتروُا الضلالةَ﴾ بالضم، وقد رُويت: «اشْتَرَوَا الضلالة» بالفتح، وهو شاذ جِدًا.

و﴿مستهزئون﴾: القراءَة الجَيِّدَةُ [فيه] بتحقيق الهمزة فإذا خَفَّفْتَ الهمزةَ[4] جَعَلْتَ الهمزةَ بين الواو، والهمزةِ فقلت «مستهزؤون».

فهذا الاختيار بعد التحقيق.

---

(١) سورة طه (٢١) ـ آية ٤٦.

(٢) خففت إن أما النون الثالثة فهي نون الضمير ولا يجوز حذفها.

(٣) الجمع الذي يعبر عنه بضمير.

(٤) المراد بالهمزة هنا المصدر أي النطق بالهمزة في الكلام.

ويجوز أَنْ تُبْدِلَ من الهمزَةِ ياءً فتقول: «مستهزِيُونَ» فأما «مستَهْزُون» فضعيف لا وجه لَه إلَّا شاذًا على [لغة] من أَبدل الهمزة ياء فقال في استهزأت: استهزيت. فيجب على [لغة] استهزيت [أَن يقال] مستهزون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

فيه أوجه من الجواب: فمعنى استهزاءُ اللَّه بهم أَنْ أَظْهرَ لَهُمْ منْ أَحْكامِهِ في الدُّنْيَا خلافَ مَالهمْ في الآخرة، كما أَظهروا من الإِسلام خلاف ما أَسَرُّوا.

ويجوز أَن يكون استهزاؤُه بهم: أَخذه إياهم من حيث لا يعلمون، كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهم منْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُون﴾[1]. ويجوز - واللَّه أعلم - وهوَ (الوجه)[2] المختار عند أَهل اللغة أَن يكون معنى يستهزيءُ بهم يُجازيهمْ على هُزئِهِمْ بالعَذاب، فسمَّى جزاءَ الذَّنْب باسْمِه كما قال عزّ وجلّ: ﴿وجزاءُ سيئة سيِّئةٌ مِثْلُها﴾[3] فالثانية ليست سيئة في الحقيقة، ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام.

وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[4] فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ولكنه جيءَ في اللغة باسم الذنب ليعلم أَنه عقاب عليه وجزاءٌ به.

فهذه ثلاثة أَوجه واللَّه أَعلم.

وكذلك يجري هذا المجرى قوله عزّ وجلّ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

---

(١) سورة القلم (٦٨) - آية ٤٤

(٢) ك فقط.

(٣) سورة الشورى (٤٢) - آية ٤١.

(٤) سورة البقرة (٢) - آية ١٩٤.

خَادِعُهُمْ﴾(١)، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَمُدُّهمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

معنى ﴿يَمُـدّهُمْ﴾ يُمْهِلُهُم، وهـو يـدل على الجـواب الأول، و ﴿في طغيانهم﴾ (معناه)(٣) في غُلُوِّهِمْ وكفرهم، ومعنى يعمهون في اللغة يتحيرون، يقال رجل عَمِهٌ وعَامِه، أي متحير، قال الراجز:(٤)

وَمَهْمَـه أطـرافـه في مَهْمَـهِ أعمَى الهُدَى بالجَاهِلِينَ العُمَّهِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلاَلَة بالْهُدَى﴾.

﴿أُولئك﴾ موضعُه رفع بـالابتداءِ، وخبرُه ﴿الذين اشتـروا الضلالة﴾(٥) وقد فسَّرنا «واو» اشتـروا وكسرتَهـا(٦) فأمَّـا من يبدل من الضمـة هَمْزَةً فيقـول اشتـرؤُ الضلالة فغالط لأن الواو المضمومة التي تبدل منها همزةٌ إنَّمَا يُفْعَل بها ذلك إذا لزمت ضمَّتُها نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾(٧)، إنَّمَا الأصـلُ وقِّتَتْ وكذلك أدؤُر(٨)، إنما أصْلُها أدور. وضمة الواو في قوله: ﴿اشترُوا الضلالـة﴾

---

(١) سورة النساء (٣) - آية ١٤٢.

(٢) سورة الأنفال (٨) - آية ٣٠.

(٣) ليست في ك و ط طغيانهم بدون في

(٤) هو رؤبة بن العجاج يصف مضلة وفي ديوانه ١٦٦.

ومـخـفـق مـن لُـهـله ولُـهـله مـن مهـمـه يجتبنـه في مـهـمـه

والمخفق الأرض يخفق عليها السراب واللهله الأرض البعيدة الأطراف والمهمه الأرض المقفرة الموحشة، والعمه جمع عامه وهو الحائر المختبط كالأعمى، وأعمى الهدى أي طريق الاهتداء به مبهمة خفية فالهداية به شاقة ويَجْتَبْنَهُ: يقطعنَه.

(٥) ك فقط.

(٦) في ك وكسرها، وأنظر ص ٨٩.

(٧) سورة المرسلات (٧٧) آية ١١.

(٨) جمع دار.

إنما هي لالتقاء الساكنين، ومثله: ﴿لتبلَوُنَّ في أَمْوالكم وأَنفسكم﴾[1] لا ينبغي أَن تهمزَ الواوُ (فيه)[2].

ومعنى الكلام أَن كل من تـرك شيئاً وتَمَسَّـك بغَيْره فـالعَرَبُ تقـولُ للَّذِي تَمَسَّـكَ به قـد اشتراه، وليس ثم شـراءٌ ولا بيع، ولكن رغبتـه فيه بتمسكـه بـه كرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه.

قال الشاعر[3]:

أَخَـذتُ بـالجُمَّـة رأْساً أَزْعَـرا ... وبـالثَّنَـايَا الـواضِحـات الـدَّرْدَرَا
وبـالـطَّويـل العُمُـر عمْـراً أَقصـرا ... كمـا اشْتَـرى الكـافِرُ إِذْ تَنَصَّـرَا

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾.

معنـاه فما ربحـوا في تجارتهم، لأَن التجـارة لا تربـح وإنما يـربح فيهـا ويوضع فيها[4] والعرب تقول قد خسر بيعك وربحت تجارتك، يريدون بـذلك الاختصار وسعة الكلام قال الشاعر[4]:

---

(١) سورة آل عمران (٣) آية ١٨٦.

(٢) ط فقط.

(٣) لأبي النجم، الرآس الأزعر، القصير الشعر. والثنايا الدردر غير المتكـاملة التي سقط بعضها. يـريد أنه استبدل بالشباب ونضارته شيخوخة وضعفاً وكان قـد تزوج امـرأة عجوزاً.
الخـزانة ١ ـ ٤٨، والكشاف ـ الآية نفسها، وأنظر ترجمة أبي النجم بالأغاني ٩ ـ ٧٣ (بولاق).

(٤) وضع في تجارته ضعة وضعـة ووضعة المعنى خسر وكـوجل يـوجل وأوضـع بالضم خسر فيهـا وهو موضوع.

(٤) النابغة الجعدي شاعر مخضرم، كان ممن هجر الأوثان والمسكر والأزلام في الجاهلية، نبـغ في الشعر بعد انقطاعه عنه مدة طويلة.
أبو مرحب كنية الظل، والظل متنقل، أي كيف تصاحب من لا يدوم على مودة وإنما هو متنقل غير ثابت؟
وقيل أبو مرحب: هو عرقوب الذي يضرب به المثل في الخلف. والبيت في كتاب سيبويه ١ ـ ١١٠ وأمالي القالي ١ ـ ١٩٢ واللسان (رحب. خلل).

وكيف تـواصـل من أصبحت خـلالتـه كـأبـي مـرحـب

يـريد كخـلالـة أبي مـرحب، وقـال اللّه عـزّ وجـلّ: ﴿بَـلْ مَكْـرُ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ﴾[1] (والليل والنهـار لا يمكران)[2] إنمـا معناه بـل مكـرهم في الليـل والنهار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ ما حَـوْله ذَهب اللَّه بِنُورِهِمْ﴾.

هذا المثل ضربه اللّه ـ جـلّ وعزّ ـ للمنافقين في تجملهم بظاهـر الإسلام وحقنهم دماءَهم بما أظهروا فمثل ما تجملوا به من الإسلام كمثل النـار التي[3] يستضيء بها المستوقد وقولـه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ معنـاه، واللّه أعلم اطلاع اللّه المؤْمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر اللّه عزّ وجلّ من كفـرهم، ويجوز أن يكـون ذهب اللّه بنورهم في الآخـرة، أي عَذَّبهم فـلا نـور لهم[4] لأن اللّه جـلّ وعـزّ قـد جعـل للمؤْمنين نـوراً في الآخـرةِ وسلب الكافرين ذلك النور، والدليل على ذلـك قولـه: ﴿انْظُرونَـا نقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[5].

وقوله عزّ وجلّ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

رفـع على خبر الابتـداءِ، كأنـه قيل: هؤلاءِ الـذين قصتهم هـٰذه القصـة (صُمٌّ بُكمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ)[6].

---

(١) سورة سبأ (٣٤) آية ٣٣.

(٢) ليست في ك.

(٣) ط الذي وهو خطأ.

(٤) ط فلا نور لهم على الحقيقة لأن.

(٥) سورة الحديد (٥٧) ـ آية ١٢.

(٦) ليست مذكورة في ك.

ويجوز في الكلام صماً بكماً عمياً، على: وتركهم صُمّـا بُكماً عُمْيـاً، ولكن المصحف لا يخالفُ بقراءة لا تُرْوى[1]، والرفع أيضاً أقوى في المعنى، وأجزل في اللفظ.

فمعنى بُكْمٌ أنـه بمنزلـة من وُلِدَ أخـرس ويقال الأَبْكـم المسلوبُ الفُؤادِ، وصُم وبُكم واحدهم[2] أَصَم وأَبْكَمُ،ويجوز أن يَقع جمع أصم صُمَّان، وكذلك أفعَل كلُّه يجوز فيه فُعْلان نحو أَسْود، وسُـودَان[3] ومعنى سود وسـودان واحد، كذلك صُمّ وصُمَّان وعُرْج وعُرجان وبكم وبُكْمَان.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

الصيِّب في اللغـة المـطر وكـل نـازل من عُلُوٍّ إلى أسفـل فقـد صـاب يصوب، قال الشاعر:

كـأَنهم صابت عليهم سحـابـة ... صـواعقهـا لـطيـرهن دبيب[4]

وهذا أيضاً مثل يضربه اللَّه عزّ وجلَّ للمنافقين، كان المعنى:

أو كـأصحـاب صيب. فجعـل دين الإسـلام لهم مثـلاً فيمـا ينـالهم من الشدائد والخوف، وجعل ما يستضيئون به من البرق مثلاً لما يَستضيئون به من الإسـلام، وما ينـالهم من الخوف في البـرق بمنزلـة ما يخـافـونـه من القتـل. والدليل على ذلك قوله عزّ وجلَّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[5].

---

(١) أي ليس لها رواية وفي ك القراءة ترى لقراءة مسافة صغيرة تروى.

(٢) كذا، والصواب واحدهما.

(٣) ك أسود وسود وسودان.

(٤) لعلقمـة الفحل من قصيدته: طحا بك قلب في الحسان طروب. صـابت عليهم: صبت عليهم، يقول أصابتهم الصواعق التي لم يقو الطير على الفرار منها.

المفضلية ١١٩. البيت ٣٧، وديوان علقمة ١٣٢، وستأتي شواهد أخرى من هذه القصيدة وسبقت ص ٤٧.

(٥) سورة المنافقون (٦٢) - آية ٤.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾.

فيه لغتان: يقال خَطِفَ يخطَفُ، وخطَف يخْطِفُ، واللغة العالية التي عليها القراءَة «خَطِفَ يخطَفُ». وهذا الحرف[1] يروى عن العرب والقراء، وفيه لغات تروى: عن الحسن «يَخَطِّف أبصارهم» بفتح الياءِ والخاءِ وكسر الطاءِ، «ويروى أيضاً» يخِطِّف بكسر الياءِ والخاءِ، والطاءِ، ويروى أيضاً لغة أُخرى ليست تسوغ في اللفظ لصعوبتها، وهي إسكان الخاءِ والطاءِ. وقد روى سيبويه مثل هذا. رده عليه أَصحابه وزعموا أَنه غير سائغ في اللفظ وأَن الشعرَ لا يجمع في حشوه بين ساكنين، قال:

وَمَسْحِهِ مَرُّ عُقابٍ كاسِرِ[2]

يبدل من الهاءِ حاءً ويدغم الحاءَ الأُولى فى الثانية، والسين ساكنة فيجمع بين ساكنين، فأما بعد يَخْطَف فالجيّد يَخَطَّف ويخِطِّف فمن قال يَخَطِّف فالأَصل يخْتَطِف فأَدغمت التاءُ في الطاءِ وأُلقيت على الحاءِ فتحة التاءِ، ومن قال «يخِطِّف» كسر الخاءَ لسكونها وسكون الطاءِ، وَزَعَمَ بعض النَّحوِيِّينَ أَنَّ الكسْر لالتِقَاءِ السَّاكِنين ههنا خطأً وأَنه يلزم من قال هذا أَن يقول

---

(١) هذه الكلمة.

(٢) صدر البيت: كأنها بعد كلال الزاجر.

أنظر: كتاب سيبويه وشروحه ٢١٢ ـ ٢١٣، الرماني النحوي ٨٥، واللسان «كسر» يصف ناقة بالسرعة.

الشاهد في الشطر إدغام الحاء والهاء وقيس عليه إخفاء الخاء في يخطف. ورد هذا لعدة أسباب منها أن السين ـ قبل الحاء ساكنة، وإدغام الحاء يقتضي سكونها ولا يمكن جمع حرفين ساكنين ومنها أن الحاء لا تدغم في الهاء، وكلاهما حلقي، ومنها ما ينشأ من كسر الوزن.

ورد ابن جني اعتراضات هؤلاء بأن سيبويه لم يرد الإدغام وإنما أراد تخفيف النطق بالحاء محتجاً بأن عالمًا كبيراً كسيبويه لا يجهل استحالة هذا الإدغام وكسر الشعر ـ الخ. أنظر سر صناعة الإعراب ص ٦٣ ـ ٦٦، واللسان (كسر) وكتاب سيبويه ٢/١١٣ بولاق.

في يَعَضُّ يَعِضُّ، وفي يَمُدُّ يَمِدُّ. وهذا خَلْطٌ غيرُ لازم[1]، لأَنَّه لَو كَسَرَهَا هَهُنَا لالتَبَسَ ما أَصله يفعَل ويفعُل بما أَصله يَفْعِل، ويخطف ليس أَصله غير هذا[2]. ولا يكون مرة على يفتَعِل ومرة على يفتَعَلُ. فَكَسِرَ لالتقاءِ الساكنين في موضع غير ملبس[3] وامتنع في المُلْبِس من الكسر لالتقاءِ الساكنين، وأُلزم حركة الحرف الذي أُدغمه لتدل الحركة عليه.

ومعنى خطفت الشيء في اللغة واختطفته أُخذته بسرعة. وقوله عزّ وجلَّ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾.

يقال ضاءَ الشيءُ يَضوءُ، وأَضَاءَ يُضِيءُ، وهذه اللغة الثانية هي المختارة، ويقال أَظْلَمَ وظَلَم، وأَظْلَمَ المختارُ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾

وقد فسرنا توحيد السمع[4]، ويقال أَذهبته وذهبت به. ويروى[5] أَذْهَبْت به وهو لغة قليلة، فأَما ذكر ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي﴾ . . . إلى ﴿أَوْ كصيب﴾ فأَو دَخلت ههنا لغير شك، وهذه يسميها الحذاق باللغة «وَاوَ الإباحة»[6] فتقول جالس القراءَ أَو الفُقَهَاءَ، أَوْ أَصْحَابَ الحديث أَوْ أَصْحَابَ النحو، فالمعنى أَن التمثيل مباح لكم في المنافقين إنْ مثَّلْتُمُوهم بالذي استوقد ناراً فذاك مثلهم وإن مثلتموهم بأَصحاب الصيب فهذا مثلهم، أَو مثلتموهم

---

(١) لأنه خلط ما الاصل في عينه الكسر بما ليس كذلك. وفي ك خطأ لازم.

(٢) غير الكسر في أحد الوجهين.

(٣) لأن الأصل في العين الكسر.

(٤) ص ٨٢.

(٥) في ط ويرد، في ك وهو قليل.

(٦) أو هنا للتنويع، أي يصلح مثلهم أن يكون هذه الحالة أو تلك، أما أو التي للإباحة فهي التي تأتي لشيء يتوهم منعه نحو ﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾. صلوا في المساجد أو الخلاء.

بهما جميعاً فهما مثلاهم ـ كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فكلاهما أهل أن يجالس ـ إن جالست الحسن فأنت مطيع وإن جمعتهما فأنت مطيع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُم في آذَانِهِمْ مِنَ الصَّواعِق حذر المَوْتِ﴾.

ويروى «أيضاً» حِذَار المَوْتِ، والذي عليه قُرَّاؤنَا ﴿ حَذَرَ الموت ﴾، وإنما نصبت﴿حذر الموت﴾ لأنه مفعول له، والمعنى يفعلون ذلك لحذر الموت، وليس نصبه لسقوط اللام، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر كأنه قال يحذرون حذراً[1] لأن جعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق يدل على حذرهم الموت، وقال الشاعر[2]:

وأغفرُ عوراءَ الكريم ادِّخَارَهُ   وأُعْرِض عن شَتْم اللَّئيمِ تَكَرُّما

والمعنى لادخاره ـ وقوله: وأغفر عوراء الكريم معناه وأدخر الكريم[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ربَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾.

معناه أن اللَّه احْتَجَّ على العرب بأنه خالقهم وخالق مَنْ قَبْلِهُم لأَنَّهُمْ كانوا مُقِرِّينَ بذلك، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ليقُولُن

---

(١) إذا قدر المحذوف يحذرون فالمصدر مفعول مطلق، وإنما تقديره يفعلون ذلك حذر الموت.

(٢) البيت لحاتم الطائي. ابن عبد اللَّه ويكنى أبا سفانة وهي بنته التي عفا عنها رسول اللَّه ﷺ لأجل أبيها ووصفته وصفاً مشهوراً في كتب الأدب. كان حاتم من الأجواد وكذلك أمه وبنته، والبيت في ديوانه ١٠٨ والخزانة ١ ـ ٤٦١ وأخبار حاتم بالأغاني ١٦ ـ ٩٦ (بولاق) والبيت يتمثل به كثيراً وهو لهذا شائع منتشر.

(٣) بل تقديره لأدخره ولا أُضَيّع مودته ـ فهو مفعول له.

اللَّهُ﴾(١) قيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه، ولا تعبدوا الأصنام - وقوله ﴿لعلكم تَتَّقُونَ﴾ معناه تتقونَ الحُرُمَاتِ بيْنَكم وتَكُفُّون عما تأْتون مِما حرَّمَه اللَّه، فأما لعل ففيها قولان ههنا، عن بعض أهل اللغة: أحدهما: معناها كي تتقوا، والذي يذهب إليه سيبويه في مثل هذا أنه تَرَج لهم كما قال في قصة فرعون ﴿لَعَلَّه يذَّكَّرُ أوْ يَخْشَى﴾(٢) كأنه قال اذهبا أنتما على رجَائكما وطمَعِكُمَا واللَّه عزّ وجلّ من وراءِ ذلك وعالم بما يُؤول إليه أمرُ فِرعون(٣).

وأما إعراب ﴿يَا أيُّها﴾ فأَيُّ اسمُ مُبْهَمٌ مبني على الضم لأنه منادى مفرد والناس صفة لأي لازمة(٤)، تقولِ يا أيّها الرجل أقبل، ولا يجوز يَا لرَّجُل لأن «يا» تَنْبِيهٌ بمنْزِلة التَّعرِيفِ في الرجل فلا يجمع بين «يَا» وبين الألف واللام فتصل إلى الألف واللام بأي.

وها لازمه لأيّ، لِلتّنْبيه، وهي عوض من الإضافة في أي لأن أَصْل أي أن تكون مضافة في الاستفهام والخبر، وزعم سيبويه عَن الخليل أن المنادى المفرد مبني وصفته مرفوعةٌ رفعاً صحيحاً لأن النداءَ يطرد في كل اسم مفرد، فلما كانت البِنْيَةُ مطردة في المفرد خاصة شبه بالمرفوع فرفعت صفته، والمازني يجيز في يا أيها الرجل النصب في الرجل، ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره، وهو قياس لأن موضع المفرد المنادى نصب فحملت(٥) صفته على موضعه، وهذا في غير يا أيها الرجل جائز عند جميع النحويين نحو قولك يا زيدُ الظريفُ والظريفَ، والنحويون لا يقولون إلا يا أيها الرجلُ، يا أيها

---

(١) وردت في سور كثيرة - أنظر الزخرف ٤٣ - ٨٧.

(٢) طه ٢٠ - ٤٤.

(٣) أي الترجي منهم لا من اللّه.

(٤) أطلق الصفة على التابع - إذ هي هنا بدل.

(٥) في الأصل فحمل أي - المازني.

الناسُ، والعرب لغتهـا في هذا الـرفع ولم يـرد عنها غيـره، وإنما المنـادى في الحقيقة الرجـل، ولكن أيٌّ صلة إليه وقـال أبو الحسن الأخفش إن الـرجل أنْ يَكون صلة لأي أقيس، وليس أحد من البصريين يتابعه على هذا القول[١].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿الذِي جَعَلَ لكُمْ الأَرْض فِرَاشاً﴾.

معناه وِطاءً، لم يجعلها حَزْنةً غليظة لا يمكن الاستقـرار عليها، وقـوله: ﴿والسماءَ بناءً﴾ كل ما علا على الأرض فاسمه بناءٌ، ومعناه إنه جعلهـا سقفاً، كما قال عـزّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنـا السمَاء سَقْفـاً مَحْفُوظـاً﴾[٢]، ويجوز في قـوله: ﴿جعـل لكم الأرض﴾ وجهان: الإدغـام والإظهار، تقـول: جعل لكم وجعـلْ لكم الأرض، فمن أدغم فلاجتماع حـرفين من جنس واحد وكثـرة الحركـات، ومن أظهـر ـ وهو الوجه وعليه أكثر القراءِ ـ فلأنهما منفصلان من كلمتين.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّه أَنْدَاداً وأَنْتُم تَعْلمُون﴾.

هذا احتجاج عليهم لإقرارهم بأنه اللَّه خالِقُهم، فقيل لهم لا تجعلوا للَّه أمثالاً وأنتم تعلمون أنهم لا يَخْلُقون واللَّه الخالق ـ وفي اللغـة فلانٌ نـدُّ فلانٍ، ونَدِيدُ فُلَانٍ.

قال جرير[٣]:

أَتَـيمـا تـجـعـلون إليَّ نِـدًّا　　　ومـا تيمٌ لِـذِي حَسبٍ نَـدِيـد

(١) هذا الخلاف لا يترتب عليه تغيير في النطق ولكن الأخفش يعتبر «أي» هي المنادي، والاسم التابع لها. والآخرون يرون بها أداة يمكن بها مناداة ما فيه «ال».

(٢) الأنبياء ٢١ ـ ٣٢.

(٣) جرير بن عطية الخطفي من كليب من يربوع، تميمي أيضاً كالفرزدق وهو يخاطب بهذا البيت عمرو بن لجأ التميمي أحد الشعراء الذين هاجاهم جرير، وله في تميم أهاج كثيرة. وكان مهاجوه نحو ثمانين شاعراً. والبيت في ديوانه ١٦٥ وأنظر أخباره في الأغاني ٧ ـ ٣٥.

فهذه الآية والتي قبلها احتجاج عليهم في تثبيت توحيد اللّه عزّ وجلّ، ثم احتج عليهم فيما يلي هذه الآية بتثبيت أمر النبي ﷺ فقال:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه﴾.

﴿في ريب﴾ معناه في شك، وقوله ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ للعلماءِ فيه قولان أحدهما: قال بعضهم: ﴿مِنْ مثلهِ﴾: من مثل القرآن ـ كما قال عزّ وجلَّ: ﴿فَأتُوا بعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرِيَات﴾[1] وقال بَعْضُهم ﴿من مثله﴾ مِنْ بَشَر مِثْلِه، وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُون اللّه إنْ كُنْتُم صَادِقينَ﴾.

أي ادعوا من إستدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة من مثله.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلوا ولَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقوا النَّارَ﴾.

قيل لهم هذا بعد أن ثبت عليهم أمر التوحيد وأمر النبي ﷺ فوعدوا بالعذاب إن لم يؤمنوا بعد ثبوت الحجة عليهم، وجزم ﴿لَمْ تَفْعَلُوا﴾ لأن لَمْ أحدثَتْ في الفِعْل المُستقبل معنى المضيِّ فجزمتْه[2]، وكلّ حرف لزم الفعل فأحدث فيه معنى فله فيه من الإعراب على قسط معناه[3]، فإن كان ذلك الحرف «أنْ» وأخواتها نحو لَنْ تفعلوا ويريدون «أنْ يطفئوا». فهو نصب لأن أن وما بعده بمنزلة الاسم فقد ضارعت (أنْ الخفيفةُ)[4] أنَّ المشدَّدة وما بعدها لأنّك إذا قلت ظننت أنك قائم فمعناه ظننت قيامك، وإذا قلت أرجو أنْ تقومَ فمعناه أرجو قيامك، فمعنى «أنْ» وما عملت فيه كمعنى «أنَّ» المشددة وما

---

(١) هود ١١ ـ ١٣.

(٢) المضي خاص بالأفعال ولم أكدت فعلية الكلمة ـ فكان لها الجزم لأنه خاص بالأفعال. وهذا أحد آرائه التي ردها الفارسي.

(٣) على حسب معناه وقدر تأثيره.

(٤) ليست في ك.

عملت فيه، فلذلك نصبت «أنْ» وجزمت «لَمْ» لأن ما بعدها خرج من تأويل الاسم، وكذلك هي وما بعدها يخرجان من تأويل الاسم[1]:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّتِي وَقودُها النَّاسُ والحِجَارة﴾.

عرفوا عذاب اللّه عزّ وجلّ بأشد الأشياءِ التي يعرفونها لأنه لا شيء في الدنيا أبلغ فيما يؤلم من النار، فقيل لهم إن عذاب اللّه من أشد الأجناس التي يعرفونها، إلا أنه من هذا الشديد الذي يعرفونه، ويقال إن الحجارة هنا تفسيرها حجارة الكبريت[2] وقوله ﴿وَقودُها﴾ الوقود هو الحطب، وكل ما أُوقد به فهو وقود، ويقال هذا وقودك، ويقال قد وقدت النار وُقوداً[3] فالمصدر مضموم ويجوز فيه الفتح، وقد روي وقدت النار وَقوداً وقبلت الشيء قَبُولاً، فقد جاءَ في المصدر «فَعُول» والباب الضم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبَشِّر الَّذِينَ آمَنوا وعمِلوا الصَّالحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ﴾.

ذكر ذلك للمؤمنين، وما أُعد لهم جزاءً لتصديقهم، بعد أن ذكر لهم جزاءَ الكافرين، وموضع أَنَّ نصبٌ معناه بشرهم بأن لهم جنات.

فلما سقطت الباءُ أَفْضَى الفعل إلَى «أن» فَنُصِبَتْ[4]. وقد قال بَعْض النَّحويِّينَ إِنَّهُ يَجُوز أَنْ يكون موضعُ مثل هذا خفضاً وإن سقطت الباءُ من أن، و﴿جنَّات﴾ في موضع نصب بأَنَّ، إلاَّ أن التاءَ تاءُ جماعة المؤنث هي في الخفض والنصب على صورة واحدة كما أَنَّ ياءَ الجَمْع في النَّصْبِ والخَفْضِ

---

(١) أنظر المقدمة ورد الفارسي هذه القاعدة.

(٢) الأكثرون أنها الأصنام التي كانوا يعبدونها.

(٣) ك وقدت النار تقد وقوداً.

(٤) أي نصب المصدر المؤول.

على صورة واحدةٍ، تقول رأيت الزيدين ومررت بـالزيـدين، ورأيت الهنداتِ، ورغبت في الهنْداتِ.

والجنة في لغة العرب البُسْتان، والجنات البساتين، وهي التي وعـد اللَّه بها المتقين وفيها ما تَشْتَهي الأَنْفس وتَلَذُّ الأعين.

قوله عزّ وجلَّ: ﴿كلَّما رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رزِقْنَا مِنْ قَبلُ وأُتُوا به مُتَشَابهاً﴾.

قـال أهـل اللغـة: معنى «مُتَشَـابِـه» يشبـه بعضـه بعضـاً في الجَـوْدَةِ، والحُسْن، وقال أهل التفسير وبعض أهل اللغـة «متشابهـا» يشبه بعضـه بعضاً في الصورة ويختلف في الطَّعْم، ودَليل المُفَسِّرينَ قوله: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ لأنّ صورتَهُ الصورة الأُولى، ولكن اختلافَ الطعـوم على اتفاق الصُّـورَةِ أبلغُ وأعرف عند الخلق، لو رأيت تفاحاً فيه طعم كـل الفاكهـة لكان غـايةً في العجب والدلالة على الحكمة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

أي أنهن لا يحتجن إلى مـا يحتـاج إليـه نسـاءُ أهـل الـدنيـا من الأكْـل والشُّرْب ولا يَحِضْنَ، ولا يحتجن إلى ما يُتَطَهَّرُ مِنـه، وهن على هذا طـاهراتٌ طَهَارَةَ الأَخلاق والعفَّةِ، فمُطهَّرة تَجْمَعُ الطَّهارةَ كلَّها[1] لأن مُطهَّرة أَبْلَغ في الكلام من طاهرة، ولأن مطهرة إنما يكون للكثيـر، وإعْرَابُ أزواج الـرفع بـ ﴿وَلَهُمْ﴾ وإن شئت بـالابتداءِ، ويجوز في ﴿أزواجٌ﴾ أن يكون واحـدتُهنَّ زوجاً وزوجـةً قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿اسْكُنْ أنت وزوجُكَ الجنَّةَ﴾[2] وقال الشاعر[3]:

(١) الطهارة الحسية والمعنوية.

(٢) الأعراف ٧ ـ ١٩.

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب الشاعر المخضرم. حارب مـع المثنى بن حارثـة في فتح العـراق، وكان في جيش النعمان بن مقرن وله قصائد جيدة في الفتوحات الإسلامية. =

فبكى بناتي شَجْوَهُنَّ وزوْجَتِي والطامِعُونَ إليَّ ثم تَصَدَّعُوا

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿إن اللَّه لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يضْرِب مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

إنْ قال قائل: ما معنى ذكر هذا المثل بعقب ما وعد به أهلُ الجَنةِ وما أُعِد للكافرين؟ قيل يتصل هذا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلوا للَّه أَندادا﴾ لأن اللَّه عزّ وجلّ قال: ﴿إن الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾(1).

وقال: ﴿مثل الَّذين اتخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّه أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتخَذَتْ بيْتاً﴾(2) فقال الكافرون: إن إِلَهَ محمدٍ يضْربُ الأَمثَالَ بالذُّبَاب، والعَنْكَبُوتِ.

فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّه لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

[أيْ] لِهَؤلَاءِ الأَنداد الَّذين اتخَذتُمُوهُمْ من دُونِ اللَّهِ، لأن هَذَا في الحقيقة مَثلُ هَؤُلاءِ الأَنْدَادِ.

فأما إعرابُ ﴿بَعُوضَةً﴾ فالنصبُ من جِهَتين في قَوْلِنَا، وذكر بعض النحويين جهةً ثالثة، فأما أَجْوَدُ هذِه الجِهَاتِ فأَنْ تَكُونَ ما زائدة مؤكدة، كأنه قال: إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب بَعُوضةً مَثَلًا، وَمَثلًا بَعُوضَةً(3)، وما زائدة مؤكدة نحو قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ من اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾(4) المعنى فبرحمة من اللَّه

كان عبدة قبل الإسلام من اللصوص ولكنه ترفع عن الهجاء وعينيته هذه أودعها نصائح أبنائه عند وفاته: ورواية البيت في المفضليات (148) البيت 24. والأقربون إلى.

يصف نفسه حين يموت ويدفن فيبكيه أقاربه ثم ينصرفون.

(1) الحج 22 - 73.

(2) العنكبوت 29 - 41.

(3) يضرب بمعنى يجعل - وتكون «بعوضة» مفعولاً أول أو ثانياً.

(4) سورة آل عمران 3 - 159.

حَقًّا، فَمَا في التوكيد بمنـزلةِ حَق إلَّا أنـه لا إعرابَ لهـا، والخافضَ والنـاصِبَ يتخطَّاهَا إلى مَا بَعْدَهَا، فمعْنَاهَـا التَّوكِيـدُ، ومثْلُها في التـوكيد «لا» في قـوله: ﴿لِئَلَّا يعلَمَ أَهلُ الكِتَـابِ﴾[١] معناه لأَنْ يعلمَ أهـل الكتاب، ويجـوز أَنْ يكونَ «مَا» نكرة فيكون المعنى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِيِي أَنْ يَضْرِب شَيئـاً مَثَلًا»[٢] وكـأن بعوضة في موضع وصف شيء[٣]، كأنه قال: إن اللّه لا يستحيي أن يضرب مثـلاً شيئاً من الأشياءِ، بعوضة فمـا فوقهـا. وقال بَعْضُ النَّحـويِّينَ: يجوز أن يكـون معناه ما بين بعـوضة إلى مـا فوقهـا، والقولان الأَولان قول النحويين القـدماءِ. والاختيار عند جمع البَصْرِيِّينَ أن يكون ما لغوا، والرفـع في بعوضـة جائـز في الإعراب، ولا أحفظ من قرأ به «ولا أعلم» هَلْ قرأ به[٤] أحـدٌ [أم لا] «فالـرفْعُ على أُضْمَارِ هُوَ كأَنهُ قال مَثَلاً الذي هو بعوضةٌ وهذا عند سيبويه ضعِيفٌ، وعنه مندوحة، ولكن من قرأ ﴿تَمَامـاً عَلَى الذِي أَحْسَنَ﴾[٥] وقـد قرىء بـه ـ جاز أن يقرأ ﴿مَثَلاً مَـا بعوضَـةٌ﴾. ولكنهُ في ﴿الذي أَحسنُ﴾ أقوى لأَن الـذي أطـول، وليس للذي مذهبٌ غيرُ الأَسْماءِ، وقالوا في معنى قوله: ﴿فمَا فَوْقَها﴾ (قالوا في ذلك)[٦] قولين: قالوا فمَا فوقهـا: أكبَرُ مِنْهَـا، وقالـوا فما فـروقها في الصِّغـرِ، وبعضُ النحـويّين يختارُون الأَول لأَن البَعُـوضة كـأَنها نِهَـايَـةٌ في الصِّغـرِ فِيمَـا يُضْـرَبُ بِه المَثـلُ، والقولُ الثـاني مختارٌ أَيضـاً، لأَن المطلوبَ هنـا والغـرضَ الصِّغرُ وتقليلُ المَثلِ بِالأَنْدَادِ.

قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدقوا ﴿فيعلمون﴾ أن هذا المثـل

(١) سورة الحديد ٥٧ ـ ٢٩.

(٢) ك. مثلا شيئاً.

(٣) بدل أو بيان.

(٤) ك ولا أحفظ من قرأ به ولا قرأ به أحد أم لا.

(٥) سورة الأنعام ٦ ـ ١٥٤ ـ أي على الوجه الذي هو أحسن ورفع بعوضة على هذا أيضاً ـ أي مثلاً ـ هو بعوضة.

(٦) ما بين القوسين ليس في ب.

حقٌّ، وأما الَّذِين كفرُوا فيقُولـون مَاذا أَرادَ اللَّه بَهـذا مَثَلاً، أي مـا أراد بالـذباب والعنكبوت مثلاً؟ فقال اللَّه عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾.

أي يَدْعُـو إلى التَّصْـدِيقِ بِه الخَلْق جميعـاً فيكذِّبُ بـه الكفارُ ـ فيُضَلُّون به.

﴿وما يُضلُّ بِـهِ إلاَّ الفَاسِقينَ﴾ يدل على أنهم المُضَلُّونَ به، ويهـدى بـه كثيراً، يزاد به المؤمنون هدايةً لأنَّ كلما ازْدَادُوا تَصْدِيقاً فقدِ ازْدَادُوا هِدَايةً والفاءُ دخَلَتْ في [جـواب] أمَّـا فِي قـولـه فيَعلمـون[1] لأن أمـا تـأتي بمعنى الشـرط والجزاءِ كأنه إذا قال« أما زيد فقد آمن وأما عمـرو فقدْ كفـر»[2] فالمعنى مهمـا يكن من شيءٍ فقد آمن زيدٌ ومهما يكن من شيءٍ فقد كفر عمرو.

وقوله «مـاذا» يجوز أن يكـون «ما» و «ذا» اسمـاً واحداً يكـون موضعهمـا نصبـاً، المعنى أي شيءٍ أراد اللَّه بهذا مثـلاً، ويجوز أن يكـون «ذا» مع «مـا» بمنزلة الـذي فيكون المعنى مـا الذي أراده اللَّه بهـذا مثلاً؟ أو أي شيءٍ الـذي أراده اللَّه بهذا مثلاً، ويكون ما هنـا رفعاً بـالابتداءِ، وذا في معنى الـذي، وهو خَبَـرُ الابتداءِ، وإعـراب الفاسقين نصب كـأن المعنى ومـا يَضِـلُّ بِـه أَحَـدٌ إلا الفَاسقين.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ميثَاقِه﴾.

﴿عهد اللَّه﴾ هنا ـ واللَّه أعلم ـ مـا أَخـذ اللَّه على النبيين ومن اتبعهم ألاَّ يَكْفُروا بأَمْرِ النَّبي ﷺ، دليل ذلك قوله عز وجل: ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ ميثـاقَ النَّبِيِّين لَمَـا آتَيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وحِكْمَـةٍ ثم جَاءكُم رَسُـولٌ مُصَدِّقٌ لِمَـا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِـهِ

---

(١) تقدير كلامـه أن الفاء في فيعلمون دخلت في جواب أما.

(٢) ط «كان أما زيد»، ك «المعنى» بدون فاء.

ولَتَنْصُرُنَّه قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وأَخَذْتُم عَلَى ذَلكِمْ إصْري قالوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾[1].

فهـذا هو العهـد المأخـوذ على كل من اتبـع الأنبياءَ عليهم السـلام «أن يؤمنـوا بالـرَّسول المصـدقِ لِمَا مَعَهُمْ» و ـ «إصْـري» ـ مثْلُ عهـدي. ويجوز أن يكـون عهـدُ اللَّه الـذي أَخـذَه من بَنِي آدمَ مِنْ ظُهـورِهم. حين قـال[2]... ﴿وأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنفُسِهِم أَلَسْتُ بِربِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[3] وقال قوم أن عَهدَ اللَّه هو الاستدلال على تَـوْحيده، وأَنَّ كـلَّ ذِي تَمْييز يعلمُ أن اللَّه خَـالقٌ فَعَلَيْهِ الإيمانُ بِهِ، والقولان الأولان في القرآن ما يصدقُ تَفْسيرَهُمَا.

فأَمَّا إعْرابُ ﴿الَّذِينَ﴾ فالنَّصْبُ على الصِّفَةِ للفَاسِقينَ، وموضع قوله: ﴿أنْ يُوصل﴾ خفض على البدل من الهاءِ، والمعنى مـا أمر اللَّه بـأَنْ يُوصَـل، ومَـوْضِعُ ﴿أُولَئِـكَ﴾ رفعٌ بـالإبْتِدَاءِ و ﴿الخَـاسِرُونَ﴾ خبـرُ الابتدَاءِ وهم بِمَعْنَى الفصـل وهو الـذي يسميه الكـوفيون العمـاد، ويجـوز أن يكـون أُولئـك رفعـاً بالابتداءِ وهم ابتداءٌ ثانٍ، والخاسرون، خبر لِهُمْ و ﴿هُمُ الخاسـرون﴾ خبر عن أُولئك.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُـرُونَ باللَّهِ وكُنْتُم أَمْـوَاتاً فَـأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فكونهم أَمْوَاتاً أَوْلاً أَنَّهُمْ كانُوا نُطَفـاً ثمَّ جُعِلوا حَيوانـاً ثم أُمِيتُوا ثم أُحْيُـوا ثم يُـرجَعُـونَ إلى اللَّه ـ عـزَّ وجـلَّ ـ بعـد البعث كمـا قـال ﴿مُهْطِعِينَ إلىَ الـدَّاعِي﴾[4] أي مسرعين، وقـوله، عـزّ وجلَّ ﴿يَـومَ يَخْـرُجُـون مِنَ الأَجْـداثِ

---

(١) سورة آل عمران ٣ ـ ٨١.

(٢) صدر الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم﴾.

(٣) الأعراف ٧ ـ ١٧٢.

(٤) سورة القمر ٥٤ ـ ٨ وكتابتها في القرآن إلى الداع.

سِراعاً﴾ والأجداثُ القبورُ. وَتأْويلُ ﴿كيف﴾ [أنها] استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا[2] من هؤلاءِ كيف يَكفُرون وقد ثبَتَتْ حجةُ اللّهِ عَلَيْهِمْ ومعنى ﴿وكنتم﴾ وقد كنتم[3] وهذه الواو للحال، وإضمار قد جائز إذا كان في الكلام دليل عليه، وكذلك قوله ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[4] ﴿وإن كان قَميصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾[5].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا في الأَرض جَميعاً﴾.

موضع ما مفعول به[6] وتأْويله أن جميع ما في الأرض منعَمٌ به عليكم فهو لكم. وفيه قول آخر أن ذلكم دليل على توحيد اللّه عزّ وجلَّ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إلىَ السَّمَاءِ﴾.

فيه قولان: قال بعضهم: ﴿استوى إلى السماءِ﴾، عمد وقصد إلى السماءِ، كما تقول قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه قصد بالاستواءِ إليه، وقد قيل (أيضاً)[7] استوى أي صعد أمره إلى السماءِ، وهذا قول ابن عباس، والسماءُ لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع، والدليل على ذلك قوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوات﴾. ويجوز أن يكون السماءُ جمعاً كما أن السموات جمع كأن واحِدَهُ سَمَاةٌ وسماوةٌ وسماءٌ للجميع.

وزعم أبو الحسن الأخفش أن السماءَ جائز أن يكون واحداً يراد به

---

(١) المعارج ٧١/٤٣.

(٢) هو إذن تعجب، أو الموقف يدعو إلى العجب.

(٣) تقدير قد لأن الفعل الماضي لا يصلح أن يكون حالا.

(٤) النساء ٤/٩٠.

(٥) يوسف ١٢/٢٧.

(٦) في الأصل مفعول بها.

(٧) ليست في ك.

الجمع كما تقول «كثر الدِّرْهَمُ والدينار في أيدي الناس»[1].

والسماءُ في اللغة السقف ويقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو، وكل سقف، فهو سماءٌ يا فتى، ومن هذا قيل للسحاب لأنها عالية[2].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإِذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرض خَليفَةً﴾.

قال أبو عبيدة «إذ» ههنا زائدة[3]، وهذا إِقْدَامٌ مِنْ أَبي عبيدة لأَن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق و﴿إِذ﴾ معناها الوقت، وهي اسم فكيف يكون لغواً، ومعناها الوقت؟ والحجة في ﴿إِذْ﴾ أَنَّ اللَّه تعالى ذكر خلق الناس وغيرهم، فكأنه قال ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة ﴿إِني جاعل في الأَرض خَليفَةً﴾. وفي ذكر هذه الآية احتجاج على أَهل الكتاب بتَثْبيتِ نبوة النبي ﷺ أَنَّ خَبَرَ آدم وما أَمره اللَّه به من سجود الملائكة له معلوم عندهم، وليس هذا مِنْ علم العرب الذي كانت تعلمه، ففي إخبار النبي ﷺ دليل على تثبيت رسالته إذ آتاهم بما ليس من علم العرب، وإنما هو خبر لا يعلمه إلا من قرأ الكتاب أو أُوحي إليه به.

وتأْويل قوله عزّ وجلَّ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾:

روي أن خلقا يقال لهم الجان كانوا في الأَرض فأَفسدوا وسفكوا

---

(١) وأيضاً «ال» الجنسية تفيد هذا المعنى.

(٢) أي قيل لها سماء لهذا.

(٣) ذكر أبو عبيدة هذا عند الآية: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فقال: «معناه وقلنا، وإذ من حروف الزوائد» وأنكر هذا كثير من المفسرين ـ منهم الطبري وأبو جعفر النحاس والمبرد.

وانظر فيما يأتي الآية: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم﴾.

أنظر مجاز القرآن ١ ـ ٣٦، ٣٧.

الدماءَ، فبعث اللَّه ملائكتَه فـأَجْلَتْهم[1] من الأَرض، وقيل إن هؤُلاء المـلائكة صاروا سكان الأَرض بعد الجان، فقالوا يا رب ﴿أَتجعل فيهَا مَنْ يُفْسِـد فيهَا ،يَسْفِكُ الدِّمَاءَ: ونحن نسبح بحمدك ونقدسُ لك﴾.

وتـأْويل استخبـارهم هذا على جِهَـةِ الاسْتِعْلام وجهـة الحكمة، لا على الإِنكار، فكأَنهم قالوا يا اللّه: إِن كان هـذا ظننا فَعَـرِّفنا وجـه الحق فيه، وقـال قوم: المعنى فيه غير هذا [وهو] أَن اللَّه عزّ وجلَّ أَعلم الملائكة أَنه جـاعل في الأَرض خليفة[2]، وأَن من الخليقة فرقةً تسفك الدماءَ وهي فرقـة مِنْ بَنِي آدَم، وأَذن اللَّه عزّ وجلَّ للملائكةِ أَنْ يسْأَلوه عن ذلك وكان إعلامُه إِيـاهم هذا زِيـادةً في التثبيت في نفـوسهم أَنَّه يعلم الغيب، فكـأَنهم قـالـوا: أَتخلق فيهـا قـومـاً يسفكـون الدمـاءَ ويَعصُونَـك؟ وإنما ينبغي إذا عـرفوا أَنـك خلقتهم أَن يسبحوا بحمدك كما نسبح، ويقدسُوا كما نقـدس، ولَمْ يَقُولُـوا هَذَا إلا وقـد أُذن لهم. ولا يجـوز على الملائكـة أَن تقول شيئاً تتـظنى فيـه، لأَن اللَّه تعـالى وصفهم بأَنهم يفعلون ما يُؤْمرون.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

أي أَبْتَلِي من تَظُنُّون أَنَّه يطيع فيهديه الابتلاءُ، فـالأَلف ههنا[3] إِنَّمـا هي على إيجاب الجعل في هذا القول، كما قال جرير:

---

(١) في الأصل أجلتهم.

(٢) بالقاف ـ أي طائفة من الخلق.

(٣) يريد أن الهمزة للتقرير والإثبات، وليست ـ هنا ـ استفهاماً انكارياً. وتشبيهها بـالاستفهام في بيت جرير إنما هو من جهة المعنى الناتـج. لأن الهمزة في ألستم لـلإنكار وهـو يفيد النفي. فينفي معنى ليس. ويبقى تقرير المضمون وهو «أنتم خيـر من ركـب المطايـا» أما هنـا فالهمـزة للتقريـر من أول الأمر أي أنك تجعل.

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ ركب المطايا   وأَنْدَى العالَمينَ بطونَ راحِ[(١)]

ومعنى ﴿يَسْفِكُ﴾ يصُب، يقال سفك الشيءَ إذا صبّه ومعنى ﴿نُسَبِّح بحمدك﴾ نُبَرِّئُك من السُّوءِ، وكلُّ مَنْ عمل عَمَلاً قَصدَ به اللَّه فقد سبح، يقال فرغت من تسبيحي أَي من صلاتي، وقال سيبويه وغيره من النحويين: إنَّ معنى سُبْحَان اللَّه: براءَة اللَّه من السوءِ وتنزيهه من السوءِ، وقال الأَعشى[(٢)]:

أَقول لما جاءَني فخْرُهُ   سبحانَ من علقمةَ الفاخر

المعنى البراءَة مِنْه ومِنْ فخْرِه.

ومعنى ﴿نُقَدّس لَكَ﴾ أَي نطهر أَنْفُسَنا لك، وكذلك مَنْ أَطاعك نقدسُه أَي نطهّره، ومن هذا بيت المقدس، أَي البيت المُطَّهرُ أَو المكان الذي يتطهر فيه[(٣)] من الذُّنُوب.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى المَلائِكَةِ﴾.

قال أَهل اللغة علم آدم أَسماءَ الأَجناس، وعرض أَصحاب الأَسماءِ من

---

(١) البيت لجرير من مدحته عبد الملك أول مرة دخل عليه ـ يصفهم بالفروسية والجود. والبيت شائع في كتب البلاغة وغيرها.
من قصيدته التي أولها: أتصحو أم فؤادك غير صاح:
أنظر الأغاني جـ ٧ ص ٦٧. والديوان ٩٧.

(٢) البيت للأعشى، يتحدث عن علقمة بن علاثة، وكان قد نفَّر عليه ابن عمه عامر بن الطفيل. وعلقمة صحابي قدم على رسول اللَّه ﷺ وهو شيخ فأسلم. وولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، وروى حديثاً واحداً. ويقال إن النبي ﷺ نهى عن رواية هذه القصيدة وهي طويلة جيدة. تحرج صاحب الخزانة أن يرويها كلها: الخزانة ٢ ـ ٤٢. الديوان ١٠٦. اللسان: يسبح. وأنظر الأغاني ١٥ ـ ٥٠، وجمهرة أشعار العرب ٦٧ ـ ٦٨ (بيروت).
والأعشى هو أعشى قيس ـ ميمون بن قيس بن جندل من كبار الشعراء في الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم، وكان قد أعد مدحة لرسول اللَّه ﷺ فخاف أبو سفيان أثرها وجمعت له قريش مائة من الإبل وصدته عن الإسلام فرجع.

(٣) ك. به.

الناس وغيرهم[1] على الملائكة، فلذا قال: ﴿ثم عرضهم﴾ لأن فيهم مِن يعقل، وكل ما يعقل[2] يقال لجماعتهم «هم». و «هم» يقال للناس ويقال للملائكة ويقال للجن، ويقال للجان ويقال للشياطين فكل مميز في الإضمار «هم» هذا مذهب أهل اللغة.

وقد قال بعض أهل النظر: إن الفائدة في الإتيان بالأسماءِ أبلغ منها هي الفائدة بأسماءِ معاني كل صنف من هذه، لأن الحجة في هذا أن الخيل إذا عرضت فقيل ما اسم هذه، قيل خيل، فأي اسم وضع على هذه أنبأ عنها، وإنما الفائدة أن تُنْبِئَ باسم كل معنى في كل جنس، فيقال هذه تصلح لكذا. فهذه الفائدة البيِّنة التي يتفق فيها أن تسمى الدابة والبعير بأي اسم شئتَ[3]. والمعنى الذي فيها وهو خاصها معنى واحد وإن اختلفت عليه الأسماءُ واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدم﴾.

قَرَأَتِ الْقُرَّاءُ ﴿للملائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ بالكسر وقرأ أبو جعفر المدني (وحده)[4] «للملائكةُ اسْجدوا» بالضم[5]. وأبو جعفر من جِلّةِ أهل المدينة

(١) يجري الزجاج على أن المعنى عرض أصحاب الأسماء، مجاراة لأبي عبيدة في رأيه الذي ذكر من قبل. لأن «هم» ضمير العقلاء

(٢) ما تستعمل لعموم أنواع العاقل نحو ﴿فأنكحوا ما طاب لكم من النساء﴾.

(٣) خلاصته أن معنى ذكر الأسماء كلها، يعني ذكر المعاني الجزئية التي تدل على العلم بدقائق الأشياء فلا يقال إنسان فقط، وإنما يقال جنين وطفل وأنثى.... الخ. وكذلك ما يستعمل فيه كل نوع.

(٤) وحده ليست في ك.

وأبو جعفر هو يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة تابعي مشهور أخذ عن مولاه عبد اللَّه بن عياش بن ربيعة المخزومي، وعبد اللَّه بن عباس وأبي هريرة وروى عنهم وكان يسمى القارئ لأنه كان إمام أهل المدينة في القراءة وكان أقرأ معاصريه للسُّنَّة وكان يُقَدَّم على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، اشتهر بكثرة صومه وصلاته وله في هذا طرائف تروى. توفي سنة ١٣٠ هـ على الأشهر.

أنظر غاية النهاية ٢ ـ ٣٨٢ ت ٣٨٨٢.

(٥) نقل حركة الهمزة إلى التاء.

وأهلِ الثَّبتِ في القَراءَةِ إلَّا أنَّه غلط في هذا الحرف لأن الملائكة في موضع خفض فلا يجوز أن يرفع المخفوض ولكنه شبّه تاءَ التأنيث بكسر ألف الوصل[1] لأنك إذا ابْتدأْتَ قلت اسْجُدوا. وليس ينبغي أنْ يقرأ القرآن بتوهُّم غيرِ الصَّواب.

﴿وإذ﴾ في موضع نصب عطف على إذ التي قبلها والملائكة واحدهم مَلَك، والأصل فيه مَلأَك أنشد سيبويه.

فلست لإِنْسيّ ولكنِ لِمَلأَك ... تنزَّلَ من جوّ السّماءِ يَصُوبُ[2]

ومعناه صاحب رسالة، ويقال مأْلُكة ومأْلَكَة ومأْلُك جمع مألُكة قال الشاعر[3]:

أبلغ النُّعمانُ عني مأْلُكاً ... أنَّه قدْ طال حَبْسي وانتظاري

وقوله: ﴿لآدم﴾ آدمُ في موضع جَرٍّ إلَّا أنه لا ينْصرِفُ لأنَّه على وزن أفْعَل: يقول أهل اللغة إن اشتقاقه من أديم الأرض، لأنه خُلقَ مِنْ تُراب، وكذلك الأدمة إنما هي مشبهة بلون التراب. فإذا قلت مررت بآدمٍ وآدمٍ آخر، فإن النحويين يختلفون في أفعل الذي يسمى به وأصله الصفة، فسيبويه

---

(١) كما تأخذ همزة الوصل ضمة الحرف الثالث في نحو اقتلوا. استخرج.
وأنظر ص ٨١.

(٢) من بائية علقمة السابقة.

(٣) هو عدي بن زيد العبادي من شعراء الحيرة خالط نصاراهم من صغره فكان متألهاً وهو شاعر غير مكثر قالوا إنه كسهيل من النجوم يجري معها ولا يعارضها.
كان النعمان بن المنذر قد حبسه فكتب له عدي عدة قصائد يستعطفه بها، وهذا البيت من إحدى القصائد التي وجهها إليه.
أنظر الأغاني ٢ ـ ١٨ والخزانة ٣ ـ ٣٩٧ واللسان (ألك) وفيه قال سيبويه ليس في الكلام مَفعُل، وروي عن محمد بن يزيد أن مألكا جمع مألكة، وقد يجوز أن يكون من باب أنقحل في القلة قال ابن بري ومثلَه مكْرُم ومعُون.

والخليل ومن قال بقولهما يقولون إنه يَنْصرف في النكرة لأنك إذا نكّرته رددته إلى حال قد كان فيها يَنْصَرِف وقال أبو الحسن الأخفش إذا سَمَّيْتَ به رجلاً فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نكّرته أن تصرفه فتقول: مررت بآدمٍ وآدمٍ آخر.

ومعنى السجود لآدم عبادة اللّه عزّ وجلّ لا عبادةُ آدم، لأن اللّه عزّ وجلّ: إنما خلق[1] ما يعقل لعبادته.

فإذا ابتدأت قلت: أُسْجُدوا فضممت الألفَ، والألفُ لا حظ لها في الحركة، أعني هذه الهمزة المبتدأ بها. وإنما أُدخلت للساكن الذي بعدها، لأنه لا يبتدأ بساكن، فكان حقها[2] الكسرَ لأن بعدها ساكناً، وتقديرها السكون، فيجب أن تكسر لالتقاءِ الساكنين، ولكنها ضمّت لاستثقال الضمة بعد الكسر، وكذلك كل ما كان ثالثه مَضْمُوماً في الفعل المستقبل نحو قوله ﴿أُنْظُر كيفَ يَفْتَرونَ على اللّهِ الكذِبَ﴾[3]، ونحو ﴿أُقْتُلُوا يُوسُفَ﴾[4] لأنه من «نَظَر يَنْظُر وقَتَل يقْتُل» وإنما كرهت الضمة بعد الكسرة لأنها لا تقع في كلام العرب ـ لثقلها ـ بعدها. فليس في الكلام مثل فِعُل ولا مثل إفْعُل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَجَدُوا إلاَّ إبلِيسَ أَبَى﴾:

قال قوم إن إبليس كان من الملائكة فَاسْتُثْنِيَ منهم في السجود وقال قوم من أهل اللغة: لم يكن إبليس من الملائكة، والدليل على ذلك قوله: ﴿إلاَّ إبليس كان من الجن﴾[5] . فقيل لهؤلاءِ فكيف جاز أَنْ يُستَثْنى منهم؟ فقالوا:

(١) كذا في جميع النسخ وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ١٠٨.

(٢) ط حظها.

(٣) سورة النساء ٤ ـ ٥٠.

(٤) سورة يوسف ١٢ ـ ٩.

(٥) الكهف ١٨ ـ ٥٠.

إن الملائكة ـ وإياه ـ أُمروا بالسجود، قالوا ودليلنا على أنه أُمِرَ معهم قوله: ﴿إلا إبْلِيسَ أَبى﴾، فلم يأب إلا وهو مأمور. وهذا القول هو الذي نختاره، لأن إبليس كان من الجن كما قال عزّ وجلَّ، والقول الآخر غير ممتنع، ويكون ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي كان ضالاً كما أن الجن كانوا ضالين فجعل منهم كما قال في قصته وكان من الكافرين، فتأويلها أنه عمل عملهم فصار بعضهم كما قال عزّ وجلَّ ﴿المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بعضُهم مِنْ بَعْض﴾[1].

وفي هذه الآية من الدلالة على تثبيت الرسالة للنبي ﷺ كما في الآية التي قبلها، و (التي)[2] تليها، لأنه إخبار بما لَيْس من علم العرب ولا يعلمه إلا أهل الكتاب، أو نبي أُوحِيَ إليه. وإبليس لم يُصْرف لأنه اسم أعجمي اجتمع فيه العجمة والمعرفة فمنع من الصرفِ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حيثُ شِئْتُمَا﴾.

الرَّغَدُ الكثيرُ الذي لا يُعَنِّيك[3].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي إنْ عَمِلْتُمَا بأعمال الظالمين صِرْتُما منهم، ومعنى ﴿لاَ تَقْرَبا﴾ ههنا ـ لا تأكلا، ودليل ذلك قوله: ﴿وكُلَا مِنْهَا رَغَداً حيثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي لا تقرباها في الأكل. ﴿ولا تقربا﴾ جزم بالنهي، وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين﴾ نصب، لأن جواب النهي بالفاءِ نصب، ونصبه عند سيبويه والخليل بإضمار أن، والمعنى لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فَكَوْنٌ مِنَ الظالمين، ويجوز أنْ يكونَ فتكونَا جزم على العطف على قوله وَلَا تَقْرَبَا فَتَكُونَا[4].

(١) سورة التوبة ٩ ـ ٦٧.
(٢) ليست في ك.
(٣) الذي لا يكلفك مشقة.
(٤) عطف الفعل وأداة النهي جميعاً أي لا تقربا ولا تكونا.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فأَزَلَّهُمَا الشيْطَان عنْهَا﴾.

معْناه أَنهما أُزِلاَّ بإِغْوَاءِ الشَّيطان إِياهُمَا، فصار كـأَنه أَزلَّهْمَـا، كما تقـول للذي يعمـل ما يكـون وصلة إلى أَن يزلـك من حال جميلة إلى غيـرهـا: أَنت أَزْلَلْتَنِي عَنْ هـذا، أَي قبولي منـك أَزلَّنِي، فصـرت أَنتَ المُـزيـلَ لِي، ومعنى الشيطان في اللغة الغالي في الكفر المتبعُدُ فيه من الجن والإِنس، والشَّطَنُ في لغة العرب الخَبْل، والأَرض الشطون: البعيدةُ، وإِنما الشيطان فَيْعال من هذا، (وقـد قـرئ: فَـأَزَالهُمَا الشيـطان من زُلْتُ وأَزَالَنِي غيْـري. وأَزلَّهمـا من زَلَلْتُ وأَزَلَّنِي غيـري، ولِـزَللت ههُنـا وجهـان: يَصْلُح أَن يكـون فـأَز لهمـا الشيـطان «أَكسبهما الزَّلة والخَطِيئَة، ويصلح أَن يكون فأَزلهمـا نحّـاهما» وكـلا القراءتين صواب حسن)[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقلنَا اهْبِطُوا بعْضُكُمْ لبعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

جمَـع اللَّه للنبي ﷺ قصـة هبـوطهم، وإنمـا كـان إبليس أُهبِطَ أَولاً، والدَّليل على ذلك قوله عزّ وجلَّ ﴿أُخرج منهـا فإنـك رجيم﴾، وأُهْبط آدمُ وحواءُ بعـد فجّمع الخَبـرُ للنبي ﷺ لأَنهم قد اجتمعـوا في الهبوط وإن كـانت أَوْقَاتُهم متفرقة فيه.

وقـوله ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ إبْليس عـدوّ للمؤْمنين من ولـد آدم[٢]، وعداوته لهم كفر، والمؤْمنون أَعداءُ إبليس، وعداوتهم له إيمان.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أَي مُقَام وثُبُوت[٣]

وقوله ﴿إلى حِينٍ﴾.

---

(١) هذه العبارة التي بين قوسين ليست في ك ولكنها ستأتي فيها بعدِ بشيء من التغيير.

(٢) ك من بني آدم.

(٣) أي هي مصدر ميمي، ويجوز أن تكون اسم مكان.

قال قوم: معنى الحين ههنا إلى يوم القيامة، وقال قوم: إلى فناءِ الآجال أيْ كلُّ مستقر إلى فناءِ أجله، والحين والزمان في اللغة منـزلة واحـدة، وبعض الناس يجعل الحين في غير هذا المَوْضِع ستَّة أشهر دليله قـوله: ﴿تُـؤْتى أُكلُهَا كُلَّ حينٍ بإذْنِ ربِّها﴾[1].

وإنما ﴿كل حين﴾ ههنا جُعِلَ لمدة معلومة[2] والحين يصلح للأوقات كلها إلاّ أنه - في الاستعمال - في الكثير منها أكثر، يقال ما رأيْتُكَ منذُ حين، تريـد منذ حين طويل. والأصل على ما أخبرنا به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ ربّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَليهِ﴾.

الكلمات - واللَّه أعلم - اعتراف آدم عليـه السلام وحـواء بالـذنب لأنهما قالا: ﴿ربَّنَا ظلمنا أنفسنا وإنْ لمْ تغْفر لنا وتَرْحَمْنَا لَنَكُـونَنَّ منَ الخَاسـرينَ﴾[3] اعترفا بذنبهما وتابا.

وفي هذه الآية موعظة لولدهما، وتعريفهم كيف السبيل إلى التنَصُّلِ من الذُّنوب، وأنه لا ينفع إلا الاعترافُ والتوبةُ، لأن تركَ الاعتراف بما حـرّم اللَّـه -عزّوجلّ- حَرامٌ وكُفْرٌ باللَّه[4] فلا بد من الاعتراف مع التوبـة، فينبغي أن يفهم هذا المعنى فإنه من أعظم ما يحتاج إليه من الفوائد[5].

وقرأ ابن كثير: فتلقى آدمَ من ربّـه كَلمَاتٌ، والاختيـار ما عليـه الاجماع

(١) إبراهيم ١٤ - ٢٥.

(٢) أي كلمة حين في هذه الآية استعملت للمدة التي تثمر فيها الشجرة فهي لمعنى غير المعنى السابق.

(٣) سورة الأعراف ٧ - ٢٣.

(٤) لأنه استمالٌ لما حرم، وإنكار أي شيء معلوم من الدين بالضرورة كفر.

(٥) جاء في ك بعد هذا: «وقال أبـو إسحق: وقد قـريء فأزالهـما من زلت وأزالني غيري، وأزلهـما من زللت وأزلني غيري. ولزللت ههنا وجه آخر: يصلح أن فأزلها الشيطان كسبها الـزلة والخـطيئة، ويصلح أن فأزلها نحاهما. . ألخ.

وقد تقدم ص ٨٣.

وهو في العربيةِ أقوى، لأن آدم تعلم هذه الكلمات فَقِيلَ تَلقَّى هذه الكلماتِ، والعرب تقول تلقيت هذا من فلان، المعنى فَهْمي قَبِلَهُ من لفْظِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَامَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

الفائدة في ذكر الآية أَنه عزّ وجلّ أَعلمهم أنه يبتليهم بالطاعة وأَنَّه يُجَازِيهم بالجَنَّةِ عَلَيْها وبالنَّارِ على تَرْكِهَا، وأَنَّ هَذَا الابتلاءَ وقَع عندَ الهُبُوطِ على الأَرض.

وإعراب ﴿إمَّا﴾ في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاءِ، إلا أَن الجزاءَ إذا جاءَ في الفعل معه النون الثقيلة أَو الخفيفة لزمتها ما[1] ومعنى لزومها إياها معنى التوكيد، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد.

والأَبلغ فيما يؤْمر العباد به التوكيد عليهم فيه[2].

وفتح ما قبل النون في قوله: ﴿يأْتِيَنَّكُمْ﴾ لسكون الياءِ وسكون النون الأُولى[3]، وجواب الشرط في الفاءِ مع الشرط الثاني وجوابه وهو ﴿فَمَنْ تَبِعَ

---

(١) المعروف بين النحويين أن المضارع الذي يقع شرطاً لإما يكون توكيده قريباً من الواجب. ومذهب سيبويه ومن تابعه من المتأخرين - ومن متابعيه أبو علي الفارسي. أن التوكيد ليس بلازم ولكنه أحسن ولهذا لم يقع في القرآن إلا كذلك، وقد جاء في الشعر كثيراً غير مؤكد وذهب المبرد والزجاج إلى لزوم النون بعد إما، وزعما أن حذفها: ضرورة -

أنظر الأشموني جـ ٣ - ١٤٢.

أما إن بدون «ما» معها فتوكيد الفعل معها نادر وبهذا تتضح عبارة المؤلف «إلا أن الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون. . . لزمتها ما» - وهو يستعمل كلمة الجزاء بمعنى الشرط - أي أنه إذا أكد الفعل بعد إن وجب أن تكون معها ما، ولزومها إياها يدل على وجوب، التوكيد.

(٢) ك فالأبلغ.

(٣) المشهور بين النحويين أن المضارع الذي لم يتصل بضمير رفع ساكن إذا أكد بالنون بني على فتح الآخر واعتبر مركباً معها تركيب أحد عشر، والزجاج يذكر هنا علة الفتح في ﴿يأتينكم﴾ بأنها=

هُـدَايَ﴾، وجـواب ﴿فَمَنْ تَبِـعَ هُـدَايَ﴾ (قـولـه) ﴿فـلاَ خَـوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

و ﴿هُدَايَ﴾: الأكثر في القراءَة والرواية عن العرب ﴿هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾ فالياء في هداي فتحت لأنها أتت بعـد ساكن وأصلهـا الحركـة التي هي الفتح فالأصل أن تقول: هذا غلامِيَ قد جـاءَ ـ بفتح اليـاءِ ـ لأنها حـرف في موضـع إسم مضمر[١] منع الإعراب فألـزم الحركـة كما أُلـزمت «هُوَ» وحـذف الحركـة جـائز لأن اليـاءَ من حروف المـد واللين، فلما سكن مـا قبلها لم يكن بـد من تحريكها فجعـل حظهـا ما كـان لها في الأصـل من الحركـة وهو الفتـخ، ومن العـرب من يقولـون: «هُدَيَّ وعَصَيَّ»[٢]، فمن قـرأ بهذه القـراءَة فـإنمـا قلبت الألف إلى الياءِ، للْيَاءِ التي بعدها، إلا أَنَّ شَأْنَ يَاءِ الإضافة أَنْ يُكْسر ما قَبْلَها، فجعل بدلَ كَسْـرِ ما قَبلهـا ـ إذْ كانت الألف لا يكسـر ما قبلهـا ولا تكسر هي ـ قَلْبَها ياءً. وطَيِّءٌ تقول في هُدًى وعَصاً وأفْعًى وما أَشبـهَ هذا في الـوقفِ هُدَيْ وعَصَيْ (وأفعى)[٣]، بغيـر إضـافـة، وأنشـد أبـو الحسن الأخفش وغيـره من النحويين[٤].

تَبَشَـري بـالـرَّفْـهِ والمـاءِ الـرَّوَى وفـرج منـك قـريب قـد أَتَـىْ

وبعض العـرب يجري مـا يجريـه في الـوقف ـ في الأصـل ـ مجـراه في

لتفادي إلتقاء الساكنين، الياء التي هي آخر الفعل والنون الأولى من نـون التوكيـد المشددة، وهـو تعليل غير كاف لأنه لو كان الفعل صحيح الآخر ما كان هناك سكون، وإذا عومل كالمعرب فجزم فالمعتل يجزم بحرف العلة.

(١) ضمير جاء على حرف واحد فيأخذ حكم الحرف في أنه يفتح إذا جاء بعد ساكن.

(٢) هم هذيل، وعليه بيت أبي هذيل: سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم.

(٣) ليست في ك.

(٤) الروى الكثير. اللسان (روى) الرفة النعمة. والأصل في البيت النصر.

الوقف[1] وليس هذا الوجهَ الجيِّدَ. وزعم سيبويه أن الذين أبدلوا من الألف الياء، أبدلوها في الوقف ليكون أبين لها. وحكى أيضاً أن قوماً يقولون في الوقف حُبْلَوْ، وأَفْعَوْ.

وإنما يحكي أهل اللغة والعلم بها كل ما فيها، ليتميز[2] الجيد المستقيم المطرد من غيره، ويجتنب غير الجيد. فالباب في هذه الأشياء أن يُنْطق بها في الوصل والوقف بألفٍ، فليس إليك أن تقلب الشيءَ لِعِلَّةٍ ثُمَّ تنطق به على أصله والعلة لمْ تزل، فالقراءَة التي ينبغي أن تُلْزم [هي] ﴿هُـدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾ إلا أن تثبت برواية صحيحة «هُدَيّ» فيقرأ بها. ووجهه من القياس ما وصفنا. فأما قوله: ﴿هَـذَا صِـرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[3]، وقوله: ﴿إليَّ مرجعكم﴾[4] فلا يجوز أن يقرأ هذا صراط علاي، ولا ثُمَّ إلآي مرجعكم، لأن الوصل كان في هذا: «إلآي» و «عَـلَاي» ولكن الألف أُبْدِلَتْ منها مع المضمرات الياءُ، ليفصل بين ما آخره مِمّا يَجب أَنْ يُعْرَبَ ويتَمكن، ومَا آخره ممّا لا يجب أن يعرب، فَقُلِبَتْ هذه الألف ياءً لهذه العلة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتي أَنْعَمْتُ عليْكُمْ﴾.

نصب ﴿بني إسرائيل﴾ لأنه نداءٌ مضاف، وأصل النداءِ النصب لأن معناه معنى «ناديت» و «دعوت» وإسرائيل في موضع خفض إلا أنه فتح آخره لأنه لا يَنْصَرف، وفيه شيئان يوجبان منعَ الصرف، وهما أنه أعجمي وهو معرفة[5]، وإذا كان الاسم كذلك لم يَنْصَرف، إذا جاوز ثلاثة أحرف عند

---

(١) عبارة غير جيدة ـ والمراد: بعض العرب يعطي الكلمة في حال الوصل ما تستحق آن تعطاه في حال الوقف.

(٢) في الأصل وط ليميز.

(٣) الحجر ١٥ ـ ٤١.

(٤) آل عمران ٣ ـ ٥٥.

(٥) يعني اجتمع فيه العلمية والعجمة.

النحويين، وفي قولـه: ﴿نعْمَتيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ علَيْكُمْ﴾ وجْهان، أَجودهما فتح الياءِ لأَن الذي بعدها ساكن وهو لام المعرفة[1] فاستعمالها كثيرٌ في الكلام فاختير فتح الياءِ معها لالتقاءِ الساكنين، ولأَن الياءَ لو لم يكن بعدها ساكن كانَ فتحها أَقوى في اللغة، ويجوزُ أَنْ تحذف الياءُ في اللفظ لالتقاءِ الساكنين فتقرأ «نعمتِ التّيْ» أَنعمت بحذف الياءِ[2]، والاختيار إثبات الياء وفتحها لأَنه أَقوى في العربية وأَجزل في اللفظ وأَتم للثواب، لأَن القارئ يجازى على كل ما يقرؤه من كتاب اللَّه بكل حرف حسنة، فإن إثباته، أَوْجَهُ في اللغة. فينبغي إثباته لما وصفنا، فأَما قوله عزّ وجلّ: ﴿هَـٰرُونَ أَخِي أَشْدُدْ بـه أَزري﴾[3] فلم يكثر القراءُ فتح هذه الياء، وقال أَكثرُهُم[4] بفتحها مع الأَلف واللام.

ولَعَمْري إن اللام المَعْـرفَةَ أَكثـرُ في الاستعمال، ولكني أَقـول: الاختيار «أخِيَ أَشْدُدْ» بفتـح الياءِ لالتقاءِ الساكنين، كما فتحوا مع اللام، لأَن اجتماع ساكنين مع اللام[5] وغيرها معنى واحد وإن حذفت فالحذف جائز حَسَن إلَّا أَنَّ الأَحْسَنَ ما وَصَفْنَا.

وأَما معنى الآية في التذكير بالنعمة فإنهم ذُكِّرُوا بِمَا أَنْعِمَ بِه على آبائهم من قبلهم، وأُنعم به عليهم[6]، والدليل على ذلك قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾[7]، فالذين صادفهم النبي ﷺ لم يكونوا أَنبياءَ، وإنما ذُكِّروا بما أُنعم به على آبائهم وعليهم في أَنفسهم وفي آبائهم، وهذا المعنى موجود في كلام العرب معلوم عندها. يفاخر الرجلُ الرجُلَ فيقولُ هَزَمْناكُمْ يَوْمَ «ذي قار»،

---

(١) يقصد اللام الساكنة في «التي».

(٢) كتبت في الأصول بإثبات الياء، وهو لا يستقيم.

(٣) سورة طه ٢١ ـ ٣١.

(٤) في ك وإنما أكثرهم يفتحها مع الألف واللام، ـ أي إذا كان بعدها ألف ولام.

(٥) ك ولام.

(٦) في ط كأنه أنعم به عليهم.

(٧) سورة المائدة ـ ٢٠.

ويقول قتلناكم يوم كذا، معناه قَتَل آباؤنا[1] آباءَكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.

معناه - والله أعلم - قوله: ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلْنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ فتمام تبيينه أن يخبروا بما فيه من ذكر نبوة محمد ﷺ وقد بيَّنَّا ما يدُلُّ على ذكر العهد قبل هذا وفيه كفاية[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِيَّايَ فارْهَبونَ﴾.

نصب بالأمر[3] كأنه في المعنى «أرهبوني» ويكون الثاني تفسير هذا الفعل المضمر، ولو كان في غير القرآن لجاز: «وَأَنَا فَارْهَبُونِ» ولكن الاختيار في الكلام والقرآن والشعر ﴿وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[4] حذفت الياء وأصله «فارهبوني» لأنها فاصلة، ومعنى فاصلة رأس آية ليكون النظم على لفظ مُتَّسق، ويسمِّي أهلُ اللغة رؤوس الآي الفواصل، وأواخر الأبيات: القوافي.

ويقال وَفيْت له بالعهد فأنا وافٍ به، وأوفيت له بالعهد فأنا موف به. والإختيار: أوفيت، وعليه نزل القرآن كله[5] قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا

---

(١) في الأصل وقتل.

(٢) انظر ص ١٠٥، ١٠٦.

(٣) أياي منصوب بفعل أمر محذوف يفسره الأمر المذكور أي أرهبوا إياي فأرهبوني، ولا يعمل فيه المذكور لأنه استوفى مفعوله وهو الياء بعد نون الوقاية ولأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها. أنظر التصريح باب الاشتغال والأشموني حـ ٢ - ٤٩: قال سيبويه لأن الفاء لا تقع في الخبر، وقال المبرد: إنها أشبهت الشرط فما بعدها لا يعمل فيما قبلها.

(٤) النصب أرجح لأن الفعل الذي شغل عن المفعول فعل أمر.

(٥) أي في العهد خاصة - وربما عاضه. وإبراهيم الذي وَفَّى» النجم ٥٣ - ٨٧ في بعض أوجهه. وإيفاء الكيل ليس منه وإنما هو من الإكمال والإتمام.

وجاء في القرآن. ﴿فلما توَفَّيْتَني﴾.. ﴿إني مُتَوَفِّيكَ ورافعك إليّ﴾ ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾، (من وفى).

﴿فَيُوَفِّيهم أجورَهم﴾. ﴿إنما يُوَفَّى الصابرون أجْرَهم﴾ ﴿وإنما تُوفَّون أجوركم يوم القيامة﴾ .وفي المزهر

بعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وقال: ﴿وأَوْفُوا بعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُمْ﴾(١) وقال: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ والمِيزَانَ﴾(٢) وكل ما في القرآن بالألف(٣) وقال الشاعر في «أَوْفَيْتُ»: «ووفَّيتُ» فجمع بين اللغتَين في بيت واحد:

أمـا ابنُ عـوف فقـد أَوْفَى بـذمتـه ... كما وَفَى بقلاص النجم حاديها(٤)

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾.

يعني القرآن، ويكون أيضاً، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ بِكِتَابِكم وبِالْقُرْآنِ(٥) إن شئت عادت الهاءُ على قوله لما معكم، وإنما قيل لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ لأن الخطاب وقع على حكمائهم فإذا كفروا كفر معهم الأتباع فلذلك قيل لهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ به﴾ فإن قال قائل: كيف تكون الهاءُ لكتابهم؟ قيل له

= حـ ١ - ١٠٥، قال ابن خالويه في شرح الدردرية «فإن سأل سائل فقال أوفى بعهده أفصح اللغات وأكثرها فلم زعمت ذلك.... لما كان وفى بعهده يجذبه أصلان من «وفى» الشيء إذا كثر و«وفى» بعهده، اختاروا أوفى إذ كان لا يشكل ولا يكون إلا للعهد، فاختيار أوفى فيما ترى لأنه لا يحتمل إلا معنى واحداً. أما «وفى» فيحتمل - الوفاء بمعنى الكثرة والنماء، والوفاء بالعهد - فأوثر أوفى لهذا». وهو تعليل كما ترى، وقال المبرد «أوفى» أحسن اللغتين.

(١) النحل ١٦ - ٩١.

(٢) الأعراف ٧ - ٨٥.

(٣) الكلية غير تامة كما هو واضح.

(٤) الشاعر هو طُفَيْل الغَنَوي من شعراء قيس المشهورين ومن وصَّافي الخيل ويسمى طفيل الخيل. لأنه يكثر من ذكرها ويدخله في مختلف أنواع شعره - ويمتاز شعره بين الجاهليين بالرقة. أنظ الأغاني ١٤ - ٨٨، والكامل ١ - ٣٥٠ ط التجارية.

والبيت في اللسان (عوف - قلص) وروايته ابن طوق. وفي الكامل «ابن أبيض، والقلاص عشرون نجماً تأتي عقب الثريا يسوقها الدبران أي يأتي عقبها النجم المعروف بهذا الاسم. يريد أنه كما يلازم هذا النجم أصحابه فلا يفارقها أبداً، فكذلك ابن عوف لا يفارق الوفاء، ولا يخلف ما وعد به.

(٥) الواو بمعنى - أو - أي تصلح لهذا ولذلك في كلام المؤلف.

إنهم إذا كتموا ذكر النبي ﷺ في كتابهم فقد كفروا به كما أنه من كتم آية من القرآن فقد كفر به ومعنى﴿لا تكونوا أول كافر به﴾ـ إذا كان بالقرآن ـ لا مُؤْنَةَ فيه، لأنهم يظهرون أنهم كافرون بالقرآن[١]. ومعنى ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ أولَ الكافرين، قال بعض البصريين في هذا قولين: قال الأخفش معناه أوَّل منْ كفَر به، وقال البصريون أيضاً: معناه ولا تكونوا أول فريقٍ كافر به أي بالنبي ﷺ وكلا القولين صواب حسن.

وقال بعض النحويين إن هذا إنما يجوز في فاعل ومفعول[٢] تقول الجيش منهزم، والجيش مهزوم، ولا يجوز فيما ذكر: الجيش رجل، والجيش فرس، وهذا في فاعل ومفعول أبين، لأنك إذا قلت الجيش منهزم فقد عُلِمَ أنك تريد هذا الجيش فنقطت في لفظه بفاعل لأن المعنى الذي وضع عليه الجيش معنى يدل على جمع، فهو فَعال. ومفعول يدل على ما يدل عليه الجيش، وإذا قلت الجيش رجل فإنما يكره في هذا أن يتوهم أنك تقلله فأما إذا عرف معناه فهو سائغ: جيد، تقول: جيشُهُمْ إنَّما هو فرسٌ ورجُل، أي ليس بكثير، الأتباع فيدل المعنى على أنك تريد الجيش خيل ورجال[٣]، وهذا في فاعل ومفعول أبين كما وصفنا[٤].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَّل كَافِرٍ بِهِ﴾.

اللغة العليا والقُدْمَى الفتح[٥] في الكاف وهي لغة أهل الحِجَازِ، والإمالة في الكاف أيضاً جيّد[٦] بالغ في اللغة لأن فاعلا إذا سَلِم من حروف الإطباق

(١) لم يبين الحالة الثانية وهي عود الضمير على كتابهم. لأنه شرحها.

(٢) الأخبار بالمفرد عن الجمع.

(٣) أي بالقرينة، لا باللفظ.

(٤) كما تقول: الجيش قائم وسائر ومهزوم ومسبوق.

(٥) أي بغير إمالة.

(٦) أي رأي أو نطق جيد.

وحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغةً إلا في لغة أهل الحجاز، والإمالـة لغة بني تميم وغيرهم من العرب، ولسان الناس[١] الذين هم بالعراق جارٍ عـلى لفظ الإمالة، فـالعرب تقـول: هذا عـابد وهـو عابـد[٢] فيكسرون مـا بعدهـا إلاَّ أنْ تدخُل حـروفُ الإطباقِ وهي الـطاء والظاء والصـاد والضاد، لا يجـوز في قولـك فلان ظالم: ظالم ممال[٣]، ولا في طالب: طالب ممال، ولا في صابر صابر: ممال، ولا في ضابطٍ: ضابط ممـال، وكذلـك حروف الاستعـلاءِ وهي: الخاءِ والغـين، والقاف، لا يجوز في غافل: غافل ممـال ولا في خادم: خـادم ممال، ولا في قـاهر قاهر: ممال. وباب الإمالة يطول شرحه إلا أن هذا في هذا الموضـع هو المقصـود وقدر الحاجة[٤].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾.

يقـال لَبَسْت عليهم الأمـرَ أَلبِسُـه، إذا أعَمَّيته عليهم، ولبِسْت الثـوبَ أَلبَسُه[٥] ومعنى الآية: ﴿لا تلْبِسُوا الحقّ﴾، والحقُّ ههنا أمر النبي ﷺ وما أتى به من كتاب اللَّه عزّ وجـلّ، وقولـه بالبـاطل، أي بمـا يحرفـون، وقولـه عزّ وجـلّ: ﴿وأنتم تَعْلمُـونَ﴾ أي تأْتـون لبسكم الحق وكتمانـه عـلى علمٍ منكم وبصيـرةٍ. وإعـراب ﴿وَلَا تَلبِسُوا﴾ الجـزم بـالنهي، وعـلامـة الجـزم سقـوط النـون، أَصْله تَلْبِسُون وتَكْتُمُونَ، يصلح أن يكون جزمـاً على معنى ولا تكتمـوا الحق، ويصلح أن يكون نصباً وعـلامة النصب أيضـاً سقوط النـون، أما إذا نصبت فعـلى معنى الجواب بالـواو، ومذهب الخليـل وسيبويـه والأخفش وجماعـة من البصريـين أن

---

(١) في ك: ولسان أهل العراق.

(٢) الأولى بفتح صريح والثانية بالإمالة.

(٣) كلمة «ممال» في الكلمات الأربع ليست في ك، وكان ينبغي أن تكون منصوبة.

(٤) هذا الذي ذكر هنا عن الإمالة، وفي ك باب يطول شرحه.

(٥) الأول كضرب يضرب والثاني كعلم يعلم.

جميع ما انتصب في هذا الباب فبإضمار أن كأنك قلت لا يكن منكم إلباس الحق وكِتْمَانه، كأنه قال وأن تكتموه، ودلَّ تلبسوا على لبس كما تقول: من كذب كانَ شَرًّا، ودل ما في صدر كلامك على الكذب فحذفْتَه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَتَأْمُرونَ النَّاسَ بالبرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

فالألف ألف استفهام، ومعناه: التقرير والتوبيخ ههنا، كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة. ومعنى هذا الكلام ـ واللَّه أعلم ـ أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بكتابهم ويتركون هم التمسك به، لأن جحْدهم النبي ﷺ هو تركهم التمسك به ـ ويجوز واللَّه أعلم ـ أنهم كانوا يأمرون ببذْل الصّدقةِ وكانوا يضنّون بها، لأنهمَ وُصِفُوا بأنهم قست قلوبهم. وأكلوا الرِّبَا والسُّحْتَ، وَكانوا قد نهوا عن الرِّبا. فمنع الصدقة داخل في هذا الباب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلَاةِ﴾.

إن قال قائل لم قيل لهم: استعينوا بالصبر وما الفائدة فيها[1] فإن هذا الخطاب أصله خطاب أهل الكتاب، وكانت لهم رئاسة عند أتباعهم فقيل لهم: إستعينوا على ما يُذْهِبُ عنكم شهوَة الرياسةِ بالصلاة لأن الصلاة يتلى فيها ما يُرغّب فيها عند اللَّه، ويزهد في جميع أمر الدنيا، ودليل ذلك قوله: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكَرِ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

المعنى: إن الصلاة التي معها الإيمان بالنبي ﷺ كبيرة تكبر على الكفار وتعْظُمُ عليهم مع الإيمان بالنبي ﷺ. والخاشع المتواضع المطيع المجيب[3] (لأن

---

(١) في الاستعانة.

(٢) العنكبوت ٢٩ ـ ٤٥.

(٣) في ك المخبت.

المتواضع)[١] لا يبالي برياسة كانت له مع كفرٍ إذا انتقل إلى الإيمان[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِين يَظُنُّون أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ﴾.

الظن ههنا في معنى اليقين، والمعنى: الذين يوقنون بذلك ولو كانوا شاكّين كانوا ضُلّالاً كافرين، والظن: بمعنى اليقين موجود في اللغة، قال دريد بن الصِّمَّة:

فقُلْت لهم ظُنُّوا بألْفيْ مُقاتِل ... سَراتهُمُ في الفارِسيّ المُسَرَّدِ[٣]

ومعناه أيقنوا. وقد قال: بعض أهل العلم من المتقدمين:

إن الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده، وإن كان قام في نفسك حقيقتُه وهذا مذهب، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا.

قال أبو إسحاق: وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه اللَّه[٤] رواه عن زيد بن أسلم[٥]. .

---

(١) ليست في ك.

(٢) أي لا يبالي بترك الرياسة وضياعها.

(٣) دريد شاعر مقل من بني جشم. كان من الفرسان وعمر حتى شهد الإسلام ولم يسلم. شهد حنيناً ليستعان برأيه ولما انهزم المشركون قتله ابن الدغنة في غير معركة سنة ٨ هـ.

وهو في هذه القصيدة يرثى أخاه عبد اللّه، وأنظر القصيدة في حماسة أبي تمام، والمقاصد ٢ ـ ١٢٢ والأغاني ٩ ـ ٤ والقرطبي ١ ـ ٣٢١ اللسان ظنن. الشجري ٣ ـ ١١١ وأكثر رواية البيت: بألفي مدجج، والمدجج الشاكي السلاح والفارسي المصنوع في بلاد الفرس والمسرد المحبوك الحلق الجيد الصنع، والسراة السادة، وهو يقصد أنهم جميعاً ـ سراة أشداء.

(٤) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد من موالي آل جرير بن حازم كان إماماً في العربية والفقه على مذهب مالك انتهى إليه العلم بالنحو واللغة في زمانه، سمع عن كثيرين منهم محمد ابن عبد اللّه الأنصاري ومسدد بن مسرهد، وروى عنه كثيرون منهم عبد اللّه بن الإمام أحمد. ولي قضاء جانبي بغداد في عهد المتوكل وبقي حتى عزله المهتدي حين غضب على أخيه حماد وجلده وعزل إسماعيل ولما ولي المعتمد أعاده فبقي قاضياً حتى مات ٢٨٢ هـ عن ثمانين عاماً.

ترك مؤلفات في القرآن والحديث منها: القرآءات وأحكام القرآن ومعاني القرآن.

البغية ١٩٢.

(٥) زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي من بني حيف بني العجلان وقيل انه أوسيٌّ من بني عمرو بن

و (قوله)[1] ﴿أَنَّهمْ﴾ ههنا لا يصلح في موضعها إنهم ـ بالكسر ـ لأن الظن واقع فلا بد مِن أَن تكونَ تِليه. أَنَّ[2] إلا أَن يكون في الخبر لام[3].

ويصلح في ﴿أَنهمْ إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾ الفتح والكسر، إلا أَن الفتح هو الوجه الذي عليه القراءَة، فإذا[4] قُلْت: وإنَّهم إليه راجعون ـ في الكلام ـ حملت الكلام عَلَى المعنى كأنه «وهم إليه راجعون» ودخلت أَنْ مؤكْدة[5]، ولولا ذلك لما جاز أبطالك الظن مع اللام إذا قلت ظننت إنك لعالم.

ومعنى ﴿مُلاقُورَبهمْ﴾ ملاقون ربهمْ لأن اسم الفاعل ههنا نكرة ولكن النون تحذف إستخفافاً، ولا يجوز في القرآن إثباتها لأنه خلاف المصحف، ولا يجوز أن يقع شيءٌ في المصحف مجمع عليه فيخالف، لأن أتباع المصحف أُصلُ أتباع السُّنَّة.

وقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

أذكرهم اللَّه عزّ وجَلّ نعمته عليهم في أَسلافهم، والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعوْن﴾ والمخاطبون بالقرآن لم يروا فرعون ولا آله. ولكنه عزّ وجلّ ذكَّرهم أنه لم يزل منعماً عليهم لأن إنعامه على أَسلافهم إنعام عليهم، والدليل على ذلك: أَن العرب وسائر الناس يقولون: أَكرمْتُك

ـــــــــــــــ

= عوف، شهد بدراً وقتله طليحة وقيل: بل قتل يوم صفين. الاصابة ٢٨٧٠.

(١) ليست في ك.

(٢) في موضع المفعول فلا بد أن تفتح.

(٣) لأنها حينئذ من المواضع التي يجب فيها كسر «إن».

(٤) في ك فان.

(٥) يريد أن الجملة تكون مستأنفة إذا كسرت «أن»، وهذا الاستئناف جائز حيث استوفت ظن مفعوليها. وكذلك إذا علقت بدخول لام التوكيد على خبر أن.

بـإكرامي أخـاك. وإنما الأثـرة وصلت إلى أخيه، والعـربُ خاصـة تجعل مـا كانِ لآبائها فخراً لها، وما كان فيه ذم يعدونه عاراً عليها، وإن كان فيما قَدُم من آبائها وأسلافها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نفسٍ شيْئاً﴾.

يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعم أن آباءَها الأنبياء تشفـع لها عنـد اللَّه فأَيْئَسُهم اللَّه من ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا يُؤْخَذُ منْهَا عَدْلٌ﴾.

العـدل هـهنـا الفِـدْيـة، ومعنى: ﴿لا تَجْـزِي نفْسٌ عَنْ نَفسٍ شَيْئاً﴾ أي لا تجزي فيه، وقيل: لا تجْزِيـه، وحَذْفُ «فيـه» ههنا سـائغ، لأن «في» مـع الظرف محذوفة: تقول أتيتك اليـوم، وأتيتك في اليـوم، فإذا أضمـرت قلت أتيتك فيـه، ويجوز أنْ تقول أَتيْتُكه، قال الشاعر:

ويــومـاً شهِــدنــاه سليــماً وعــامــراً قلِيـلاً سوى الـطَّعنِ النِّهال نـوافلُه[1]

أَراد شهـدنا فيـه، وقال بعض النحـويين: إن المحـذوف[2] هنا الهـاء لأن الظروف عنده لا يجـوز حذفهـا ـ وهذا قـول الكسائي. والبَصـريّون وجمـاعةٌ من الكوفيين يقولون: إن المحذوف «فيه».

وفصَّـل النحويـون في الظروف، وفي الأسـماءِ غـير الـظروف فقـالـوا: إن الحذف مع الظروف جائز كما كـان في ظاهـره، فكذلـك الحذف في مضمـره، لو

(١) البيت لـرجل من بني عـامر. وسليم وعـامر قبيلتـان من قيس بن عيـلان، كـان بينهـما معـارك في الجاهلية.

والطعن النهال: هو الدامي. والطعن إما اسم للضرب وإما اسم جنس جمعي لـطعنة. انـظر أمالي ابن الشجري ١ : ٦ والكامل ١ ـ ٢١.

(٢) في الأصل المحذوفة.

قلت الذي سرت اليوم، تريد الذي سرت فيه جائز، لأنك تقول سرت اليوم وسرت فيه، ولو قلت: الذي تكلمت فيه زيد: لم يجز الذي تكلمت زيد لأنك تقول تكلمت اليوم وتكلمت فيه، ولا يجوز في قولك تَكلمْتُ في زيد تكلَّمْتُ زيداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تُقْبَلُ مِنْهَا شفاعَةٌ﴾.

مرفوع لأنه اسم ما لم يسم فاعله، والاسم إذا لم يُسَمَّ من فعَل به[١] رُفع لأن الفعل يصير حديثاً عنه كما يصير حديثاً عن الفاعل، وتقول: لا يُقْبَلُ منها شفاعةٌ، ولا تُقْبَلُ، لأن معنى تأنيث ما لا يُنْتجُ[٢] غير حقيقة، فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث، تقول: قبِل منك الشفاعة، وقدْ قُبِلتْ منك [الشفاعة] وكذلك «فمن جاءَه موعظةٌ» لأن معنى موعظة ووعظ، وشفاعة وشفع واحد، فلذلك جاء التذكير والتأنيث على اللَّفظِ والمعنى[٣] وأما ما يعقل ويكون منه النسل والولادة نحو امرأة ورجل، وناقة وجمل فيَصِحّ في مؤنثة لفظ التذكير، ولو قلت قام جارتك ونحر ناقتك كان قبيحاً ـ وهو جائز على قبحه لأن الناقة والجارة تدلان على معنى التأنيث، فأجتزيءَ بلفظهما عن تأنيثِ الفعل[٥]، فأما الأسماء التي تقع للمذكَّرين وأصحاب المؤنث فلا بد فيها من عَلمِ التأنيث لأن الكلام للفائدة، والقصد به الإبانة، فلو سمَّيت امرأة بقاسم لم يجز أن يقال جاءَني قاسم، فلا يعلم أمذكراً عَنَيْت أم مؤنثاً، وليس إلى حذف هذه التاء ـ إذا كانت فارقة بين معنيين ـ سبيل، كما أنه إذا جرى ذكر رجلين لم يجز أن تقول: قد قام،

(١) أي الفاعل. الذي قام بعمله.

(٢) ما لا يلد، ونتج مما لزم صيغة المبني للمجهول.

(٣) ليست ت في ك.

(٤) في ك فالمعنى.

(٥) هذا رأي الزجاج خاصة. والنحويون على أن المؤنث الحقيقي الذي لم يفصل من الفعل لا بد أن تكون في فعلة علامة التأنيث.

ولا يجوز إلا أَن تقول قاما، فعلامة التأْنيث فيما فيه اللبس كعلامة التثنية ههنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

موضع إذ نصب، كأَنه «قال»[1] واذكروا إِذ نجيناكم مِنْ آل فرعون، وآلُ فرعَون أَتْبَاعُه ومن كان على دينه، وكذلك آلُ الأَنبياءِ صلوات اللّه عليهم من كان على دينهم، وكذلك قولنا: صلّى اللّه على محمد وآله: معنى آله من إتبعه من أَهْل بيته وغيرهم، ومعنى خِطابِهِمْ هَهنَا تذكيرهم بالنعمة عليهم في أَسْلَافِهِمْ كما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذابِ﴾.

معنى ﴿يسُومونكم﴾ في اللُّغة يولونكم، ومعنى سوءَ العذابِ، شديد العذاب، وإن كان العذاب كله سوءًا، فإنما نُكِّرَ في هذا الموضع[2] لأَنه أَبلغ ما يعامل به مَرْعِيٌّ[3] فلذلك قيل سوءَ العذاب، أَي ما يبلغ في الإساءَة ما لا غاية بعده، وفسره بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبناءَكم﴾ والقراءَة المجمع عليها - ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ - بالتشديد - ورواية شاذَّة يَذْبَحُون أبناءَكم، والقراءَة المجمع عليها أَبلغ، لأَن ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ للتكثير، ويَذْبَحُونَ يصلح أَن يكون للقليل و(للكثير)[4] فمعنى التكثير ههنا أَبلغ، و﴿أبناءَكم﴾ جمع ابن، والأَصل كأَنه إنما جمع بني وبنو ويقال: ابن بيِّنُ البنوة، فهي تصلح أَن تكون «فعَل» و«فِعْل» كأَنه أَصله بناية، والذين قالوا بنون كأَنهم جمعوا «بَنا» وبنون، فأَبناءُ جمع «فعَل وَفِعْل»، و«بِنْتٌ» يدل على أَنه يَستقيم أَن يكون فِعْلًا، ويجوز أَن يكون «فَعَل» نقلت إلى «فِعْل» كما نقلت أُخت من فَعَل إلى فُعْل، فأما بنات فهو ليس بجمع بنت على لفظها، إنما ردت إلى أَصلها فجمعت بنات على أَن الأَصل في بنت «فِعْله» كأَنها مما حذفت لامه[5]،

---

(١) ليست في ك.

(٢) ذكر السوء.

(٣) أحد الرعية.

(٤) في ك فقط.

(٥) الأصل «بنوة» ولذا حذفت التاء في الجمع.

وَالأَخفش: يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو قال: لأن أكثر ما تحذف الواو بثقلها. والياءُ[١] تحذف أيضاً للثقل[٢].

قال أبو إسحق: والدليل على ذلك أن يداً قد أجمعوا (على)[٣] أن المحذوف منه[٤] الياءُ ولهم دليل قاطع على الإجماع قال: يديت إليه يداً، ودم محذوف منه الياءُ، يقال دم ودميان.

قال الشاعر:

فلو أنّا على حَجَر ذُبِحْنا ... جَرى الدَّمَيَانِ بالخَبَر اليقينِ[٥]

والبُنُوَّة ليست بشاهد قاطع في الواو، لأنهم يقولون الفتوة والفتيان في التثنية - قال عزّ وجلّ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِجْنَ فَتَيانِ﴾[٦]. فابْنٌ يجوز أن يكون المحذوف منه الواو أو الياءُ. وهما عندي متساويان[٧].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) هذا وما بعده رد على الأخفش.

(٢) ك لأنها تثقل.

(٣) ليست في ك.

(٤) من هذا اللفظ لأن اليد مؤنث.

(٥) البيت في اللسان «دم» مع بيتين آخرين:

لعمرك أنني وأبا رباح ... على طول التجاور منذ حين
ليبغضني وأبغضه وأيضاً ... يراني دونه وأراه دوني

فلو أنا على حجر.

يقول إن كلا منهما يكره الآخر ويحقره، فلو أن دماءهما وضعت في مكان واحد لأبت الامتزاج وانفصل كل منها عن الآخر لما بينهما من التباغض.

وينسب البيت لعبد بني الحسحاس. ولعلي بن بدال، وللمثقب العبدي.

أنظر المقاصد ١٩١/١، واللسان (دم)، وابن يعيش ٦٥٢/٤، ٥/٦، وهو ليس في نونية المنقب. «أفاطم قبل بينك متعيني».

(٦) يوسف ١٢ - ٣٦.

(٧) هذا رأي الزجاج، ويحتاج إلى تأمل.

يعني: في النجاة من آل فرعون. والبلاءُ ههنا النعمة، يروى عن الأحنف[1] أنه قال: البلاءُ ثم الثناءُ، أي الأنعام ثُمَّ الشكرُ.

قال زهير:

جزى اللَّهَ بالإحْسَان مَا فعَلا بِنَا وأبلاهما خير البلاءِ الذي يبلو[2]

وقال اللَّه عزّ وجلَّ: ﴿وليُبْلِيَ المؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً﴾[3].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإذْ فَرقْنا بِكُمَ البَحْرَ فأنْجَيْناكُمْ وأغْرقْنَا آلَ فِرعَونَ وأنْتُمْ تنْظُرون﴾.

موضع ﴿إذْ﴾ نصب كالتي قبلها، ومعنى ﴿فرقنا بكم البحر﴾: جاءَ تفسيره في آية أُخرى، وهو قوله عزّ وجلَّ:

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ إِنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾[4] أي فانْفرق البحر فصار كالجبال العظام، وصاروا في قَرَارِهِ ـ وكذلك قوله عزّ وجلَّ: ﴿فاضْرِبْ لهُمْ طريقاً في البحر يبساً، لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[5]، معناه طريقاً ذا يبس،

وقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فيه قولان (قالوا)[6] وأنتم

---

(١) الأحنف بن قيس حكيم العرب، ومضرب المثل في الحلم.

(٢) زهير بن أبي سلمى أحد شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، وصاحب معلقة جيدة وفي معلقته وفي هذه القصيدة يمدح هرم بن سنان والحرث بن عوف لتحملهما ديات القتلى في حرب داحس والغبراء وستأتي له أبيات أخرى من هذه القصيدة. أخباره في الأغاني ٩ ـ ٨٨ وطبقات فحول الشعراء. والبيت في ديوانه ١١٢.

(٣) الأنفال ٨ ـ ١٧.

(٤) الشعراء ٢٦ ـ ٦٣.

(٥) طه ٢٠ ـ ٧٧.

(٦) ما بين القوسين ليس في ك ففيها رأي واحد.

تـرونهم يغرقـون ويجـوز أن يكـون: ﴿وأنتم تنـظرون﴾[1] أي وأنتم مشـاهـدون تَعلمـون ذلك، وإن شغلهم عن أن يَـروه في ذلك الـوقت شاغـل[2] يقـال مِنْ ذلك: دُور آل فلان تنظر إلى دور بني فلان، أي هي بـإزائها والـدُّور يعلم أنها لا تبصر شيئاً.

وقـوله عزّ وجلَّ: ﴿وإذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

ويقرأ: ﴿وإِذْ وَاعِدْنَا مُوسَىٰ﴾ وكلاهما جائز (حسن)[2] واختار جماعـة من أهل اللغة، وإذ وعدنا بغير ألف:

وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون لغير الآدميين، فاختاروا ﴿وعدنا﴾ وقالوا دليلنا قوله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْـدَ الحَقّ﴾[3] ومـا أشبـه هذا وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا[4] وواعدنا هنا جيد بالغ، لأن الطاعة في القبول بمنزلـة المواعـدة، فهو من اللّه عـزّ وجلّ وعـدٌ ومن موسى قبـولٌ واتّبَاعٌ فجرى مجرى المواعدة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ اتَّخذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

ذكـرهم بكفـر آبـائهم مـع هـذه الآيـات العـظام، وأعْلمهم أن كفـرهم بالنبي ﷺ مع وضـوح أمره ومـا وقفوا عليـه من خبره في كتبهم ككفـر آبائِهِمْ، وَكـان في ذكـر هـذه الأقـاصيص دلالـةٌ على تثبيت نُبُّـوة النبي ﷺ لأن هـذه الأقاصيص ليست من علوم العرب، وإنما هي من علوم أهل الكتاب، فأنبأهم النبي ﷺ بمـا في كتبهم، وقد علمـوا أنه من العـرب الذين لم يقـرأوا كتبهم،

(١) في الأصل و «يقال».

(٢) ليست في ك.

(٣) إبراهيم ١٤ ـ ٢٢. وبعدها ﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾ وهما مما يقوله الشيطان.

(٤) وجـاء في سورة الأعـراف ﴿وواعدنـا موسى ثـلاثين ليلة﴾ ٧ ـ ٤٢. وفي سـورة طه ﴿وواعـدنـاكم جانب الطور الأيمن﴾٢ ـ ٨٠.

فعلموا أنه لَمْ يُعَلَّمْ هذِه الأقاصيص إلا من جهة الوحي، ففي هـذه الآيـات، إذكارهُم بالنعمة عليهم في أسلافهم، وتثبيت أمر الرسالة كما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسىٰ الكِتَابَ والفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿آتينا﴾ بمعنى أعطينا، و ﴿الكتاب﴾ مفعول به، ﴿والفرقان﴾ عطف عليه، وَيَجُوزُ أن يكون الفرقان الكتاب بعينه إلا أنه أُعيد ذكره، وعَنى به أنه يفرق بين الحق والباطل، وقد قال بعض النحويين وهو قطرب: المعنى: وآتينا محمداً الفرقان، ودليله قوله عزّ وجلّ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[1] يعني به القرآن. والقول الأول هو القول لأن الفرقان قد ذكر لموسى في غير هذا الموضع - قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَرُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وذِكْراً للمتَّقِينَ﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلّكم تَهْتَدُونَ﴾.

«لعل» إنما ذكرت هنا - واللَّه يعلم أيهتدون أم لا يهتدون - على ما يفعل العباد ويتخاطبون به، أي أن هذا يرجى به الهداية، فخوطبوا على رجائهم.

ومثله قوله: ﴿لعله يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3]: إنما المعنى اذهبا على رجائكما، واللَّه عزّ وجلّ عالم بما يكون وهو من ورائه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِه يَا قوم إِنَّكُمْ ظلمْتُم أَنْفُسَكُم باتّخاذِكُمُ العِجْل﴾.

والقراءَة يا قوم ِ بكسر الميم، وهو نداءٌ مضاف، والاختيار فيه حذف الياء، لأن الياءَ حرف واحد، والنداءُ باب حذف، وهي في آخر الاسم، كما

---

(١) الفرقان ٢٥ - ١.

(٢) الأنبياء ٢١ - ٤٨.

(٣) طه ٢٠ - ٤٤.

أن التنـوين في آخره، فحـذفت الياءُ، وبقيت الكسـرة تدل عليهـا، ويجوز في الكلام أربعة أوجه. فأما في القرآن فـالكسر وحـذف الياءِ لأنـه أَجْوَد الأَوْجُـهِ. وهو إجماع القراءِ، فالذي يجوز في الكلام أن تقول «يَا قَوْمِ إنكم» كما قرِيءَ في القرآن، ويجوز يا قومِي باثبات الياءِ و سكونها، ويجوز يـا قوْمِيَ بتحـريك الياءِ، فهذه ثلاثة أوجه في الإضافة، ويجوزُ يا قومُ بضمّ الميم على معنى يا أيها القوم.

ومعنى قوله ﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخاذِكُم العِجْلَ﴾.

يقـال لكل من فعـل فعلاً يعـود عليـه بمكـروه إنمـا أسـأت إلى نفسـك وظلمت نفسك، وأصل الظلم في اللغة وضع الشيءِ في غير موضعه، والعرب تقول: ومن أشبه أباه فما ظلم، معناه لم يقعْ لَهُ الشبه غيرَ مَوقعـهِ، ويقال ظلم الرجل سقاءَه من اللبن إذا شرب «منه» وسقي منه قبل إدراكه، وأرض مـظْلُومةُ إذا حُفِـرَ فيها ولم يكن حفـر فيها قبـل، أو جاءَ المـطر بقربهـا وتخطاهـا، قال النابغة(١):

ألَّا الأَواريُّ لأيـاً مَـا أُبـيِّـنُـهَـا والنُؤى كالحوض بـالمظلومـة الجَلَدِ

ومعنى قوله ﴿باتِّخاذُكُمُ العِجْلَ﴾ أي اتخذتمـوه إلهاً، ومعنى قـوله ﴿فتُوبوا إلى بَارِئكُمْ﴾ أي إلى خالقكم، يقال برأ اللّه الخلق، فالبـارئ الخالق، والبريَّة والخلق المخلوقـون، إلا أن البـريـة وقعت في أكثـر كـلامهم غيـر مهمـوزة.

---

(١) النابغة الذبياني. زياد بن معاوية. من قيس. أحد فحول الشعراء الجاهليين. إتصـل بالمنـاذرة كما اتصل بالغساسنة وله مع النعمان بن المنذر أقاصيص وكتب له اعتذارياته وهذه واحدة منها.

الأواري جمع الآرى. مربط الدابة. والنؤي ما يحفر حول الديـار ليجتمع فيـه ماء المطر. والأرض المظلومة الصلبة. وكذلك الجلد.

والبيت في ديوانه ص ٨٩ ـ وأنظر الأغاني ٩ ـ ١٦٢ وهي قصيدة طويلة أولها: يا دار ميـة بالعليـاء فالسند.

وأصلها ﴿أولئكَ هُمْ خيرُ البريَّةِ﴾[1] وأكثر القـراءةِ والكلاَمِ «البـريَّة» بغيـر همز، وقد قرأ قومٌ «البَرِيئَةُ»[2] بالهمـز، والاختيار مـا عليه الجمهـور، وروي عن أبي عمروٍ (بن العلاءِ)[3] أنـه قرأ إلى بـارِئْكَمَ بإسكـان الهمز، وهـذا رواه سيبويـه باختلاس الكسرة، وأحسب أن الروايـة الصحيحة مـا روى سيبويـه فإنـه أضبط لمَا رَوَى عن أبي عمرو، والإعْـراب أشبه بـالروايـة عن أبي عمرو لأن حـذف الكَسـرة في مثل هَـذا وحذف الضم إنمـا يـأتي بـاضـطرار مِنَ الشعـر، أنشـد سيبويه ـ وزعم أنه مما يجُوز في الشعر خاصة.

إذا اعْـوجَجْنَ قلت صـاحبْ قـوّمِ[4]

بإسكان الباءِ، وأنشد أيضاً:

فـاليـوم أشْـربْ غَيْـرَ مستحقب إثْـمـاً مـن الـلّـه ولا واغل[5]

فالكلام الصحيـح أن تقول «يا صاحبُ» أقبل، أو يا صاحب[6] أقبل ولا وجْهَ للإسكان، وكذلك «فاليوم أشربُ» يا هذا وروى غير سيبويه هذه الأبيـات على الاستقامة وما ينبغي أن يكونِ في الكلام والشعر، رووا هذا البيت على ضربين: رووا: فاليوم فَاشْرَبْ غير مستحقب.

---

(١) البينة ٩٨ ـ ٧.

(٢) فعيل بمعنى مفعول.

(٣) ليست في ك.

(٤) للعجاج اللسان (عوم) ـ الديوان ٦٤. كتاب سيبويه ٢ ـ ٣٢٥ يصف رحلة الإبل في الصحراء وبعده ـ بالدو أمثال السفين العوم.

(٥) لامرىء القيس من قصيدته:

قـولا لـدودان عـبـيـد الـعـصـا مـا غـرمكم بـالأسـد الـبـاسـل

وقبله: حـلـت لي الخـمـر وكـنـت امـرءا عـن شـربهـا في شـغـل شـاغـل

لأنه كان حرم على نفسه الشرب حتى يثأر لأبيه. والبيت في الخزانة ٣ ـ ٥٣٠: والخصائص ٢ ـ ٣١٧، ٣٤٠، وفي أمالي المرتضى ٢ ـ ١٠٦.

(٦) بحذف ياء المتكلم وكسر الباء.

ورووا أيضاً: فاليوم أسْقَى غيرَ مسْتَحْقب[1].

ورووا أيضاً: إذا اعوججن قلت صَاحِ قَوِم.

ولم يكن سيبويه ليروي (إن شاءَ اللَّه)[2] إلا ما سمع إلا أن الذي سمعه هؤلاء هو الثابت في اللغة، وقد ذكر سيبويه أن القياس غير الذي رَوَى، ولا ينبغي أن يُقْرَأَ إلا ﴿إلى بارِئِكُمْ﴾ بالكسر، وكذلك «عند بَارِئِكُمْ».

ومعنى﴿ فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ امتحنهم اللَّه عزّ وجلّ بأن جعل توبتهم أن يقتل بعضُهم بعضاً، فيقال إنهم صُفُّوا صَفَّيْنِ يقتل بَعضهم بعضاً، فمن قُتِل كان شهيداً، ومن لم يقتل فتائب مغفور له ما تقدم من ذنبه، ويقال إن السبعين الذين اختارهم موسى ﷺ لم يكونوا ممن عبد العجل، وإنهم هم الذين كانوا يقتلون[3]،والأول أشبه بالآية لأن قوله عزّ وجلّ ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ يدل على أنها توبَة عبدة العجل، وإنما امتحنهم اللَّه عزّ وجلّ بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وإذْ قُلْتُم يا موسى لَنْ نؤمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فأَخذتكم الصَّاعِقَةُ وأَنْتُم تَنْظُرونَ﴾.

معنى ﴿جهرة﴾ غير مُسْتتِرٍ عَنَّا بشيءٍ، يقال فلان يجاهر بالمعاصي أيْ لا يسْتَتِر من الناس منها بشيءٍ، وقوله: ﴿فأَخذتكم الصاعقة﴾ معنى الصاعقة ما يُصْعقون منه، أيْ يموتون، فأَخذتهم الصاعقة فماتوا.

الدليل على أنهم ماتوا قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكم لعلَّكمْ تشْكرون﴾.

---

(١) احتقب الشيء واستحقبه أدخره أي ليس على إثم مدخر في شربي. والواغل الداخل على القوم في شرابهم أو طعامهم.

(٢) ليست في ك.

(٣) يقتلون من عبد العجل.

وفي هذه الآية ذكر البعث بعد موت وقع في الدنيا. مثل قوله تعالى: ﴿فأماته اللّه مائة عام ثم بعثه﴾، ومثل قوله عزّ وجلّ:

﴿فقَالَ لَهُم اللّه مُوتوا ثمَّ أحْيَاهُمْ﴾[١] وذلك احتجاج على مشركي العرب الذين لمْ يكُونوا مُوقنين بالبعث، فأتى النبي ﷺ بالأخبار عمن بعث بعد الموت في الدنيَا مما توافقه عليه اليهود والنصارى، وأرباب الكتب فاحتج عليهم ﷺ بحجة اللّه التي يوافقه عليها جميع من خالفه من أهلِ الكتب.

وقوله﴿لعَلَّكُمْ تشْكُرُون﴾ أي في أنْ بَعَثَكم بعد الموت، وأعلمكم أن قدرته عليكم هذه القدرة، وأن الإقالة بعد الموت لا شيءَ بَعدها[٢]، وهي كالمُضْطَرةِ إلى عبادة اللّه[٣].

وقوله: ﴿وَظَلَّلْنا عَليْكُمُ الغمَامَ﴾.

سخر اللّه لهم السحاب يظللهم حين خرجوا إلى الأرض المقدسة، وأنزل عليهم المَنّ والسَّلوى. و جملة المَنِّ ما يمن اللّه به مما لا تعب فيه ولا نَصَبَ وأهل التفسير يقولون إنَّ المن شيءٌ يسقط على الشجر حلو يشرب، ويقال أنه «التَّرَنْجِين»[٤]، ، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: الكمأة من[٥] المَنّ وماؤها شفاءٌ للعين، ومعنى المن على ما وَصفنا[٦] في اللغة ما يمن اللّه به من غير تعب ولا نصب، والسلوى طائر كالسُّمَاني، وذكر أنه كان يأتيهم من هذين ما فيه كفايتُهم.

---

(١) البقرة ٢ الآية ٢٥٩، ٢٤٣.

(٢) هذا العفو والإعادة إلى الحياة لا شيء يعدله.

(٣) المضطرة اسم فاعل بمعنى مجبرة وحاملة لهم على العبادة.

(٤) مادة لزجة حلوة تشبه العسل تسقط على الأحجار والشجر مائعة ثم تجمد فيجمعها الناس.

(٥) الكمأة اسم جنس جمعي واحدة كمء بغير تاء. وهو نبات صَحْراوي.

(٦) ك ما ذكرنا.

وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

قالوا إن معناه من هذه الطيبات، وقالوا أيضاً مما هو حلال لكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ قُلْنا ادْخُلُوا هذه القرْيَةَ فكُلُوا منها حَيْثُ شئْتُم رَغداً﴾.

الرغد: الواسع الذي لا يُعَنِّي.

وقوله: ﴿وادْخُلوا البَابَ سُجَّداً﴾ أُمِرُوا بأن يدخلوا سَاجِدين.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: معناه وقولوا مسألتنا حطة، أي حط ذنوبنا عنا، وكذلك القراءة(١)، ولو قرىء حطةً كان وجهها في العربية كأنهم قيل لهم، قولوا احْطُطْ عَنّا ذنوبنا حطة. فحرفوا هذا القول وقالوا لفظة غير هذه اللفظة التي أُمروا بها، وجملة ما قالوا أنّه أمْرٌ عظيم سماهم اللّه به فاسقين.

وقوله: ﴿نغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزم جواب الأمر، المعنى أن تقولوا ما أُمرتم به نغْفرْ لكم خطاياكم، وقرأ بعضهم «نغْفرْ لكم خطِيئَاتِكمْ» والقراءة الأولى أكثر، فمن قال خطيئاتكمْ، فهو جمع خَطِيئة بالألف والتاءِ، نحو سفينة وسفينات، وصحيفة وصحيفات، والقرَاءَة كما وصفنا﴿ نَغْفرْ لكم خطايَاكم﴾، والأصل في خطايا ـ خطائِئ فتجمع همزتان تقلب الثانية ياءً فتصير خطائي، فاعِلٍ ـ مثل «حظاعي»(٢) ثم يجب أن تقلب الياءُ والكسرة إلى الفتحة والألف ـ فتصير خطاءاً، مثل حظاعاً، فيجب بأن تبدل الهمزة ياءً، لوقوعها بين ألفين، لأن الهمزة مجانسة للألفات فاجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد، وهذا الذي ذكرناه مذهب سيبويه ولسيبويه مذهب آخر أصله للخليل، وهو أنه زعم أن

---

(١) أي بالرفع.

(٢) مجرد كلمة للتمثيل لما آخره همزة قبلها حرف صحيح ـ وليس للكلمة معنى.

خطايا أصلها فعائل، فقلبت إلى فَعَالَى فكان الأصل عنده خطائى مثل خطائع ـ فاعلم ـ ثم قدمت(١) الهمزة فصارت خطائي مثل خطاعي، ثم قلبت بعد ذلك على المذهب الأول ـ وهذا المذهب ينقص في الإعلال مرتبة واحدة، واللفظ يَؤول في اللفظين خطايا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذينَ ظَلَمُوا رِجْزاً من السَّمَاءِ﴾ الرِّجْز العذاب وكذلك الرِّجْس ـ قال الشاعر(٢).

كَمْ رامنا من ذي عَديدٍ مُبْزى حتى وقَمْنا كيده بالرجْز

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَا كَانُوا يَفسُقُونَ﴾.

أي تبْديلهم ما أُمروا به من أن يقولوا حطة. ويُقال فَسَقَ يفْسُق ويفسِقُ. ويفسُقُ على اللغتين(٣) وعليها القراء، ومعنى الفَسْق الخروج عن القصد والحق وكل ما خرج عن شيء فقد فسق إلاَّ أنَّهُ خص من خرج عن أمر اللَّه بأن قيل فاسق، ولم يحتج إلى أن يقال فسق عن كذا، كما أنه يقال لكل من صَدَّق بشيء هو مؤمن بكذا ويقال للمصدق بأمر اللَّه مؤمن فيكفي، والعَرب تقول فسَقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾.

موضع ﴿إذْ﴾ نصْبٌ على ما تقدمه، كأنه قيل واذكر إذ استسقى موسى لقومه إلا أن ﴿إذْ﴾ لا يظهر فيها الإعراب لأنها لا تتم إلا بأن توصل، وجَميع ما

---

(١) كذا بجميع الأصول ـ وصحته فتحت الهمزة.

(٢) لرؤبة ديوانه ٦٤، والمبزي المتفاخر ـ من تبازى تظاهر بما ليس عنده، ومبز مذل مخز ـ كقوله
كذبتم ورب البيت يبزي محمد.
أي لا يخزي ولا يذل، والوقم ـ كبح الدابة. أي رددنا كيده. ووقفناه كما تصد الدابة الجامحة.

(٣) الضم والفتح. أي إن يفسق مضموم العين سواء ماضيه مفتوحها أو مضمومها.

لا يتم من هذه المهمة إلا بصلة لا يعرب لأنه بعض اسم ولا يعـرب إلا الاسم التام، ولكن إذْ كُسِرَت لالتقاءِ الساكنين. ومعنى استسقى، استـدعى أن يُسْقى قوْمُه، وكذلك استَنْصَرت استَدعَيْتُ النَّصْرة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فانْفَجَرَت مِنْـهُ اثْنَتا عَشْـرةَ عَيْناً﴾.

أكثر القراءَ ﴿اثنتاعشْرَة﴾ بإسكان الشين، ولغة أُخرى «اثنتا عَشِرة» عينـا - بكسـر الشين - وقد قـرأ بعض القراءِ عَشِـرَةَ - على هذه اللغـة، وكلاهمـا جيد بالغ - و﴿عيناً﴾ - نصب على التمييز، وجمع ما نصب على التمييز في العدد على معنى دخـول التنوين، وإن لم يـذكر في عشـرة، لأن التنوين حـذف هَهُنا مـع الإعراب[1] ومعنى قول الناس عندي عشرون درهماً معنـاه عندي عشـرونَ من الـدراهم، فحُـذف[2] لفظ الجمـع - و «مِنْ» هـذه التي خَلَصَ بهـا جِنسٌ من جِنس وعبـر الواحـد عن معنى الجمع، فهـذا جملة ما انتصب من العـدد على التمييز.

وفي التفسيـر أنهم فجَّرَ اللَّه لهم من حَجَـرٍ اثنتيْ عَشْرَةَ عينـاً لاثْنَي عَشَرَ فريقاً، لكل فريق عين يشربون منها، تتفجر إذا نزلوا فـإذا ارتحلوا غارت العين وحَمَلوا الحجر غير متفجر منه ماءً.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿قَدْ عَلِمَ كلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهم﴾.

كـان يتفجر لهم المـاءُ من اثْنَيْ عشر مـوضعـاً لا يختلف في كـل منـزل فيعلم كل أُناس مشربهم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا في الأرض مُفسِدِينَ﴾.

---

(١) عشرة في موضع الإضافة - لكنها مبنية على الفتح للتركيب.

(٢) في الأصل «فحذفت» أي الناس.

يقال عثا يعثا عَثْواً وعُثُوّا. والعَثْوُ أشد الفساد[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾.

يخرج مجزوم وفيه غير قول:

قال بعض النحويين المعنى سله وقل له أخرج لنا يخرج لنا (هو)[2] وقال في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3] قالوا[4]: المعنى قل لهم قولوا التي هي أحسن أنْ يقولوا. وقال قوم: معنى ﴿يخرج لنا﴾ معنى الدعاء كأنه قال: أخرج لنا، وكذلك ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾[5] «المعنى قل لعبادي أقيموا»، ولكنه صار قبله «أُدْعُ» و «قل»[6] فجعل بمَنزلة جواب الأمر.

وكلا القولين مذهب، وَلكنه على الجواب أجود لأن ما في القرآن من لفظ الأمر [الذي] ليس معه جَازم - مَرفوع قال الله - عزّ وجلّ -﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾. ثم جَاءَ بعد تمام الآية ﴿يَغفِرْ لكُم﴾ المعنى آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يَغفِرْ لكُم[7].

---

(١) يقال عثا عَثْواً، وعَثى عثواً. والفعل فيهما واوي اللام، ويأتي الفعل يائياً فيقال: عثى يَعثَى عَثْياً وعِثياً وعثياناً. ونادراً يقال عثا يعثى - بفتح العين فيهما - ووجه ندرته أو شذوذه أنه ليست عينه ولا لامه حرفاً حلقياً. والآية من عثى يعثي عثواً. بوزن فهم. وهي اللغة الأجود في هذه المادة. أما عثا يعثو الواوي فيقال في إسناده لواو الجماعة: لا تعثوا. بضم ما قبل الواو، والفعل معناه أشد الإفساد.

(٢) ط فقط.

(٣) الإسراء ١٧/٥٣.

(٤) أعاد الضمير على بعض النحويين مرة مفرداً ومرة جمعاً.

(٥) إبراهيم ١٤/٣.

(٦) سبقه «ادع» في الآية التي معنا. وقُلْ في الآيتين الأخريين.

(٧) لكي نوضح هذه المسألة بعض التوضيح نذكر أنه من المقرر نحوياً أنه إذا وقع المضارع بعد طلب وليس به فاء، جزم الفعل، وذكر النحويون لهذا الجزم عللا مختلفة، وفي الآية التي معنا وأمثالها =

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ بَقْلِها وقِثائِها وفُومِهَا﴾.

في القِثَّاء لغتان، يقال القُثَّاءُ والقِثَّـاءُ (يا هـذا)[1] و (قد)[2] قـرأ بعضهم قُثائِها بالضم، والأَجود الأَكثر وقِثَّائها بالكسر، وفومهـا: الفوم الحنـطة، ويقال الحُبـوب وقال بعض النحـويين إنه يجـوز عنده الفُـومُ ههنا الثُّـوم، وهذا مـا لا يعرف أَن الفوم الثوم، وههنا ما يقطع هذا[3]. محالٌ أَن يطلب القوم طعـاماً لا بُرَّ فيه، والبُرّ أَصل الغـذاءِ كله، ويقال فـوّمُوا لنـا، أَي اخْبِزُوا لنـا. ولا خلاف عند أَهل اللغة أَن الفُوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تخبز يلحقها اسم الفوم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُون الَّذِي هُوَ أَدْنَى بالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

يعني أَن المن والسلوى أَرفع من الذي طلبتم، و﴿أدنى﴾ القراءَة فيه بغير الهمز[4] وقد قرأ بعضهم «أَدْنأ» بالذي هو خير، وكلاهما لـه وجه في اللغـة إلا أَن ترك الهمزة أَولى بالاتباع. أَما ﴿أَدْنى﴾ غير مهمـوز، فمعناه الـذي هو أَقـرب

كالآيتين اللتين أوردهما المؤلف اختلفت تقديراتهم، لأن المضارع المجزوم في هذه الآيات لا يترتب على الأمر السابق عليه، مع أن شرط الجزم أن يقصد بالمضارع أنـه جواب للطلب السـابق، ففي هذه الآية لا يترتب على الدعاء إخراج الأرض، وفي الآيتين الأخريين لا يترتب على القـول إقامـة الصلاة ولا قول التي هي أحسن، ولا يصح أي منها مقولاً للقول. فمن النحـويين من قـدر فعلاً محذوفاً فجعـل التقديـر: قل لهم. أقيمـوا الصلاة يقيمـوا، وفي آيتنا: ﴿أدع لنا ربك﴾ قائلاً أخـرج يخرج، ومنهم من قدر لام أمـر محذوفـة، فيكون التقـدير، أدع ربـك فليخرج وقـل لهم فليقيموا الصلاة، وليقولوا التي هي أحسن، فيكون مقول القول محكياً بالمعنى.

وقد أورد المصنف رأيين، ورجح جزم الفعل في جواب الطلب، لأن المضارع إذا كـان مقصوداً بـه الطلب وليس به لام لا يجزم وهذا حق إذا جرينا على أن الفعل المذكور هو الدال على الطلب أمـا إذا جرينا على أن الفعل الدال على الطلب محذوف فهذا المذكور جوابه.

(١) ليست في ك.

(٢) ليست في ك.

(٣) ما يبطل هذا القول.

(٤) همز آخره «أدنأ».

وأقل قيمة، كما تقول، هذا ثوب مقارب، فأما الخَسيس فاللغة فيه (أنه مهموز، يقال)[1] دنُوءَ، دَناءَةً، وهو دَنِيءٌ بالهمزة، ويقال هذا أدْنأُ منه (بالهمزة)[2].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً﴾ الأكثر في القراءة إثبات الألف[3]. وقد قرأ بعضهم «اهبطوا مصرَ فإنَّ لكُمْ» بغير ألف، فمن قرأ مصراً بالألف فله وجهان: جَائِزٌ أنْ يراد بها مصراً من الأمصار لأنهم كانوا في تيه، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها، فجعل مصراً اسماً للبلد. فصرف لأنه مذكر سمي مذكراً[4] وجائز[5] أن يكون مصر بغير ألف على أنه يريد مصراً بعينها كما قال عزّ وجَلَّ:

﴿ادخُلوا مِصْرَ إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[6] وإنما لم يصرف لأنه للمدينة فهو مذكر سمي به مؤنث[7].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِلَّةُ والمسْكنةُ﴾.

﴿الذلة﴾: الصغار، ﴿والمسكنة﴾: الخضوع، واشتقاقه: من السكون، إنما يقال مِسْكين للذي أسكنه الفقر، أي قلَّلَ حركته.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وضُرِبتْ عليهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكنةُ﴾ ﴿وباءوا بغضب من الله﴾

---

(١) ط دنى ودناءة.

(٢) ليست في ك.

(٣) أي تنوين كلمة مصر.

(٤) ك «سمي به مذكر» والمراد أنه اسم لبلد مذكر وعلى أنه اسم لمدينة يجوز صرفه أيضاً، لأنه ثلاثي ساكن الوسط.

(٥) ك ومن قرأ بغير ألف فإنما يريد مصراً بعينها.

(٦) يوسف ٩٩/٣١.

(٧) أي أن كلمة مصر اسم لأي مصر من الأمصار وأطلقت على مدينة بعينها.

يقال بؤْت بكذا وكذا أي احتملتهْ[1].

وقوله جلّ وعزَّ: ﴿ذلك بأَنَّهُمْ كانُوا يكفُروَن بآيَاتِ اللَّهِ﴾.

(معنى)[2] ذلك واللَّهُ أَعلم الغضب حل بهم بكفرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيقْتُلون النَّبيّين بغيْر الْحَقِّ﴾.

القراءَة المجمع عليها في النبيين والأَنبياءِ والبرِيَّة طرح الهمزة، وجماعة من أَهل المدينة يهمزون جَمِيعَ ما في القرآن من هذا [فيقرأُون] «النبيئين بغير حق والانبياء».

واشتقاقه من نبَّأَ وأَنْبَأَ أي أَخبر.

والأَجود ترك الهمْزة، لأَن الاستعمَال يُوجبُ أَنَّ ما كان مهموزاً من فعيل فجمعه فُعَلاء، مثل ظريف وظرفاء[3] ونبيءٍ ونُبَآءَ. فإذا كان من ذوات الياءِ فجمعه أَفْعلاءِ، نحو غني وأَغنياء، ونبي وأَنْبياء[4].

وقد جاءَ أَفْعِلاء في الصحيح، وَهُو قليل، قالوا خميس وأَخْمِسَاء وأَخمس، ونصِيبٌ وأَنْصِبَاءَ، فيجوز أن يكون نبي (مِن) أَنْبأْتُ مما ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أَنْ يكون (من) نبَأَ ينْبُوءُ إذا ارْتفع، فيكون فعيلاً من الرفعة[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَ الذين آمنوا والذين هادُوا والنَّصارَى والصَّابئينَ مَنْ

---

(١) يقال: باء بذنبه بوءا وبواء احتمله أو اعترف به، وباء بدمه أقر وباء دمه بدمه عدله والأصل باء بمعنى رجع، فتفسيره هنا بالاحتمال ليس عاماً.

(٢) ليست في ك.

(٣) أي يجمع على هذا الوزن، وظريف لا همز فيه وإنما هو وزن يقاس عليه ـ ومنه جريء، ووضيء وبريء.

(٤) وهو مطرد في الصحيح المضعف نحو شديد وأشداء وعزيز ولبيب وكفيف.

(٥) على الأول هو بمعنى مفعول وعلى الثاني بمعنى فاعل أي ذو رفعة.

آمن باللَّه واليومِ الآخر وعمِلَ صَالِحاً فلهُم أَجْرُهُمْ﴾.

لا يجوز أَن يكون لأَحد منهم إيمان إلا مع إيمانه بالنبي ﷺ ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿الذين كفروا وصَدّوا عن سبيل اللّهِ أَضلَّ أَعمالَهُم. والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل عَلَى محمد، وهو الحقُّ مِن ربّهم[كَفَّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم]﴾[1]. فتأْويله[2] من آمن باللَّه واليوم الآخر وآمن بالنبي ﷺ فلهم أَجرُهم. وجاز أَن يقال فلهم لأَن مَنْ لَفْظُها لفظُ الوَاحِدِ وتقع على الواحد والاثنين والجمْع والتأْنيث والتذكير، فيحمل الكلام على لفظها فيُوحّد ويذكر، ويحمَل على معناها فيُثنَّى ويجْمَعُ ويؤنث.

قال الشاعر[3]:

تعال فإن عَاهَدْتني لا تخونُني ... نكنْ مثل من - يا ذِئْبُ - يصْطحِبَان

وهادوا أَصلِه في اللغة تابوا، وكذلك قوله عزّ وَجَلَّ: ﴿أَنَّا هُدْنا إليك﴾[4] أي «تُبْنا إلَيْك». وواحد النصارى قيل فيه قولان: قالوا يجوز أَن يكون واحدُهمْ نصْران (كما ترى)[5] فيكون نصران ونصارى على وزنِ ندْمَان وندامى -

قال الشاعر:

---

(١) القتال ٤٧/١، ٢.

(٢) تأويل الآية التي معنا هنا.

(٣) الفرزدق أبو فراس همام بن غالب رأس الشعراء الأمويين توفي سنة ١١٠ هـ.
ورواية البيت في الديوان ٨٧٠ وفي المقاصد ١ - ٤٦ تعش وكذا في أمالي ابن الشجري ٢ - ٣١١: وفي المغني ٦٤١، والبيت شائع متداول في كتب النحو - من قصيدة وصف فيها ذئباً جاء إلى ناره ليلا فقدم له الفرزدق قطعة من شاة، ومنع أصحابه من طرده.

(٤) الأعراف ١٥٦/٧. وتفسير هادوا - بالتوبة إنما هو تفسير المعنى اللازم. إذا المعنى اللغوي لهاد هو رجع - وهدنا إليك: رجعنا إليك بالتوبة.

(٥) ليست بالأصل.

فكِلْتاهُمَا خرّت وأسْجَد رَأْسُها كما سجَدت نصْرانةٌ لمْ تَحنَّفِ[1]

فنصرانةٌ تأنيث نصرانٍ، ويجوز أن يكون النصارى واحدهم نصْرى مثل بعير مَهْرِي، وإبل مَهارى. ومعنى ﴿الصابئين﴾ الخارجين من دِين إلى دين، يقال صبا فلان إذا خرج من دينه ـ يصبأ ـ يا هذا ـ ويقال صبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ نابه إذا خرج.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا خوْفٌ عَلَيْهِمَ ولا هُمْ يَحْزَنُون﴾.

القراءَة الجيدة الرفع، وكذلك إذا كررت «لا» في الكلام قلت لا رجلٌ عندي ولا زيْدٌ، و﴿لا فِيها غولٌ ولا هم عَنْها يُنزفُون﴾[2] وإن قرئ فلا خوفَ عليهم فهو جيد بالغ الجودة وقد قرئ به.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكمْ ورفَعْنَا فَوْقَكم الطُّورَ﴾.

المعنى واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم، والطور ههنا الجبل ومعنى أخذنا ميثاقكم: يجوز أن يكون ما أخذه اللَّه عزّ وجَلّ حين أخرج الناس كالذر، ودليل هذا قوله: ﴿وإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأنَّه ظُلَّةٌ﴾[3] ثم قال من بعد تمامْ الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ فهذه الآية كالآية التي في البقرة. وهو أحسن المذاهب فيها، وقد قيل أن أخذ الميثاق هو ما أخذ اللَّه من الميثاق على الرسل ومن اتبعهم، ودليله قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذ أَخَذَ اللَّهُ ميثَاقَ النَّبِيِّين لَمَا آتَيْتُكُم من كتابٍ وحِكْمَةٍ ثم جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لَمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرُنَّه﴾[4] فالأخذ على النبيين ـ صلى الله عليهم وسلم ـ الميثاق يدخل

---

(١) هو أبو الأحرز الحماني ـ يصف ناقتين مجهودتين من السير حتى كلتا وانحنى رأساهما اعياء.
اللسان (حنف) سيبويه ٢/٢٧، ١٠٢ باريس.
(٢) الصافات ٢٣ ـ ٤٧.
(٣) الأعراف ٧ ـ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٤) آل عمران ٣ ـ ٨١.

فيه من أتبعهم، ﴿وَرَفَعْنَا فوقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي جئناكم بآية عظيمة، وهي أن الطور ـ وهو الجَبَلُ. رُفِع فوقهم حتى أظلهم وظَنُّوا أنه واقع بهم، فأخبر اللَّه بعظَمِ الآية التي أروها بعد أخذ الميثاق. وأخبر بالشيءِ الذي لو عذبهم بعده لكان عدلاً[1] في ذلك، ولكنه جعل لهم التوبة بعد ذلك وقال ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ من بعد ذلك أي من بعد الآيات العظام. ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾.

أي لولا أنْ مَنَّ اللَّه عليكم بالتوبة بعد أن كفرتم مع عظيم هذه الآيات ﴿لكنتم من الخاسرين﴾.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بقُوَّةٍ﴾.

موضع ما نصب،و ﴿ ما آتيناكم ﴾هو الكتاب الذيهو التوراة ومعنى خذوه بقوة، أي خذوه بجد واتركوا الريب والشك لَما بان لكم من عظيم الآيات.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿واذْكروا ما فِيه﴾معناه ادْرُسُوا ما فيه وجاز في اللغة أن تقول خذ وخذا، وأصله أوْ خُذْ وكذلك «كل» أصله أوكل، ولكن خُذْ وكُلْ اجتمع فيهما كثرة الاستعمال والتقاءِ همزتين وضمة، فحذفت فاءُ الفعل وهي الهمزة التي كانت في أخذ وآكل فحذفت لِما وصفنا من كثرة الاستعمال واجتماع ما يستقلون.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُم الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنْكم فِي السَّبْتِ﴾.

معنى ﴿علمتم﴾ هنا عرفتم، ومثله قوله عزّ وجَلَّ ﴿لا تَعْلَمُونهم اللَّه يعلمهم﴾[2] ومعناه لا تعرفونهم اللَّه يعرفهم، ومعنى﴿اعتدوا﴾ ظلموا وجاوزوا ما حُدَّ لَهُم، كانوا أُمِرُوا ألا يصيدوا في السبت، وكانت الحِيتَانُ تَجْتَمِع لأَمنها في

(١) أخبرهم بإعراضهم بعد هذه الآيات ـ ومع ذلك تفضل عليهم فلم يعاقبهم، ولو أنه أنزل عليهم عذاباً لكان ذلك جزاء عادلاً.

(٢) الأنفال ٨ ـ ٦٠.

السبت، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد، فعدوا في السبت لأن صيدهم[1] منعها من التصرف، فجعل اللَّه جزاءَهم في الدنيا ـ بعدما أراهم من الآيات العظام بأن جعلهم قردة خاسئين، معنى خاسئين مُبْعدِين يقال ـ خَسَأْتُ الكلب أخسؤه خَسْئاً أي بَاعدته وطردْته، وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكالاً لِمَا بَيْن يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾.

«ها» هذه تعود على الأُمة التي مسخت ويجوز أن يكون للفَعْلَةِ[2] ومعنى ﴿لما بين يديها﴾ يحتمل شيئين من التفسير: يحتمل أن يكون ﴿لما بين يديها﴾ لما أسلفت من ذنوبها، ويحتمل أن يكون ﴿لما بين يديها﴾ للأُمم التي تراها[3] ﴿وما خلفها﴾ مَا يكون بعدها، ومعنى قولك نَكَّلْت به، إي جعلت غيره يَنْكُل أن يفْعل مثل فعله، فيناله مثل الذي ناله.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَمَوْعِظَةً للمُتّقِينَ﴾ أي يتعظ[4] [بها] أهل التقوى فيلزمون ما هم عليه.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ المعنى واذكروا إذ قال موسى لقومه، أُمروا بذبح بقرة يضرب ببعضها قتيل تشاجروا فِيمَنْ قَتَله، فلم يعلم قاتله، فأَمر اللَّه عزّ وجَلَّ بِضَرْب المقتول بعضو من أعضاءِ البقرة، وزعموا في التفسير أنهم أُمروا أن يضربوه بالفخذ اليمنى، أو الذنب، وأَحب اللَّه تعالَى أن يُرِيَهمْ كيف إحياء الموتى، وفي هذه الآية، احتجاج على مشركي العرب لأنهم لم يكونوا مؤمنين بالبعث، فأعلمهم النبي ﷺ هذا الخبر الذي لا يجوز أَنْ يَعْلمه إلا مَنْ قَرأَ الكُتُبَ أو أُوحى إليه، وقد علم المشركون

(١) في ك صيدها. المعنى أن حبسهم الحيتان صيد لأنهم منعوها من الهرب.

(٢) المسخة التي أصابتهم.

(٣) المعاصرة لهم في هذا الوقت.

(٤) في ك يتعظها أي يتعظ بها.

أَنَّ النبي ﷺ أُمِّيٌّ وأن أهل الكتاب يعلمون[1] ـ وهم يخالفونه ـ أن ما أخبر به من هذه الأقاصيص حق.

﴿قالوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾، فانتفى موسى من الهِزؤ[2]، لأن الهازىء جاهل لاعب فقال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ فلما وضح لهم أنه من عند الله﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ وإنما سألوا ما هي لأنهم لا يعلمون أن بقرةً يحيا بضرب بعضها ميِّت.

﴿قَالَ إِنَّه يَقول إِنَّها بقرةٌ لاَ فَارِضٌ ولاَ بِكْرٌ﴾.

ارتفع ﴿فارض﴾ بإضمار هي[3] ومعنى ﴿لا فارض﴾: لا كبيرة، ﴿ولا بكر﴾[لا صَغِيرة]. أي ليست بكبيرة ولا صغيرة، ﴿عَوَانٌ﴾ والعَوَانُ دون المُسِنَّة وفوق الصغيرة، ويقال من الفارض فرضت تَفْرِض فُروضاً ومن العوان قد عوَّنَتْ تُعَوِّن، ويقال حرب عوَان، إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانية، قال زهير:

إذا لقِحَتْ حرب عَوانٌ مُضِرَّة ضروس تهز الناسَ، أنيابُها صُعْل[4]

ومعنى ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين البِكْر والفَارِض، وبين الصغيرة والكبيرة وإنما جَازَ بين ذلك، و «بين» لا يكون إلا مع إثنين أو أكثر لأن ذلك ينوب عن الجُمَل، فتقول ظننت زيداً قائماً، فيقُولُ القائل «ظننت ذلك»[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا مَا لَوْنُها﴾.

---

(١) في ط، ب يعلنون ذلك. وآثرنا رواية ك. لأن المفعول مذكور ولاستقامة المعنى.

(٢) تبرأ منه واستعاذ بالله.

(٣) فارض خبر لا والاسم محذوف. و «لا» ليست عاملة.

(٤) ديوانه ١١٢، لقحت الناقة حملت. ولقحت الحرب شبت ـ والحرب العوان التي تتكرر، وتنشب بعد أن كانت هدأت. والضروس العنيفة التي تطحن المتحاربين وتنهكهم والأنياب الصعل الطويلة. وصف الحرب بالطول والعنف، وأنها رهيبة مخيفة.

(٥) ك قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك.

موضع﴿ما﴾ رفع [بالابتداءِ] لأن تـأْويله الإستفهام كَقَـولِك: أدع لنـا ربك يبين لنـا أيَّ شيءٍ لونُهـا ومثله ﴿فلينظر أيُّهـا أزْكَى طعَامـاً﴾[1]. ولا يجـوز في القراءَة ﴿أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾، على أن يجعل ﴿ما﴾ لغواً[2] ولا يقرأ القرآن إلا كَمَا قرأَتِ القُرَّاءُ المجمَعُ عَلَيْهِمْ في الأَخذ عنهم[3].

﴿قَالَ إنَّه يَقُول إنَّهَا﴾: ما بعد القول من باب إنَّ مكسور أبداً، كأَنك تذكر القول في صدر كلامك، وإنمـا وقعت قلت في كلام العـرب أن يحكى بها مـا كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدي مع ذكرهـا ذلك اللفظ، تقـول: قلت زيدٌ منطلق. كأَنك قلت: زيـد منطلق، وكـذلك إن زيـداً منطلق، لا إختـلاف بين النحـــويين في ذلك، إلا أن قـوماً من العـرب، وهم بَنُـو سُلَيم يجعلون باب قلت أَجمع كباب ظننت، فيقولون: قلت زيداً منطلقاً، فهذه اللغـة[4] لا[5] يجـوز أن يُوجَـد شيءٌ مِنْهَا في كتـاب اللَّه عزّ وجـلّ، ولا يجوز قـال أنه يقـول إنها[6]، لا يجوز إلا الكسر.

وأَمـا قولـه عزّوجلّ: ﴿صَفْراءُ فَـاقعٌ لَونُهَا﴾ فـاقع نعت لـلأَصفر الشـديد الصفرة، يقال أَصفر فاقع[7] وأَبيض ناصع وأَحمر قانٍ، قال الشاعر:[8]

يَسْقِي بهـا ذُو تـومتين كـأَنمـا ... قـنـأَتْ أَنـامِله مـن الفـرصـاد

---

(١) الكهف ١٩ ـ ١٩. (٢) فينصب لونها.

(٣) ك المجمع على الأخذ عنهم.

(٤) ك وهذه.

(٥) ك لا يوجد، ط لا يوجد منها في كتاب اللَّه.

(٦) ط لا يجوز أنها بفتح أن.

(٧) في جميع النسخ أصفر ناصع.

(٨) الأسود بن يعفر ـ اللسان «قنأ» وقنأ اشتدت حمرته، والتومة اللؤلؤة أو الدرة. والفرصاد صبغ أحمر وفي اللسان ـ توم ـ البيت للأشعث بن سهم وهو في شواهد المغني ص ١٣٨ منسوباً للأسود. أنظر أخبار الأسود في الأغاني ١١ ـ ١٢٩ والخزانة ١ ـ ١٩٠ ـ ويروى يسعَى.

أي احمرت حمرة شديدة، ويقال أحمر قاتم وأبيض يقَقٌ، وَلَهِقَ ولهاق، وأسود حالك، وحَلُوك وحلوكِيّ ودَجُوجي، فهذه كلها صفات مبالغة في الألوان، وقد قالوا إن صَفْراءَ ههنا سوداءَ.

ومعنى ﴿تَسُرّ النّاظِرينَ﴾أي تعجب الناظرين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرضَ ولا تَسْقِي الحَرْثَ﴾.

معناه ليست بذلول ولا مثيرة، وقوله: ﴿ولا تسقي الحرث﴾يقال: سقيته إذا ناولته فشرب، وأسقيته جعلت له سقياً، فيَصِحُّ ههنا ولا تُسْقِي بالضّم.

وقوله: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾.

أي ليس فيها لون يفارق لونها، والوَشيُ في اللغة خلطُ لون بلون وكذلك في الكلام، يقال وشيْت الثوب أَشِيه شِيَةً ووَشْياً، كَقَوْلك وَديْت فلاناً أَدِيه دِيَةً، ونصب ﴿لاشية﴾ فيه على النّفْي، ولو قرئَ لَاشيةٌ فيها لجاز، ولكن القراءَة بالنصب.

وقوله: ﴿الآنَ جِئْتَ بالحَقّ﴾.

فيه أَربعة أَوْجُهٍ حكى بعضَها الأَخفشُ: فأَجودها «قالوا الآن» بإسكان اللام وحذف الواو من اللفظ، وزعم الأَخفش أنه يجوز قطع أَلف الوصل ههنا فيقول:

قالوا: ﴿أَلآنَ جئتَ بالحق﴾ وهذه رواية، وليس له وجه في القياس[1] ولا هي عندي جائز، ولكن فيها وجهان غير هذين الوجهين: وهما جيدان في العربية، يجوز «قالوا لآن» على إلقاءِ الهمزة[2]، وفتح اللام من الآن، وترك

(١) ك: وليس له في القياس وجه: أي ليس للأخفش وجه يقيس عليه.

(٢) في هذا الوجه تحذف همزة الوصل فتحذف الواو ولالتقائها ساكنة مع اللام وتخفف اللام بالفتح ولكن لا ترد الواو.

الواو محذوفة لالتقاءِ السّاكنين، ولا يعتد بفتحة اللام. ويجوز: «قَالـوا لان جِيتَ بالحق»(١) ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا يَقْرَأَنَّ بحرف لم يقرأ بـه وإن كان ثَابِتاً في العربية.

والذين أظهروا الواو أظهروها لحركة اللام لأنهم كانوا حذفوها لسُكونها، فلما تحركت ردوها. والأجود في العربية حَـذْفُها لأن قرأ ﴿ب تقول «الأحمـر» ويلقون الهمزة فيقولون « لَحْمر» فيفتحون اللام ويقرأون ألف الوصل لأن الـلام في نية السكون، وبعضهم يقولُ ـ «لَحْمَر» ولا يُقِرُّ ألفَ الوصل يريد الأحمر.

فأما نصب ﴿الآن﴾ فهي حركة لالتقاءِ الساكنين(٢)، ألا تـرى إنك تقـول: أنا الآن أكرمـك، ومن الآن فعلت كذا وكـذا، وإنما كـان في الأصل مبنيـاً(٣) وحـرك لالتقاءِ السـاكنين، وبنى [الآن] وفيه الألف والـلام، لأن الألف والـلام دخلتـا بعهـد غيـر متقـدم. إنمـا تقـول الغُـلامَ فعـل كـذا [إذا] عهـدتــه أنت ومخاطبتك، وهـذه الألف واللام تنـوبان عن معنى الإشـارة، المعنى أنت إلى هذا الوقت تفعل، فلم يعرب الآن كما لا يعرب هذا(٤).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمَ نَفْساً فادَّارَأْتُم فِيهَا﴾.

معنـاه(٥) فَتَـدارَأْتُمْ فيهـا، أي تـدافعتم، أي ألقى بعضكم على بَعْض، يقال درأتُ فلاناً إذا دَافعتُـه، ودَاريْتُه إذا لاينتـه، ودَرَّيْته إذا خَتَلتـه، ولكن التاءَ أُدغمت في الدال لأنهما من مخرج واحد، فَلمّـا أُدغمت سكنت فاجتلبت لهـا أَلف الوصل، فتقول: اداراً القوم أي تَدَافَع القَوْم.

---

(١) في هذا الوجه تبقى الواو ولا تحذف.

(٢) يقصد حركة اللام من الآن.

(٣) أي ساكناً.

(٤) هذا رأي له ولبعض النحويين وجمهورهم أن ﴿الآن﴾ ظرف معرب ناقص التصرف.

(٥) ك معنى فـادارآتم: فتـدارأتم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

الأجود في ﴿مخرج﴾ التنوين لأنه إنما هو لِمَا يستقبل أو للحَال، ويجوز حذف التنوين[1] استخفافاً فيقرأ، مخرجُ مَا كنتم تكتمون، فإن كان قُرئ به وإلا فلا يخالَف القرآن كما شرحنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[2].

القراءَة في هذا على أوجه، فأَجْودها والأكثر ﴿تَشَابَهَ علينا﴾ على فتح الهاءِ والتخفيف، ويجوز «تَشَّابَه» علينا، ويَشَّابَه علينا ـ بالتاءِ والياءِ، وقد قرىء «إن البَاقِرِ يَشَّابَهُ عَلينا» والعرب تقول في جمع البقر والجمال. الباقر والجامل، يجعلونه اسماً للجنس، قال طرفة بن العبد:[3]

وجامـلٍ خـوَّع مِنْ نِيْبِـه   زجرُ المُعَلّى أُصُلا وَالسّفيح

ويروي «مِنِي به» وهو أكثر الرواية، وليس بشيءٍ، وقال الشاعر:

ما لي رأيتك بعد عهدك موحشا   خَلَقاً كحوض الباقر المتهدم[4]

وما كان مثل بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وسحابة وسحاب، فإن العرب

---

(١) في ب، وط. النون.

(٢) كان ينبغي أن تذكر هذه الآية قبل ذلك، ولكن جاءت هكذا في جميع النسخ. والزجاج يفعل ذلك كثيراً. إذ يؤخر آية أو آيات عن موضعها.

(٣) طرفة بن العبد من بكر بن وائل ـ ربعي نبغ شاباً ومات شاباً وقد جرؤ على الهجاء من صغره حتى هجا الملك عمروبن هند فدبر قتله في قصص معروف ـ والبيت في اللسان (جل) والخزانة ١ ـ ٤١٤ وملحق الستة ١٨٣.

الجامل الجِمَالُ ـ وخوع أضعف. النيب جمع ناب الجمل الذي انشق نابه والمعلي والسفيح: الإزلام تضرب لاستطلاع شأن السفر ـ يعني أن إبله هزلت لكثرة أسفاره. وأعاد الضمير مذكراً للاسم. ـ والازلام تضرب عند إرادة السفر.

(٤) يريد أنه هزل وذهب حسن منظره، فأصبح واهناً كالحوض الذي هدمته الأبقار بكثرة الشرب منه.

تذكره، وتؤنثه، فتقول هذا بقر وهـذه بقر، وهـذا نخل وهـذه نخل. فمن ذكَّـر فلأن في لفظ الجمع أن يعبر عن جنسه فيقـال: فتقول هـذا جَمْع، وفي لفـظه أن يعبر عن الفرقة والقطعة، فتقول هذه جماعة وهذه فرقة - قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه يُزْجِي سَحـاباً ثـمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَـه﴾(١) فذكَّـر، وواحدتـه سحابـة، وقال: ﴿والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾(٢) فجمع على معنى جماعة، ولفظها واحد. فمن قرأ ﴿إن البقر تَشَّابه علَيْنَا﴾ فمعناه أن جمَاعةَ البقـر تَتشَابَـه عَلَيْنَا، فـأُدْغِمتِ التاءُ في الشين لقـرب مخرج التـاءِ من الشين، ومن قرأ تَشَّـابَهُ علينـا، أراد تتشـابـه فحذف التاءَ الثانية لاجتماع تاءَين كمـا قرىء ﴿لعلكم تَذَّكرون﴾ ومن قرأ يَشَّابَـه علينا - بالياءِ - أراد جنس البقر أيضـاً، والأصل يتَشَـابه علينـا، فأدغم التـاءُ في الشين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ منْ بَعَد ذَلِكَ﴾.

تأويل ﴿قست﴾ في اللغة غلظت ويبست وصلبت(٣) فتأويل القسو في القلب ذهاب اللين والرحمـة والخضوع والخشـوع منه، ومعنى ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعـد إحياءِ الميت لكم بعضـو من أعضاءِ البقـرة، وهذه آيـة عظيمـة كان يجب على من يشاهدها - فشاهد بمشاهدتها من قدرة عزّ وجلّ ما يزيل كل شك - أن يلين قلبه ويخضع(٤)، ويحتمل أن يكون ﴿من بعد ذلك﴾ من بعـد إحياءِ الميت والآيات التي تقدمت ذلك نحو مسخ القردة والخنازير ونحو رفع الجبل فوقهم، ونحـو انْبِجـاس المـاءَ من حجـر يَحْملونـه معهم، وإنمـا جـاز ﴿ذلك﴾ وهؤلاءِ

---

(١) سورة النور ٢٤ - ٤٢.

(٢) سورة ق ٥٠ - ١٠.

(٣) في ك غلظت ويبست وعتت فتأويله ذهاب اللين والرحمة من القلب.

(٤) هذه عبارة ك. وفي النسخ الأخرى - كان يجب على من شاهد أن يؤمن بها فشاهد الخ. آثرنا هذه لتفادي ذكر مفعولين مختلفين.

الجماعة مخاطبون، ولم يقل ذلكم ـ ولو قال ذلكم كان جيداً[1] ـ «وإنما جاز أن تقول للجماعة بعد ذلك وبعد ذلكم»[2] لأن الجماعة تؤدي عن لفظها الجميع والفريق، فالخطاب في لفظ واحد، ومعنى جماعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فهِيَ كالحِجَارَةِ أو أَشَدّ قَسْوَة﴾.

وقد روي﴿أو أشدَّ قَسوة﴾ومعنى تشبيه القسوة بالحجارة قد بيناه، ودخول «أو» ههنا لغير معنى الشك ولكنها «أوْ» التي تأتي للإباحة[3] تقول: الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين، فلست بشاك، وإنما المعنى ههنا: هذان أهل أن يؤخذ عنهما العلم، فإن أخذته عن الحسن فأنت مصيب، وإن أخذته عن ابن سيرين فأنت مصيب، وإن أخذته عنهما جميعاً فأنت مصيب، فالتأويل أعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون أو بما هو أشد فأنتم مصيبون ولا يصلح أن تكون أو ههنا بمعنى الواو. وكذلك قوله: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً. . . أوكَصَيِّبٍ﴾، أي إن مَثَّلْتَهمْ بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلتهم بالصَيِّبِ فهو لهم مثلٌ وقد شرحناه في مكانه شرحاً شافياً كافياً إن شَاءَ اللَّه»[4].

فمن قرأ ﴿أشد قسوة﴾ رفع أشد بإضمار هي كأنه قال: أو هي أشد قسوة، ومن نصب ﴿أوأشدَ قسوة﴾ فهو على خفض في الأصل بمعنى الكاف، ولكن أشد أفعل لا ينصرف لأنه على لفظ الفعل، وهو نعت ففتح وهو في

---

(١) ك جيداً بالغاً.

(٢) عبارة لا حاجة إليها قد تقدمت.

(٣) الأقرب أنها هنا للإضراب: أي كالحجارة بل هي أشد.

(٤) تقدم هذا الشرح عند آية أو كصيب من السماء ص ٩٦. وليس المراد هنا أن قلوبهم أما مثل الحجارة وإما أشد. بل الأخبار أنها أقسى من الحجارة، بدليل الآية التالية. وما قرره ص ١٣٠. في الصفحة التالية.

موضع جر - ويجوز في قوله تعالى ﴿فهي كالحجارة﴾ ﴿فَهْي﴾ كالحجارة - بإسكان الهاءِ - لأن الفاءَ مع هي قد جَعَلَتْ الكلمة بمنزلة فخذ[١]، فتحذف الكسرة استثقالاً، وقد روى بعض النحويين أنه يجوز في «هي» الإسكان في الياءِ من «هي» ولا أعلم أحداً قرأ بها، وهي عندي لا يَجوزُ إسكانها ولا إسكانُ الواو في هو، لا يجوز «هو ربَكُمْ» وقد روى الإسكان بعضُ النّحويين وهو رديءٌ لأن كل مضمر فحركته - إذا انفرد - الفتح، نحو أنا رَبكم، فكما لا تسْكن نون أنا لا تسْكن هذه الواو.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنَّ مِنَ الحِجَارةِ لَمَا يَتفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾.

بيّن عزّ وجلّ كيف كانت قلوبهم أنها أشد قسوة وأصلب من الحجارة وأعلم أن الحجارة تتفجر منها الأنهار، ومنها ما يشَّقَّقُ فيخرج منه الماءَ يعني العيون التي تخرج من الحجارة ولا تكون أنهاراً، ومنها ما يهبط من خشية اللَّه»[٢] فقالوا إن الذي يهبط من خشية اللَّه نحو الجبل الذي تجلى اللَّه له حين كلم موسى عليه السلام، وقال قوم إنها أثر الصنعة التي تدل على أنَّها مخلوقة، وهذا خطأ، لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بينا في جميعها[٣] وإنما الهابط منها مجعول فيه التميز كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هَـذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خشيةِ اللَّهِ﴾[٤] وكما قال: ﴿أَلَمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجد له مَن في السَّمواتِ﴾. ثم قال: ﴿والنُّجُومُ والجِبَال﴾[٥] فأعلم أن ذلك

---

(١) جعلت بمنزلة كلمة واحدة وسطها حرفُ حلقي.

(٢) لم يذكر النص القرآني. إنما فسر مضمونه - والآية هي:

﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله﴾.

(٣) جملة غير جيدة لخلو الخبر من الرابط - والأصل ليس شيء، منها ليس أثر الصنعة بينا فيه - أي كل الحجارة بها أثر الصنعة.

(٤) الحشر ٥٩ - ٢١.

(٥) الحج ٢٢ - ١٨.

تمييز أراد اللّه منها، ولو كان يراد بذلك الصنعة لم يقل وكثير من النـاس وكثير حق عليه العذاب، لأن أثر الصنعة شامل للمؤمن وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾.

هده الألفُ الف استِخبارٍ، وتجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي، كأنه أيئسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود، فإذا كان في أول الكلام نفي، فإنكار النفي تثبيت نحـو قوله عز وجلّ: ﴿أَلم يَأْتِكُمْ نذِيرٌ قالوا بلى﴾. «فجواب» ﴿أفتطمعون﴾ «لا» كما وصفنا[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقدْ كان فرِيقٌ منهم يَسْمَعون كلام اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَه مِنْ بَعْدِ مَا عَقلُوه﴾.

يروى في التفسير أنهم[2] سمعوا كلام اللّه لموسى عليه لسـلام فحرفـوه فقيل في هؤلاءِ الذين شاهدهم النبي ﷺ أنهم كفـروا وحرفـوا فلهم سابقـة في كفرهم.

وقوله عزّ وجلّ ﴿ وإذا خلاَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالُوا أَتُحَدِّثُـونهُمْ بمَا فتـحَ اللَّهُ عَليْكُمْ﴾.

المعنى أتخبرونهم بأن النبي ﷺ ذكرُه موجود في كتابكم وَصِفتهُ[3].

﴿ليحاجوكم به عند ربكم﴾ أي لتكون لهم الحجة في إيمانهم بالنبي ﷺ عليكم، إذ كنتم مُقَـرِّينَ به تخبـرون بصحة أمـره من كتابكم فهـذا بين حجتـه عليكم عند اللّه.

---

(١) لأنه لا نفي مع الاستفهام، فلا يجوز استعمال بلى.

(٢) في ك يسمعون.

(٣) ك صفته، وبقية النسخ. . «وصفه».

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفلا تعقلون حجة اللَّه عليكم في هذا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾.

معنى الأُمِّي في اللغة المَنسوب إلى ما عليه جِبِلَّةُ أُمَّتِه، أي لا يكتب فهو في أنه لا يكتب - على ما ولد عليه، وارتفع ﴿أُمِّيُّون﴾ بالابتداء و﴿مِنهُم﴾ الخبر[1] ومن قول الأخفش يرتفع أُميون بفعلهم، كان المعنى واستقر منهم أُميون[2].

ومعنى ﴿إلا أَمَانِيّ﴾ قال الناس في معناه قولين: قالوا معناه لاَ يعلمون الكتاب إلا تلاوة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذَا تمنى أَلقى الشيطان في أُمنيته﴾[3]. أي إذَا تلا أَلقى الشيطان في تلاوته. وقد قيل الأماني أكاذيب العرب، تقول أَنت إنما تتمنى هذا القول أي تَخْتَلِقُه.

ويجوز أَن يكون آماني منسوباً إلى القائل إذا قال ما لا يعلمه فكأَنه إنما يتمناه، وهذا مستعمل في كلام الناس، تقول للذي يقول ما لا حَقِيقَةَ لَهُ وهو يُحِبُّه: هذا مُنًى، وهذه أُمْنِيَّةٌ.

وفي لفظ أَماني وجهان: العرب تقول هذه أَمَانٍ وأَمَانيَّ - يا هَذا - بالتشديد والتخفيف، فمن قال أمانيَّ بالتشديد فهو مثل أُحْدُوثة وأَحاديث، وقرقورة وَقراقير[4]، ومن قال أَمان بالتخفيف [فهو مما] اجتمعت فيه الياءان أكثر لثقل الياءِ،

---

(١) إعراب غير جيد لأن المعنى حينئذ الأميون منهم وهذا ليس بشيء إنما صحته أن يكون «منهم» هي المبتدأ «أميون» هي الخبر ومن اسم بمعنى بعض والمعنى بعضهم أميون ،ومثله ﴿ومن الناس من يقول آمنا ومنهم الفاسقون﴾.

(٢) أي أن الأخفش يجاري الكوفيين في هذا الإعراب.

(٣) الحج ٢٢/٥٢.

(٤) نوع من السفن أو هي العظيمة.

والعـرب تقول في أثفيـة أثافيّ وأثـافٍ، والتخفيف أكثر لكثـرة إستعمالهم أثـاف، والأثافي الأحجار التي تجعل تحت القدر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فويْلٌ لِلَّذين يَكْتُبونَ الكتابَ بأَيْدِيهِمْ﴾.

الـويل في اللغـة كلمة يستعملهـا كل واقـع في هلكة ـ وأصله في العـذاب والهلاك، وارتفع ويل بالابتداءِ وخبره ﴿لِلَّذين﴾ ولو كان في غير القرآن لجاز فويلاً للذين على معنى جعل اللَّه ويلاً للذين[١]، والرفع على معنى ثبوت الويل ﴿لِلَّذين يَكتُبُون الكِتَابَ بأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يقُولُون هَذَا مِنْ عِندِ اللَّه لِيَشترُوا بِه ثَمَناً قليلاً﴾.

يقال إن هذا في صفة النبي ﷺ، كتبوا صفتـه على غـير ما كـانت عليه في التوراة، ويقال في التفسير أنهم كتبوا صفته أنه آدم طويل، وكانت صفته فيها أنه آدم ربعة[٢]، فبدَّلوا فألزمهم اللَّه الويل بما كتبت أيديهم ومن كسبهم على ذلك[٣]، لأنهم أخذوا عليه الأموال وقبلوا الهدايا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلَّا أَيَّـاماً مَعْدُودَةً﴾.

﴿تمسنا﴾ نصب بلَنْ، وقد اختلف النحويون في علة النصب بلن، فرُوي عن الخليل قولان أحدهما أنها نصَبت كما نصبت «أن» وليس ما بعدها بصلة لَهَا[٤]، لأن «لَنْ يَفْعَـلَ»، نفي «سيفعل» فقـدم[٥] ما بعـدها عليهـا، نحو قـولـك زيـداً لن

---

(١) على هذا التقدير هي مفعول بـه، والأولى أن يقدر فعـل مناسب يجعلهـا مفعـولاً مطـلقاً مثل أعذب وأتوعد ونحوه.

(٢) ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٣) أي بسبب كسبهم على ذلك قال: وويل لهم مما يكسبون.

(٤) لا تؤول معه مصدراً كما تؤول «أن».

(٥) فجاز في الكلام تقديمه.

أضرب، كما تقول زيداً لم أضرب، وقد روى سيبويه عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنه قال: الأصل في «لن» لا أن ولكن الحذف وقع استخفافاً، وزعم سيبويه أن هذا ليس بجيد، لو كان كذلك لم يجز زيداً لن أضرب[1]، وعلى مذهب سيبويه جميع النحويين وقد حكى هشام[2] عن الكسائي في «لن» مثل هذا القول الشاذ عن الخليل. ولم يأخذ به سيبويه، ولا أصحابه.

ومعنى ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ قالوا إنَّما نُعَذَّبُ لأننا عبدنا العجل أياماً قيل في عددها قولان، قيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً، وهذه الحكاية عن اليهود، هم الذين قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنا النّارُ إلا أيّاماً معْدُودَةً﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُل أَتَّخَذْتُمْ عنْد اللَّهِ عَهْداً﴾بقطع الألف هي تقرأ على ضربين: أتخذتم ـ بتبيين الذال، واتخَّتم بإدغام الذال في التاءِ[3]، والألف قطع لأنها ألف استفهام وتقرير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿عِنْد اللَّهِ عَهْداً﴾المعنى عهد اللَّه إليكم في أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فلنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾.

أي إن كان لكم عهد فلن يخلفهُ اللَّه، أم تقولون على اللَّه ما لا تعلمون

---

(١) لأن مفعول المنصوب بأن لا يتقدم على الفعل (الصبان على الأشموني ٣ ـ ١٨٢).

(٢) هشام بن معاوية الضرير ـ من مشهوري أصحاب الكسائي له مؤلفات نحوية مفيدة توفي سنة ٢٠٩ هـ البغية ٤٠٩.

(٣) تقلب الذال دالاً ثم تدغم الدال في التاء.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿بَلَى مَنْ كسَبَ سيئةً﴾ رداً[1] لقولهم: ﴿لن تمسَّنا النار إلا أياماً معدودة﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَحَاطتْ بِه خَطيئَتُه فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خالِدُون﴾.

فألحق في هذه الآية والاجماع أن هذا لليهود خاصة لأنه عزّ وجلّ في ذكرهم[2]، وقد قيل: ﴿من كسب سيئة﴾، الشرك باللّه وأحاطت به خطيئته: الكبائر، والذي جرى في هذه الأقاصيص إنما هو إخبار عن اليهود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أَخَذْنَا ميثَاق بَنِي إِسْرائِيلَ لَا تَعْبُدونَ إلَّا اللَّهَ﴾.

القراءَة على ضربين، تعبدون ويعبدون بالياءِ والتاءِ[3] وقد روي وجه ثالث لا يؤخذ به لأنه مخالف للمصحف ـ قرأ ابن مسعود: لا تعبدوا. ورفع لا تعبدون بالتاء على ضربين، على أن يكون ﴿لا﴾ جواب القسم لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وإذ أخذَ اللّه ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتُبَيِّنُنَّه للناس﴾[4] فجاءَ جواب القسم باللام فكذلك هو بالنَّفْي بلا، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط «أن» على معنى «ألا تعبدوا» فلما سقطت أن رفعت، وهذا مذهب الأخفش وغيره من النحويين، فأما القراءَة بالتاء فعلى معنى الخطاب والحكاية كأنه قيل قلنا لهم لا تعبدون إلا اللّه وأما لا يعبدون بالياء فإنهم غيبٌ[5]، وعلامة الغائب الياء.

(١) في الأصل «رد». على أنه خبر لمحذوف.
(٢) أي الآيات تتحدث عنهم. وهم موضوع الحديث.
(٣) في ك «بالياء والتاء يعبدون وتعبدون.
(١) آل عمران ٣ ـ ١٨٧.
(٢) غيب جمع غائب.

ومعنى أَخذ الميثاق والعهد قد بَيَّنَّاهُ قبل هذا الموضع[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

نصب على معنى وأَحسنوا بالوالـدين إحسانـاً[2]، بدل من اللفظ أَحْسِنُـوا و﴿ذِي القُرْبَىَ﴾ و﴿اليَتامَى﴾: جمع على فعالى كما جمع أَسير على أَسارى، يقـال يَتِم يَيْتَمَ يُتْماً ويَتْماً إذا فقد أَباه، هذا للإِنسان فأمـا غيره فيتمـه من قبل أُمـه. أَخبرني بذلك محمد بن يزيد[3] عن الريـاشي[4] عن الأَصمعي: إن اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأُم، والمساكين مأْخوذ من السكون، واحدهم مسكين كأنه قد أَسكنه الفقر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ فيهـا ثلاثـة أَقوال حسْنـاً بالتنـوين وإسكـان السين، وحَسَنـاً بالتنـوين وفتح السـين، وروى الأَخفش «حُسْنَى» غير منون.

فأَما الوجهان الأَولان، فقرأَهما الناس، وهما جيدان بالغان في اللغة، وأَما

---

(١) ص ١٤٨.

(٢) أي كلمة إحساناً أدت معنى أحسنوا.

(٣) هـو المبرد محمـد بن يزيـد بن عبـد الاكبـر أزدى من مشهـوري معلمي البصـرة وبغـداد آستـاد الزجاج.

أنظر البغية ـ ١١٦، الوفيات ١ ـ ٤٩٥، طبقات النحويين ١٠٨.

٤) العباس بن الفرج من نحويي الطبقة السابعة من البصريين، كان أبوه مولى لرجل يقال لـه رياش فظل اسمه معه ـ اشتراه بعض الهاشميين وأعتقه قرأ على الأصمعي وأبي زيد وقرأ كتاب سيبويه على المازني. قال المازني قرأه على ـ وهو أعلم به مني. قتل في ثورة الزنج سنـة ٢٠٧. وقرأ المازني عليه اللغة ـ البغية. (٢٧٥ ـ ٢٧٦).

«حُسْنَى» فكان[1] لا ينبغي أن يقرأ به لأنه باب الأفعل والفعلى، نحو الأحسن والحسنى، والأفضل والفُضلى، لا يستعمل إلا بالألف واللام، كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ منّا الحُسْنَى﴾[2] وقال: ﴿لِلَّذينَ أَحْسَنوا الْحُسْنَى وَزِيَادة﴾[3] وفي قوله حسناً بالتنوين قولان: المعنى قولوا للناس قولاً ذا حسن، وزعم الأخفش، أنه يجوز أن يكون حُسْناً في معنى حَسَناً، فأما حَسَناً فصفة، المعنى قولاً حسناً، وتفسير: قولوا للناس حسناً «مخاطبة لعلماءِ اليهود» قيل لهم أصْدُقوا في صفة النبي ﷺ.

﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

اعلموا أنه قد أخذ عليهم الميثاق وعهد عليهم فيه بالصدق في صفة النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ تولَّيْتُم إلاَّ قَلِيلاً مِنكُمْ﴾.

يعني أوائلهم الذين أخذ عليهم الميثاق، وقوله ﴿وَأَنتُم مُعْرضون﴾ أي وأنتم أيضاً كأوائلكم في الإعراض عَمّا عهد إليكم فيه، ونصب إلا قليلاً على الاستثناءِ، والمعنى استثني قليلاً منكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾.

يقال سفكت الدم أسْفِكه سَفْكاً إذا صببته، ورفع لا تسفكون على

---

(١) ك فخطأ لا ينبغي.

(٢) الأنبياء ٢١ ـ ١٠١.

(٣) يونس ١٠ ـ ٢٦.

القسم، وعلى حذف أن كما وصفنا في قوله: ﴿لا تَعْبُدُون﴾ ومثل حذف أن قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجري أحْضرَ الوغي وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي [1]

وواحد الدماءِ دم ـ يا هذا ـ مخفف، وأصله دَمَيٌ في قول أكثر النحويين، ودليل من قال إن أصله دمي قول الشاعر:

فَلَو أنَّا عَلى حَجَرٍ ذُبِحْنا جَرَى الدَّمَيَان بالخَبَر اليَقِين[2]

وقال قوم أصله دمي إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفاً[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِن دِيَارِكُمْ﴾.

عطف على لا تسفكون دماءَكم، وقوله: ثم أقررتم، أي إعترفتم بأن هذا أخذ عليكم في العهد وأخذ على آبائكم، وأنتم أيها الباقون المخاطبون تشهدون أن هذا حق.

﴿ثم أنْتُم هَؤُلَاءِ﴾: الخطاب وقع لليهود من بني قريظة وبني النضير، لأنهم نكثوا، فقتل بعضهم بعضاً، وأخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وهذ نقض عهدهم.

---

(١) من معلقة طرفة ـ وهو بالخزانة ١ ـ ٤٨، ٣ ـ ٥٩٤ ـ وأمالي ابن الشجري ١ ـ ٨٣ وفي معظم كتب النحو.

(٢) تقدم ذكره ص ١٣١.

(٣) وهو محكى عن سيبويه. اللسان (دم).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهم بالإِثْمِ والعُدْوَانِ﴾.

قرئت بالتخفيف والتشديد، ﴿تَظَاهَرون﴾ وتَظَّاهرون فمن قرأ بالتشديد فالأصل فيه تتظاهرون فأدغم التاءُ في الظاءِ لقرب المخرجين، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل فيه أيضاً تتظاهرون فحذفت التاءُ الثانية لاجتماع تاءَين[1].

وتفسير ﴿تظاهرون﴾ تتعاونون، يقال قد ظاهر فلان فلاناً إذا عاونه منه قوله، ﴿وكان الكافِرُ على ربه ظهيراً﴾، أي معيناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بالإِثْم والعُدْوَانِ﴾.

العُدْوانُ الإفراطُ في الظُّلم، ويقَالُ عَدَا فلانٌ في ظلمه عدْواً وعُدُوًّا وعُدْواناً، وعداءً - هذا كله معناه المجاوزة في الظلم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لاَ تَعْدُوا في السَّبْتِ﴾ إنما هو من هذا، أي لا تظلموا فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ يأْتُوكم أُسَارِيَ تُفَادُوهُمْ﴾.

القراءَة في هذا على وجوه: أَسْرَى تَفْدوهم. وأَسْرى تُفَادوهم، وأُسَارى تفادوهم، ويجوز «أَسَارى» ولا أعلم أحد قرأ بها، وأصل الجمع فُعالى. أعلَم اللَّه مناقَضتهم في كتابه وأنه قَد حرَّم عليهم قَتْلَهم وإخْراجهم من ديارهم، وأنهم يفادونَهم إذا أُسروا ويقتلونهم ويخرجونهم من ديارهم، فوبَّخهم فقال:

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعلَ ذَلِكَ مِنْكُم إلاَّ خِزْيٌ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني ما نال بني قريظة وبني النضير، لأن بني النضير أُجْلُوا إلى الشام

---

(١) حذفت إحدى التاءين.

و (بني)[1] قريظة أبيدوا[2] ـ حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرارى فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾، ولغيرهم من سائر الكفار الخزيُ في الدنيا القتل وأخذُ الجزية مع الذلة والصغار، ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذَلك غيرُ مُكَفِّر عن ذنوبهم، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى عذاب عظيم فقال ﴿ذلك لهم خزي في الدنيا﴾ ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهِ بغَافِلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ومعنى ﴿ثُمّ أَنْتُمْ هؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُم﴾.

﴿هؤلاءِ﴾ في معنى الذين، وتَقْتُلُونَ صلةٌ لهؤُلاءِ، كقولك ثم أَنتم الذين تقتلون أَنفسكم، ومثلُه قوله: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وهُوَ مُحَرَّم عَلَيْكُم إخراجُهُمْ﴾.

﴿هو﴾ على ضربين: جائز أن يكون إضمار الإخراج[4] الذي تقدم ذكره، قال: ﴿وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم﴾ وهو محرم عليكم إخراجهم. ثم بين لتراخي الكلام أن ذلك الذي حرم الإخراج[5] وجائز أن يكون للقصة، والحديث والخبر[6]، كأنه قال: والخبر محرم عليكم إخراجهم ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾[7]. أي الأمر الذي هو الحق توحيد اللَّه

---

(١) ليست فى ك وهو معطوف على بني النضير.

(٢) ك. أ. بيروا.

(٣) سورة طه ٢٠ ـ ١٧ وهو تمثيل للموصول والآية بهذا تفيد القصر ولا معنى له، فالأولى أن تكون هؤلاء اسم إشارة.

(٤) في ك بإضمار الإخراج ـ والمعنى في الحالين أن الضمير بمعنى الإخراج، وهو مستبعد لسقامة الأسلوب.

(٥) أي لطول الفصل ويكون التقدير وإخراجهم محرم عليكم إخراجهم ـ فهي بيان للضمير.

(٦) أي هو ضمير الشأن.

(٧) سورة الإخلاص ١١٢ ـ ١.

عزّ وجلّ ﴿خِزْيَ﴾ يقَال في الشر والسوءِ خزي الرجل خِزْياً، ويقال في الحياءِ خزي يخزي خِزَايةً، ومعنى يردون إلى أشد العذاب، وعذاب عظيم، وعذاب أليم [أن] العذاب على ضَربين، على قدر المعاصي، والدليلُ على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَنْذَرتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاَهَا إلا الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾(١) فهذه النار الموصوفة ههنَا لا يدخُلها إلا الكفارِ.

وقوله: ﴿ولَقَدْ آتَيْنَا موسى الكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴾.

وقوله: ﴿وقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُل﴾: أي أرسلنا رسولاً يقفو رسولاً في دعائهِ إلى توحيد اللّه والقيام بشرائع دينه، يقال من ذلك فلان يَقْفو فلاناً إذا أتبعه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وآتَيْنَا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ﴾.

معنى ﴿آتينا﴾ أعطينا، ومعنى ﴿البَيِّنَات﴾ الآيات التي يعجز عنها المخلوقونَ مما أعطيه عيسَى ﷺ من إحيائه الموتى وإبرائه الأكمهَ والأبرص.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَيَّدْنَاه بِرُوح القُدُسِ﴾.

معني أَيَّدنا، في اللغة قوينا، وشدَدْنا، قال الشاعر:(٢)

مــن أن تبـدَّلْـتَ بـآد آدا

يريد من أن تبدلت بأَيْدٍ آدا، يريد بقوة قوة ـ الآد والأَيْد القوة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِرُوح القُدُسِ﴾: روح القدس جبريل عليه السلام، والقدس الطهارة وقد بَيَّنَّاه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بمَا لا تهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرتُمْ﴾:

---

(١) سورة والليل ـ ١٠ ـ يريد أن هناك عذاباً أشد من عذاب.

(٢) العجاج ـ ديوانه ٧٦، اللسان «أيد».

نَصْبُ كلما كَنَصْبِ سائر الظروف، ومعنى استكبـرتم أَنِفْتم وتعظَّمْتم من أن تكونوا أَتباعاً، لأنهم كانت لَهم رياسـة، وكانـوا متبوعين فـآثَرَوا الـدنيَا على الآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا قُلوبُنَا غُلْفٌ﴾.

تقرأُ على وجهين غُلْف وغُلُف، وأَجود القراءَتين غلْف بإسكانِ اللام لأن له شاهـدا من القرآن[1] ومعنى غلْفٌ ذَواتُ غُلف، الـواحد منهـا أَغْلَف وغُلْف مثل أَحْمَر وحُمْر، فكأَنهم قـالوا قلوبنـا في أَوعية، والـدليل على ذلـك قولـه: ﴿وقلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينـك حَجاب﴾[2] ومن قرأ غُلُف فهو جمع غِلاف وغُلُف، مِثْل مِثال ومُثُل، وحِمار وحُمُر، فيكون معنى هـذا: إنَّ قلوبَنـا أوعيـة لِلعلم[3]، والأَول أَشبـه ويجـوز أَن تُسَكَّن غُلُف فَيقال غُلْف كما يقال في جمع مثـال مُثْل. فـأَعلم اللَّه عزّ وجـلّ أن الأَمر على خلاف ما قالوا فقال: ﴿بَلْ لعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرهَم﴾.

معنى لعنهم في اللغة أَبْعدهم، فالتأْويل ـ واللَّه أَعلم ـ بل طبع اللَّهُ على قلوبهم كمـا قال: ﴿ختم اللَّه على قلوبهم﴾ ثم أَخبر عزّ وجـلّ أَن ذلك مجـازاةً منه لهم على كفرهم فقال ﴿بل لعنهم اللَّه بكفرهم﴾، واللعن كما وصفنـا الإبعاد، قال الشَّمَّاخ:[4]

ومـاءٍ قـد وردت لـوَصْـل أَرْوى عليـه الـطيـر كـالـورق اللَّجين

(١) منه ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾. (فاطر ٣٥ ـ ٢٧).

(٢) فصلت ٤١ ـ ٥.

(٣) مليئة به. أي لدينا من العلم ما لا نحتاج معه إلى الإسلام.

(٤) هـو الشماخ بن ضـرار الذبيـاني ـ من الشعراء والـرجـاز ومن الهجـائين اشتهـر بـوصفـه القسي والحمير ـ كان قوي العارضة حاضر البديهـة، وأروى هي حبيبته التي يتغـزل فيها كثيـراً. أخباره في الأغاني ٨ ـ ١٠١.

ذعَـرتُ بـه الـقـطا ونفيْتُ عَـنـه مقـام الـذئب كـالـرّجـل اللّعين[١]

وقوله: ﴿ولمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لمَا مَعَهُمْ﴾.

تقرأ ﴿جاءَهم﴾ بفتح الجيم والتفخيم، وهي لغة أهـل الحجار، وهي اللغـة العليا القُدمى، والإمـالةُ إلى الكسـر لغة بني تميم وكثيـرٍ من العرب، ووجههـا أنهـا الأصل من ذوات اليـاءِ فأُميلت لتـدل على ذلك، ومعنى كتـابُ اللّه ههنا القـرآن، واشتقاقـه من الكَتْبِ وهي جمع كَتْبة وهي الخرزة وكـل مـا ضممت بعضه إلى بعض على جهة التقارب والاجتماع فقد كتبْته، والكَتِيبَة الفرقـةُ التي تحـارب من هـذا اشتقـاقهـا لأن بعضَهـا منضمّ إلى بعض، ويسمى كـلام اللّه عزّ وجلّ الذي أُنزل على نبيـه كِتَابـاً، وقُرآنـاً وفُرقـاناً فقـد فسرنـا معنَى كتابٍ، ومعنى قرآن معنى الجمع، يقال ما قرأَت هذه النـاقة سَلًى قط أي لم يَضْـطَمَّ رحمُها على ولد قط ـ قال الشاعر:[٢]

هِجَـانِ اللَّـون لـم تَقْـرأْ جَنِينـاً

قـال أَكثر النَّـاس: لم تَجْتمـع جنينـاً أي لم تضم رحمهـا على الجنين. وقال قُطْرب في قـرآن قولين، أُحـدهما هـذا، وهو المعـروف الذي عليـه أَكثر النـاس، والقول الآخـر ليس بخـارج من الصِّحَّـة وهـو حسن ـ قـال ـ لم تقـرأ جنينـاً ـ لم تلقه (مجمـوعاً)[٣]. وقـال يجوز أَن يكـون معنى قرأت لفـظت بـه

---

(١) الـورق اللجين المتراكم المتسـاقط بعضه على بعض ببعض، وذعـرت القـطا أهجتـه وأخفتـه ـ واللعين اسم للذئب، واللعنَ معناه الطرد. والرجل اللعين، الصورة التي تنصب لطرد الطير عن الزرع يصف جرأته وعمله الشاق لرؤية حبيبته.

(٢) عمرو بن كلثوم من تغلب، وأمة ليلى أخت مهلهل ـ سـاد قومـه حدثـاً وعمر طـويلاً أخبـاره في الأغاني ٩ ـ ١٧٥ ـ ٨٢ ـ ٩٢.

والبيت في معلقته التي يقال انها ألهت بني تغلب عن كل مكرمة ـ يريد أنها بيضاء ضامرة.

أنظر شرح العشر ١١١ الجمهرة ٧٦، اللسان (قرأ). القرطبي ٣ ـ ١١٤.

(٣) ليست في ك.

مجموعاً. كما أن لفظت من اللفظ، اشتقاقه من لَفَظْتُ كذا وكـذا، إذا أَلقيته، فكأن قرأت القرآن لفظت به مجموعاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مصدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

أيْ يصـدِّقُ بالتـوراة والإنجيل ويخبـرهـم بما في كتبهم ممـا لا يعلم إلَّا بوحي أو قراءَة كُتُبٍ، وقد علموا أن النبي ﷺ كان أُمياً لا يكتب.

وقوله: ﴿وكَانُوا منْ قَبْل يسْتَفْتِحُونَ على الَّذين كَفَرُوا﴾.

ضم ﴿قَبْلُ﴾ لأنها غاية، كان يدخلها بحق الإعراب الكسرُ والفتحُ، فلمـا عـدلت عن بـابهـا بنيت على الضم، فبنيت على مـا لم يكن يـدخلهـا بحقِّ الإعراب، وإنما عدلت عن بابها لأن أَصلها الإضافة فجعلت مفـردة تُنْبيءُ عن الإضافة، المعنى، وكانوا من قبل هذا.

ومعنى: ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ على الَّذِين كَفَرُوا﴾.

قيل فيه قولان: قال بعضهم كانوا يخبـرون بصحة أَمـر النبي ﷺ. وقيل وكـانوا يستفتحون على الذين كفروا: يَسْتَنْصرون بذكر النبي ﷺ فلمَّا جاءَهم ما عرفوا: أي ما كانـوا يستنصرون وبصحتـه يخبرون، كفـروا وهم يوقنـون أَنهم معْتَمِدُون للشقاق عداوة للّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّه على الكَافِرينَ﴾.

قـد فسرنـا اللعنة(١)، وجـوابُ ﴿ولَمَّا جـاءَهُمْ كتـابٌ﴾ محـذوف لأن معنـاه معروف دلَّ عليه فلما جاءَهم ما عرفوا كفروا به(٢).

---

(١) ص ١٦٩.

(٢) الأقـرب أن فكفروا بـه هو الجـواب ـ وجملة فلما جـاءهـم ما عـرفـوا هي إعـادة الجملة ـ ولمـا جاءهم كتاب أعيدت لطول الفصل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِئْسما اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾.

بئس إذا وقعت على «ما» جُعِلت معهـا بمنزلـة اسم منكور، وإنمـا ذلك في نعم وبئس لأنهما لا يعملان في اسم علم، إنما يعمـلان في اسم منكور دال عـلى جنس، أو اسم فيـه ألف ولام يدل عـلى جنس، وإنمـا كـانتـا كـذلـك لأن نعم مستوفية لجميع المدح، وبئس مُسْتوفية لجميـع الذم، فـإذا قلت نعم الرجـل زيد فقد استحق زيد المـدح الذي يكـون في سائـر جنسه، قـال أبو إسحٰق وفي نِعْم الرَجلُ زيدٌ أربع لغات نَعِم الرجـل زيد، ونِعِمَ الـرجل زيـد[1]، ونِعْم الرجـل زيدٌ، ونَعْمَ الرجل زيد، وكذلك إذا قلت بئس الرجل، دلَلْتَ عـلى أنه استـوفى الذَّمَّ الذي يكـون في سائـر جنسه، فلم يجـز إذ كان يستـوفى مدح الأجنـاس أن يعمل في غير لفظ جنس، فإذا كان معهـا اسمُ جنس بغير ألف ولام فهـو نصْبٌ أبـداً، وإذا كانت فيـه الألف واللّام فهـو رفْع أبـداً، وذلك كقـولك نِعْم رجُـلاً زَيْـدٌ، ونعم الرَّجُـل زيدٌ، فلما نصب رجـل فعلى التمييـز، وفي نعم اسم مضمر على شريطة التفسير، وزيد مبينٌّ مَنْ هذا الممدوح، لأنك إذا قلت نعم الرجل لم يعلم من تعني، فقولك زيد تريد به هذا الممدوح هو زيد.

وقال سيبويـه والخليل جميـعَ ما قلنـا في نعم وبئس، وقالا إنْ شئتَ رفعت زيداً لأنه ابتداءٌ مَؤَخر. كأنك قلت حين قلت نعم رجلاً زيد، نعم زيد نعم الرجل، وكذلك كانت «ما» في نعم بغـير صلة لأن الصلة توضـح وتخصص، والقصد في نعم أن يليهـا اسم منكورٌ أو جنس، فقوله ﴿بِئْسما اشْتَرَوْا بـه أنفسهم﴾ بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ يكفُروا بما أَنْزَلَ اللّهُ﴾.

موضعه رفع: المعنى ذلك الشيءُ المذموم أن يكفـروا بما أنـزل اللّه. وقولـه

---

(١) وهي في هذين الوضعين فعل متصرف. وكذا في الحالة الرابعة.

عزّ وجلّ: ﴿فَنِعِمَّا هي﴾(1) كأنـه قال فنعم شيْئاً هي، وقال قـوم إنَّ نعم مع مـا بمنـزلة حَبَّ مـع ذا، تقول حبَّـذَا زيدٌ، وحبـذا هي ونِعِمَّا هي والقـول الأَول هُو مذهب النحويين(2) وروى جميعُ النحويين بئسما تزويجٌ ولا مَهْرٌ والمعنى فيـه بئس شيئاً تزويج ولا مهر.

وقوله عـزّ وجلّ:﴿ أَنْ يَكْفُـرُوا بِمَا أَنْـزَلَ اللّـه بَغْياً أَنْ يُنَـزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

معناه أَنهم كفروا بغياً وعداوة للنبي ﷺ لأَنهم لَمْ يُشكّوا في نُبُوَّتـه ﷺ وإنما حَسَدوه على ما أَعطاه اللّه من الفضل، المعنى: كفروا بغياً لأَنْ نزَّلَ اللَّهُ الفضـل عَلى النبي ﷺ، ونصب بغياً مصدراً مفعولاً له، كما تقول فعلتُ ذلك حذَرَ الشَّرِّ أي لحذر الشر كأَنك قلت حَذَرْتُ حذَراً(3)، ومثله من الشعر قـول الشاعـر وهو حاتم الطائي:

وأَغـفِـرُ عـوراءَ الكـريـم ادِّخَـارَه وأَغفــرُ عــوراءَ اللئيم تـكــرمــا(4)

المعنى أَغفـر عوراءَ الكـريم لادّخَارِه، وأَعـرضُ عنْ شتم اللئيم للتكـرم، وكأنه قال: أَدَّخرُ الكريم ادخاراً، وأَتكـرم على الكـريم تكرمـاً، لأَن قولـه أغفر عوراءَ الكريم معناه أَدخر الكريم، وقوله وأَعرض عن شتـم اللئيم تكـرماً معنـاه أَتكرم على اللئيم(5)، وموضع أَن الثانية نصب، المعنى أَن يكفـروا بما أَنـزل اللّه

---

(1) ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ ـ البقرة ـ ٢ ـ ٢٧١.

(2) في الأصل هو على مذهب.

(3) إذا قدر المحذوف ـ حذرت ـ فهو مفعول مطلق ويجب فيه النصب أما إن ذكر أو قدر مغاير فهذا المصدر علة ويجوز جره بحرف.

(4) تقدم هذا الشاهد ص ٩٧، ديوانه ١٠٨، والخزانة ١ ـ ٤٩١.

(5) على هذا التقدير يكون: أدخاره، وتكرما ـ مفعولاً مطلقاً. وهمـا مفعول لأجله ـ إذ المعنى كمـا قال ـ لادخاره وللتكرم، ولكنه يريد معنى تقريبياً ـ ولهذا قال: وكأنه.

لأن ينزل اللَّه، أي كفروا لهذه العلَّةِ، فشرحه كهذا الذي شرحناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبَاءُ وا بِغَضَب عَلَى غَضَبٍ﴾: معنى باءُوا في اللغة احتملوا، يقال قد بؤْت بهذا الذَّنْبِ أي تحملته - ومعنى ﴿بِغَضبٍ على غَضَبٍ﴾ - فيه قولان:

قال بعضهم بغَضبٍ من أجل الكفر بالنبي ﷺ على غَضبٍ على الكفر بعيسى ﷺ يعني بهم[1] اليهود. وقيل باءُوا بغضب على غضب أي بإِثْمٍ استحقوا به النار على إثم تَقَدَّم أي استحقوا به أيضاً النَّارَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّه﴾.

أي بالقرآن الذي أنزل اللَّه على النبي ﷺ قالوا أَنُؤْمن بما أُنْزِل علينَا، وقد بين اللَّه أنهم غير مؤْمنين بما أُنزل عليهم، وقد بينا ذلك فيما مضى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُون بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾.

معناه ويكفرون بما بعده، أي بما بعد الذي أُنزل عليهم، ﴿وهو الحقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾، فهذا يدل على أنهم قد كفروا بما معهم إذْ كفروا بما يُصَدِّقُ ما معهم، نصب مصدقاً على الحال، وهذه حال مؤكدة، زعم سيبويه والخليلُ وجميع النحويين الموثوقُ بعلمهم أن قولك «هو زيد قائماً» خطأٌ، لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة، لأن الحال توجب ههنا أنه إذا كان قائماً فهو زيد، فإذا ترك القيامُ فليس بزيد - وهذا خطأٌ. فأما قولك هو زيد معروفاً، وهو الحق مصدقاً، ففي الحال فائدة، كأنك قلت انْتَبِهْ لَهُ معروفاً، وكأنه منزلة قولك هو زيد حقاً، فمعروفاً حال لأنه إنَّما يكون زيداً لأنه يعرف بزيد، وكذلك «الحق» القرآن هو الحق إذ كان مصدقاً لكتب الرسل.

---

(١) في الأصل ويعني به - ويستقيم على تقدير يعني بهذا القول.

أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فى قولهم: ﴿نؤْمِنُ بما أُنزِلَ عَلَيْنا﴾ فقال:
﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾.

أيْ أيُّ كتاب جُوِّز فيه قتل نبي، وأي دين وإيمان جُوز فيه ذلك فإن قال قائل فَلِمَ قيل لهم فلم تقتلون أنبياءَ اللَّه من قبل، وهؤُلاءِ لَمْ يَقْتُلُوا نبيًّا قط؟ قيل له قال أهل اللغة في هذا قولين: أحدهما إن الخطاب لمن شُوهِدَ من أهل مكة ومنْ غاب خطَابٌ واحد، فإذا قَتَل أسْلافُهم الأنبياءَ وهم مُقِيمُون على ذلك المذهب فقد شَرَكُوهم في قَتْلِهِمْ، وقيل أيضاً لِمَ رَضيتمُ بذلك الفعل، وهذا القول الثاني يرجع إلى معنى الأول. وإنما جاز أنْ يُذكر هنا لفظُ الاستقبال والمعنى المضي لقوله ﴿من قبل﴾ ودليل ذلك قوله ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُم رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بالبَيِّنَاتِ وَبالَّذِي قُلْتُم فَلِمَ قَتَلْتمُوهم﴾[1] فقوله: ﴿فلم تَقتلون﴾ بمنزلة «فلم قتلتم».

وقيل في قوله: ﴿إنْ كُنتم مؤْمنين﴾ قولان: أحدهما ما كنتم مؤْمنين[2] وقيلَ إنَّ إيمانكم ليس بإيمان[3]. والإيمان ههنا واقع على أصل العقد والدين، فقيل لهمْ ليس إيمانٌ إيماناً إذَا كان يَدْعُو إلى قتل الأنبياءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ﴾.

قد بيناه فيما مضى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأُشْرِبُوا في قلُوبِهِمُ العِجْلَ بكفْرِهِم﴾.

معناه سُقُوا حبَّ العجل، فحذف حب وأُقيم العجل مقامه، كما قال الشاعر:

وكيف تُواصِل من أصْبحتْ خلالته كأبي مرحب[4]

---

(١) آل عمران ٣ ـ ١٨٢.

(٢) إن نافية والجملة مستأنفة.

(٣) إن إذن شرطية: أي إن كنتم مؤمنين حقاً فلم قتلتموهم أي إنه إيمان يدعو للشك والريبة.

(٤) تقدم ص ٩٣.

أي كخلالته أبي مرحب، وكما قال:

وشرُّ المـنـايـا ميّـت بـينَ أهْـله كهلك الفتى قَدْ أسْلَم الحيَّ حاضِرُه[1]

المعنى وشر المنايا منيَّة ميت. . . .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي فعل اللّه ذلك بهم مجازاة لهم على الكفر كما قال: ﴿بلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بكُفْرِهِمْ﴾[2].

وقوله: ﴿بِئْسَمَا يأْمُرُكُمْ بِهِ إيمَانُكم إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قد فسرناه[3] أي ما كنتم مؤمنين، فبئس الإيمان يأمركم بالكفر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إن كانت لَكُمُ الدارُ الآخرةُ عنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

قيل لهم هذا لأنهم قالوا: ﴿لَنْ يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبناءُ اللَّه وأَحبَّاؤُه﴾[4] فقيل لهم إن كنتم عند أنْفُسِكم صادقين فِيما تدّعون فَتَمنَّوُا المَوْت، فإنَّ من كان لا يشك في أنه صائر إلى الجنة، فالجنة عنده آثرُ من الدنيا، فإن كنتم صادقين فتمنَّوُا الأثرة والفضل.

وللنبي ﷺ وللمسلمين في هذه الآية أعظم حجة وأَظهرُ آية وأَدلَّةٍ على الإسلام، وعلى صحة تثبيت رسالة النبي ﷺ لأنه قال لهم: تَمنَّوُا الموت، وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً فَلَمْ يتمنّه منهم واحد لأنهم لو تمنوه لماتُوا من

---

(١) للحطيئة وراويته في ديوانه وطبقات فحول الشعراء: كهلك الفتاة وكلتا الروايتين تعني الهالك الضعيف الذي لا طاقة له على دفع ما نزل به، وحاضره ـ حاله أو الموت الذي حضره. وأسلم القوم جعلهم يستسلمون والبيت في ديوانه ٤٧.

وأنظر ابن سلام ٩٤ ـ ٩٥ وهو من أبيات يفضل بها عيينة بن حصن على زبان بن سيار.

(٢) النساء ٤ ـ ١٥٥.

(٣) ص ١٧٢.

(٤) المائدة ٥ ـ ١٨.

ساعتهم، فالدليل على علمهم بأن أمر النبي ﷺ حقٌّ أنهم كَفُّوا عن التَّمني ولم يُقْدِم واحد منهم عليه فيكون إقْدامُه دفعاً لقوله: ﴿ولَنْ يتمنَّوْه أبداً﴾ أو يعيش بعد التمني فيكون قد ردَّ ما جاءَ به النبي ﷺ فالحمد للّه الذي أوضَح الحقَّ وبيَّنَه، وقَمع الباطل وأزْهقه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ يَتَمنَّوْهُ أَبداً بمَا قَدَّمَتْ أَيْديهمْ﴾.

يعني ما قدمت من كفرِهِمْ بالنَّبي ﷺ لأَنهم كفروا وهم يعلمون أنه حق وأَنهم إنْ تَمَنَّوْه ماتوا، ودليل ذلك إمْسَاكُهُمْ عَن تَمنِّيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ﴾.

اللّه عزّ وجلّ عليم بالظالمين وغير الظالمين، وإنَّما الفائدة ههُنا أَنه عليم بمجازاتهم، وهذا جرى في كلام الناس المستعمل بينهم إذَا أَقبل الرجل على رجل قد أتى إليه منكراً، قال أَنا أَعرفك، وأنا بصير بك، تأْويله أَنا أعلم ما[1] أعاملك به وأستعمله معك. فالمعنى إنه عليم بهم وبصير بما يعملون، أي يجازيهم عليه بالقتل في الدنيا أو بالذِّلَّة والمسكنة وأَداءِ الجِزية، ونصب ﴿لن﴾ كما تنصب «أَن» وقد شرحْنا نصبها فيما مضى وذكرنا ما قاله النحويون[2] فيه، ونصب ﴿أَبداً﴾ لأَنه ظرف من الزمان، المعنى: لن يَتَمَنَّوْهُ في طول عُمرهم إلى موتهم، وكذلك قولك: لا أُكلمك أَبداً، المعنى لا أُكلمك ما عشت. ومعنى ﴿بما قدمت أَيديهم﴾ أي بما تقدمه أيديهم[3]. ويصلح أَن يكون بالذي قدمته أَيديهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَتَجِدنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حياةٍ﴾.

يعني به علماءَ اليهود هؤلاءِ، المعنى أَنك تجدهم في حال دعائهمْ إلى تمنى

(١) في ط أعلم بما.

(٢) ص ١٦٠.

(٣) في ك: بتقدمة أي ما مصدرية أو موصولة.

الموت أحرص الناس على حياة. ومعنى لَتجِدَنَّهُمْ لتَعْلَمَنَّهم. وَمَعْنى﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾أي وَلَتجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ من الذين أشركوا، وهذا نهاية في التمثيل، والذين أشركوا هم المجوس ومن لا يؤْمن بالبعث.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّر أَلْفَ سنةٍ﴾.

ذكرت الأَلْفُ لأنها ـ نهايةُ ما كانت المجوس ـ تدْعُو به لملوكها كان الملك يُحَيَّا بأن يقال عش أَلفَ نَيْرُوزٍ وَأَلْفَ مِهْرَجَانٍ[1].

يقول فهؤُلاءِ الذين يزعمون أن لهم الجنة، وأَنَّ نعيم الجنة له الفضل لَا يتمنون الموت وهم أحرص مِمَّن لا يؤْمن بالبعث، وكذلك يجب أن يكون هؤُلاءِ لأنهم كُفَّارٌ بالنبي ﷺ وهو عِنْدهُم حق، فيعلمون أَنَّهم صائرون إلى النَّارِ لا محالة، فهم أَحْرصُ لهذه العلة، ولأنهم يعلمون أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، لأنهم علموا أن النبي ﷺ حق لولا ذلك لما أمسكوا عن التّمني، لأن التمني من واحد منهم كان يثبت قولهم.

وإنما بالغنا في شرح هذه الآيات لأنها نهاية في الاحتجاج في تثْبِيتِ أَمْرِ النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾.

هذا كناية عن ﴿أحدهم﴾ الذي جرى ذكره، كأنه قال: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، ويصلح أن تكون «هو» كناية عما جرى ذكره من طول العمر، فيكون: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل أن يعمر مبنياً عن «هو» كأنه قال: ذلك الذي ليس بمزحزحه ﴿أن يعمر﴾[2].

---

(١) حين يهنأ الملك في هذا العيد يقال له عش ألف عيد.

(٢) أي هو مفسر له.

وقد قال قوم: إنَّ «هو» لِمَجْهـولٍ وهذا عنـد قوم لا يصلح في «مـا» إذا جـاءَ في خبرهـا الباءِ مـع الجملة: لا يجيز البصـريون: «مـا هو قـائمـاً زيـد، يريدون ما الأَمر قائماً زيد[1]، ولا كان هو قائمـاً زيد، يـريدون مـا الأمر قـائماً زيد[1]، ولا كان هو قائماً زيد، يريدون كان الأَمر قائماً زيد وكذلك لا يجيزون ما هو بقائم زيدٌ[2] يريدون ما الأَمْرُ».

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿واللَّهُ بصيرٌ بما يَعْمَلُونَ﴾. (شـرحه تقـدم في الآية التي قبل هذه)[3] وتقول في يود: وددت الرجل أودة وُدًّا[4] أَوْ وِداداً ومـوَّدة «وودادة» وحكى الكسائي ودَدْتُ الرجلَ والذي يعرفه جميع الناس ودِدْتُه، ولم يحك إلا ما سَمِعَ إلا أنه سمع ممن لا يجب أن يؤْخذ بلغته، لأن الإجماع على تصحيح أَوَدُّ، وأَوَدُّ لَا يكون ماضيـه ودَدَتُ[5]. فالإجمـاع يُبْطِل وَدَدْتُ. أعني الإجمـاع في قولهم أودُّ.

قوله عزّ وجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾.

جبريل في اسمـه لغات قـرئ ببعضها[6] ومنهـا ما لم يُقْـرأ به، فـأجود اللغـات جَبْرَئِيـل - بفتح الجيم، والهمـز، لأن الـذي يـروى عن النبي ﷺ في صـاحب الصُّور «جَبْـرَئِيلُ عن يمينـه وميكائيـل عن يساره، هـذا الـذي ضبـطه أُصحاب الحديث، ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسـرها ويقـال «أيضاً» جبـرأُلُّ - بحذف الياءِ وإِثبات الهمزة - (وتشديد اللام)[7]، ويقال جبرين - «بالنون» وهذا

---

(١) لأن الاسم ضمير الشأن، ولا يكون خبره إلا جملة.

(٢) لأن وجود الباء يدل على أن «قائم» خبر.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك بضم الواو وكسرها.

(٥) لأن عين الفعل لا تفتح في الماضي والمضارع إلا إذا كان حلقي العين أو اللام.

(٦) ك جبريل صلى اللَّه عليه في اسمه لغات قد قرىء ببعضها.

(٧) ليست في ك وهي لغة سادسة.

لا يجوز في القرآن ـ أعني إثبات النون لأنه خلاف المصحف ـ قال الشاعر:

شَهِـدْنَـا فَمَـا تلقى لنـا من كتيبـة يـد الـدهـر إلا جَبْـرِئيـلُ أمـامهـا[1]

وهذا البيت على لفظ ما في الحديث وما عليه كثير من القراءِ. وقد جـاءَ في الشعر جبريل قال الشاعر:

وجِـبْـريـلٌ رسـول الـلَّه مـنـا وروح القـدس ليس لـه كـفـاءُ[2]

وإنما جرى ذكر هذا لأن اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريـل عدونـا فلو أتاك ميكائيل، لَقَبِلْنَا منك، فقال اللَّه عزّ وجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّـه مُصَدِّقاً لِمَـا بَيْنَ يَدَيْـهِ﴾ يعني ما تقـدم من الكتب ﴿وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِين﴾.

ونصب ﴿مصدقاً﴾ على الحال.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَمِيكَائِيل فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ للكَافِرِينَ﴾.

ميكائيل فيه لغاتٌ، ميكائيل وميكال. وقد قـرئَ بهما جميعـاً، وميكَأل ـ بهمزة بغير ياءٍ[3]. وهذه أسماء أعْجميَّة دفعت إلى العرب فلفظت بهـا بألفـاظ مختلفـة ـ أعني جبريـل، وميكائيـل. وإسرائيـل فيـه لغـات أيضـاً: إسـرايِيـل وإسرال، وإسرايـل. وإبراهيم وإبـراهَم، وأبرَهْم وإبْـرَاهام، والقـرآن إنَّما أتَى بإبراهيم فقط وعليه القراءة.

وأكثـر ما أرويـه من القراءَة في كتـابنا هـذا فهو عن أبي عبيـد ممَّـا رواه

---

(١) لكعب بن مالك من الشعراء الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأنزل اللَّه فيهم قرآناً ـ الخزانة ١ ـ ١٩٩.

(٢) البيت ينسب كثيراً لحسان بن ثابت ـ من همزيته ـ عفت ذات الأصابع فالجواء ـ ونفى صاحب الخزانة أن يكون له. أنظر جـ ١ ـ ١٩٩.

(٣) أي بعد الهمزة.

إسماعيل بن إسحق عن أبي عبد الرحمن عن أبي عُبَيْد.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾.

يعني الآيات التي جرى ذكرها مما قد بيناه، والآية في اللغة العلامة، وبينات: واضحات، و «قد» إنما تدخل في الكلام لقوم [لا](١) يتوقعون الخبر، واللام في لقد لام قسم(٢).

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِها إِلَّا الفَاسِقُونَ﴾.

يعني الذين قد خرجوا عن القصد، وقد بينا أن قول العرب فَسقَت الرطبة: خرجت عن قشرتها.

وقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾.

معنى نبذه رفضه ورمى به، قال الشاعر:

نَظَرتَ إلى عُنْوانه فنبذته كنبذك نَعْلا أَخلقت من نِعالكا(٣)

ونصب ﴿أو كلما عاهدوا﴾ على الظرف. وهذه الواو في ﴿أو كلما﴾ تدخل عليها ألف الاستفهام، لأن الاستفهام مستأنف، والألف أمُّ حروف الاستفهام. وهذه الواو تدخل على هل فتقول: وهل زيد عاقل لأن معنى ألف الاستفهام

---

(١) في الأصول يتوقعون، وهو غير مناسب.

(٢) أي فالخبر مؤكد ـ ولهذا لا بد من ذكر «لا».

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي ـ ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني. تابعي فقيه محدث شاعر ـ وأيضاً له حظ من صفة الفروسية ـ قيل إنه واضع النحو ـ كان شيعياً ولكنه لم يهج الأمويين ـ وهو واضع النقط في المصحف. توفي سنة ٦٧ هـ وله الآن ديوان مطبوع وليس به هذا البيت ولكنه في كثير من الكتب منسوباً له ذكره أبو عبيدة في مجازه ١٤٨/١ : ١١١ وغيرهما، وهو في الطبري ١ ـ ١٣٣، والأغاني ٣٠٧/١٢ بولاق والقرطبي ٤٦/٢ وكان أبو الأسود وجه بخطابين إلى الحصين بن أبي الحر، وأبي نعيم بن مسعود يطلب معونة فبرة نعيم ورمى الحصين الكتاب فهذا الشعر له.

موجود في هل، فكأن التقدير أو هل إلَّا أن ألف الاستفهام وهَلْ لا يجتمعان لأغناء هل عن الألف.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

يعني به النبي ﷺ لأن الذي جاءَ به مُصَدّقٌ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ، و﴿لما﴾ يقع بها الشيءُ لوقوع غيره[1] ﴿مصدق﴾ رفع صفة لرسول[2]، لأنهما نكرتان. ولو نصب كان جائزاً، لأن ﴿رسول﴾ قد وصف بقوله من عند اللَّه فلذلك صار النصب يحسن، وموضع «ما» في ﴿مِصدّقٌ لما معهم﴾ جَرٌّ بلام الإضافة، و «مَعَ» صلة لها، والناصب لمع الاستقرار. المعنى لما استقر [معهم].

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وراءَ ظُهُورِهِمْ﴾.

﴿الذين أُوتوا الكتاب﴾يعني به[3] اليهود، والكتاب هنا التوراة و﴿كتاب اللَّه وراءَ ظهورهم﴾فيه قولان: جائز أن يكون القرآن وجائز أن يكون التوراة، لأن الذين كفروا بالنبي قد نبذوا التوراة.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

أَعْلَمَ أنهم علماء بكتابهم، وأنهم رفضوه على علم به، وعداوةً للنبي صلَّى اللَّه عليه وسلم. وأَعْلَمَ أَنَّهم نَبذوا كتاب اللَّه[4].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿واتَّبَعوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانْ﴾.

---

(١) أي هي ظرفية أو شرطية.

(٢) في ط صفة لرسول اللَّه ـ وهو مجاف للياقة.

(٣) بهذا اللفظ.

(٤) المعنى الظاهر من الآية أنهم تركوا الكتاب كأنهم لا علم لهم به، وهو يريد هنا: كأنهم لا يعلمون أن النبي يعلم أنهم يعرفون كل ذلك. وأن اللَّه تعالى أعلمه بحالهم.

ما كانت تتلوه، والذي كانت الشياطين تلته في ملك سليمان كتابٌ من السحر فَلِبَهَتِ اليهود وكَذِبهم ادَّعَوْا أن هذا السحر أخذوه عن سليمان وأنه اسم اللَّه الأعظم، يتكسَّبُون بذلكَ، فأعلم اللَّه - عز وجلّ - أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السّحر، ومعنى على ﴿ملك سليمان﴾، على عهد ملك سليمان (عَلَيْهِم)[1] فبرأ اللَّه عزّ وجَلَّ سليمانَ من السحر، وأظهر محمداً ﷺ عَلَى كذبهم وقال: ﴿وما كفر سليمان﴾. لأن اللَّه جعل الاتيان من سليمان بالسحر كفراً فبرَّأَهُ منه، وأعلم أن الشياطين كفروا فقال: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ «فمن شدد» ﴿ولكن﴾ نصب الشياطين، ومن خفف رفع فقال: «وَلَكِنِ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا» وقد قرئ بهما جميعاً.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿يُعلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْر وما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْن﴾.

وقد قريءَ على الملِكَيْنِ، و ﴿المَلَكَينِ﴾ أثْبتُ في الرواية والتفسير جميعاً، المعنى يعلمون الناس السِّحرَ ويعلمون ما أُنزلَ على الملكين فموضع ما نصب، نَسقٌ على السِّحْر، وجائز أن يكونَ واتبعوا ما تَتْلُو الشياطين واتَّبعوا ما أُنزل على الملكين، فتكون ما الثانية عطفاً على الأولى.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَمَا نحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾.

فيه غير قول: أحدها[2] - وهو أثبتها أن الملكين كانا يعلمان الناس السحر. وعلَّمتُ، وأعْلَمْتُ جميعاً في اللغة بمعنى واحد. (كانا يعلمان)[3] نَبأَ السحر[4] ويأمران باجتنابه - وفي ذلك حكمة لأن سائلاً لو سأل: ما الزنا وما

(١) ليست في ك.

(٢) في ط أحدهما.

(٣) ليست في ك.

(٤) في ك ما السحر: وهو فيهما بدل من السحر. أي يعلمان الناس نبأ السحر وما هو.

(٥) يُعَرَّف ما سُئِلَ عَنْهُ.

القذف لوجب أن يوقف ويُعَلَّمَ أنه حرام، فكذلك مجاز إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الإعلام يدل على ما وصفنا، فهذا مستقيم بين، ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفراً، إنما يكون العمل به كفراً، كما أن من عَرَفَ الزنا لم يأْثَمْ بأنَّه عرفه، وإنما يأْثم بالعمل به. وفيه قَوْلٌ آخر، جائز أن يكون اللَّه عزّ وجلّ امتحن بالملكين الناس في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر، فيكون بتَعلُّمِه كافراً، وبتَرْكِ تعلمه مؤْمناً، لأن السحر قد كان كثر وكان في كل أُمة، والدليل على ذلك أن فرعون فزع في أمر موسى ﷺ إلى السحر ـ فقال: ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾[1] وهذا ممكن أن يمْتَحِن اللَّه به كما امتحن بالنهر في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتليكم بِنهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْه فَإِنَّه مِنِّي إِلاَّ مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيدِهِ﴾[2].

وقد قيل إن السحر ما أُنزل على الملكين، ولا أُمرا به ولا أَتى به سليمانُ عليه السلام. فقال قوم: ﴿وَمَا كَفَر سُلَيمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الملَكَيْنِ﴾، فيكون «ما» جُحْداً، ويكون هاروت وماروت من صفة الشياطين، على تأْويل هؤُلاء، كان التأْويل عندهم على مذهب هؤُلاءِ: كان الشياطين هاروت وماروت، ويكون معنى قولهمَا على مذهب هؤُلاءِ «إنما نحن فتنة فلا تكفر» كقول الغاوي والخليع: أَنا في ضلال فلا تَرِدْ ما أَنا فيه.

فهذه ثلاثة أَوجه، والوجهان الأَولان أَشبه بالتأْويل وأَشبه بالحق عند كثير من أَهل اللغة، والقول الثالث له وجه، إلا أَن الحديث وما جاءَ في قِصَّةِ الملكين أَشبه وأَولى أَن يؤخذ به.

---

(١) يونس ١٠ ـ ٧٩.

(٢) البقرة ٢ ـ ٢٤٩.

وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأن كتاب اللّٰه ينبغي أن يتبين ألا ترى أن اللّٰه يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[1] (فحُضِضْنَا)[2] على التدبّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة أهل العلم، واللّٰه أعلم بحقيقة تفسير هذه الآية. فإن النحويين قد ترك[3] كثير منهم الكلام فيها لصعوبتها، وتكلم جماعة منهم وإنما تكلمنا على مذاهبهم.

وقال بعض أهل اللغة: إن الذي أُنزل على الملكين كلام ليس بسحر إلَّا أنه يفرق (بهِ بين)[4] المرءِ وزوجه فهو من باب السحر في التحريم وهذا يحتاج من الشرح إلى مثل ما يحتاج إليه السحر[5].

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿فيتَعَلَّمُونَ منْهُمَا﴾.

ليس يتعلمون بجواب لقوله فلا تكفر[6] وقد قال أصحاب النحو في هذا قولين[7] - قال بعضهم: إن قوله يتعلمون عطف على قوله ﴿يُعلمونَ﴾ وهذا خطأ، لأن قوله منهما دليل ههنا على أن التعلم من الملكين خاصة وقيل ﴿فيتعلمون﴾ عطف على ما يوجبه معنىٰ الكلام. المعنى: إنما نحن فتنة فلا تكفر: فلا تتعلم ولا تعمل بالسحر، فيأبون فيتعلمون، وهذا قول حسن. والأجود في هذا أن يكون عطفاً على يعلمان فيتعلمون واستغنى عن ذكر يعلمان بما في الكلام من الدليل عليه.

---

(١) النساء ٤ - ٨٢ والقتال ٤٧ - ٢٤.
(٢) ليست في ط.
(٣) في ط نبذ.
(٤) ليست في ط والعبارة هناك - يفرق المرء وزوجه.
(٥) يحتمل إلا وجه التي سبقت.
(٦) في ط: فلا تكفروا بي وهو خطأ.
(٧) في ط في هذا أيضاً.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

الإذن هنا لا يكون الأمر من اللَّه عزّ وجَلَّ: «لإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ»، ولكن المعنى إلا بعلم اللَّه[1].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَيَتَعَلَّمُون مَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾.

المعنى أنه يضرهم في الآخرة وإن تعجلوا به في الدنيا نفعاً.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

الخلاق النصيب الوافر من الخير، ويعني بذلك الذين يعلمون السحر لأنهم كانوا من علماءِ اليهود.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

فيه قولان[2]: قالوا: ﴿لوكانوا يعلمون﴾: يعني به الذين يُعَلِّمُونَ السِّحْر. والذين علموا أن العالم به لا خلاق له هم المعلمون..

قال أبو إسحق والأجود عندي أن يكون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ راجعاً إلى هؤلاء الذين قد علموا أنه لا خلاق لهم في الآخرة. أي لمن عُلِّمَ السحرَولكن قيل ﴿لوكانوا يعلمون﴾ أي لو كان علمهم ينفعهم لسُمُّوا عالمين، ولكنَّ عِلْمَهُم نبذوه وراء ظهورهم، فقيل لهم ﴿لوكانوا يعلمون﴾ أي ليس يوفون العلم حقه، لأنَّ العالِمَ، إذا ترك العَمَلَ بِعِلْمِه قيل له لست بعالمٍ

ودخول اللام في لقد على جهة القسم والتوكيد، وقال النحويون في ﴿لمن اشتراه مَالَهُ في الآخرة من خلاق﴾ قولين: جعل بعضهم «مَنْ» بمعنى

---

(١) أي بإرادته تعالى إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد.

(٢) في مرجع الضمير من قالوا، إذ هو إما لمن يعلمون أو لمن علموا، أي المعلمين أو المتعلمين، وآثر هو الثاني.

الشرط، وجعل الجواب ﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾. وهذا ليس بموضع شرط ولا جزاءً، ولكن المعنى: ولقد علموا الذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق: كما تقول: واللَّه لقد علمت للذي جاءَك ماله من عقل. فأما دخول اللام في الجزاءِ في غير هذا الموضع وفيمن جعل هذا موضع شرط وجزاء! مثل قوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] ونحو ﴿وَلَئِن أَتيت الذين أُوتُوا الكتابَ بكل آيةٍ ما تَبعوا قِبْلَتَك﴾[2] - فاللام الثانية هي لام القسم في الحقيقة، لأنك إنما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك: واللَّه لئن جئتني لأُكرمنَّك، فزعم بعض النحويين أَن اللام لما دخلت في أول الكلام أَشبهت القسم فأُجيبت بجوابه وهذا خطأ، لأن جواب القسم ليس يشبه القسم[3]، ولكن اللام الأُولى دخلت إِعْلاماً أَنَّ الجملة بكمالها معقودة للقسم، لأَن الجزاء وإن كان للقسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ، فلذلك دخلت اللام[4].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

مَثُوبة في موضع جواب «لو» لأَنها تُنْبِئ عن قولك «لأثيبُوا» ومعنى الكلام أَن ثواب اللَّه خير لهم من كَسْبِهم بالكُفْر والسِّحْرِ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانُوا يَعلَمُونَ﴾.

أَي لو كانوا يَعْمَلُونَ بِعِلِمِهم، ويعلمون حقيقة ما فيه الفضل.

---

(١) الروم ٣٠ - ٥٨.

(٢) البقرة ٢ - ١٤٥.

(٣) أي أن جواب القسم يأتي للقسم نفسه لا لما يشبهه.

(٤) نفى أن تكون الآية ﴿لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ مما اجتمع فيه الشرط والقسم وآثر أن «من» في ﴿لمن اشتراه﴾ موصولة ولكن القسم فيه معنى الشرط لحاجته إلى الجواب.
وحيث اجتمع الشرط والقسم فجواب الثاني محذوف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا واسْمَعُوا﴾.

وقرأ الحسن لا تقولوا «راعِناً» بالتنوين، والذي عليه الناس راعنا غير منون[1]، وقد قيل في ﴿راعنا﴾ بغير تنوين ثَلاثةُ أَقوال: قال بعضهم راعنا: ارعنا سمعك، وقيل كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا، وكانت اليهود تَتَسَابُّ بينها بهذه الكلمة، وكانوا يسبون النبي ﷺ في نُفُوسهم، فلما سمعوا هذه الكلمة اغتنموا أن يظهروا سَبَّه بلفظ يسمع ولا يلحقهم به في ظاهره شيء، فأظهر اللَّه النبيَّ ﷺ والمسلمين على ذلك ونهى عن هذه الكلمة.

وقال قوم :﴿لا تقولوا راعنا﴾ :من المراعاة والمكافأة[2]، فأمروا أن يخاطبوا النبي ﷺ بالتقدير والتوقير، فقيل لهم لا تقولوا راعنا، أي كافنا في المقال، كما يقول بعضهم لبعض، وقولوا: أَنْظِرنا أي أَمهلنا واسمعوا، كأنه قيل لهم استَمِعُوا. وقال قوم إن ﴿راعنا﴾ كلمة تجري على الهُزْءِ والسُّخرية، فنهيَ المسلمون أن يَلْتَفِظُوا بها بحضرة النبي ﷺ.

وأما قراءَة الحسن «راعناً» فالمعنى فيه لا تقولوا حُمْقاً، من الرعونة.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

المعنى ولا من المشركين، الذين كفروا من أهل الكتاب: اليهود والمشركون في هذا الوضع عَبَدةُ الأَوثان.

﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

ويُقْرأُ أَن يُنْزَل عليكم بالتخفيف والتثقيل جميعاً، ويجوز في العربية «أَن

---

(١) ك بغير تنوين.

(٢) أي المساواة ـ والمعنى إذن لا تطلبوا المساواة في الخطاب.

يُنْزِلَ عليكم»[1] ولا ينبغي أن يقرأ بهذا الوجه الثالث، إذ كان لم يقرأ به أحد من القراء المشتهرين. وموضع ﴿من خير﴾رفع. المعنى: ما يود الذين كفروا والمشركون أن ينزل عليكم خير من ربكم، ولو كان هذا في الكلام لجاز ولا المشركون، ولكن المصحف لا يخالف، والأجود ما ثبت في المصحف أيضاً، ودخول من ههنا على جهة التوكيد والزيادة كما في «ما جَاءني من أحد»، وما جاءني أحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرحْمَتِه مَنْ يَشَاءُ واللَّه ذُو الفَضْلِ العظيم﴾أي يختص بنُبوته من يشاءُ من أخبر ـ عزّ وجَلَّ ـ أنه مختار.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ في ﴿ننسها﴾ غير وجه قد قرئ به: أو نُنْسِهَا، وَنَنْسَهَا، وَنَنْسَؤُها. فأما النسخ في اللغة فإبطال شيء وإقامة آخر مقامه، العرب تقول نسخت الشمسُ الظل، والمعنى أذهبت الظل وحلَّت محلَّه، وقال أهل اللغة في معنى ﴿أونُنْسِهَا﴾ قولين: قال بعضهم، «أو نَنْسَهَا» من النسيان، وقالوا دليلنا على ذلك قوله عزّ وجَلَّ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّه﴾[2] فقد أعلم اللَّه أنه يشاء أن يُنْسى، وهذا القول عندي ليس بجائز، لأن اللَّه عزّ وجلّ: قد أنبأ النبي ﷺ في قوله ﴿ولئن شِئْنَا لنذهَبنَّ بالذي أوحينا إليك﴾[3] أنه لا يشاء، أن يذهب بالذي أَوْحَى به إلى النبي ﷺ. وفي قوله﴿فلا تنسى إلا ما شَاءَ اللَّه﴾قولان يُبْطلان هذا القول الذي حكينا عن بعض أهل اللغة: أحدهما ﴿فلا تنسى﴾ أي لست تترك إلا ما شاءَ اللَّه أن تترك، ويجوز أن يكون إلا ما شاءَ اللَّه مما يلحق بالبشرية، ثم تذكر بعد،

---

(١) ك أن ينزل عليكم، ويكون معناه أن ينزل اللَّه عليكم.

(٢) سورة الأعلى ٨٧ ـ ٦.

(٣) سورة الإسراء ١٧ ـ ٨٦.

ليس أنه على طريق السلب للنبي ﷺ شيئاً أُوتيه من الحكمة[١] وقيل في ﴿أو نُنْسِهَا﴾ قول آخر وهو خطأ أيضاً، قالوا أَو نَتْرُكُهَا» وهذا يقال فيه نسيت إذا تركت، ولا يقال أنسيت، [أي] تركت[٢]، وإنما معنى ﴿أوننسها﴾ أو نَترِكها أي نأمر بتركها، فإن قال قائل ما معنى تركها غير النسخ وما الفرق بين الترك والنسخ؟ فالجواب في ذلك أن النسخ يأتي في الكتاب في نسخ الآية بآية فتُبطِل الثانيةُ العملَ بالأولى. ومعنى الترك أن تأتي الآية بضرب من العمل فيؤمر المسلمون بترك ذَلك بغير آية تَأْتِي ناسخة للتي قبلهَا، نحو ﴿إذا جاءَكم المؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامتحنوهن﴾[٣] ثم أُمر المسلمون بعد ذلك بترك المِحْنَة[٤] فهذا معنى الترك، ومعنى النسخ قد بيناه فهذا هو الحق.

ومن قرأ «أو نَنْسؤُها» أُراد نُؤخِّرُها. والنَّسْءُ في اللغة التأْخير، يقال: نسأَ اللَّه في أَجله[٥] وأَنْسَأَ اللَّه أَجلَه أي أَخر أَجله.

وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾.

المعنى بخير منها لكم، ﴿أَوْمِثْلِها﴾ فأَما ما يؤتى فيه بخير من المنسوخ فتمام الصيام الذي نسخ الإباحة في الإفطار لمن استطاع الصيام.

ودليل ذلك قوله: وتُكمِلُوا العِدَّةَ فهذا هو خير لنا كما قال اللَّه عزّ وجلّ[٦].

وأما قوله ﴿أَوْمِثْلِهَا﴾ أي نأْتي بآية ثوابها كثواب التي قبلها، والفائدة في

---

(١) يريد أن الاستثناء في ﴿إلا ما شاء الله﴾ لا يفيد أن النبي يسلب شيئاً من الحكمة التي أوتيها، وإنما ينسى ويذكر.

(٢) لا يفسر الفعل المتعدي باللازم.

(٣) الممتحنة ٦٠ ـ ١٠.

(٤) الامتحان.

(٥) في ط يقال نسأ اللّه أجله، ولم يذكر أنسأ.

(٦) هذا رأي لبعض المفسرين في الآية ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ وسيأتي.

ذلك أن يكون الناسخ أسهل في المأخذ من المنسوخ، والإيمان به أسوغ، والناس إليه أسرع. نحو القِبْلة التي كانت على جهة ثم أمر اللَّه النبي ﷺ بجعل البيت قبلةَ المسلمين وعدل بها عن القصد لبيت المقدس، فهذا ـ وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساوياً في العمل والثواب، فالذي أمر اللَّه به في ذلك الوقت كان الأَصلح، والأَدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾.

لفظ ﴿أَلَمْ﴾ ههنا لفظ إستفهام ومعناه التوقيفُ[1]، وجزم ﴿أَلَمْ﴾ ههنا كجزم «لم» لأَن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله، ومعنى الملك في اللغة تمام القدرة واستحكامها فما كان مما يقال فيه مَلِكٌ سمي المُلْكَ، وما نالته القدرة مما يقال فيه مَالِك فهو مِلْك، تقول: ملكت الشيء أَمْلِكه مِلْكاً، وكقوله[2] [تعالى] ﴿على مُلك سليمان﴾ أي في سلطانه وقُدْرته. وأَصل هذا من قولهم ملكتُ العَجين أَمْلُكه[3] إذا بالغْتُ في عَجْنِه، ومن هذا قيل في التزويج شهدنا «إملاكَ» فلان، أي شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده.

ومعنى الآية إن اللَّه يَمْلك السموات والأَرض ومن فيهن فهو أَعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به، من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا لَكُمْ مِن دُونِ اللَّه مِن وَلِيّ ولاَ نَصِير﴾.

هذا خطاب للمسلمين يخبرون فيه أَن من خالفهم فهو عليهم، وأَن اللَّه جلّ وعزّ ناصرهم، والفائدة فيه أَنه بنَصْره أَياهم يغلبون من سواهم.

---

(١) في ك التوقيف والتقرير ـ والمراد التوقيف على العلم أي قد علمت.

(٢) في ط وكأنه قوله.

(٣) في ك أملكه ملكاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أم تُريدُونَ أن تَسألُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾.

أجود القراءَة بتحقيق الهمزة[1]، ويجوز جعلها بَيْنَ بينَ، يكون بين الهمزة والياءَ فيلفظ بها سُيل. وهذا إنما تحكمه المشافهة لأن الكتاب[2] فيه غير فاصل بين المتحقق والمُلَيَّن وما جُعِلَ ياءً خالصة، ويجوز كما سِيلَ موسى من قبل، من قولك «سِلْت»، أسَال في معنى سُئِلت أسْأَل وهي لغة للعرب حجاها[3] جميع النحويين، ولكن القراءَة على الوجهين اللذين شرحناهما قبل هذا الوجه من تحقيق الهمزة وتليينها.

ومعنى ﴿أم﴾ ههنا وفي كل مكان لا تقع فيه عطفاً على ألف الاستفهام - إلا أنها لا تكون مبتدأة - أنها تؤذن بمعنى بل ومعنى ألف الاستفهام[4]، المعنى «بل[5]. أتريدون أنْ تسألوا رسولكم كما سُئِل موسى من قبل» فمعنى الآية أنهم نُهوا أن يسألوا النبي ﷺ ما لا خير لهم في السؤال عنه وما يُكَفِّرُهم، وإنما خوطبوا بهذا بعد وضوح البراهين لهم وإقامتها على مخالفتهم وقد شرحنا ذلك في قولهم «فَتمَنَّوُا الموتَ» وما أشبه ذلك مما تقدم شرحه.

فأُعْلِم المسلمون أن السؤال بعد قيام البراهين كفر. كما قال عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا لا تسألوا عن أشياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[6].

---

(١) همزة ﴿سئل موسى﴾.

(٢) أي الكتابة.

(٣) بمعنى عقلها وفي ك حكاها.

(٤) تؤدي معناهما معاً. أي الإضراب والاستفهام.

(٥) سقطت من ب ولا يتم المعنى بدونها.

(٦) سورة المائدة ٥ - ١٠١.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْر بالإيمان فقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾.

أي من يسأَلْ عمّا لا يعنيه النبيَّ ﷺ بعد وضوح الحق فقد ضلِ سواءَ السبيل (أي قصد السبيل)[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَدَّ كثيرٌ منْ أَهْلِ الكِتَاب لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْد إيمَـانِكُمْ كُفَّاراً﴾.

يعني به علماءَ اليهود.

وقوله: ﴿حَسَداً مِنْ عنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿من عند أَنفسهم﴾ موصول بود الذين كفروا، لا بقوله حسداً، لأن حسد الإِنسان لا يكون من عند نفسه، ولكن المعنى مودتهم بكفركم من عند أَنفسهم، لا أَنهم عندهم الحق الكفر[٢]، ولا أَن كتابهم أَمرهم بما هم عليه من الكفر بالنبي ﷺ، الدليل على ذلك قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاعْفُوا واصْفَحُوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِه﴾.

هذا في وقت لم يكن المسلمون أُمروا فيه بحرب المشركين، وإِنما كانوا يدعون بالحجج البينة وغاية الرفق حتى بين اللَّه أَنهم إنما يعاندون بعد وضوح الحق عندهم فأُمر المسلمون بعد ذلك بالحرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّه عَلَى كُلّ شيءٍ قَديرٌ﴾.

أي قدير على أَن يدعو إلى دينه بما أَحب مما هو عنده الأَحكم والأَبلغ. ويقال: أقدر[٣] على الشيءِ قَدْراً وقَدَراً وقُدْرة، وقُدْرَاناً، ومَقْدِرَة

---

(١) في ك فقط.

(٢) ليس الحق ملتبساً عليهم فحسبوه كفراٍ، ولكن الحسد حملهم على إنكاره.

(٣) في ط يقال على الشيء أقدر... الخ.

ومقدُرة ومقدَرة. هذه سبعة أوجه مروية كلها، وأضعفها مقدرة ـ بالكسر ـ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّة إلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾.

الإخبار في هذا عن أهل الكتاب[١]، وعقد النصارى معهم في قوله وقالوا لأن الفريقين يقرآن التوراة، ويختلفان في تثبيت رسالة موسى وعيسى، فلذلك[٢] قال اللّه عزّ وجلّ: وقالوا: «فأُجْمِلوا».

فالمعنى أن اليهود قالت لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، والنصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وجاز أن يلفظ بلفظ جمع لأن معنى﴿من﴾معنى جماعة. فَحُمِل الخبر على المعنى. والمعنى إلا الذين كانوا هودا وكانوا نصارى. وهو جمع هائد وهود، مثل حائل وحول، وبازل وبزل، وقد فسَّرْنَا واحد النصارى وجمعه فيما مضى من الكتاب[٣].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

هذا كما يقال للذي يدعي ما لا يبرهن حقيقته إنما أنت مُتَمَن، وأمانيهم مشددة، ويجوز في العربية تلك «أَمَانِيهِمْ» ولكن القراءَة بالتشديد لا غير، (للإجماع عليه، ولأنه أجود في العربية)[٤].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرهَانَكُمْ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾.

(أي إن كنتم عند أنفسكم صادقين) فَبَيِّنُوا ما الذي دلكم على ثبوت الجنة لكم.

---

(١) كذا في الأصول كلها ولعله اليهود.

(٢) في ك فلذلك أجملوا.

(٣) ص ١٤٧.

(٤) ليست في ط.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلى مَن أَسْلم وجهَه للَّهِ وهُوَ مُحْسِن فلَه أَجْرُه﴾.

أي فهذا يدخل الجنة، فإن قال قائل فما برهان من آمن في قولكم، قيل ما بيناه، من الاحتجاج للنبي ﷺ ومن إظهار البراهين بأنبائهم ما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي، وبما قيل لهم في تمني الموت، وما أتى به النبي ﷺ من الآيات الدالة على تثبيت الرسالة، فهذا برهان من أسلم وجهه للَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ، وقَالتِ النَّصارَى ليستِ اليَهودُ عَلى شيءٍ وهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ﴾.

يعني به أن الفريقين يَتْلُوَان التوراة، وقد وقع بينهم هذا الاختلاف وكتابُهم واحد، فدل بهذا على ضلالتهم، وحذر بهذا وقوع الاختلاف في القرآن، لأن اختلاف الفريقين أخرجهما إلى الكفر.

فتفهموا هذا المكان فإن فيه حجةً عظيمة وعِظَةً في القرآن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذلكَ قال الّذينَ لا يَعْلَمونَ مثل قَوْلِهم﴾.

يعني به الذين ليسوا بأصحاب كتاب، نحو مشركي العرب والمجوس، المعنى أن هؤلاء أيضاً قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاللَّهُ يَحْكمُ بينَهم يَومَ القيامَة﴾.

المعنى يريهم من يدخل الجنة عِياناً، ويدخل النار عيانا. وهذا هو حكم الفصل فيما تصير إليه كل فرقة، فأما الحكم بينهم في العقيدة فقد بينه اللَّه عزّ وجلّ - فيما أظهر من حجج المسلمين، وفي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنع مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

موضع من رفع ولفظها لفظ استفهام، المعنى: وأي أحد أظلم ممن منع

مساجد اللّه، و﴿أظلم﴾ رفع بخبر الابتداء، وموضع أن نصب على البدل من مساجد اللّه، المعنى: ومن أظلم ممن منع أن يذكر في مساجد اللّه اسمه[١].

وقد قيل في شرح هذه الآية غير قول: جاءَ في التفسير أن هذا يعني به الروم، لأنهم كانوا دخلوا بيت المقدس وخربوه[٢]، وقيل يعني به مشركو مكة[٣] لأنهم سعوا في منع المسلمين من ذكر اللّه في المسجد الحرام. وقال بعض أهل اللغة غير هذا. زعم[٤] أنه يعني به جميع الكفار الذين تظاهروا على الإسلام، ومنعوا جملة المساجد، لأن من قاتل المسلمين حتى منعهم الصلاة فقد منع جميع المساجد[٥] وكل موضِعٍ مُتَعَبَّدٍ فيه فهو مسجد، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فالمعنى على هذا المذهب: ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لهم أن يَدْخلوها إلاَّ خائِفِينَ﴾.

أعلم اللّه في هذه الآية أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفاً، وهذا كقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كله ولو كره المشركون﴾[٦].

وقوله: ﴿لَهُم فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

يرتفع ﴿خزي﴾ من وجهتين: إحدَاهما الابتداءُ، والأخرى الفعل الذي

---

(١) الأقرب تقدير حرف الجر لأنه مطرد هنا ويكون التقدير منع مساجد اللّه من أن يذكر فيها اسمه.

(٢) ط وأخربوه.

(٣) ط مشركي.

(٤) ط زعم هذا.

(٥) لأنه كان يترتب على منع المسلمين الأول من بناء مسجد ألا يبني مسجداً أبداً.

(٦) سورة التوبة ٩ ـ ٣٣.

ينوب عنه ﴿لهم﴾. المعنى[1] وجب لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم، والخزي الذي لهم في الدنيا، أن يُقْتَلوا إن كانوا حَرْباً، ويُجْزَوا[2] إن كانوا ذمة، وجعل لهم عظيم العذاب لأنهم أظلم من[3] ظلم لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَم ممن منع﴾[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّه المَشْرِقُ والْمَغْرِبُ﴾.

يرتفعان كما وصفنا من جهتين، ومعنى لِلَّهِ أي هو خالقهما.

وقوله: ﴿فأينما تولوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

﴿تولوا﴾ جزم بأَيْنَما، والجوابُ ﴿فثم وجه اللَّه﴾، وعلامة الجزم في ﴿تُوَلُّوا﴾ سقوط النون. وثم موضع نصب ولكن مبني على الفتح لا يجوز أن تقول ثَمًّا زيد. وإنما بني على الفتح لالتقاءِ الساكنين، وثم في المكان أشارة بمنزلة هنا زيد، فإذا أردت المكان القريب قلت هنا زيد، وإذا أردت المكان المتراخي عنك قلت ثم زيد، وهناك زيد، فإنما منعت ثم الإعراب لإبهامها. ولا أعلم أحداً شرح هذا الشرح لأن هذا غير موجود في كتبهم.

ومعنى الآية أنه قيل فيها أنه يعني به البيت الحرام، فقيل أينَما تولوا فثم وجه اللَّه أي فاقصدوا وجه اللَّه بتَيَمُّمِكم القبلة، ودليل من قال هذا القول قوله: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾[5]. فقد قيل أن قوماً كانوا في سفر فأدركتهم ظلمة ومطر فلم يعرفوا القبلة فقيل: ﴿فأينما تولوا فثم وجه اللَّه﴾.

---

(١) هذا التقدير على الوجه الثاني.

(٢) يدفعون الجزية.

(٣) في ط أظلم ممن ظلم.

(٤) أي لا أحد أظلم منه.

(٥) البقرة ٢ - ١٤٩، ١٥٠.

وقال بعض أهل اللغة إنما المعنى معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾(١) فالمعنى على قوله(٢) هذا: أن اللَّه معكم أينما تولوا - كأنه أينما تولوا فثم اللَّه (وهو معَكم)(٣) وإنما حكينا في هذا ما قال الناس: وليس عندنا قطع في هذا، واللَّه عزّ وجلّ أعلم بحقيقته - ولكن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يدل على تَوْسيعه(٤) على الناس في شيءٍ رخص لهم به.

﴿وَقَالُوا اتَّخذ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَه﴾.

﴿قالوا﴾ هو للنصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: المسيح ابنُ اللَّه، وقال مشبركو العرب الملائكة بنات اللَّه، فقال اللَّه عز وجلّ: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمواتِ والأرض كلٌّ لَه قَانِتُونَ﴾.

القانت في اللغة المُطِيعُ، وقال الفراءُ: ﴿كل له قانتون﴾ هذا خصوص إنما يعني به أهل الطاعة، والكلام يدل على(٥) خلاف ما قال، لأن قوله: ﴿ما في السموات والأرض كل له قانتون﴾ كل إحاطة وإنما تأويله: كل ما خلق اللَّه في السموات والأرض فيه أَثَرُ الصَّنْعَة فهو قانت للَّه والدليل على أنه مخلوق - والقانت في اللغة القائم أيضاً ألا ترى أن القنوت إنما يُسَمَّى بِهِ من دَعا قائماً في الصلاة قانتا، فالمعنى كل له قانت مقر بأنه خالقه، لأن أكثر من يخالف ليس بدفع أنه مخلوق وما كان غير ذلك فأثر الصَّنْعَةِ بين(٦) فيه، فهو قانت على العموم، وإنما القانت الداعي.

وقوله: ﴿بَديعُ السَّمواتِ والأرض﴾.

---

(١) الحديد ٥٧ - ٤.

(٢) ك. على قول هذا.

(٣) ليست في ك.

(٤) في ك بدل على أنه توسعة، وفي ط على توسعه.

(٥) في ط، ب والكلام يدل بخلاف ذلك.

(٦) أثر القدرة الإلهية.

يعني أنشأهما على غير حِذَاءٍ ولا مِثَالٍ، وكل من أنْشَأَ ما لَم يُسْبَق إليه قيل له أبدعت، ولهذا قيل لكل من خالف السُّنَّةَ والإجماعَ مبتدع، لأنه يأتي في دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿ إذا قَضَى أَمْراً فإنَّما يَقُولُ لَه كُنْ فَيَكُونُ﴾.

رفع ﴿يكون﴾ من جهتين: إن شئت على العطف على يقول، وإن شئت الإستئناف. المعنى فهو يكون، ومعنى الآية قد تكلم الناس فيها بغير قول: قال بعضهم: إنما يقول له ﴿كن فيكون﴾ إنما يريد، فيحدث كما قال الشاعر:

امْتَلأ الحوضُ وقال قَطْنِي مهلا رويداً قد ملأت بطني[1]

والحوض لم يقل. وقال بعض أهل اللغة - ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ يقول له وإن لم يكن حاضراً: كن، لأن ما هو معلوم عنده بمنزلة الحاضر، وقال قائل: ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ له معنى «من أجله»[2] فكأنه إنما يقول من أجل إرادته إياه ﴿كن﴾ أي أحدُث فيحدث، وقال قوم: هذا يجوز أن تكون[3] لأشياءَ معلومة أحدث فيها أشياءَ فكانت، نحو قوله: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾. والله أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَال الّذينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَة﴾.

﴿لولا﴾ في معنى هلا، المعنى: هلا يكلمنا الله أو تأتينا آية، فاعلم الله عزّ وجلّ أن كفرهم في التعنُّتِ بطلب الآيات على اقتراحهم كقول الذين من قبلهم لموسى: ﴿أرنا الله جهرة﴾، وما أشبه هذا، فأعلم الله أن كفرهم متشابه، وأن قلوبهم قد تشابهت في الكفر.

(١) قطني بمعنى حسبي - وهذا الشعر لم يعرف قائله والبيت في اللسان بدون نسبة (قطن) وفي الأمالي الشجرية ١ - ٣١٣ والمقاصد النحوية ١ - ٣٦ والخصائص ١ - ٢٣.

(٢) «له» للشيء الذي أراده الله - يقول من أجله ﴿كن﴾ فيوجد.

(٣) تكون كلمة ﴿كن﴾ لأشياء معلومة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ لقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

المعنى فيه أن من أيقن وطلب الحق فقد آتته الآيات البينات، نحو المسلمين ومن لم يشاق من علماءِ اليهود، لأنه لما أتاهم ﷺ بالآيات التي يُعْجَزُ عنها من أنبائهم بما لا يُعلم إلا من وحي، ونحو انشقاق القمر وآياته التي لا تحصى عليه السلام، والقرآن الذي قيل لهم فأْتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك. ففِي هذا برهانٌ شافٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾.

نصب «بشيراً ونذيراً» على الحال، ومعنى بشيراً، أي مبشراً المؤمنين بما لهم من الثواب، وينذر المخالفين بما أُعد لهم من العقاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ﴾.

وتقرأُ﴿ولا تَسْأَلْ﴾، ورفع القراءَتين جميعاً من جهتين، إحداهما أن يكون ﴿ولا تسأل﴾ استئنافاً، كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فإنَّما عَلَيْكَ البَلاَغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ﴾(١) ويجوز أن يكون له الرفع على الحال، فيكون المعنى: أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم.

ويجوز أيضاً «ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم» وقد قرىء به فيكون جزماً بلا. وفيه قولان على ما توجبه اللغة: أن يكون أَمَرَهُ اللَّهُ بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظاً، ويكون المعنى على تفخيم ما أُعد لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي تَعْلَمُ أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حال جميلة أو حال قبيحة، فتقول لا تسأل عن فلان أي قد صار إلى أكثر مما تريد، ويقال: سألته أسأله مسألة وسؤالاً، والمصادر على فُعَال تقِلّ في غير

---

(١) سورة إبراهيم.

الأصـوات والأدْواءِ فأمـا في الأصوات فنحـو الدعـاء والبكاء والصـراخ وأما في الأدواء فنحـو: الزكـام والسعـال ومـا أشبـه ذلـك. وإنمـا جـاءَ في السؤال لأن السؤال لا يكون إلا بصوت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾.

قـد شرحنـا معنى اليهـود[1] والنصـارى. و «تـرضى» يقـال في مصـدره رضي، يرضى، رضا ومرضاة، ورضواناً ورضواناً[2]، ويروي عن عاصم في كـل مـا في القرآن من «رضـوان» الوجهـان جميعاً، فـأما مـا يرويـه عنه أبـو عمـرو فَرِضوانِ بالكسر، وما يرويه أبو بكر بن عياش: فَرُضْوان، والمصـادر تأتي على فِعْلان وفُعْلان، فأما فِعْلان، فقولك عرفته عِرْفاناً، وحسبته حسباناً، وأما فُعلان كقولك: غُفرانك لا كُفْرانك[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى تَتَّبعَ مِلَّتَهمْ﴾.

﴿تتبع﴾ نصب بحتى، والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون إن الناصب للفعل بعد حتى «أن» إلَّا أنها لا تظهر مع حتى، ودليلهم أن حتى غير ناصبة [هـو] أن حتى بإجمـاع خافضـة، قال اللّه عـزّ وجلّ: ﴿سـلام هي حتى مَطْلَعِ الفجر﴾[4] فخفض مطلع بحتى، ولا نعرف في العربية أن مـا يعمل في اسم يعمل في فعل، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فقد بان أن حتى لا تكون ناصبة، كما أنك إذا قلت: جاءَ زيد ليضربك فالمعنى جـاءَ زيد لأن يضربك، لأن اللام خافضة للاسم، ولا تكـون ناصبـة لفعل، وكـذلك مـا كان زيد ليضربك، اللام خافضة، والناصب ليضربك أن المضمـرة، ولا يجوز إظهارها مع هذه اللام، وإنما لم يجـز لأنها جـواب لما يكـون مع الفعـل وهو

---

(١) ك ـ معنى تفسير اليهود.

(٢) بكسر الراء وضمها.

(٣) أي أسالك المغفرة وأعوذ بك من الكفر.

(٤) القدر ٩٧ ـ ٥ وسلام هي ليست في ك.

حرف واحد يقول القائل: سيضربك، وسوف يضربك، فجعل الجواب في النفي بحرف واحد كما كان في الإيجاب بشيءٍ واحد.

ونصب ملتهم بتتبَّع، ومعنى ملتهم في اللغة سنتهم وطريقتهم، ومن هذا المَلَّة أي الموضع الذي يختبز فيه، لأنها تؤثر في مكانها كما يُؤثَّر في الطريق. وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض، وآخذ بعضه برقاب بعض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

أي الصراط الذي دعا إليه وهدى إليه هو الطريق أي طريق الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنِ إِتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

إنما جمع ولم يقل هواهم، لأن جميع الفرق ممن خالف النبي ﷺ لم يكن ليرضيهم منه إلا أتباع هواهم[1]. وجمع هوى على أهواءَ، كما يقال جمل وأجمال، وقتب وأقتاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ولاَ نَصِير﴾.

الخفض في ﴿نصير﴾ القراءَة المجمع عليها، ولو قرئ ولا نصير بالرفع كان جائزاً، لأن معنى من ولى مالك من اللَّه ولي ولا نصير[2].

ومعنى الآية أن الكفار[3] كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة وَيُرُونَ[4] أنه إن هادنهم وأمهلهم أسلموا، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، فنهاه اللَّه ووعظه في الركون إلى شيءٍ مما يدعون إليه، ثم أعلمه اللَّه عزّ وجلّ ـ وسائِرَ الناس ـ أن من كان منهم غير متعنت ولا حاسد ولا طالب

---

(١) كل فرقة تريد، أن يتبع هواها ـ فهي أهواء كثيرة.

(٢) موضع ولي هو الرفع. ومن زيدت بعد النفي فيجوز العطف على اللفظ أو المحل.

(٣) يريد اليهود.

(٤) يظهرون.

لرياسة تلا التوراة كما أُنزلت فذكر فيها أن النبي ﷺ حق فآمن به[1] فقال [تعالى]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

يعني أن الذين تَلُوا التوراة على حقيقتها، أولئك يؤمنون بالنبي ﷺ. وفي هذا دليل أن غيرهم جاحد لما يعلم حقيقته، لأن هؤلاءِ كانوا من علماءِ اليهود، وكذلك من آمن من علماءِ النصارى ممن تلا كتبهم. و﴿الذين﴾[2] يرفع بالابتداءِ، وخَبَرُ الابتداءِ ﴿يتلونه﴾، وإن شئت كان خبر الابتداءِ يتلونه وأولئك جميعاً، فيكون للابتداءِ خبران كما تقول هذا حلو حامض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾.

﴿يا بني إسرائيل﴾ نصب لأنه نداءٌ مضاف، وأصل النداءِ النصب، ألا ترى أنك إذا قلت يا بني زيد، فقال لك قائل: ما صنعت؟ قلت ناديتُ بني زيد، فمحال أن تخبره بغير ما صنعت، وقد شرحناه قبل هذا شرحاً أبلغ من هذا، وإسرائيل لا يتصرف، وقد شرحنا شرحه في مكانه وما فيه من اللغات[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

موضع «أنَّ»[4] نصب كأنه قال أذكروا أني فضلتكم على العالمين، والدليل من القرآن على أنهم فُضِّلوا قول موسى ﷺ (كما قال اللَّهعزّ وجلّ):[5] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكُروا نعمة اللَّه عليكم إذْ جعل فيكم أنبياءَ

---

(١) ط وآمن به.

(٢) في الأصل «الذي».

(٣) ص ١١٩ ـ ٢٠.

(٤) في «أني فضلتكم».

(٥) ليست في ط.

وجعلَكُمْ مُلوكاً، وآتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحداً مِنَ العالمينَ﴾[1].

وتـأويل تفضيلهم في هـذه الآيـة مـا أُوتـوا من الملك وأن فيهم أنبيـاءَ ـ وأنهم أُعطوا علم التوراة، وأن أمر عيسى ومحمد ﷺ لم يكونوا يحتـاجون فيـه إلى آيـة غير مـا سبق عنـدهم من العلم بـه، فـذكـرهم اللّه عـزّ وجـلّ مـا هم عارفون، ووعظهم فقال:

﴿واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزي نَفْسٌ عنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولاَ يُقْبلُ منْهَا عَدْلٌ ولاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾.

العدل الفدية، وقيل لهم: ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾، لأنهم كانوا يعتمدون على أنهم أبناءُ أنبياءِ اللّه، وأنهم يَشْفَعُـون لهم، فأيئسَهم اللّه عـزّ وجلّ من ذلـك، وأعلمهم أن من لم يتبـع محمـداً ﷺ فلَيْسَ يُنْجِيـه منْ عـذاب اللّه شيءُ وهـو كافر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّه بكَلماتٍ فأتَمَّهُنَّ﴾.

المعنى أذكروا إذ إبتلى إبراهيم ربه، ومعنى ﴿فأتمهن﴾: وفَّى بما أُمر بـه فيهن، وقد إختلفوا في الكلمات: فقال قوم تفسيرها أنه أمزه بخمس خلال في الـرأس، وخمس خـلال في البـدَن، فـأمـا الّـلاتِي في الـرأس فـالفـرْق وقَصّ الشَّـارِبِ والسواك، والمضْمضَـةُ، والاستنشاق، وأما إلتي في البدن فـالختـان وحلق العانة والإستنجاءُ وتقليم الأظافـر ونتف الإبط. فهذا مـذهـب قوم وعليـه كثير من أهل التفسير. وقال قوم: ان الذي إبتلاه به ما أمره به من ذبح ولـده، وما كان من طرحه في النار، وأمر النجوم التى جرى ذكرها في القرآن في قولـه عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ الليلُ رأى كَوْكَباً﴾[2] وما جرى بعد الكواكب من ذكر القمر والشمس، فهذا مذهب قوم.

---

(١) المائدة ٥ ـ ٢٠.

(٢) سورة الأنعام آية ٦ ـ ٧٦.

وجميع هذه الخلال قد إبتُلِيَ بها إبراهيم، وقد وفَّى بما أُمِر به وأتى بما يأتي به المؤْمن بل البرُّ المصطفى المختار، ومعنى ابتلى اختبر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنِّي جاعِلكُ لِلنَّاسِ إماماً﴾.

الأَمُّ في اللغة القَصْدُ، تقول: أَممْتُ كذا وكذا، إذا قصدته وكذلك قوله: ﴿فَتَيمَّمُوا صعيداً طَيِّباً﴾[1] أي فأقصدوا، والإمام الذي يؤْتم به فيفعل أهلُه وأمته كما فعل، أي يقصدون لَمَا يقصد.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فأَعلم اللَّه إبراهيم أَن في ذريته الظالم، وقد قرئت «لا ينال عهدي الظالمُون» والمعنى في الرفع والنصب واحد، لأن النَّيْلَ مشتمل على العهد، وعلى الظالمين إلا أنه منفي عنهم، والقراءَة الجيّدة هي على نصب الظالمين[2]، لأن المصحف هكذا فيه، وتلك القراءَة جيدة (بالغة)[3] إلا أني لا أَقرأ بها، ولا ينبغي أن يُقْرأ بها لأنها خلاف المصحف، ولأن المعنى أن إبراهيم عليه السلام كأنه قال: واجعل الإمامة تنال ذريتي (واجعل)[4] هذا العهد ينال ذريتي، قال اللَّه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾. فهو على هذا أقوى أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ جَعَلْنَا البيْتَ مَثَابَةً للنَّاسِ وَأَمْناً﴾.

﴿مثابة﴾ يثوبون إليه، والمثاب والمثابة واحد، وكذلك المقام والمقامة، قال الشاعر:[5]

---

(١) سورة المائدة ٥ ـ ٦.

(٢) ط والقراءة الجيدة نصب الظالمين.

(٣) ليست في ط. أي القراءة برفع الظالمين جيدة.

(٤) ليست في ك.

(٥) الفرزدق يمدح بشر بن مروان ـ الديوان ١٢٣ ـ الشجري ١ ـ ٣١٣ الخصائص ٣ ـ ٤٥ والمقام

وإني لقوَّام مَقَاوِمَ لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

وواحد المقاوم مقام ـ وقال زهير:

وفيهم مقامات حسانٌ وجوهها وأنْديَةٌ يَنْتَابُها القولُ والفعلُ[١]

وواحد المقامات مقامة. والأصل في مثابة مَثْوَبَة. ولكن حركة الواو نقلت إلى التاءِ، وتبعت الواو الحركة فانقلبت ألفاً، وهذا إعلال أتباع، تبع مثابة باب «ثاب» وأصل ثاب ثَوَبَ، ولكن الواو قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها لا اختلاف بين النحويين في ذلك.

وهذا الباب فيه صعوبة إلا أن كتابنا هذا يتضمن شرح الإعراب والمعاني فلا بد من استقصائها على حسب ما يعلم.

ومعنى قوله:

﴿وَأَمْناً﴾: (قيل)[٢] كان من جنى جناية ثم دخل الحرم لم يقم عليه الحد، ولكن لا يبايع ولا يكلم حتى يضطر إلى الخروج منه، فيقام عليه الحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

قرئت «واتخذوا» بالفتح والكسر: وَاتَّخَذُوا، واتَّخِذُوا روى أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ وقد وقفا على مقام إبراهيم: أليس هذا مقامَ خليل ربنا؟. «وقال بعضهم مقامَ أبينا»، أفَلا نتخذه مصلى؟ فأنزل اللّه عزّ وجلّ: ﴿وانحدوا من مقامِ إبراهيم مصلى﴾ فكان الأمر. والقراءة ﴿واتخذوا﴾

والمقامة سادة الناس ومجلسهم، وحصير الملك. وفي ابن يعيش ١٠ ـ ٩٠ ـ ٩١. البيت للأخطل.

(١) ديوانه ١١٢ ـ اللسان (قوم).

(٢) في ك فقط.

(٣) بتقدير وقلنا إتخذوا.

(بـالكسر على هـذا الخبر أبين)[٣]. ولكن ليس يمتنـع «واتخَـذُوا» لأن النـاس اتخـذوا هذا، فقـال: ﴿وإذ جعلنا البيت مثـابة﴾ ﴿واتخـذوا﴾ فعطف بجملة على جملة.

وقـولـه عـزّ وجـلّ: ﴿وَعَهِـدْنَـا إِلَى إِبـرَاهِيمَ واسْمَـاعِيــلَ أَنْ طَهِـرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ، والعَاكِفِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

معنى طَهِّراه امنعاه من تعليق الأصنام عليه، والطائفون هم الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون المقيمون به، ويقال قد عَكَف يعكُف ويَعْكِف على الشيءِ عُكُوفاً أي أقام عليه، ومن هـذا قول النـاس: فلان معتكف على الحَـرام، أي مقيم عليه، ﴿والرّكعِ السُّجود﴾: سائر من يُصلي فيه من المسلمين، و ﴿بيْتِيَ﴾: الأجـود فيه فتـح اليـاءِ، وإن شئت سكّنتهـا، والـرُّكَّـع جمـع راكـع، مثـل غـاز وغُزًّى، والسجود جمع ساجد، كقولك: ساجد وسجود، وشاهد وشهود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ قَال إِبْراهِيمُ ربِّ إِجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً﴾.

المعنى وأذكروا إذ قال إبراهيم. وأمنا: ذا أمن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وارزُقْ أهلَهُ من الثَّمراتِ﴾ [من آمن منهم...]

﴿من﴾ نَصْبٌ بدلٌ من أَهله، المعنى أرزق من آمن من أهله دون غيرهم، لأن اللَّه تعالى قد أعلمه أن في ذريته غيـرَ مؤمن، لقولـه: عزّ وجـلّ: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[١].

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿قَـالَ ومنْ كَفَرَ فَـأُمَتِّعُـهُ قليـلاً ثُمَّ أَضْـطَرُّهُ إلى عَـذَابِ النَّارِ﴾.

أكثـر القراءَة[٢] على فـأمتّعُه (قليـلاً)[٣] ثم أَضْطَرُّه، على الإخبـار، وقد

(١) الآية تفيد دعاء إبراهيم للمؤمنين، ولا تفيد نفي الرزق عن غيرهم.

(٢) في ك القراء.

(٣) ليست في ك.

قـرِىءَ أيضاً ـ فـأَمْتِعْه، ثم آضْـطَرَّه، على الدعاءِ، ولفظ الـدعـاءِ كلفظ الأمـر مجزوم، إلا أنه استعظم أن يقال «أمر» فَمسْأَلتك مَنْ فوقَك نَحْو أَعطني، وأغفر لي دعاءٌ ومسْألةٌ، ومسألَتُـك من دُونَكِ أَمْـرٌ كقولـك لغلامـك إفعل كـذا وكذا، والراءُ مفتوحة في قوله ثم «اضطرَّه» لسكـونها وسكـون الراءِ التي قبلهـا الأصل ثم اضْطَرِرْه، ويجوز ثم أضطره ولا أعلم أحداً قرأَ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ يرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ﴾.

القواعد واحدتها قاعدة وهي كالأساس والأس للبنيان، إلا أن كل قـاعدة فهي للتي فوقها، وإسماعيلُ عطف على إبراهيم.

وقـوله: ﴿رَبَّنَـا تَقَبَّلْ مِنَّـا﴾ المعنى يقولان ﴿ربَّنا تَقَبَّـلْ مِنَّـا﴾، ومثله في كتاب اللَّه: ﴿والملائكةُ باسُطو أَيْدِيهم أَخْرِجُـوا أَنْفُسَكُم﴾(١) ومثله: ﴿والملائكـة يدخلون عليهم من كل باب سَلام عليكم﴾(٢) (أَي يقولون سلام عليكم)(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمةً لَكَ﴾.

تفسير المسلم في اللغة الذي قد استسلم لأمر اللَّه كله وخضع له، فالمسلم المحقِّقُ هو الذي أَظهر القبول لأمر اللَّه كله وأَضمر مثـل ذلك، وكـذلك قـوله: ﴿قالت الأعراب آمنا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنوا، ولكن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(٤).

المعنى: قولوا جميعاً خضعنا وأَظهرنا الإسـلام. وباطنهم غيـر ظاهِـرهم لأن هؤُلاءِ منـافقون فـأَظهر اللَّه عـزّ وجلّ النبي على أَسْـرارِهم، فالمسلم على ضَرْبين مُظْهِرٌ القبولَ ومبطن(٥) مثلَ ما يُظْهِر، فهذا يقال له مؤمن، ومسلم إنمـا يظهر غير ما يبـطن فهذا غيـر مؤمن، لأن التصديق والإيمـان هو بـالإظهار مـع

(١) الأنعام ٦ ـ ٩٤.
(٢) الرعد ١٣ ـ ٢٤.
(٣) ليست في ك، والآيات الثلاث تمثيل لحذف القول.
(٤) الحجرات ٤٩ ـ ١٤.
(٥) في ك مبطن به.

القبـول، ألا ترى أنهم إنمـا قيل لهم ولَمَّـا يـدْخُـلِ الإيمـانُ في قُلوبِكم، أي أظهرتم الإيمان خشية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأرِنا مناسِكَنَا﴾.

معناه عَرِّفْنَـا متعبداتنـا، وكل متعبَّـد فهو مَنْسَـك ومَنْسِكٍ، ومن هـذا قيل للعـابد نـاسك، وقيـل للذبيحة المتقـرب بها إلى اللّه تعـالى النَّسيكـة، وكـان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة للّه جلّ وعزّ.

وتقرأ أيضاً ﴿وأرنا﴾ على ضربين: بكسر الراءِ وبإسكانها والأجود الكسر، وإنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فَخِذ وعَضُد وهذا ليس بمنزلة فخذ ولا عضد، لأن الأصل في هذا «أرْئِنَا» فـالكسرة إنمـا هي كسرة همـزة ألقيت[1]، وطُرحت حركتها على الراءِ فالكسرة دليـل الهمزة، فحـذفها قبيـح، وهو جـائز على بعده لأن الكسر والضم إنما يحذف على جهة الاستثقال. فـاللفظ بكسرة الهمزة والكسرة التي في بناءِ الكلمة واللفظ به واحد، ولكن الاختيار ما وصفنا أولاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ يرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبرَاهيمَ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.

معنى ﴿مَنْ﴾ التقرير والتـوبيخ، ولفـظها لفظ الاستفهـام وموضعهـا رفـع بـالابتداءِ، والمعنى مـا يرغب عن ملة إبـراهيم إلا مَنْ سَفه نَفْسَه[2]، والمِلَّةُ قد بينَّـاها وهي السُّنَّـة والمذهب، وقـد أكْثَر النحـويونَ واختلفـوا في تفسير ﴿سفه نفسه﴾، وكذلك أهلُ اللغـة، فقال الأخفش: أهـل التأويـل يزعمـون أن المعنى ﴿سَفَّه نفسه﴾، وقـال يـونس النحـوي: أراهـا لغـة، وذهب يـونس إلى أن فَعِـل للمبالغة، كما أن فَعُل للمبالغة فـذهب في هذا مـذهب التأويل[3]، ويجوز على

(١) حذفت.

(٢) أي شخص يرغب عنها إلاّ شخصاً سفه نفسه.

(٣) يقال كبرت كلمة بمعنى ما أكبرها، ويقولون حسن وقبح أي ما أحسنه وما أقبحه.

هذا القول سَفِهْتُ زيداً بمعنى سَفَّهْتَ زيداً، وقال أبو عبيدة معناه أهلك نفسه، وأَوْبَق نفسه، فهذا غير خارج من مذهب أهل التأويل ومذهبِ يونس، وقال بعض النحويين: إن نفسه منصوب على التفسير، وقال التفسير في النكرات أكثر نحو طاب زيدٌ بأمره نفساً، وقَرَّ بِهِ عيْناً وزعم أن هذه المُفَسِّرات المعارف أصل الفعل لها ثم نقل إلى الفاعل نحو وجِعَ زيدٌ رأْسَه، وزعم أن أصل الفعل للرأْس وما أشبهه، وأنه لا يجيز تقديم شيءٍ من هذه المنصوبات وجعل ﴿سفه نفسه﴾ من هذا الباب.

قال أبو إسحق: وعندي أن معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خلة تخلص من خلال فإذا عرفه صار مقصوداً قصده، وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين وقال أبو إسحق: إن ﴿سفه نفسه﴾ بمعنى سفُه في نَفْسه إلا أن «في» حُذِفَتْ، كما حذفت حروف الجر في غير موضع، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ولا جناح عليكم أَنْ تسترضعوا أولادكم﴾[1]، والمعنى أن تسترضعوا لأولادكم، فَحُذِفَ حرف الجرّ في غير ظرف، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾[2] أي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر:[3]

نغالي اللحم للأضياف نِيأً ... ونبذله إذا نضج القدور

المعنى: نغالي باللحم، ومثله قول العرب: ضُرب فلان الظهر والبطن

---

(١) الآية في سورة البقرة ٢ ـ ٢٣٣، ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾. ولكن حذف الجار مع أنه مطرد كما في: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ ١٩٨ ـ ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا﴾ ٢٢٤، ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾. «سورة الممتحنة» ـ ٦٠ ـ ١٠ وستأتي هذه الآيات.

(٢) البقرة ٢ ـ ٢٣٥.

(٣) الحطيئة ـ أمالي المرتضى ٣ ـ ١٥ ـ وفي اللسان ـ فلا القدر ـ وأنظر معاني القرآن للفراء ٢ ـ ٣٨٣ وتعليق المحقق.

والمعنى: على الظهر والبطن. فهذا الذي إستعمل من حذف حرف الجر موجود في كتاب الله، وفي إشعار العرب وألفاظها المنثورة، وهو عندي مذهب صالح.

والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل، فالمعنى: ـ والله أعلم ـ إلا من جهل نفسه، أي لم يفكر في نفسه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، فوضع جهِل[2]، وعدى كما عدى. فهذا جميع ما قال الناس في هذا، وما حضرنا من القول فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ، فِي الدُّنْيَا﴾.

معناه إخترناه ولفظه مشتق من الصفوة.

﴿وإِنَّهُ فِي الآخِرةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فَالصالحُ في الآخرة الفائز.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّه أَسْلِمْ﴾ معناه إصطفاه إذ قال له ربه أسلم: أي في ذلك الوقت﴿قال أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَوَصَّى بهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقَوبُ﴾.

قوله: ﴿بهَا﴾ هذه الهاءُ ترجع على الملة، لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قوله: ﴿إن اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾. وإنما كسرت «إن» لأن معنى وصي وأوصى: قَوْلُ: المعنى قال لهم إن الله اصطفى لكم الدين[3]، ووصى أبلغ من أوصى، لأن أوصى جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووصًى لا يكون إلا لمرات كثيرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

---

(١) سورة الذاريات ٥١ ـ ٢٢.

(٢) ترك كلمة جهل واستعمل سفيه.

(٣) الأظهر تقدير قول محذوف، أي وصى قائلاً.

إن قال قائل كيف ينهاهم عن الموت، وهم إنما يُمَاتُون[١]، فإنما وقع هذا على سعة الكلام، وما تكثر استعماله «العرب»[٢] نحو قولهم: «لا أرينَّك ههنا»، فلفظ النهي إنما هو للمتَكَلِّم، وهو في الحقيقة للمُكَلَّمِ، المعنى: لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا ـ رأيته ـ والمعنى في الآية: ألزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموتُ صادَفكم مُسْلمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموْتُ﴾.

المعنى: بل أكنتم شهداءَ إذ حضر يعقوب الموت، ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ فقولك: ﴿إذ﴾ الثانية، موضعها نصب كموضع الأُولى، وهذا بَدَلٌ مؤكَّدٌ.

وقوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾.

القراءَة على الجمع، وقال بعضهم: «وإله أبيك» كأنه كره أن يجعل العم أباه، وجعل إبراهيم بدلاً من أبيك مبيناً عنه، وبخفض إسماعيل وإسحاق، كان المعنى إلهك وإله أبيك وإله إسماعيل، كما تقول: رأيت غلام زيد وعمرو أي غلامهما، ومن قال: ﴿وَإِلَه آبائك﴾ فجمع وهو المجتمع عليه، جعل إبراهيم وإسماعيل وإسحق بدلاً، وكان موضعهم خفضاً[٣] على البدل المبين عن آبائك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلهاً وَاحِداً﴾.

منصوب على ضربين: إن شئت على الحال، كأنهم قالوا نعبد: إلهك في حال وحدانيته، وإن شئت على البدل. وتكون الفائدة من[٤] هذا البدل ذكر التوحيد، فيكون المعنى نعبد إلهاً واحداً.

---

(١) في ط يؤتون.

(٢) في ط وما يكثر استعماله.

(٣) الأولى موضعها ـ أي موضع هذه الأسماء. وسبق للزجاج تعبيرات مثل هذا.

(٤) في ط في هذا البدل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾.

معنى ﴿خلت﴾ مضت، كما تقول لثلاث خلون من الشهر أي مضين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى: إنما تسألون عن أعمالكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

المعنى: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى، وجزم تهتدوا على الجواب للأمر، وإنما[1] معنى الشرط قائم في الكلمة، المعنى إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا، فجزم تهتدوا على الحقيقة جواب الجزاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾.

تنصب الملة على تقدير بل نتبعُ ملة إبراهيم ويجوز أن تنصب على معنى: بل نكون أهل ملة إبراهيم، وتحذف «الأهل» كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿واسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[2] لأن القرية لا تُسأل ولا تجيب. ويجوز الرفع «بل ملةُ إبراهيم حنيفاً». والأجود والأكثر: النصب. ومجاز[3] الرفع على معنى: قل ملتُنا ودينُنا ملة إبراهيم، ونصب ﴿حنيفاً﴾ على الحال، المعنى: بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفَتِه، ومعنى الحنيفة في اللغة الميل، فالمعنى: أن إبراهيم حنيف إلى دين اللَّه، دين الإسلام. كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾[4] فلم يبعث نبي إلا به. وإن اختلفت شرائعهم، فالعقد توحيد اللَّه عزّ وجلّ والإيمان برسله وإن اختلفت الشرائع،

(١) في الأصل وأن ـ وفي ط ومعنى ـ ولعله اجود العبارات.

(٢) سورة يوسف ٨٢.

(٣) أي تقديره الإعرابي، أنه خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) سورة آل عمران.

إلا أنه لا يجوز أن تُترَكَ شريعة نبي[1] أو يعمل بشريعة نبي قبله تخالف شريعة نبي الأمة التي يكون فيها.

وإنما أُخذ الحنفُ من قولهم: امرأة حَنْفَاءُ ورجل أَحْنَف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما بأصابعها إلى أُختها بأصابعها، قالت أُم الأحنف بن قيس وكانت ترقصه، وخرج سيدَ بَنِي تميم:

والله لولا حَنَف في رجله ودقة في ساقه من هُزْلِه

ما كان في فِتْيانكم مِنْ مِثْلِه[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ المعنى: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُم بِهِ فَقدِ اهْتَدَوْا﴾.

فإن قال قائل: فهل للإيمان مِثْلٌ هو غير الإيمان؟ قيل له: المعنى واضح بين، وتأويله: فإن أَتَوْا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم ـ بالأنبياءِ، ووحّدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أي فقد صاروا مسلمين مثلكم.

﴿وإنْ تَوَلَّوْا فإنَّما هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي في مشاقة وعداوة ومن هذا قول الناس: فلان قد شق عصا المسلمين، إنما هو قد فارق ما اجتمعوا عليه من أتباع إمامهم، وإنما صار في شق غير شق المسلمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾.

هذا ضمان من الله عزّ وجلّ في النصر[3] لنبيه ﷺ لأنه إنما يكفيه إياهم

---

(١) في هذا الفراغ جاءت كلمة «ولزم» ولا معنى لها فحذفناها.

(٢) في اللسان حنف ـ الشطران الأول والثالث.

(٣) في ط ـ النصر ـ بدون حرب الجر. وفي ك بالنصر.

بـإظهار مـا بعثه بـه على كل دين سـواه ـ وهذا كقـوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1] فهـذا تـأويله ـ والله أعلم. وكـذا قـولـه: ﴿كتب الله لأغْلِبَنَّ أنَـا وَرُسُلِي﴾[2] فإن قال قـائل فـإن من الرسـل مَنْ قُتِل. فـإن تأويـل ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله غالب هو ورسله بـالحجَّة الـواضحة، والآيـة البينة، ويجـوز أن تكون غلبةَ الآخرة لأن الأمر هو على ما يستقر عليه في العـاقبة، وقـد قيل: إن الله لم يأمر رسولاً بحرب فأتبع ما أمره الله بـه في حربـه إلا غلب. فعلى هذا التأويل يجوز أن يكون لم يقتل رسول قط محارباً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾.

يجوز أن تكون﴿صبغة﴾ منصوبـة على قولـه: ﴿بل نتبـع ملة إبراهيم﴾ أي بل نتبع صبغة الله. ويجوز أن يكون نصبها على، بل نكون أهل صبغة الله. كمـا قلنا في ملة إبـراهيم، ويجوز أن تـرفع الصبغـة على إضمار هي، كـأنهم قـالوا: هي صبغـة الله أي هي ملة إبـراهيم صبغـة الله. وقيـل: إنمـا ذكـرت الصبغة لأن قومـاً من النصارى كـانوا يصبغـون أولادهم في ماءٍ لهم، ويقـولون هذا تطهير كَمَا أن الختان تطهير لهم: فقيل لهم: ﴿صبغـة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾، أي التطهير الذي أُمر به مُبالِغٌ في النظافة.

ويجـوز أن يكـون ـ والله أعلم ـ صبغـة الله أي خلقـة الله ـ جـلّ وعـزّ ـ الخلق، فيكون المعنى: أن الله إبتدأ الخلق على الإسلام، ويكون دليـل هذا القول قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهـورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى﴾[3]. وجاءَ في الحديث: أنهم

---

(١) التوبة ٩ ـ ٣٣ والصف ٦١ ـ ٨.

(٢) المجادلة ٥٨ ـ ٢١.

(٣) سورة الأعراف ٧ ـ ١٧٢.

أخرجهم كالذر، ودليل هذا التأويل أيضاً قوله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[١] ويجوز أن يكون منه الخبر: «كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه» وصبغت الثوب إنما هو غيرت لونه وخلقته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾.

في ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ فِي اللَّهِ لغات فأجودها: ﴿أتحاجوننا﴾ بنونين وإن شئت بنون واحدة ـ «أَتُحَاجُّونَّا» على ادغام الأولى في الثانية وهذا وجه جيد، ومنهم من إذا أدغم أشار إلى الفتح كما قرأوا: ﴿مالك لَا تَأْمَنَّنَا عَلى يوسف﴾[٢] على الإدغام والإشارة إلى الضم، وإن شئت حذفت إحدى النونين فقلت «أتحاجُونَا» فحذف لاجتماع النونين قال الشاعر:

تراه كالثغام يُعَلُّ مسكا ... يسوءِ الغانِيات إذَا فَليني[٣]

يريد فَلَيْنَنَي، ورأيت مذهب المازني[٤] وغيره ردَّ هذه القراءَةَ، وكذلك ردّوا ﴿فبم تبشرونِ﴾[٥] ـ قال أبو إسحق»[٦] والأقدام على ردّ هذه القراءَة غلط لأن نَافِعاً رحمه اللَّه قرأ بها، وأخبرني إسماعيل بن إسحق أنَّ نافعاً رحمه اللَّه

---

(١) الروم ٣٠ ـ ٣٠.

(٢) يوسف ١٢ ـ ١١.

(٣) لعمر بن معد يكرب ـ يصف زوجة أبيه وقد خلفه هو عليها بعد موته في الجاهلية يريد فلينني ـ فحذف النون تخفيفاً ـ الخزانة ١ ـ ٤٤٥ والضمير لشعر رأسه ـ الذي أبيض شيباً ـ والثغام نبت أبيض يظهر بالجبال أي أن شعره تزداد رائحته كلما افتلى حتى تغار الغواني.

(٤) أبو عثمان المازني ـ بكر بن محمد بن بقية من مازن شيبان بن ذهل ـ إمام في العربية بصري ـ روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد، وهو أستاذ المبرد وقال المبرد: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان ـ وكان مشهوراً بقطع مناظريه ـ وترك كتباً قيمة في القرآن والنحو ـ وله تفاسير على كتاب سيبويه توفي سنة ٢٤٨ هـ: البغية ٢٠٢.

(٥) الحجر ١٥ ـ ٥٤.

(٦) ك ـ قالوا: قال أبو إسحق.

لم يقرأ بحرف إلا وأقل. ما قرأ به إثنان من قراءِ المدينة، ولَه وجْه في العربية فلا ينبغي أن يرد، ولكن «الفتح» في قوله ﴿فبم تُبشّرونَ﴾ أقوى في العربية[1].

ومعنى قوله: ﴿قُلْ أتحاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أن اللَّه عزّ وجلّ أمر المسلمين أن يقولوا لليهود الذين ظاهروا من لا يوحد اللَّه عزّ وجلّ مِن النَّصارى وعبدةِ الأَوْثَانِ، فأمر اللَّه أن يحتج عليهم بأنكم تزعمون أنكم موحدون، ونحن نوحّد فلم ظَاهرْتُمْ مِن لا يوحد اللَّه جلّ وعزّ ﴿وهُو رَبُّنا وَرَبُّكُمْ وَلَنا أَعْمالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾.

ثم أعلموهم أنهم مخلصون، وإخلاصهم إيمانهم بأن اللَّه عزّ وجلّ واحد، وتصديقهم جميع رسله، فأعلموا أنهم مخلصون، دون من خالفهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إنَّ إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحَقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاطَ كانُوا هُوْداً أَوْ نَصَارَى﴾.

كَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُم: بأيِّ الحُجَّتَينِ تَتَعَلَّقُونَ في أَمْرِنَا؟ أبالتَّوحِيد فنحن موحدون، أم بأتباع دين الأنبياءِ فنحن متبعون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أأَنْتُمْ أَعْلَمُ أمِ اللَّهُ﴾.

تأويله: أن النبيَّ الذي آتانا بـ (الآيات)[2] المعجزات وأتاكم بها - [أعلمكم] وأعلمنا أن الإسلام دين هؤلاءِ الأنبياءِ.

والأسباط هم الذين من ذرية الأنبياءِ، والأسباط إثنا عشر سِبْطاً وهم ولد يعقوب عليه السلام، ومعنى السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد، والسبط في اللغة الشجرة، فالسبط، الذين هم من شجرة واحدة.

---

(١) لأنه جاء على القياس والأكثر.

(٢) كلمة الآيات في ك فقط، وفي بقية النسخ بالمعجزات.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَم شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾.

يعني بهم هؤلاءِ الذين هم علماءُ اليهود، لأنهم قد علموا أن رسالة النبي حق، وإنما كفروا حسداً ـ كما قال اللَّه عزّ وجلّ ـ وطلبا لدوام رياستهم وكسبهم، لأنهم كانوا يتكسبون بإقامتهم على دينهم فقيل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ أمرَ النّبيِّ ﷺ ولا أحدَ أَظْلَمُ مِنْه وقوله: ﴿وَمَا اللَّه بغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ﴾.

يعني: من كتمانكم ما علمتموه من صحة أمر النبي ﷺ.

وقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.

المعنى: لها ثواب ما كسبت، ولكم ثواب ما كسبتم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَيُقُوْلُ السُّفَهَاءُ مِنَ النّاسِ﴾ فيه قولان، قيل يعني به: كفار أهل مكة، وقيل يعني به: اليهود والسفهاءَ واحدهم سفيه، مثل شهيد وشهداءُ، وعليم وعلماءُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتي كَانُوْا عَلَيْهَا﴾ معنى ﴿ما ولاهم﴾: ما عدلهم عنها يعني قبلة بيت المقدس، لأن النبي ﷺ كان أُمِرَ بالصلاة إلى بيت المقدس، لأن مكة وبيت اللَّه الحرام كانت العرب آلِفةً لِحجّهِ(١)، فأحبَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أن يمتحن القوم بغير ما أُلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، كما قال اللَّه عزّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا إلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرسول مِمَّنْ يَنقلِبُ على عَقِبَيْهِ﴾ فامتحن اللَّه ببيت المقدس فيما روى لهذه العلة، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿قُلْ لِلَّه المَشْرِقُ وَالمغربُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ﴾.

معناه حيث أمر اللَّه أن يُصَلَّى ويُتَعَبَّدُ، فهو له، وعالم به، وهو فيه كما

---

(١) كان القياس أن يقول لحجهما، وفي ط مكة بيت اللّه الحرام.

قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

وكما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾(١) وكما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

معناه: طريق مستقيم كما يحب اللَّه.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾.

معنى الأُمة: الجماعة أيّ جماعة كانت. إلا أن هذه الجماعة وصفت بأنها وسط وفي «أُمَّةً وَسَطاً» قولان، قال بعضهم وسطا: عدلاً، وقال بعضهم: أخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل. وقيل في صفة النبي ﷺ: إنَّه من أوسط قومه جِنْساً، أي من خيارها، والعرب تصف الفَاضِل النسب بأنه: من أوسط قومه، وهذا يعرف حقيقته أهل اللغة لأن العرب تستعمل التمثيل كثيراً فتمثل القبيلة بالوادي والقاع وما أشبهه فخير الوادي وسطه فيقال: هذا من وسط قومه، ومن وسط الوادي، وسَرِرِ الوادي وسِرَارة الوادي وسر الوادي، ومعناه كله: من خير مكان فيه، فكذلك النبي ﷺ من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جعلت أمة وسطاً أي خياراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

﴿تكونوا﴾ في موضع نصب، «المعنى جعلناكم خياراً»(٤)، لأن تكونوا شهداءَ، فنصب «تكونوا» بأن، «وشهداءَ» نصب خبر تكونوا، إلَّا أن ﴿شهداءَ﴾

---

(١) سورة الأنعام ٦ ـ ٣.

(٢) سورة الحديد ٥٨ ـ ٤.

(٣) سورة المجادلة ٥٩ ـ ٧.

(٤) في ط أخياراً.

لا ينون، لأنه لا يَنصرِف لأن فيه ألفَ التأنث، وألف التأنيث يبنى معها الاسم(١) ولم يلحق بعد الفراغ من الاسم(٢) فلذَلك لمْ تَنصَرِفْ ﴿شهداءَ﴾، فإن قال قائل: فلم جعل الجمع بألف التأنيث قيل: كما جعل التأنيث في نحو قولك جَريب وأجْربة(٣)، وغراب وأغربة وضارب وضَرَبَة، وكَاتِب وكَتَبَة. وتأويل ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فيه قولان: جاءَ في التفسير أن أُمَمَ الأنبياءِ تكذب في الآخرة إذا سُئِلت عمن أُرسل إليها فتجْحَدُ أنبياءَها، هذا فيمن جحد في الدنيا منهم فتشهد هذه الأُمة بصدق الأنبياءِ، وتشهد عليهم بتكذيبهم، ويشهد النبي ﷺ لهذه الأُمة بصدقهم وإنَّما جازت هذه الشهادة، وإن لم يكونوا ليعاينوا تلك الأُمم(٤) لأخبار النبي ﷺ فهذا قول. وقال قوم ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي محتجين على سائر من خالفكم، ويكون الرسول محتجاً عليكم ومبيناً لكم. والقول الأول: أشبه بالتفسير وأشبه بقوله: ﴿وَسَطاً﴾ لأن النبيَّ ﷺ يحتج عَلَى المسلمين وغيرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِنْ كَانَتْ لَكَبيرةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾. يعني قِبْلَة بيتِ المقدِس، أي وإن كان أتباعها لكبيرة. المعنى إنه كبير على غير المخلصين، فأما من أخلص فليست بكبيرة عليه، كما قال: ﴿إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هدى اللَّهُ﴾ أي فليست بكبيرة عليهم. وهذه اللام دخلت على «إنْ» لأن اللام إذا لم تدخل مع إنْ الخفيفة كان الكلام جُحْداً(٥) فلولا «اللام» كان المعنى «ما كانت كبيرة» فإذا جاءَت إن واللام فمعناه التوكيد للقصة، واللام تدخل في

(١) يمنع من الصرف.

(٢) لم يتصل بها مضاف إليه، وفي ك لا يلحق.

(٣) الأصل فيه كل أرض ذات حدود - ثم استعمل في مقدار معين من الأرض وهو يستعمل في المساحة وفي الكيل أنظر ص ٤٩٧ حاشية ١.

(٤) في ط: وإن كان لم يعاينها منهم تلك الأمم: وهو تعبير ركيك. والأولى وإن كانوا لم يعاينوها.

(٥) أي نفياً - فيفرق بين «أن» النافية والمؤكدة باللام في خبرها.

الخبر، ونحن نشرح دخولها على «الخفيفة»[١] في موضعها إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾. هذه اللام [هي] التي يُسميها النحويون لام الجحود، وهي تنصب الفعل المستأنف. وقد أُحكمنا شرحها قبل (هذا الموضوع)[٢].

ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أي من كان صَلَّى إِلَى بيْتِ المقدس قبل أن تُحوّل القبلة إلى البيت الحرام بمكة فصلاتُه غير ضائعة وثوابه قائم، وقيل: إنَّه كان قوم قالوا: فما نَصنع بصَلاتِنَا التي كنا صليناها إلى بيت المقدس، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي تصديقكم بأمر تلك القبلة. وقيل أيضاً: إنَّ جماعة من أصحاب النبي ﷺ تُوفُّوا وهم يصلون إلى بيت المقدس قبل نقل القبلة [إلى بيت اللَّه الحرام] فسئل النبي ﷺ عن صلاتهم فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إن شئت قلت لرؤوف، وإن شئت لرووف رحيم، فهمزت وخففت[٣] ومعنى الرأفة كمعنى الرحمة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ﴾:

المعنى: في النظر إلى السماءِ، وقيل: تقلب عينك، والمعنى واحد لأن التقلب إنما كان لأن النبي ﷺ أُمر بترك الصلاة إلى بيت المقدس فكان ينتظر أن ينزل عليه الوحي إلى أي قبلة يُصَلّي، وتقلب مَصْدر تَقَلَّبَ تقلُّباً، ويجوز في الكلام تِقْلَاباً، ولا يجوز في القرآن لأنه تغيير للمصْحفَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾:

---

(١) كذا في جميع النسخ. وظاهر أنه الثقيلة، إذ المذكور هنا الخفيفة.
وأنظر ص ٢٣٠ في الآية. ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾.. الخ.

(٢) ليست في ك.

(٣) في ك: إن شئت قلت لرؤوف رحيم ولرؤوف، ومعنى.

قد كان النبي ﷺ بالمدينة حين أمر بأن ينتقل عن الصلاة إلى بيت المقدس، فأمر بأن يصلي إلى بيت الله الحرام، وقيل في قوله: ﴿ترضاها﴾ قولان قال قوم معناه تحبها، لا أن النبي ﷺ لم يكن راضياً بتلك القبلة، لأن كل ما أمر الله الأنبياءَ «عليهم السلام» به فهي - راضية به - وإنما أحبها النبي ﷺ لأنها كانت - فيما يروى - قبلة الأنبياءِ، وقيل لأنها كانت عنده أدعى لقومه إلى الإيمان وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي المسجد الحرام، فأمر أن يستقبل - وهو بالمدينة - مكة، والبيت الحرام، وأمر أن يستقبل البيت حيث كان الناس، ومعنى الشطر: النحو[1]، وشطر منصوب على الظرف، قال الشاعر:

إنّ العَسِيرَ بها داءٌ يخامرها فَشَطْرَها نظرُ العينين محسور[2]

أي فنحوَها، ولا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر النحو، وقول الناس فلان شاطر، معناه قد أخذ في نحو غير الاستواءِ، فلذلك قيل شاطر لعدوله عن الاستواءِ، يقال قد شطر الرجل يشطُر شِطَارة وشَطَارة[3]، ويقال هؤلاءِ قوم مشاطرونا أي دورهم تتصل بدورنا، كما تقول هؤلاءِ يناجوننا أي نحن نحوهم، وهم نحونا، فلذلك هم شاطرونا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُول مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى

---

(١) الجهة.

(٢) هو قيس بن خويلد بن كاهل، ويسمى ابن العيزارة، وهي أمه والبيت يروى أن العسيب، وأن النعوس. وهي ناقته أصابها مرض فحزن لها - وظل يتجه إليها ببصره حزناً عليها. والنعوس اسمها. أما العسيبة فهو اسم لسعفة النخل. وشبه ناقته بها، يعني أنها ضامرة رشيقة والبيت في اللسان «شطر»، والكامل ١ - ١٩٣، ٢ - ٢٨٧. ت (أبو الفضل).

(٣) في القاموس: الشاطر من أعيا أهله خبثاً، وقد شطر كنصر وكرم شَطارة فيهما.

عَقِبَيْه﴾[١] إن قال قائل ما معنى: ﴿إلا لِنَعْلَمَ من يَتَّبِعُ الـرَّسُول مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْه﴾ واللَّه عزّ وجلّ ـ قد علم ما يكون قبل كونـه، فالجـواب في ذلك أن اللَّه يعلم من يتبـع الرسـول مِمَّن لا يتبعه من قبـل وقوعـه وذلك العلم لا تجب بـه مجازاة في ثواب ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهـادة فيقع عليهم بـذلك العلم اسمُ مـطيعين واسمُ عـاصين، فيجب ثـوابهم على قـدر عملهم، ويكون معلومُ[٢] مَا في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿عَـالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾[٣] فعلمـــه به قبـل وقوعـه علم غيب، وعلمه بـه في حال وقوعه شهادةٌ وكل ما علمـه اللَّه شهادة فقـد كان معلومـاً عنده غيبـاً، لأنه يعلمـه قبل كـونه، وهـذا يبين كل مـا في القرآن مثله[٤] نحـو قولـه [تعـالى]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾[٥].

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّـذِينَ أُوتـوا الْكِتَـابَ بِكُـلِّ آيـة مـا تَبِعُـوا قِبْلَتَكَ﴾.

زعم بعض النحويين، أن «لَئِنْ» أُجيبَ بجواب «لَوْ» لأن الماضي وَليهـا كما وَلِيَ[٦] «لو» فأُجيب بجواب «لـو» ودخلت كل واحـدة منها على أُختهـا[٧] قـال اللَّه عـزّ وجـلّ: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَـا رِيحـاً فَـرَأَوْهُ مُصْفَـرًّا لَـظَلُّوا مِنْ بَعْـدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[٨] فجرت مجـرى: «وَلَوْ أَرْسَلْنَـا رِيحاً» وكـذلك قـال الأَخفش بهذا

---

(١) موضع هذه الآية قبل الآية التي سبقت.

(٢) في ك. وتكـون معلومـة في حـال وقـوع الفعـل معلوم شهـادة ـ ومعلوم هنـا بمعنى العلم وهي مصدر.

(٣) سورة ٦٤ ـ ١٨.

(٤) (ك) وهذا بين كما في القرآن مثله.

(٥) القتال ٤٧ ـ ٣١.

(٦) في ك كما يلي لو.

(٧) حلت كل محل الاخرى.

(٨) الروم (٣٠) آية ٥٢.

القـول، قال سيبـويه وجميـع أصحـابـه: إن معنى ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾. ليظَلُّنَّ، ومعنى ﴿لَئِنْ﴾ غير معنى «لو» في قول الجمـاعة، وإن كـان هؤُلاءِ قالـوا إنَّ الجواب متفِقٌ فإنهـم لا يدْفعون أَن معنى ﴿لئن﴾ ما يستقبل ومعنى «لو» ماض وحقيقـة معنى «لـو» أنهـا يمتنـع بهـا الشيء لإمتنـاع غيـره، تقـول لـو أَتيْتني لأكْرمتُك، أي لم تأْتني فلمْ أَكرمكَ، فإنمـا إمتنع إكـرامي لامتناع إتيـانك[1]، ومعنى «إنْ» و﴿لئِنْ﴾ أنه يقع الشيء [فيهمـا] لوقـوع غيـره (في المستقبـل)[2] تقول إنْ تأْتِني أُكْرِمْكَ، فالإكرام يقع بوقوع الإتيان فهذه حقيقة معناهما.

فـأما التـأْويل فـإنّ أَهل الكتـاب قد علمـوا أَن النبي ﷺ حقٌّ وأَن صفتـه ونبوَّته في كتابهم، وهم يحققون العلم بذلك فلا تغني الآيات عند من يجد مـا يعرف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وما بعْضُهُمْ بِتَابعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

لأن أهل الكتاب تظاهروا على النبي ﷺ واليهودُ لا تتبع قبلة النَّصـارى، ولا النَّصارى تتبع قبلة اليهود، وهم مع ذلك في التظاهر على النبي متفقون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّكَ إِذَنْ لَمنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي أنـك لمنهم أن إتبعتَ أهواءَهم. وهـذا الخـطاب للنبي ﷺ ولسـائـر أُمَّتِه، لأن ما خـوطب به (مِنْ هـذَا الجنس)[3] فقد خـوطب به الأُمـة والدليـل على ذلـك قولـه عزّ وجـلّ: ﴿يا أيها النَّبيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَـاءَ﴾[4] أول الخـطاب للنبي ﷺ وليس معه لفظ الأُمة، وآخره دليل أن الخطاب عامٌّ.

---

(١) ك لامتناع إكرامك.

(٢) ليست في ك، وزيادة فيها لا بد منها لخلو الجملة ـ من الرابط.

(٣) ليست في ط. والمراد ما خوطب به من تكاليف الشريعة.

(٤) الطلاق ٦٥ ـ ١.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

يعني به علماءُ اليهود. و﴿الذين﴾ رفع بالابتداءِ، وخبر الذين - ﴿يَعْرفونَه﴾، وفي ﴿يعرفونه﴾ قولان: قال بعضهم: يعرفون أن أمر القبلة وتحول النبي ﷺ من قِبلِ بيتِ المقدس إلى البيت الحرام حقّ، كما يعرفون أبناءَهم، وقيل معنى ﴿يعرفونه﴾ يعرفون النبي ﷺ وصِحَّة أمره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُم لَيَكْتُمُونَ الحقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون (أَنَّهُ الحقّ)[1]، أي يكتمون صِفَتَهُمْ، ومن لا يعلم أمر النبي ﷺ وما جاءَ به «وهم يعلمون أنه حق».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي هذا الحق من ربك ﴿فلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرينَ﴾ أي من الشاكين والخطاب أيضاً عام أي فلا تكونوا من الشاكين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولكلٍّ وِجْهَةٌ هُو مُولِّيها﴾.

يقال هذه جِهةٌ ووَجْهةٌ، ووِجْهَةٌ، وكذلك يقال ضَعَةٌ وَوَضْعَةٌ، وَضِعةَ. وقيل في قوله: ﴿هُوَموليِّهَا﴾ قَوْلَان: قال بعض أهل اللغة - وهو أكثر القول - «هو»[2] لِكُلٍّ: المعنى هو موليها وجهه، أي وكل أهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة - وقد قرئ أيضاً - هو مولاها. وهو حسن. وقال قوم: أي اللَّه - على ما يزعمون - يولي أهل كل ملة القبلة التي يريد، وكلا القولين جائز، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ فاسْتَبِقُوا الخَيراتِ﴾.

---

(١) ليست في ك.

(٢) يريد أن ضمير «هو» يعود على كل - والأقرب أنه للمضاف إليه المحذوف الذي دل عليه التنوين وناب عنه، - أي لكل طائفة.

أي فبادروا إلى القبول من اللَّه عزّ وجلّ، وَوَلُّوا وجوهكم حيث أمركم أن تولوا.

وقَوله عزّ وجلّ: ﴿أَينَمَا تَكونُوا يأْتِ بكِمُ اللَّهُ جمِيعاً﴾.

أي يرجعكم إليه. ﴿إنّ اللَّه علَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾فَتُوفَّوْنَ مَا عَمِلتُمْ وأَينما تَجزم ما بعدها. لأنها إذا وصلت بـ «ما» جزمت ما بعدها وكان الكلام شرطاً. وكان الجواب جزماً كالشرط. وإن كانت استفهاماً نحو أين زيد فإن أجبته[1] - أجبت بالجزم، تقول أين بيتُك أَزُرْك. المعنى إنْ أُعرف بَيتَك أَزرْكَ، وزعمَ بعض النحويين أن قوله: ﴿أَدُلُّكُم على تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَليم﴾جوابه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وهذا خطأٌ لأنه ليست بالدلالة تَجب المغفرة إنما تجب المغفرة بقبولهم ما يُؤدي إليهم النبي ﷺ. ولكن﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾جواب تؤمنونَ باللَّه ورسوله وتجاهدون، فإنه أمر في لفظ خبر. المعنى: آمنوا باللَّه ورسوله وجاهدوا يغْفِرْ لكُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِئَلَّا يكونَ للنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

أي قد عرفكم اللَّه أمر الاحتجاج في القبلة مما قد بيناه لئلا يكون للناس على[2] اللَّه حجة في قوله:[3]﴿ولكل وجهة هو موليها﴾أي هو موليها لئلا يكون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا الَّذينَ ظَلمُوا مِنْهُم فلا تَخْشَوْهُمْ﴾.

قال بعضهم لكن الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم، والقول عندي أن المعنى في هذا واضح: المعنى لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلا من ظلم

(١) أي فإن جيء لهذا الاستفهام بجواب جزمته، وفي ك فإنْ أجبته جزمته.

(٢) ك عليكم.

(٣) أي عرفكم الاحتجاج في جملة ﴿ولكل وجهة﴾.

بإحتجاجه فيما قد وضح له، كما تقول: ما لك عليَّ مِنْ حُجة إلا الظلمَ، أيْ إلا أن تظلمني، المعنى ما لك عليّ من حجة البتة، ولكنك تظلمني، ومالك عليَّ حجةٌ إلا ظلمي. وإنما سُميّ ظلْمه هنا حجة لأن المحتج به سماه حجة ـ وحجَّتُه دَاحِضَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ـ قال اللَّهَ عزّ وجلّ: ﴿حجتهم داحضة عند ربّهم﴾[1]. سميت حجة إلا أنها حجة مُبْطلَة[2].

فليست بحجة موجبة حقاً.

وهذا بيانٌ شاف إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولِأتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾أي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ﴿ولأتم نعمتي عليكم﴾، ﴿وَلَعَلكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُم﴾.

﴿كما﴾[3] تصلح أن تكون جواباً لما قبلها، فيكون: ﴿لعلكم تهتدون﴾ ﴿كَما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾. والأجود أن تكون ﴿كما﴾ معلقة بقوله عز وجلّ ﴿فَاذكُرُوني أَذْكُرْكُمْ﴾.

أي فاذكروني بالشكر والإخلاص كما أرسلنا فيكُمْ. فإن قال قائل فكيف يكون جواب﴿كما أرسلنا﴾﴿فاذكروني أذكركم﴾، فالجواب ههنا إنما يصلح أن يكون جوابين[4] لأن قوله، ﴿فاذكروني﴾أمر، وقوله أذكركم جزاءُ اذكروني: والمعنى إن تذكروني أذكركم.

---

(١) الشورى ٤٢ ـ ٦٦.

(٢) ك. تبطل.

(٣) كلمة «كما».

(٤) يريد أن ﴿فاذكروني﴾ تعلق بمعمولين ﴿كما أرسلنا﴾ و﴿أذكركم﴾ فيكون التقدير فاذكروني كما أرسلت فيكم رسولاً أذكركم. وهذا يمكن من ناحية المعنى أما من الناحية الإعرابية فلا بد من تقدير محذوف مفسر بالأمر﴿فاذكروني﴾ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها.

ومعنى الآية أنها خطاب لمشركي العرب، فخاطبهم اللّه عزّ وجلّ بما دلهم على إثبات رسالة النبي ﷺ فقال كما أرسلنا فيكم محمداً ﷺ وهو رجل منكم أمي[1] تعلموْن أنه لم يتل كتاباً قبل رسالته ولا بعدها إلا بما أوحي إليه، وإنكم كنتم أهل جاهلية لا تعلمون الحكمة ولا أخبار الأنبياءِ[2]، ولا آبائهم ولا أقاصيصهم. فأرسل إليكم النبي ﷺ فأنبأكم بأخبار الأنبياءِ، وبما كان من أخبارهم مع أممهم، لا يدفع ما أخبر به أهل الكتاب، فكما أنعمت عليكم بإرساله فاذكروني - بتوحيدي، وتصديقه ﷺ ﴿واشكروا لي﴾ أذكركم برحمتي ومغفرتي والثناءِ عليكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾.

الأكثر الذي أتى به القراءُ حذف الياءَات مع النون. وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾ يَا أَيُّها[3] نداءٌ مفرد مبهم و ﴿الذين﴾ في موضع رفع صفة لأيُّها. هذا مذهب الخَليل وسيبويه، وأما مذهب الأخفش، فالذين صلة لأي وموضع الذين رفع بإضمار الذكر العائد[4] على أي كأنه على مذهب الأخفش بمنزلة قولك: يا من الذين، أي يا من هم الذين.

و «ها» لازمة لأي عوض عما حذف منها للإضافة، وزيادة في التنبيه، وأي في غير النداءِ لا يكون فيها «هاءٌ» ويحذف معها الذكر العائد عليها، تقول أضرب أيُّهم أفضل، وأيَّهُمْ هو أفضل - تريد الذي هو أفضل[5]. وأجاز

(١) في ط أي.
(٢) في ت القرآن.
(٣) في ط أيها.
(٤) أي هي خبر لضمير محذوف يعود على أي.
(٥) أي الضمير - والقاعدة في أي أنها إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فهي مبنية. ولهذا لا يجوز أضرب أيهم أفضل بالنصب، عند جمهور النحويين ويقال أضرب أيهم يأتيك.

المازني أن تكون صفة أي نصباً. فأجاز «يا أيها الرَّجُلَ» أقبل، وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب، ولم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله، ولا تابعة عليه أحد بعده ـ فهذا مطروح مرذول لمخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار.

ومعنى ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي بالثبات على ما أنتم عليه. وإن نالكم فيه مكروه في العاجل، فإن اللَّه مع الصابرين، وتأويل أن اللَّه مَعَهُمْ أي يظهر دينه على سائر الأديان، لأن من كان اللَّه معه فهو الغالب ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿ألا إن حِزْبَ اللَّه هُمْ الغَالِبُون﴾[1].

ومعنى استعينوا بالصلاة، أي أنكم إذا صليتم تلوتم في صلاتكم ما تعرفون به فضل ما أنتم عليه فكان ذلك لكم عوناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتٌ﴾ بإضمار مكْنِّيهمْ[2]، أي لا تقولوا هم أموات، فنهاهم اللَّه أن يُسَمُّوا من قتل في سبيل اللَّه ميْتاً، وأمرهم بأن يسموهم شُهداءَ ـ فقال: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عنْد ربِّهمْ يُرْزَقُونَ﴾ فأعلمنا أن من قتل في سبيل اللَّه حيٌّ. فإن قال قائل. فما بالنا نرى جثة غير مُتَصرفة؟ فإن دليل ذلك مثل ما يراه الإنسان في منامه، وجثته غير متصرفة على قدر ما يُرى[3] واللَّه عزّ وجلّ قد توفى نفسه في نومه فقال تعالى: ﴿اللَّه يَتَوفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، والتي لم تمت في منامها﴾[4]. وينتبه المنتبه من نومه فيدركه الانتباه وهو في بقية من ذلك، فهذا دليل أن أرواح الشهداءِ جائز أن

---

(١) في المائدة ٥ ـ ٦٥ ـ ﴿ومن يتول اللَّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللَّه هم الغالبون﴾ وفي سورة المجادلة ٥٨ ـ ٢٢ ـ ﴿ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون﴾ ولا يُوجد النص الذي ذكره.

(٢) الضمير الدال عليهم.

(٣) وفي ك على قدر ما نرى ـ والمراد على قدر ما نشاهد نحن من همود جثته.

(٤) الزمر ٣٩ ـ ٤٢.

تفارق أجسامهم، وهم عند اللَّه أحياءٌ، فالأمر فيمن قُتِلَ في سبيل اللَّه لا يجب أن يقال له ميت لكن يقال له شهيد وهو عند اللَّه حيٌّ. وقد قيل فيها قول غير هذا ـ وهذا القول الذي ذكرته آنفاً هو الذي أخْتَاره ـ قالوا معنى الأموات أي لا تقولوا هم أموات في دينهم، بل قولوا إنهم إحْياءٌ في دينهم. وقال أصحاب هذا القول: دليلنا واللَّه أعلم ـ قوله: ﴿أَوَ من كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاه وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[1] فجعل المهتدي حياً وأنَّه حين كان على الضلالة كان ميتاً، والقول الأول أشبه بالدين وألْصَقُ بالتفسير.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشَي مِنَ الخَوفِ وَالجُوعِ﴾.

إختلف النحويون في فتح هذه الواو[2] فقال سيبويه: إنها مفتوحة لالتقاءِ الساكنين، وقال غيره من أصحابه أنها مبنية على الفَتح، وقَدْ قال سيبويه في لام يفعل، لأنها مع ذلك قد تبنى على الفتحة[3]، فالذين قالوا من أصحابه إنها مبنيَّةٌ على الفتح غير خارجين من قول له. وكلا القولين جائز[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوْعِ﴾.

ولم يقل بأشياءَ، فإنما جاءَ على الاختصار، والمعنى يدل على أنه وشيءٍ من الخوف وشيءٍ من الجوع وشيءٍ من نقص الأموال والأنفس، وإنما جعل اللَّه هذا

---

(١) الأنعام ٦ ـ ١٢٢.

(٢) الواو التي قبل نون التوكيد.

(٣) رأى سيبويه أن الأصل في الواو السكون. وفتحتها ـ هنا ـ عرضت لسكون النون بعدها. ورأى أصحابه أنها فتحة بناء أصلية، وهو الذي عليه جمهور النحاة، وقد حاول المؤلف التوفيق بينهما بما جاء في كلام سيبويه في موضع آخر من أن لام المضارع المسند للواحد قد تبنى على الفتح.

(٤) أن سيبويه في موضع آخر علل فتح لام الفعل قبل نون التوكيد بأنها قد تكون فتحة بناء فالذين قالوا بفتح واو نبلون من نبلونكم جارون على أحد قوليه.

الابتلاءَ لأنه أَدْعى لمن جاءَ بعد الصحابة ومن كان في عصر النبي ﷺ إلى أتباعهم لأنهم يعلمون أنه لا يصبر على هذه الأَشياءِ إلا من قد وضح له الحق وبانَ له البرهان، ـ واللَّه عزّ وجلّ ـ يعطيهم ما ينالهم من المصائب في العاجل والآجل، وما هو أهم نفعاً لهم فجمع بهذا الدلالة على البصيرة وجوز الثواب للصابرين على ذلك الابتلاء فقال عزّ وجلّ:

﴿وَبشِّرِ الصَّابِرِيْنَ﴾: بالصلاة عليهم من رَبِّهم والرحمة وبأنهم المهتدون ـ فقال عزّ وجلّ:

﴿الـذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصيبَـةٌ قَالُـوا إنَّـا للَّه﴾ أي نحن وأموالنا للَّه ونحن عبيدهُ يصنع بنا ما شاءَ، وفي ذلك صلاح لنا وخيرٌ.

﴿وإنّا إليْه رَاجِعُونَ﴾: أي نحن مصدقون بأنا نُبْعث ونُعْطي الثَّوابَ على تصديقنا، والصبرَ علَى ما ابْتَلَانا به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن ربِّهِمْ ورحْمَةٌ﴾.

والصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما الركوع والسجود، والآخر الرَّحْمَةُ والثَّناءُ والدُّعاءُ ـ فصلاةُ الناس على الميت إنما معناها الدعَاءُ[1] والثناءُ على اللَّه صلاة، والصلاة من اللَّهَ عزّ وجلّ على أنبيائه وعباده معناها الرحمة لهم، والثناءُ عليهم، وصلاتنا الركوع والسجود كما وصفنا. والدعاءُ صلاة قال الأعشى:[2]

عليكِ مثل الـذي صليتِ فاغتَمِضِي نَوماً، فإن لجنب المرءِ مضطجعاً

ويروى مثل الذي صليت، فمن قال عليك مثل الذي صليت، فمعناه

---

(١) الدعاء للميت بالرحمة من اللَّه.

(٢) ديوان الأعشى ٧٣ والخزانة ١ ـ ٣٥٩. اللسان: (صلي)، مراتب النحويين ص ٩٤ وقبله:

تقول بنتي وقد قربت راحلتي يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

أي أدعو لك بمثل ما دعوت لي.

أنه يأمرها بأن تدعو له مثل الذي دعا لها. أي تعيد الدعاءَ له ومن روى عليك مثل الذي صليتِ فهو رَدٌّ عليها. كأنه قال عليك مثل دعائك، أن ينالك من الخير مثلُ الذي أَرَدْتِ لِي بهذه ودعوتِ به لي ـ وقال الشاعر:

صَلَّى على يحيى وأَشْيَاعِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وَشَفِيعٌ مُطَاع[1]

المعنى عليه الرحمة من اللّه والثناءُ الجميل. وأصل هذا كله عندي من اللزوم يقال صَلِيَ وأَصْلَى واصْطَلى، إذَا لَزِم. ومن هذا ما يُصْلى في النار، أي أنَّه يلزَم. وقال: أهل اللغة في الصلاة هي من الصَّلْوَيْنِ، وهما مُكتَنفَا ذَنب الناقة، وأول موصل الفخذ من الانسان، وكأنهما في الحقيقة مُكتنف العُصْعُص، والأصل عندي القول الأول.

ألا ترى أن الاسم للصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب، (وأصل الصيام الثبوت على الإمساك عن الطعام)[2] وكذلك الصلاة إنما هي لزوم ما فرض اللّه، والصَلاة من أعظم الفَرْضِ الذي أَمَرَ بلزومه وأما المصلي الذي يأتي في أثر السابق منَ الخَيْل فهو مسمى من الصلوين لا محالة، وهما مكتنفا ذنب الفرس، فكأنه يأتي مع ذلك المكان.

قال الشاعر في الصيام الذي هو ثبوت على القيام:

خَيْلٌ صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج، وخيل تعلك اللجما[3]

وقوله تعالى: ﴿وإنا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

---

(١) اللسان صلي والخزانة ١ ـ ١٤١ ، قيل هو لرجل من قريع يرثى يحيى بن ميسرة صاحب مصعب ابن الزبير- وقيل للسفاح بن بكير اليربوعي يرثى يحيى بن شداد من يربوع. وهو مطلع المفضليه ١٩٢.

(٢) ليست في ك.

(٣) النابغة الذبياني ـ اللسان (صوم) ـ الكامل (٦٥٥، ٨٣٢) العجاج الغبار والتراب المثار.

الأكثرون في قوله: ﴿إنَّا للَّه﴾ - تفخيم الألف[1] ولزوم الفتح - وقد قيل وهو كثير في كلام العرب ﴿إنَّـا للَّه﴾ بإمالة الألف إلى الكسر، وكان ذلك في هذا الحرف بكثرة الاستعمال، وزعم بعض النحويين أن النون كسرت، ولم يفهم ما قاله القوم. إنما الألف ممالة[2] إلى الكسرة. وزعم أن هذا مثل قولهم: «الحمدِ للَّه»، فهذا صواب أعني قولهم إنا للَّه بالكسر[3] وقولهم «الحمدِ للَّه» من أعظم الخطأ، فكيف يكون ما هو صواب بإجماع كالخطأ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إن الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه﴾.

الصفا في اللغة الحجارةُ الصلبة الصلدة التي لا تُنبت شيئاً، وهو جمعُ واحدته صفاة وصفا، مثل حصاة وحصى، والمروة والمرو: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شَعَائِر اللَّه، أي من أعلام متعبداته وواحدةُ الشعائر شَعِيرة، والشعائر كل ما كان مِنَ موقف أو مسْعى وذبح. وإنما قِيلَ شَعَائِرَ لِكُلِّ علَم مِمَّا تُعُبِّد به، لأن قَوْلَهُمْ شَعَرْتُ بِهِ: عَلِمْتُهُ، فلهَـذَا سُمِّيَتُ الأَعلاَمُ التي هِيَ مُتعبِّدَاتٌ شَعَائِرُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ حجَّ البيْت أو اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

وإنما كان المسلمون اجتنبوا الطواف[4] بينهما لأن الأوثان كانت قبل الإسلام منصوبة بينهما، فقيل إنَّ نَصْبَ الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب

(١) ألف المد في لفظ الجلالة. أي تنطق غير ممالة.

(٢) في الأصل وط ألا إنما ولا معنى لذلك. والمعنى أن هذا النحوي فهم من كلام الجمهور أن الألف في أنا تكسر وتُمَالُ واعتبرها شاذة مثل كسرة الدال في الحمد، وهو خطأ لأن الممال هي الألف في لفظ الجلالة.

(٣) أي الإمالة في ألف لفظ الجلالة.

(٤) إي السعي بينهما. فكلمة الطواف تجوز.

اجتنابهما، لأن البيت الحرام والمشاعر طُهِّرت بالإسلام من الأوثان وغيرها. فأَعْلَم اللَّهُ عزّ وجلّ أن هذين من شعائره وأنه لا جُناح في الطوافِ بينهما وأن من تطوع بذلك فاللَّهُ شاكر عليم.

والشكر من اللَّه عزّ وجلّ المجازاة والثناءُ الجميل، والحج والعمرة يكونان فرضاً وتطوُّعاً ـ والطواف بالبيت مجْراهُ مجرى الصلاة إلا أنه يطوفُ بالبيت الحاجُ والمعتمر، وغيرُ الحاجِ والمعتمر، ومعنى قولهم حَجَجْتُ في اللغة قَصَدْتُ، وكل قاصدٍ شيئاً فقد حَجَّهُ، وكذلك كل قاصدٍ شيئاً فقد اعتَمرهُ، قال الشاعر:(١)

يُحَجُ مأمومةً في قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطبيب قَذاها كالمغاريدِ

وقال الشاعر في قوله اعتمر أي قصد(٢):

لقد سما ابنُ معمر حينَ أُعتمرْ مغزىً بعيداً من بعيدٍ وضَبَر

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

أي لا إثم عليه، والجُناح أُخِذَ من جنحِ إذْ مال وعدل عن القصد وأصل ذلك من جناح الطائر، و﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فيه غير وجه: يجوز أن يطَّوَّف وأن يُطَوِّف، وأن يَطُوف بهما، فمن قرأ أن يُطَّوَّفَ بهما أراد أن يتطوف فأُدمِغت التاءُ في الطاء لقرب المخرجين، ومن قرأ أن يُطَوِّف بهما فهو من طَوَّف إذا أكثر التَّطواف.

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن تَطَوَّع خيراً﴾: «وجهان».

إن شئتَ قلت ﴿ومن تطوع خيراً﴾ على لفظ المُضِيّ ومعناه الاستقبال لأن

---

(١) غدار بن درة الطائي «اللسان غرد ـ لجف» والكامل ١/٦٥ (التجارية) ـ المغاريد مفرده مغرود بفتح الميم: الكمأة أو صغارها. واللجف الحفرة في جانب البئر ـ يستعار للجرح ويحج بمعنى يعالج ويطب. من الحجاج المسبار، وفيه معنى القصد.

(٢) العجاج يمدح عمر بن عبيد اللَّه بن معمر التميمي، وكان ذا بلاء حسن في الحروب وضبر الجواد: تهيأ للوثوب بقوائمه. يريد أنه وثب وثبة بعيدة لغزو عظيم. الديوان ١٩، اللسان (عمر).

الكلام شرط وجزاءُ، فلفظ الماضي فيه يؤول إلى معنى الاستقبال. ومن قرأ يَطَّوَّعْ ـ فالأصل يتطوع فأُدغمت التاءُ في الطاءِ. ولست تدغم حرفاً من حرف إلا قلبته إلى لفظ المدغم فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يكتُمُونَ ما أَنْزَلْنَا من البيِّنَاتِ والهُدى﴾.

هذا إخبار⁽١⁾ عن علماءِ اليهود الذين كَتَمُوا ما علِموه من صحة أمر النبي ﷺ قوله:

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾ يعني به القرآن.

ومعنى: ﴿ويَلْعَنُهم اللاعِنُونَ﴾.

فيه غيرُ قول، أما ما يُروى عن ابن عباس فقال: اللاعنون كل شيء في الأرض إلا الثقلين⁽٢⁾، ويروى عن ابن مسعود أنه قال اللاعنون: الإثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة بمستحقها منهما، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود، وقيل اللاعنون هم المؤمنون، فكل من آمن بالله من الإنس والجن والملائكة فهم اللاعنون لليهود وجميع الكفرة فهذا ما روي في قوله ﴿اللاعنون﴾ والله عزّ وجلّ أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبيَّنُوا﴾.

﴿الذين﴾ في موضع نصب على الاستثناءِ، والمعنى أن من تاب بعد هذا وتبيَّن منهم أن ما أتى به النبي ﷺ حق، قبل الله توبته. فأعلم الله عزّ وجلّ: أنه يقبل التوبة ويرحم ويغفر الذنب الذي لا غاية بعده.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كفروا وَمَاتُوا وهمْ كُفَّارٌ﴾.

---

(١) في الأصل فهذا.

(٢) الثقلان: الجن والإنس: أي تلعنهم الملائكة والجمادات.

(٣) ك لمستحقيها.

يعني لم يتوبُوا قبل موتهم من كفرهم.

أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لعْنَةُ اللَّهِ، واللعنة هي إبعاد اللَّه، وإبعاده عذابه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمَلَائكةِ والنّاس أَجْمَعِينَ﴾.

المعنى لعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين، فإن قال قـائل: كيف يلعنه الناس أجمعون، وأهل دينه لا يلعنونه، قيل لَهُ إنَّهم يلْعَنُونَه في الآخرة، كما قالَ عزّ وجلّ: ﴿ثم يوم القيامة يَكْفُر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾[١] وقرأ الحسن:[٢] «أُولئك عليهم لعنة اللَّه والملائكةُ والناسُ أجمعين»[٣] وهو جيد في العربية إلا أني أكرهه لمخالفته ـ المصحف، والقراءَة، إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة، ولزوم السنة فيها أيضاً أقوى عند أهل العربية، لأن الإجماع في القراءَة إنما يقع على الشيء الجيد البالغ[٤] ورفع الملائكة في قراءَة الحسن على تأويل: أُولئك جزاؤُهم أَنْ لَعنَهُم اللَّه والملائكةُ، فعطف الملائكة على موضع إعراب للَّه في التأْويل، ويجوز على هذا عجبت من ضرب زيدٍ وعمرٌو ومن قيامِكَ وأَخُوكَ: المعنى عجبت من أَنْ ضَربَ زيد وعمرو ومن أَنْ قمتَ أَنتَ وأَخوك. ومعنى خالدين فيها أي في اللعنة، وخلودهم فيها خلود في العذاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِلٰهُكُم إِلهٌ واحدٌ لا إِله إِلَّا هُوَ﴾

أَخْبَر عزّ وجلّ بوحدانيته ثم أَخبَرَ بالاحتجاج في الدلالة على أنه واحد فقال:

---

(١) العنكبوت ٢٩ ـ ٢٥.

(٢) ك رحمة اللَّه علي.

(٣) أجمعين ـ منصوب على أنه حال في قراءة حفص وفي قراءة الحسن، والملائكة والناس فاعل للمصدر.

(٤) في ك إنما يقع على المعنى الجيد البالغ.

(٥) ليست في ك وفيها «في أمر السماء» فلأنها سقف.

﴿إِنَّ في خَلقِ السَّمواتِ والأَرض واخْتِلاف اللَّيـلِ والنَّهارِ والفُلْكِ الَّتي تَجرِي في البَحْرِ بما يَنْفَع النَّاس، وما أَنزَلَ اللَّه من السَّماءِ مِنَ ماءٍ فأَحيا به الأَرض بعد موتها وبَثَّ فيها من كلِّ دَابَّةٍ، وتَصْريفِ الرِّيَاح والسَّحَاب المسَخَّر بينَ السَّماءِ والأَرضِ لآيات لقوم يَعقِلُونَ﴾.

فهذه الآيات تدل على أنه واحد ـ عزّ وجلّ ـ فأَما الآية في أمر السماءِ «فمن أعظم الآيَة» لأَنها سقف بغير عمد، والآية في الأَرض عظيمة فيها يُرى من سهْلِها وجبلِها وبحارها. وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أَحد أَن ينشئ مثلها، وكذلك في تصريف الرياح، وتصريفها أنها تأْتي من كل أُفق فتكون شمالاً مرة وجنوباً مرة ودبُوراً مرة وصبا مرة. وتأْتي لواقح للسَّحاب. فهذه الأَشياءُ وجميع ما بث اللَّه في الأَرض دالة على أنه واحد. كما قال عزّ وجلّ: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ ـ لا إله غيره لأنه لا يأْتي آت بمثل هذه الآيات (إلا واحداً)(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومنَ النَّاسِ من يتَّخِذُ من دُون اللَّهَ أَنْدَاداً﴾.

فأَعلم أَن بعد هذا البيان والبرهان تُتَّخذ من دونه الأَنداد. وهي الأَمثال، فأَبان أَن من الناس من يتخذ نِدًّا يعلم أَنه لا ينفع ولا يضر ولا يأْتي بشيء مما ذكرنا، وعنَى بهذا مشركي العرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُحِبُّونَهُم كحُب اللَّه﴾.

أَي يُسَوُّون بين هذه الأَوثان وبين اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في المحبة وقال بعض النحويين، يحبونهم كحبكم أَنتم للَّه ـ وهذا قول ليس بشيء ـ ودليل نقضه قوله: ﴿والذينَ آمنوا أَشدُّ حُبّاً للَّه﴾ والمعنى أَن المخلصين الذين لا يشركون مع اللَّه غيره هم المحبون حقاً.

---

(١) ليست في ك، وواحداً مستثنى فيه معنى الحال أي لا يأتي بها إلا إذا كان واحداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَوْ يَرَى الذين ظَلَموا﴾ ـ إِذْ يروْنَ العذَاب ـ ﴿أن القُوَّة للّه جَمِيعاً﴾.

في هـذا غير وجـه، يجوز أَنَّ القـوةَ للَّه وأن اللَّه، ويجوز أَنَّ القـوةَ للَّه وإنَّ اللَّه، ولو تَرى الذينَ ظلموا وتُفتح أَن مع تـرى، وتُكسَر، وكل ذلـك قد قُـرِىءَ بِهِ. قرأَ الحسن «ولَوْ يَرَى الَّذِين ظَلَمُوا إِذْ يَـرَون العَذَاب إِنَّ القـوةَ. وإِنَّ اللَّهَ». ونحن نفسر ما يجب أَن يُجْرَى عليه هذا إن شاءَ اللَّه.

من قـرأَ أَنَّ القوةَ ـ فمـوضع أن نصب بقوله ـ ﴿ولو يرى الـذين ظلموا أَنَّ القوة للَّه جميعاً﴾، وكذلك نصب أَن الثانية.

والمعنى ولـو يرى الـذين ظلمـوا شـدَّةَ عـذاب اللَّه وقـوتَـه لعلمـوا مضـرة إتخاذهم الأَنداد، وقد جرى ذكرُ الأَنداد في قوله:
﴿ومن الناس من يتخذُ من دون اللَّه أنداداً﴾.

ويجوز أَن يكون العامل في أَنَّ الجوابَ، على ما جاءَ في التفسـير: يروى في تفسير هذا أَنه لو رأَى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخـرة لعلموا حـين يرونه أَن القوة للَّه جميعاً، ففتـح أَنَّ أَجود وأَكـثر في القراءَة، ومـوضعها نصب في هاتين الجهتين على ما وصفنا، ويجـوز أَن تكون «إِنَّ» مكسـورةً مستأْنفـة، فيكون جواب ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب «لرأَوا أَمراً عظيـماً لا تبلغ صفته» لأَن جواب لو إنما يترك لعظيم الموصـوف نحو قـوله عـزّ وجلّ: ﴿ولـو أَنّ قُرآنـاً سُيِّرتْ بِهِ الجِبَالُ، أَو قطعت بِهِ الأَرضُ أَو كُلِّمَ به المَـوْتى﴾[1]. المعنى لكان هـذا القرآن. أَبلغ من كل ما وصف. وتكون ﴿أَن القوة للَّه جميعاً﴾، عـلى الاستئناف، يُخْبِر بقوله: أَن القوة للَّه جميعاً ويكون الجواب المتروك غير معلق بإِنَّ.

ومن قرأَ ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ فإِن التاءَ خطاب للنبي، يراد به النـاس

(١) الرعد ١٢ ـ ٣١.

كما قال: ﴿أَلم تعلم أَن اللَّه له ملك السموات والأرضِ ومـا لكم من دون اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيـر﴾[1]. فهو بمنـزلة: أَلَمْ تَعلمـوا، وكذلـك ولو تـرى الـذين ظلموا بمنزلة ـ ولو ترون ـ وتكون ﴿أَن القوة للَّه جميعاً﴾ مستأْنفة كما وصفنا[2]، ويكون الجواب ـ واللَّه أَعلم لـرأَيتم أَمراً عـظيماً ـ كمـا يقول: لـو رأَيت فلانـاً والسياط تأْخذه، فيُستغنى عن الجواب لأَن المعنى معلوم. ويجوز فتح أَن مـع ترى فيكون لرأَيتم أَيها المخاطبونِ أَن القوة للَّه جميعاً، أَو لرأَيتم أَن الأَنداد لم تنفع، وإِنما بلغت الغاية في الضرر لأَن القوة للَّه جَميعاً.

وجَميعاً منصوبة على الحال: المعنى أَن القوة ثابتة للَّه عزّ وجلّ في حال اجتماعها.

وقوله: ﴿إِذْ تَبرَّأَ الذِّينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِين اتَّبَعُوا﴾.

يعني بـه السادة والأشـراف، ﴿من الذين اتبعـوا﴾ وهـم الأَتبـاع والسفلة. ورأَوا العـذاب ـ يُعْنَى بهِ التـابِعُونَ والمتبـوعون، وتقـطعت بهم الأَسبـاب، أَي انقطعَ وصْلُهُم الذي كان جمعهم. كما قـال: ﴿لقـد تقطع بينكم وضـل عنكم ما كنتم تزعمون﴾[3] فَبَيْنُهُمْ وَصْلُهُمْ. والذي تقطع بينهم في الآخر كـان وصل بينهم في الدنيا.

وإِنما ضُمَّت الأَلف في قوله ﴿اتُّبِعُوا﴾ لضمَّةِ التَّاءِ، والتاءُ ضمت علامة ما لم يُسَمَّ فـاعِلُه، فإِن قَـال قـائـل: فمـا لم يسم فـاعله مضمـوم الأَول، والتـاءُ المضمومـة في ﴿اتُّبِعوا﴾ ثـالثـة، قيـل إِنَّمـا يضم لمـا لَم يُسَمَّ فــاعله الأَول من

---

(١) تقدمت آنفاً ـ آية ١٠٧.

(٢) أي لكان هو الذي تسير به الجبال وتقطع الأرض وتكلم الموتي ويفعل به أكثر من ذلك إذ هـو أبلغ من كل كلام.

(٣) سورة الأنعام (٦) آية ٩٤.

مُتَحركات الفعل، فإذا كان في الأول ساكن اجتلبت له ألف الوصل، وضم ما كان متحركاً، فكان المتحرك من اتبعوا التاءُ الثانية فضمت دليلاً على ترك الفاعل، وأيضاً فإنَّ في ﴿اتَّبعُوا﴾ ألفَ وصل دخلت من أجل سكون فاءِ الفعل، لأنَّ مثاله من الفعل افْتُعِلوا، فالألفُ ألفُ وصل ولا يبنى عليه ضَمَّة «الأول»(١) في فِعْلٍ لم يُسمَّ فاعلُه، والفاءُ ساكنة، والسَّاكنُ لا يُبْنى عليه فلم يبق إلا الثالث، وهو التاءُ فضمت عَلَماً للفعل الذي لم يسم فاعله، فكان الثالث لهذه العلة هو الأول.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَالَ الّذينَ اتَّبَعوا: لو أنَّ لنا كرةً فنتبرَّأَ﴾.

أي عودة إلى الدنيا فنتبرأ منهم، موضع ﴿أنَّ﴾ رفع، المعنى لو وقع لنا كُرورٌ لتبرأْنا منهم، كما تبرأوا منا، «يقال»(٢) تبرأْت منهم تبرُّؤا، وبرِئتُ [منه] بَرَاءَة وبرِئْت من المرض وبَرَأْتُ أيضاً لغتان» ابرأ، بَرءًا(٣)، وبريت القلم وغيره وأبريه غير مهموز، وبرأ اللّهَ الخلق بَرءًا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذلِك يُريُهُم اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرات عَلَيْهِمْ﴾.

أي كتبرّي بعضهم من بعض يريهم اللّهُ أعمالَهُمْ حَسَراتٍ عليهم لأن ما عمله الكافر غير نافعه مع كفره، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿الذين كَفَرُوا وَصَدّوا عنْ سَبِيلِ اللّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(٤) وقال: ﴿حَبطَتْ أعمالُهم﴾(٥) ومعنى ﴿أضل أعمالهم﴾ لم يجازهم على ما عَملوا من خير، وهذا كما تقول لمن عَمل عملاً لم يعد عليه فيه نفع: لقد ضَلَّ سَعْيُك.

---

(١) في فاء فعل.

(٢) ليست في ط.

(٣) ك أبرأ وأبرأ.

(٤) سورة محمد ٤٧ الآية ١.

(٥) سورة الكهف ـ ١٠٥.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا ممَّا في الأَرض حَلالاً طيِّباً﴾.

هذا على ضربين: أحدهما الإباحة لأكل جميع الأشياءِ إلا ما قد حظر اللَّه عزّ وجلّ من الميتة وما ذكر معهَا، فيكون ﴿طيباً﴾ نعتاً للْحَلَال[1]، ويكون طيباً نعتاً لما يستطاب، والأجود أن يكون طيباً من حيث يطيب لكم، أي لا تأكلوا وتنفقوا مما يحرم عليكم[2] كقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَيَمَّمُوا الخبيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾.

أكثر القراءَة خُطُوات بِضَمّ الخاءِ والطاءِ، وإن شئت أسكنْتَ الطاءَ، «خُطْوَات» لثقل الضمة، وإن شئت خُطَواتٍ، وهي قراءَة شاذة ولكنها جائزة في العربية قوية، وأنشد الخَليلُ وسيبويه وجميع البصريين النحويين:

ولما رَأَوْنا بَادِياً رَكَبَاتُنَا على مَوْطِنٍ لا نخلط الجد بالهزل[4]

ومعنى ﴿خطوات الشيطان﴾ طرقه، أي لا تَسْلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عَليهِ آباءَنا﴾.

معنى ﴿أَلفينا﴾ صَادَفْنا، فعنَّفهم اللَّه وعاب عليهم تقليدهم أباءَهم.
فقال: ﴿أَوَلَوْ كان آباؤُهمْ لَا يعقِلُون شيئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾.

---

(١) لكلمة «حلالا» لأنها حال. أو هي حال ثانية.

(٢) أي المراد بالطيب لا النوع الجيد.

(٣) البقرة ٢ ـ ٢٦٨.

(٤) لزهير بن أبي سلمى. وهو في كتاب سيبويه ٢ ـ ١٨٥. والشاهد فيه فتح الكاف. وباديا ركباتنا بمعنى جادين كما يقال شمر عن ساق. وأنظر ابن يعيش ٦ ـ ١٣٧.

المعنى أيتبعون آباءَهم وإن كانوا جهالاً، وهذه الواو مفتوحة لأنها واو عطف، دخلت عليها ألف التوبيخ، وهي ألف الاستفهام فبقيت الوَاو مفتوحة على ما يجب لها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَل الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا، لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونَدَاءً﴾.

وضرب اللَّه عزّ وجلّ لهم هذا المثل، وشبَّهَهُم بالغنم المنعوق بها. بما[1] لا يَسْمَع مُنه إلا الصوتَ، فالمعنَى مثلك يا محمد، ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به، بما لا يسمع، لأن سمعهم ما كان ينفعهم، فكانوا في شركهم وَعَدَمِ قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع: أصم، قال الشاعر:

أَصَمُّ عمَّا سَاءَه سَمِيعُ[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿صُمٌ بكْمٌ عمْيٌ﴾.

وصفهم بالبَكَم وهو الخَرَس، وبالعَمَى، لأنهم في تركهم ما يبصرون من الهداية بمنزلة العُمْي، وقد شرحنا هذا في أول السورة شرحاً كافياً إن شاءَ اللَّه[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّما حرَّم علَيكم المَيْتَةَ﴾.

النَّصبُ في ﴿الميتةَ﴾ وما عطف[4] عليها هو القراءَة، ونصبه لأنه مفعول

(١) من صائح يسمع صوته ولا يفهم كلامه فلا يستجاب له ـ وكلمة بما لا يسمع بدل من المنعوق بها تفسير لها ـ أي شبههم بالحيوانات التي تسمع ولا تفهم معنى الكلام.

(٢) اللسان (صمم) أي يسمع ولكنه يتصامم.

(٣) ص ٩٤.

(٤) في ك ما عطف به.

به، دخلت «ما» تمنع إنَّ من العمل[1]، ويليها الفعل، وقد شرحنا دخول ما مع إن، ويجوز إنَّما حرَّم عليكُم الميْتَةُ، والذي أختاره أن يكون ما تمنع أن من العمل، ويكون المعنى ما حرم عليكم إلا الميْتَةَ، والدَّم ولحم الخنزير، لأن «إنما» تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها لما سواه، قال الشاعر:[2]

أنا الزائد الحامي الذمار[3] وإنما مدافع عن أحسابهمْ أنا أو مثلي

المعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، فالاختيار ما عليه جماعة القراءِ لإتباع السنة، وصحته في المعنى.

ومعنى ﴿ما أُهِلَّ بِهِ لغَيْرِ اللَّهِ﴾.

أي ما رُفَعَ فيه الصوتُ بتسمية غير اللَّه عليه، وهذا موجود في اللغة، ومنه الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالتلبية. والميتة أصلها الميِّتَةُ، فحذفت الياءُ الثانية استخفافاً لثقل الياءين والكسرة والأجود في القراءَة الميْتَةُ (بالتخفيف)[4].

وكذلك في قوله: ﴿أَو من كان ميْتاً فأَحْيَيْنَاهُ﴾[5] أصله أو من كان ميتاً بالتشديد، وتفسير الحذف والتخفيف فيه كتفسيره في الميتة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عَادٍ﴾.

في تفسيرها ومعناها ثلاثة أوجه: قال بعضهم ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾، أي فمن اضطر جائعاً غير باغ ـ غير آكلها تلذذاً ـ ولا عاد ولا مُجَاوِزٍ ما يدفع عن نفسه الجوع، فلا إثم عليه.

---

(١) في ك ودخلت.

(٢) البيت للفرزدق. ديوانه ٧١٢ معاهد التنصيص ١ ـ ٨٩ شواهد المغني ٧١٨.

(٣) ليست في ك ـ والذمار الحمى والحريم.

(٤) ليست في ك.

(٥) الأنعام ٦/١٢٢.

وقالوا: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير مجاوز قدر حاجته وغير مقصِر عما يقيم به حياته، وقالوا: أيضاً: معنى ﴿غير باغ﴾ على إمَامٍ وغير متعد على أُمَّته، ومعنى البغي في اللغة، قصد الفساد، يقال: بَغَى الجَرْحُ يبغي بغياً، إذا ترامى إلى فساد، هذا إجماع أهل اللغة، تقول ويقال بغى الرجل حاجته يَبْغِيهَا بِغَاءً، والعرب تقول خرج في بِغَاءٍ إبله قال الشاعر: (١)

لا يمْنعنَّكَ من بِغَاءِ الخير تَعقادُ التمائم

إنَّ الأَشائم كالأيامن والأيامنُ كالأَشائمْ

ويقال بغت المرأة تبغي بِغَاءً إذا فجرت: قال اللَّه عزّ وجل:

﴿وَلَا تُكْرِهوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾(٢) أي على الفجور ويقال: ابتَغَى لفلان أنْ يفعل كذا: أي صلح له أن يفعل كذا وكأنه قال: طلب فعل كذا فانطلب له(٣)، أي طاوعه، ولكن اجتزئَ بقولهم ابتغى، والبغايا في اللغة شيئان، البغايا الفواجر، والبغايا الإماء، قال الأعشى: (٤)

والبغَايا يركضن أكْسية الأ ضْرِيج والشرعَبيَّ ذَا الأذيالِ

ونصب ﴿غير باغ﴾ على الحال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنزَل اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني علماءَ اليهود الذين كتموا أمر النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ به ثَمَناً قَلِيلاً﴾ أي كتموه لأنهم أخذوا على كِتْمَانِه الرِّشَى.

---

(١) للمرقش - اللسان (يمن) مع أبيات اخرى - والبيت الثاني هناك فإذا ليتسق مع ما سبقه.

(٢) النور ٢٤/٣٣.

(٣) هو فعل لازم كالمضارع اي فاستقام له.

(٤) من لاميته. في العشر للزوزني ١٨٤ والديوان ١٦٧ ط. بيروت: والشرعبي: الحرير الأحمر، أكسية تنسب إلى شرعب قرية يمنية والأضريج: كساء أصفر. وأيضاً أكسية من الصوف الأبيض.

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾.

المعنى أن الذين يأكلونه يعذبون به، فكأنهم إنما أكلوا النار وكذلك قوله عزّ وجل: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخَبَّطُه الشيطانُ من المسِّ﴾[1]. أي يُصَيِّرُهُمْ أَكْلُهُ في الآخرة إلى مثل هذه الحالة. والذين نصب بأن، وخبر «أن» جملة الكلام وهي ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾، وأولئك رفع بالابتداءِ وخبر ﴿أولئك﴾ ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

فيه غير قول: قال بعضهم معناه يغضب عليهم، كما تقول: فلان لا يكلم فلاناً، تريد هو غضبان عليه. وقال بعضهم معنى لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة لا يرسل إليهم الملائكة بالتَّحيَّةِ، وجائز إن يكون: ﴿لا يكلمهم اللَّه﴾ لا يسمعهم اللَّه كلامه، ويكون الأَبرار وأَهل المنزلة الذين رضي اللَّه عنهم يسمعون كلامه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا يُزَكِّيهِمْ﴾.

أَي لا يثنى عليهم، ومن لا يثني اللَّه عليه فهو معذب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى أَليم مؤلم ومعنى مؤلم مبالِغٌ في الوجع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فما أَصْبرهُمْ على النَّارِ﴾.

وفيه غير وجه: قال بعضهم أَيُّ شيءٍ أَصْبرهُمْ على النار، وقال بعضهم: فما أَصبرهم على عمل يؤدي إلى النار لأن هؤلاءِ كانوا علماءَ بأن من عاند النبي ﷺ صار إلى النار. كما تقول ما أَصبرَ فلاناً على الجنس أَي ما أَبقاه منه.

---

(١) البقرة ٢/٢٧٥.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذلك بأن اللَّه نزَّل ٱلْكتَابَ بالحَقِّ﴾.

المعنى الأَمـر ذلك، أو ذلـك الأَمر فـذلك مـرفوع بـالابتداءِ. أو بخبـر الابتداءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنّ الّـذينَ اخْتَلَفوا في الكِتَـاب لَفِي شِقَاق بعِيـدٍ﴾أي بتباعد بعضهم في مَشَاقَّةِ بعض، لأَن اليهـود والنصارى هم الَّـذين اختلفوا في الكتاب ومشاقتهم بعيدة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْس الْبرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قبلَ المَشْرِقِ والمَغْربِ﴾.

المعنى ليس البر كله في الصلاة﴿ولكن البرَّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ واليـوْمِ الآخر وأَقَامَ الصَّلاَةَ﴾.. إلى آخر الآية، فقيل إن هذا خصوص في الأَنبياءِ وحدهم، لأَن هـذه الأَشياءِ التي وصفت لا يؤديهـا بكليتها على حق الـواجب إلا الأَنبياءَ عليهم السلام، وجائز أَن يكون لسائر الناس، لأن الله عزّ وجـلّ قد أَمـر الخلق بجميع ما في هذه الآية.

ولـك في البرِّ وجهـان: لك أَن تَقْـرَأَ ليس البرَّ أَن تـولوا، وليس البـرُّ أَنْ تُولُوا، فمن نصب جعـل أَنْ مع صلتهـا الاسم، فيكون المعنى: ليس تـوليتُكُم وجُوهَكُم البرَّ كلَّه، ومن رفع البر فالمعنى: ليس البُر كلُه توليتكم، فيكون البـر إسم ليس، وتكون ﴿أَن تولوا﴾ الخبر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولكنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾.

إذا شدَّدتَ ﴿لَكِّن﴾ نصبت البـر، وإذا خففت رفعت البـر، فقلت ولكنِ البِـرُّ من آمن باللَّه، وكسـرتَ النونَ من التخفيف لالتقـاءِ الساكنين، والمعنى: ولكن ذا البر من آمن باللَّه، ويجوز أَن تكون: ولكن البرَّ بَرُّ مَن آمن باللَّه، كما قال الشّاعِر:

وكيفَ تــواصـل مَن أَصبَحَتْ خــلاَلَتــهُ كــأبي مَــرْحَبِ[1]

المعنى كخلالة أبي مرحب ـ ومثله واسأل القرية التي كنـا فيها. المعنى وأسأل أهل القرية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمُوفُونَ بعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾.

في رفعها قولان: الأجود أن يكون مـرفوعـاً على المدح، لأن النعت إذا طال وكَثُرَ رُفِعَ بعضُه ونُصِبَ على المدح. المعنى هم الموفون بعهدهم وجـائز أن يكون معطوفاً على من. المعنى ولكن البر، وذو[2] البر المُؤْمنون والمـوفون بعهدهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والصَّابِرينَ﴾.

في نصبهـا وجهان: أجـودهما المـدح كما وصفنـا في النعت إذا طـال. المعنى أعني الصابرين، قال بعض النحويين، إنه معطوف على ذوي القـربى، كأنه قال: وآتي المالَ على حبه ذوي القربى والصابرين وهـذا لا يصلح إلا أن يكـون ـ والموفـون رفع على المـدح للمُضْمَرِينَ، لأن مـا في الصلة لايعطـف عليه بعد المعطوف على الموصول[3].

ومعنى «وحينَ البَأْسِ» أي شدة الحرب، يقال قد بأس الرجل[4] يَبْـأَسُ

---

(١) تقدم

(٢) في الأصل ذوي.

(٣) المـوفون يحتمـل إعرابين ـ إمـا العـطف على من آمن، وإمـا على أنـه منقـطع خبـر. الضميـر المحذوف، وذوي القربى. معمول لأتى. . وهو من صلة «من» فالصابرين ان عطف على ذوي القربى فهو عـطف على معمول الصلة ولا يجـوز العطف على معمـول الصلة بعد ذكـر معطوف على الموصول نفسه فلهذا يمتنع هذا العطف ـ إلا إذا كانت الموفون ـ اسما منقطعاً.

(٤) في القاموس: بَئِس كسمع بؤساً وبُؤُساً وبَأْساً وَبُؤْسَى وبئِيْسى اشتدت حاجته.

بَأَساً وبَأساً (وبُؤساً)[1] يا هذا إذا افتقر وقد بُؤس الرجل ببُؤس، فهو بَئيس إذا اشتدت شجاعته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِصَاصَ فِي القَتْلَى الحُرُّ بالحُرِّ والعبْدُ بالعَبدِ والأُنْثَى بالأُنْثَى﴾.

معنى ﴿كُتِب عليْكم﴾ فرض عليكم، وقوله ﴿الحرّ بالحر والعبد بالعبد والأُنثى بالأُنثى﴾: يقال إنه كان لقوم من العرب طَولٌ على آخرين فكانوا يتزوجون فيهم بغير مهور، ويطلبون بالدم أكثر من مقداره، فيقتلون بالعبد من عبيدهم الحرَّ من الذين لهم عليهم طول فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيه شَيءٌ فاتبَاع بالمعْرُوفِ وأداءٌ إليْه بإحْسَانٍ﴾. أي من ترك له القتل ورُضي منه بالدِّية - وهو قاتل متعمد للقتل عفى له بأن ترك له دمُه، ورضي منه بالدية - قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ تخفيفٌ منْ ربّكُم ورَحْمَةٌ﴾وذكر أن من كان قبلنا لم يفرض عليهم إلا النفس - كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْس بالْنَفْسِ﴾[2] أي في التوراة - فتفضل اللَّه على هذه الأُمة بالتخفيف والدية إذا رَضي بها وليُّ الدَّم، ومعنى ﴿فاتِّباع بالمَعْرُوفِ﴾على ضربين: جائز أن يكون فعلَى صاحب الدم اتباع بالمعروف، أي المطالبة بالدية، وعلى القاتل أداء بإحسان - وجائز أن يكون الأتباع بالمعروف والأداء بإحسان جميعاً على القاتل - واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلك فَلَهُ عذابٌ أَليمٌ﴾. أي بعد أخذ الدية، ومعنى اعتدى: ظلم، فوثب فقتل قَاتِلَ صَاحِبِه بعد أخذ الدية - ﴿فله عذاب أليم﴾ أي موجع.

---

(١) ليست في ك.

(٢) المائدة د / ٤٥.

ورفع ﴿فاتباع بالمعروف﴾ على معنى فعليه اتباعٌ[١] - ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعاً بالمعروف وأداءَ على معنى فليتبع أتباعاً ويؤد أداءً. ولكن الرفع أجود في العربية[٢]. وهو على ما في المصحف وإجماع القراءِ فلا سبيل إلى غيره.

وقوله عزّ وجلّ: «وَلَكُم في القِصَاص حَياةٌ﴾.

﴿حياة﴾ رفعَ على ضربين: على الابتداءِ، وعلى لكم، كأنه قال وثَبَت لكم في القصاص حياة ﴿يا أُولي الألباب﴾[٣] أي يا ذوي العقول.

ومعنى الحياة في القصاص أن الرجل - إذا علم أنه يُقْتَل إنْ قَتَل - أمسك عن القتل ففي إمساكه عن القتل حياة الذي همَّ هو بقتله. وحياةٌ له. لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل فَسَلِم أن يقتل[٤].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كتب عليكم﴾ المعنى وكتب عليكم[٥] إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو، وعلم أن معناه معنى الواو. ولأن القصة الأولى قد اسْتَتَمَّت وانْقَضَى معنى الفرض[٦] فيها، فعلم أن المعنى فرض عليكم القصاص وفرض عليكم الوصية.

ومعنى ﴿كُتبَ علَيْكم إذا حَضَر أَحدَكُمْ المَوْتُ إنْ تَركَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ﴾.

هذا الفَرضُ بإجماع نسخته آياتُ المَواريثِ في سورة النساءِ وهذا مجمع

---

(١) أي فاتباع واقع عليه، أو فأمره أتباع.

(٢) لأنه جملة اسمية - وحذف الفعل ليس كثيراً كحذف الاسم.

(٣) أنظر كيف يأخذ الزجاج بالمذهب الكوفي.

(٤) أي من أن يقتل.

(٥) آية ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ معطوفة على ﴿كتب عليكم القصاص﴾.

(٦) في ط وفرض عليكم الوصية.

عليه، ولكن لا بد من تفسيره ليعلم كيف كان وجه الحكمة فيه، لأن اللّه[1] عزّ وجلّ لا يتعبد في وقت من الأوقات إلَّا بما فيه الحكمة البالغةُ فمعنى ﴿كتب عليكم﴾: فرض عليكم - إن ترك أحدكم مالا - الوصية «للوالدين والأقربين بالمعروف»، فَرَفَعَ الوصية على ضربين، أحدهما على ما لم يسم فاعله، كأنه قال كتب عليكم الوصية (للوالدين)[2]، أي فرض عليكم، ويجوز أن تكون رفع الوصية على الابتداءِ، ويجوز (أن تكون)[3]، للوالدين الخبر، ويكون على مذهب الحكاية، لأن معنى كتب عليكم قيل لكم: الوصية للوالدين والأقربين، وإنما أُمِرُوا بالوصية في ذلك الوقت لأنهم كانوا ربما جاوزوا بدفع المال إلى البُعَداءِ طلباً للرياءِ والسمعة.

ومعنى ﴿حضر أحدَكم الموتُ﴾ ليس هو أنه كتب عليه أن يوصي إذا حضره الموت، لأنه[4] إذا عاين الموت «يكون» في شغل عن الوصية وغيرها. ولكن المعنى كتب عليكم أن تُوصُوا وأنتم قادرون على الوَصيَّةِ، فيقول الرجل إذا حضرني الموت، أي إذا أنا مِتُّ فلفلان كذا، على قدر - ما أُمِرَ به - والذي أُمِرَ به أن يجتهد في العدل في وقت الإمْهَال[5]، فيوصي بالمعروف - كما قال اللّه عزّ وجلّ - لوالديه ولأقربيه - ومعنى بالمعروف بالشيءِ الذي يعلم ذو التمييز أنه لا جَنَفَ فيه ولا جَوْر، وقد قال قوم إن المنسوخ من هذا ما نسخته المواريث، وأمر الوصية في الثلث باق، وهذا القول ليس بشيءٍ لأن إجماع المسلمين أن ثلث الرجل له إن شاءَ أن يوصي بشيءٍ فله، وإن ترك فجائز (فالآية)[6] في

---

(١) ط: أن اللّه: فهي جملة مستأنفة.

(٢) ك فقط.

(٣) ك فقط.

(٤) ك: لأنه هو إذا عاين.

(٥) في ط في العدل في الإمهال في ذلك الوقت.

(٦) ليست في ك.

قوله: ﴿كتب عليكم... الوصية﴾ منسوخة بإجماع. وكما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَقًّاً على المتَّقِينَ﴾.

نصب على حق ذلك عليكم حقاً، ولو كان في غير القرآن فَرُفِعَ كان جائزاً، على معنى ذلك حق على المتقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ بَدَّلَه بَعْد مَا سَمِعَهَ﴾ يعني فمن بدل أمر الوصية بعد سماعهِ إيّاها، فإنما إثْمُه على مُبَدلِهِ، ليس على الموصى، - إذا احتاط أو اجتهد فيمن يوصى إليه - إثم، ولا على الموصى له إثم وإنما الإثم على الموصي إن بدل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي قد سمع ما قاله الموصي، وعلم ما يفعله الموصَى إليه، لأنه عزّ وجلّ عالم الغيبِ والشَّهَادَة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ خَافَ من مُوص جَنَفاً (أَوْ إثْماً)﴾.

أي مَيْلاً، أو إثماً، أو قَصَداً لإثم، فأصلح بينهم أي عمل بالإصلاح بين الموصى لهم فلا إثم عليه، أي لأنه إنما يقصد إلى إصلاح بعد أن يكون الموصي قد جعل الوصية بغير المعروف مخالفاً لأمر اللَّه فإذا ردها الموصى إليه إلى المعروف، فقد ردها إلى ما أمر اللَّه به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا كُتبَ عليكم الصِّيَامُ﴾.

المعنى فرض عليكم الصيام فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم، وقيل إنه قد كان فرض على النصارى صوم رمضان فَنَقَلُوه عن وقته، وزادوا فيه، ولا أدري كيف وجه هذا الحديث، ولا ثقة ناقليه، ولكن الجملة أن اللَّه عزّ وجلّ قد أعلمنا أنه فرض على من كان قبلنا الصيام، وأنه فرض علينا كما فرضه على الذين من قبلنا[1].

---

(١) في ط على النبيين من قبلنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

المعنى أَنَّ الصِيَّام وَصْلَة إلى التقي، لأنه من البر الذي يكف الإنسان عن كثير مما تتطلع إليه النفس من المعاصي، فلذلك قيل ﴿لعلكم تتقون﴾. و «لعل» ههنا على ترجي العباد، واللَّه عزّ وجلّ من وراءِ العلم أتتقون أم لا[١]. ولكن المعنى أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رجاؤكم في التقوى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أياماً مَعْدُودَاتٍ﴾.

نصب أياماً على ضربين، أَجْوَدُهُما أن تكون على الظرف كأنه، كتب عليكم الصيام في هذه الأيام - والعامل فيه[٢] الصيام كان المعنى كُتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وقال بعض النحويين، إنه منصوب مفعولُ[٣] مَا لم يُسَمّ فاعله، نحو أُعطِيَ زيد المال. وليس هذا بشيءٍ لأن الأيام ههنا معلقة بالصوم، وزيد والمال مفعولان لأعطى. فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل[٤]. وليس في هذا إلاَّ نصب الأيام بالصيام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن كَانَ منكُم مَرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فعدَّةٌ مِنْ أيام أُخَر﴾.

أي فعليه عدة، أو فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من أيام أُخر. وأُخر في موضع جر، إلا أنها لا تَنْصَرِف فَفُتِحَ فيها المجرور.

ومعنى وعلى الذين يطيقونه أي يطيقون الصوم فدية طعام، مسكين، أي إن أفطر وترك الصوم كان فدية تركه طعامُ مسكين وقد قرئ «طعامُ مساكين»

---

(١) أي هو يعلم المستقبل فلا يتأتى الرجاء منه.

(٢) في الظرف.

(٣) اعتبرت كتب مما ينصب مفعولين. جعل أولهما نائب الفاعل وهذا هو الثاني أو هو ظرف ولكن عامله «كتب».

(٤) لك أو ترفع أيا منهما على أنه نائب فاعل وتنصب الآخر مفعولاً به.

فمعنى طعام مساكين فدية أيام يفطر فيها وهذا بإجماع وبنص القرآن منسوخ. نَسخَته الآية التي تَلي هذه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

رفع خير خبر الابتداءِ. المعنى صومكم خير لكم هذا كان خيراً لهم مع جواز الفدية، فأما ما بعد النسخ فليس بجائز أن يقال: الصوم خير من الفدية والإفطارِ في هذا الوقت، لأنه[١] ما لا يجوز البتة فلا يقع تفضيل عليه فيوهم فيه أنه جائز. وقد قيل إن الصوم الذي كان فرض في أول الإسلام. صوم ثلاثة أيام في كل شهر ويوم عاشوراءِ، ولكن شهر رمضان نَسَخَ الفرضَ في ذلك الصوم كله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزل فيه القُرْآنُ﴾.

القراءَة[٢] بالرفع ويجوز النصب، وهي قراءَة ليست بالكثيرة ورفعه على ثلاثة أضرب: أحدها الاستئناف. المعنى الصيام الذي كتب عليكم أو الأيام التي كتبت عليكم شهرُ رمضان، ويجوز أن يكون رفعه على البدل من الصيام فيكون مرفوعاً على ما لم يسم فاعله، المعنى كتب عليكم شهر رمضان[٣]، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداءِ ويكون الخبر﴿الذي أُنزل فيه القرآن﴾ والوجهان اللذان شرحناهما - «الذي» فيهما رفع على صفة[٤] الشهر، ويكون الأمر بالفرض فيه﴿فمن شَهِدَ منكم الشَّهرَ فليصمه﴾[٥] ومعنى من شهد: من كان شاهداً غير مسافر فليصم، ومن كان مسافراً أو مريضاً فقد جُعِل له أن

---

(١) في ط وك. لأن ما لا يجوز.

(٢) في ط القراءة الجيدة.

(٣) كتب عليكم الصيام شهرَ رمضان.

(٤) وعلى الوجه الأخير هي خبر.

(٥) أي هذه الجملة الدالة على الأمر.

يصوم عدَّةَ أيّـامِ الْمَرض وأيـامِ السفرِ من أيـام أُخر، ومن نصب شهـر رمضان نصبه على وجهين، أحدهما أن يكون بدلاً من أيام معـدودات، والوجـه الثاني على الأمر، كأنه قال عليكم شهر رمضان. على الإغْراءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُريدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ﴾.

أيْ أن يُيسّر عليكم بوضعه عنكم الصوم في السفر والمرض.

وقـولـه عـزّ وجـلّ: ﴿وَلِتُكمّلوا العـدة﴾ (قرئ)[1] بـالتشـديـد، ولِتُكْمِلُوا بالتخفيف. من كمَّل يكمّلُ، وأكمل يُكْمِلُ. ومعنى اللام والعـطف ههنا معنى لطيف. هذا الكلام معطوف محمول على المعنى. (المعنى[1]) فعل اللَّه ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة، قال الشاعر:[2]

بَـادَت وغُـيِّـر آيُـهـن مـع الـبِـلـي ... إلا رَواكِـدَ جـمـرهُـن هـبـاءُ
ومـشـجـجٌ أمـا سـواءُ قـذا لـه ... فـبـدا، وغـيـره سَـارَه الـمَـعْـزَاءُ

فعـطف مشـجـجٌ على معنى بهـا رواكـد ومشـجـج، لأنـه إذْ قـال بـادت الأرواكِدَ علم أن المعنى بَقِيَتْ رواكدُ ومشجعُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِيَ عَنِّي فَإنِّي قَرِيبٌ﴾.

المعنى إذا قال قائل: أينَ اللَّهُ. فاللَّه عزّ وجلّ قريب لا يخلو منه مكان ـ كما قال: ﴿مَـا يَكُونُ مِنْ نَجـوى ثَلاَثـةٍ إلا هُوَ رَابِعُهـمْ﴾[3] وكمـا قال: ﴿وهـو مَعَكُم أينَمَا كنتم﴾[4].

---

(١) ك فقط.

(٢) البيتان من شواهد سيبويـه: الكتاب ص ١٧٣، ١٧٤ جـ ١ تحقيق هـرون، والرواكـد الأثافي ـ والمعزاء (بفتح الميم) الأرض الغليظة الصلبة ـ ج. أمعاز أنظر اللسان (معز)، والمشجج الوتد، والقذال أعلاه، وسارة: سائره «اللسان: سار». ـ ولم يذكر القائل.

(٣) سورة المجادلة ٥٨ ـ ٧.

(٤) سورة الحديد آية ٤.

وقوله عزّ وجل: ﴿أُجيبُ دَعْوةَ الدَّاعِي إِذَا دَعانِ﴾.

إن شئت قلت إذا دعاني بياءٍ وإن شئت بغير ياءٍ، إلا أن المصحف يتبع فيوقف على الحرف كما هو فيه. ومعنى الدعاءِ للّه عزّ وجلّ على ثلاثة أضرب، فضرب منها توحيده والثناءُ عليه كقولك يا اللّه لا إله إلا أنت[1] وقولك: رَبَّنا لَكَ الحَمْدُ، فقد دعوتَه بقولك ربنا، ثم أَتيت بالثناءِ والتوحيد ومثله: ﴿وقال ربكم ادْعُوني أَسْتَجِبْ لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[2] أي يستكبرون عن توحيدي والثناءِ عليَّ، فهذا ضرب من الدعاءِ، وضربٌ ثان هو مَسْأَلةُ اللّه العفوَ والرحمة، وما يقرب منه كقولك اللهم أغفر لنا، وضرب ثالث هو مسألته من الدنيا كقولك: اللهم أرزقني مالاً وولداً وما أشبه ذلك، وإنما سمي هذا أجمعُ دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياءِ بقوله يا اللّه، ويا ربُّ، ويَا حَيُّ. فكذلك سمي دعاءً.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾:

أي فليُجِيبُوني، قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا ... فلم يَسْتَجِبْه عند ذاك مجيب[3]

أي فلم يجبه أحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.

﴿الرفث﴾ كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، والمعنى ههُنا كناية عن الجماع: أي أحل لكم ليلة الصيام الجماع، لأنَّه كان في أولَ فرض

---

(١) في ط لا إله إلا هو الا أنت.

(٢) سورة غافر ٤٠ ـ ٦٠.

(٣) البيت لكعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار الخزانة ٤ ـ ٣٥٧، المعجم ٣٤ اللسان (جوب) أمالي المرتضى ١/٦٠.

الصيام الجماعُ محرماً في ليلة الصيام، والأكل والشُّربُ بعد العِشَاءِ الآخرة والنوم. فأحل اللّه الجماع والأكل والشراب إلى وقت طلوع الفجر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لكُم وأَنتُم لِبَاسٌ لهُنَّ﴾.

قد قيل فيه غير قول: قيل المعنى، فَتُعانقوهن ويُعَانِقْنكم، وقيل كل فريق منكم يسكن إلى صَاحِبه ويُلابسه - كما قال عزّ وجلّ: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾[1]. والعرب تسمى المرأة لباساً وإزاراً قال الشاعر: [2]

إذا مَا الضَّجيع ثَنَى عِطفَه ... تَثَنَّتْ فكانت عليه لِبَاساً

وقال أَيضاً: [3]

أَلاَ أَبْلغ أَبَا حَفْصٍ رَسُولا ... فِدًى لكَ - من أَخِي ثِقَةٍ - إزاري

قال أهل اللغة: فدى لك إمرأتي[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللّه لَكُمْ﴾.

قالوا معناه الولد. ويجوز أن يكون - وهو الصحيح عندي - واللّه أعلم - وابتغوا ما كتب اللّه لكم: اتبعوا القرآن فيما أُبيح لكم فيه وأُمرتم به فهو المبتغى.

---

(١) الأعراف ٧ - ١٨٩.

(٢) النابغة الجعدي - الشعراء والشعراء ٢٥٥، الطبري ٣ - ٤٩٠.

(٣) هو نفيلة الأكبر الأشجعي - وكنيته أبو المنهال - وهي أبيات وجه بها إلى عمر بن الخطاب، يشكو عامله على المدينة - جعدة بن عبد اللّه السلمي - وكان يعبث بالجواري عند خروج الأزواج إلى الغزو. ومنها.

قلائِصُنَا هداك اللّه، أنا ... شغلنا عنكمو زمن الحصار

يعقلهن جعدة من سليم ... غوى يبتغي سقط العذارى

وفسر الإزار هنا بأنه النفس والأهل - والقائل أنه المرأة هو الجرمي وليس بجيد هنا ومنه حديث بيعة العقبة لنمنعنك مما نمنع منه أُزرَنَا، أي نساءنا وأهلنا. والعذارى جمع عذراء. أنظر اللسان (عذر).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسودِ مِنَ الفَجرِ﴾.

هما فجران: أَحدهما يَبْدُو أَسودَ معترضاً وهو الخيط الأَسود، والأَبيض يطلع ساطعاً يملأُ الأُفق، وَحَقِيقَتُه: حَتَّى يتبين لكم الليل من النهار، وجعل اللَّه عزّ وجلّ حدود الصيام طلوع الفجر الواضح، إلا أَن اللَّه عزّ وجلّ بين في فرضه ما يستوي في علمه أَكثر الناس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُباشِرُوهُنَّ وأَنتُم عاكِفُون في المساجِدِ﴾.

معنى المباشرة هنا الجماع. وكان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعودُ إِلى المسجد، والاعتكاف أَن يحبس الرجل نفسه في مَسْجِدِ جَماعةٍ يتعبَّد فيه، فعليه إذا فعل ذلك أَلَّا يُجَامع وأَلَّا يتصرَّفَ إلا فيما لا بد له مِنْهُ من حاجته[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾.

معنى الحدود ما منع اللَّه عزّ وجلّ من مخالفتها، ـ ومعنى الحدَّادُ في اللغة الحاجب، وكل من منع شيئاً فهو حدَّاد. وقولهم أَحَدَّتَ المرأة على زوجها معناه قطعتِ الزينَةَ وإمتنعت منها، والحديد إنما سمي حديداً لأَنه يمتنع به من الأَعداءِ. وحَدُّ الدَّار هُوَ مَا يمنع غيرها أَن تدخل فيها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ للنَّاسِ﴾.

أَي مثل البيان الذي ذكر، المعنى ما أَمرهم به يبين لهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بيْنَكُم بالبَاطِلِ﴾.

﴿تأْكلوا﴾ جزم بلا، لأَن «لا» التي ينهي بها تلزم الأَفعال دون الأَسماءِ

(١) في ك، ط. لم تذكر كلمة منه.

وتأثيرها فيها بالجزم، لأن الرفع يدخلها، بوقوعها موضع الأسماءِ والنصب يدخلها لمضارعة الناصب فيها الناصب للأسماءِ[1]، وليس فيها بعد هذين الحيزين إلا الجزم. ومعنى بالباطل أي بالظلم.

وتُدْلُوا بهَا إلى الحُكَّام: أي تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم ويتركون ما قد علمتم أنه الحق، ومعنى تُدْلوا في اللغة إنَّما أصله من أَدْلَيْتُ الدلو إذا أرسلتها للمليءِ، ودلوتها إذا أخرجتها، ومعنى أَدلَى لي فلان بحجته أرسلها وأَتى بها على صحة، فمعنى وتدلوا بها إلى الحكام أي تعملون على ما يوجبه الإدلاءُ بالحجة، وتخونون في الأمانة.

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَموَالِ النَّاسِ بِالإِثمِ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن، وإن ظهر، خلافها، ويجوز أن يكون (موضع)[2] «وتدلوا» جزماً ونصباً - فأما الجزم فعلى النهي، معطوف على ولا تأْكلوا، ويجوز أن تكون نصباً على ما تنصب الواو، وهو الذي يسميه بعض النحويين الصرف، ونصبه بإضمار أَن، المعنى لا تجمعوا [بين] الأَكل بالباطل والإدلاءِ إلى الحكام، وقد شرحنا هذا قبل هذا المكان[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونكَ عن الأَهلَّةِ﴾.

كان النَّبيُّ ﷺ سئل عن الهلال في بدئه دقيقاً وعن عِظَمِهِ بعد، وعن رجوعه دقيقاً كالعرجون القديم، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنه جعل ذلك ليعلم

---

(١) الرفع يدخل الأفعال إذا وقعت موقع الأسماء، بأن تقع بعد ما يؤثر في الاسم أو بدون مؤثر، والنصب يدخلها للسبب الذي ذكر، ولا الناهية ليست أحد هذين. فالزم الفعل الجزم. وهذا رأي الزجاج - وقد ردّ فيه.

(٢) ليست في ك. والكلام يستقيم بدونها.

(٣) ص ١٢٤.

الناس، أوقاتهم في حَجِّهِمْ وَعِدَدِ[1] نِسائِهِمْ، وجميع ما يريدون علمه مشاهرة، لأن هذا أسهل على الناس من حفظ عدد الأيام، ويستوى فيه الحاسب وغير الحاسب.

ومعنى الهلال واشتقاقه: من قولهم اسْتَهَلَّ الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح، وكأن قولهم أَهَلَّ القوم بالحج والعمرة - أي رفعوا أصواتهم بالتلبية، وإنما قيل له هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره ويقال أُهِلَّ الهلال واسْتَهَلَّ[2]، ولا يقال أَهَلَّ، ويقال أهلَلْنا. أي رأينا الهلال. وأهللنا شهر كذا وكذا، إذا دخلنا فيه.

وأخبرني من أثق به من رواة البصريين والكوفيين جميعاً بما أذكره في أسماءِ الهلال وصفات الليالي التي في كل شهر:[3]

فأول ذلك: إنما سمي الشهر شهراً لشهرته وبيانه، وسُمِّيَ هلالا لِمَا وصفنا من رفع الصوت بالإخبار عنه، وقد اختلف الناس في تسميته هلالاً، وكم ليلةً يُسَمَّى ومَتَى يُسَمَّى قمراً، فقال بعضهم يسمى هلالاً لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالاً، إلى أن يعود في الشهر التالي، وقال بعضهم يسمى هلالاً ثلاث ليال ثم يسمى قمراً، وقال بعضهم يسمى هلالاً إلى أن يحجّر وتحجيره أن يستدير بخطة دقيقة[4]. وهو قول الأصمعي. وقال بعضهم يسمى هلالاً إلى أن

---

(١) جمع عدة وهي المدة التي تقضيها المطلقة أو المتوفي عنها زوجها حتى تحل لزوج آخر.

(٢) أهل مبني للمجهول، أي أهل به الناس، واستهل مبني للمعلوم أي بدًا.

(٣) هذه الأسماء والصفات التي تأتي بعد مذكورة بتفاصيل أوسع وبشيء من التغاير في الكتب الآتية.

كنز الحفاظ ص ٣١٥ - ٤٠٥ الباب ٦٥.

أمالي المرتضى ١ - ٧٥ - ٥٩.

المخصص ٩ - ٢٦.

وعنها نقلنا الشروح التي تأتي بعد.

(٤) تحاط دائرته بخط دقيق يحددها وهي لما تضيء بعد.

يَبْهَرَ ضوؤُه سوادَ الليل، فإذا غلب ضوؤُه سوادَ الليل قيل له قمر، وهذا لا يكون إلَّا في الليلة السابعة، والذي عندي. وما عليه الأكثر أنَّه يسمى هلالاً ابنَ ليلتين[(١)]، فإنه في الثالثة يَبِينُ ضوؤُه.

واسم القمر الزبرقان، واسم دارته الهالة، واسم ضوئه الفَخْت وقد قال بعض أهل اللغة لا أدري الْفَخْتُ اسمُ ضوئه أم ظُلْمَتِه، واسم ظلمته على الحقيقة (واسم ظله)[(٢)] السَّمَر، ولهذا قيل للمتحدثين ليلا سُمَّار، ويقال ضاءَ القمر وأضاءَ، ويقال طلع القمر، ولا يقال أضاءَت القمر أو ضاءَت[(٣)].

قال أبو إسحق وحدثني من أثق به عن الرِّيَاشي عن أبي زيد، وأخبرني أيضاً من أثق به عن ابن الأعرابي بما أذكره في هذا الفصل: قال أبو زيد الأنصاري، يقال للقمر بنَ ليلةٍ: عَتَمَةَ سُخَيْلة حل أهلها بِرُمَيْلَةِ[(٤)]، وابنَ ليلتين حديث أَمَتَين كذبٌ ومَيْنْ[(٥)] ورواه ابن الأعرابي بكذب ومَيْنْ، وابن ثلاث حديث فتيات غير جد مؤتلفات[(٦)].

وقيل ابن ثلاث قليل اللِّبَاث، وابن أربع عتمة رُبَع لا جائع ولا مُرْضَع[(٧)]، وعن ابن الأعرابي عتمة أم الربع، وابن خمس حديث وأُنس[(٨)]،

---

(١) عن ابن السكيت يكون هلالا لليلة ولليلتين ولثلاث، وقال ابن سيدة: إن الزجاج يسميه هلال لثلاث ليال ثم يكون قمراً وهو يخالف ما هنا.

(٢) ك فقط.

(٣) أي هو مذكر لا يجوز تأنيثه، ويقال أضاءت القمراء.

(٤) السخيلة هي وليدة الشاة، أي أنه يبقي بمقدار ما ينزل قوم فتضع شاة سخلتها وترضعها ثم يرتحلون ـ والرميلة تصغير رملة، المراد: مكان غير صالح للمكث الطويل.

(٥) بمقدار ما تلقى الأمة أمة أخرى فتلفق لها حديثاً ثم يفترقان، والأمة لا يسمح لها بطول الغيبة.

(٦) ليس بينهما صداقة قوية يطول بسببها الحديث.

(٧) أم الربع الناقة التي تلد أول الربيع، أي بمقدار ما ترضع ولدها وهو غير شديد الجوع، ولا ينال شبعاً كافياً.

(٨) يبقى فترة كافية للحديث والائتناس.

وقال أبو زيد عشا خَلِفَات قُعْس(١)، وابن ست سِرْوَيت(٢).

وابن سَبْع دُلْجَة الضَّبع(٣) وابن ثمان قمر أُضحيان(٤) وابن تسع عن أبي زيد: انقطع السشع(٥)، وعن غيره يلتقط فيه الجزع(٦)، وابن عشر ثلث الشهر، وعن أبي زيد وغيره محنق الفجر(٧).

ولم تقل العرب بعد العشر في صفته ليلة ليلة كما قالت في هذه العشر(٨) ولكنهم جزأوا صفته أجزاء عشرة، فجعلوا لكل ثلاث ليال صفة(٩) فقالوا ثلاث غُرَرٌ، وبعضهم يقول غُرٌّ(١٠)، وثلاث شُهْبٌ(١١)، وثلاثٌ بُهْرٌ وبَهْرٌ(١٢)، وثلاث عُشْرٌ(١٣)، وثلاث بيض(١٤)، وثلاثٌ دُرْعٌ، ودُرُعٌ، ومعنى الدُّرَعُ سواد مُقَدَّم

---

(١) الخلفة التي استبان حملها، والقعس جمع قعساء وهي التي انحنى ظهرها ضد الحدباء.

(٢) يكفي الساري أن يمشي وقتاً كافياً حتى يدركه المبيت.

(٣) الدُّلَجُ السُّرَى ليلا، والضُّبع بطيئة السير، أي ضوؤه يكفي طوفانها ـ مع بطئها ـ وعودتها.

(٤) أضحيان أي مضيء من الضحوة، ويقال قمر أضحيان بالإضافة، وَقَدَرٌ أَضْحيَانٌ نَعْتاً، وليلة ضحياء وإضحيانة وإضحية بكسرهما ويوم ضَحْيَانٌ.

(٥) يضيء زمناً يكفي أن يمشي فيه الساري حتى تنقطع سشعه.

(٦) ضوؤ ه واضح يمكن أن يلتقط فيه الخرز.

(٧) بفتح النون وبكسرها، أي يبقى ضوؤه إلى قريب من الفجر فيحنقه، فهو يحنق الفجر وفجره محنق.

(٨) ذكر المرتضى صفات لياليه ليلة ليلة حتى بلغ الثلاثين، ولم يذكر ابن سيده ولا ابن السكيت غير ما ذكر الزجاج هنا من صفات الليالي المقررة.

(٩) لكل ثلاث ليال من أول الشهر إلى آخره.

(١٠) غرر جمع غرة، أي ذوات غرر والغرة بياض في وجه الفرس وغر جمع غراء، وسميت بذلك لأن القمر يظهر أولها فقط.

(١١) شهْبٌ ـ شُهُبٌ جمع شهباء، والشُّهْبَة بياض يصدعه سواد، وهذه الليالي لا يسطع فيها ضوء القمر حتى يفضح الظلمة ففيه منها بقية فهي شهباء لذلك.

(١٢) تبهر ظلمة الليل وتزيلها.

(١٣) يصير فيها كالناقة العشراء لأنه أحدب لا تتم استدارته، والناقة العشراء التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(١٤) لأن القمر لا يغيب فيها فيتصل ضوؤه بضوء النهار.

الشاة وبياضُ مؤخرها، وإنما قيل لها دُرْع ودُرُع لأن القمر يغيب في أولها، فيكون أول الليل أدرع لأن أوله أسود وما بعده مضيءٌ وثلاث خُنْسٌ، لأن القمر يَنْخَنِس فيها أي يَتأَخر، وثلاث دهم، وإنما قيل لها دهم لأنها تُظْلم حتى تَدْهَامّ، وقال بعضهم ثلاث حَنَادِس[١]، وثلاث فُحْمٌ[٢] لأن القمر يتفحم فيها، أي يطلع في آخر الليل وثلاث دَأْدِيٌّ، وهي أواخر الشهر وإنما أخذت من الدَّأداءِ وهو ضرب من السير تسرع فيه الإبل نقل أرجلها إلى موضع أيديها.

فالدأدأة آخر نقل القوائم، فكذلك الدَّأْدِيُّ في آخر الشهر. وجمع هلال أهلَّه، لأدنى العدد وأكثره، لأن فِعالا يجمع في أقل العدد على أفعلة مثل مِثَال وأَمْثِلَة وحِمَار وأَحْمِرَةُ وإذا جاوز أفعلة جُمِعَ على فُعْل، مثل حُمُر ومُثُل، فكرهوا في التضعيف فعل نحو هُلُل وخُلُل، فقالوا أهِلة وأخِلَّة، فاقتصروا على جمع أدنى العدد، كما اقتصروا [في] ذوات الواو والياءِ على ذلك، نحو كِسَاءٌ وأكسية ورِدَاءٌ وأرْدِية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَ البرُّ بأنْ تَأتُوا البيوتَ من ظُهُورهَا وَلكِنَّ البرَّ مَنِ اتَّقَى﴾.

قيل إنه كان قوم من قريش وجماعة معهم من العرب إذا خرج الرجل منهم في حاجة فلم يقضها ولم تتيسَّر له رجع فلم يدخل من باب بيته سنة، يفعل ذلك تَطيُّرا - فأعلمهم اللّه عزّ وجلّ أن ذلك غَيْرُ بِرّ، أي الإقامة على الوفاءِ بهذه السنّة ليس ببر، وقال الأكثر من أهل التفسير: إنهم الحُمْسُ، وهم قوم من قريش، وبنُو عامر بن صعصعة وثَقيف وخُزاعة، كانوا إذا أحرموا لا يأْقِطُون الأقط[٣] ولا ينْبِفُونَ الوَبَرَ ولا يسْلون السَّمْنَ، وإذا خَرجَ أحدهم من الإحرام لم

(١) الحندس بالكسر الليل المظلم والظلمه، ويقال تحندس الليل.

(٢) جمع فحماء وأفحم، والفحم من الليل أوله وأشده سواداً وفحَّمَه تفحيماً سوَّده.

(٣) الأقط اللبن الذي نزع دسنه وبقي متجمداً. يتحاشون كل مظاهر الترف.

يدخل من باب بيته، وإنما سُمُّوا الحُمْسَ لأنهم تَحمّسوا في دينهم أي تشددوا. وقال أهل اللغة الحماسة الشدّة في الغضب والشدة في القتال، والحماسة على الحقيقة الشدة في كل شيءٍ. وقال العجاج:

وكَمْ قطَعنا من قِفَافٍ حُمْسِ[1]

أي شِدَاد ـ فأعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أن تشددهم في هذا الإحرام ليس بِبرٍّ، وأعلمهم أن البر التقي فقال: ﴿ولكنّ البرّ من اتّقى﴾.

المعنى ولكنَّ البر برُّ من إتَّقى مخالفةَ أمر اللَّه عزّ وجلّ، فقال: ﴿وأْتُوا البُيُوت من أَبوابها﴾ فأمرهم اللَّه بترك سنَّة الجاهلية في هذه الحماسة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَاتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾.

قالوا في تفسيره قاتلوا أهلَ مكة، وقال قوم هذا أول فرض الجهاد ثم نسخه ﴿قاتلوا المشركين كافة﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَعْتَدُوا﴾.

أي لا تظلموا، والاعتداءُ مجاوزة الحق، وقيل في تفسيره قولان: قيل لا تعتدوا: لا تقاتلوا غير من أُمرتم بقتاله، ولا تقتلوا غيرهم، وقيل لا تعتدوا: أي لا تجاوزوا إلى قتل النساءِ والأطفال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.

أي حيث وجدتموهم، يقال ثَقِفْتُهُ أثقفه ثَقْفاً وَثَقَافَةً، ويقال: رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ[3]. ومعنى الآية: لا تَمْتنِعوا من قتلهم في الحرم وغيره.

---

(١) القفاف الصحارى اليابسة، والحمس الحارة الشديدة القيظ. أنظر ديوانه ١٧٨ اللسان (حض، خمس، نقس) الطبري. (بولاق) ٥ ـ ٦.

(٢) التوبة ٩ ـ ٣٧.

ذكي فطن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والفِتْنَةُ أَشَدُّ منَ القَتْلِ﴾.

أي فكفرهم في هذه الأمكنة أشد من القتل.

وقَوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المسْجدِ الحَرَام حتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فيه﴾.

كانوا قد نُهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتى يبتدي المشركون بذلك. وتقرأ: «ولا تَقْتُلوهم عند المسجد الحرام حتى يَقْتُلوكم فيه» أي لا تبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به، وجائز ولا تقتلوهم وإن وقع القتل ببعض دون بعض، لأن اللغة يجوز فيها قتَلْتُ القومَ وإنما قُتِلَ بعضُهم. إذا كان في الكلام دليل على إرادة المتكلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَاتلُوهمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَة﴾.

هذا أمر من اللّه عزّ وجلّ أن يقاتَل كل كافر لأن المعنى ههنا في الفتنة والكفر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الشَّهرُ الحرامُ بالشَّهْر الحرامِ﴾.

﴿الشّهر﴾ رفع بالابتداءِ وخبره ﴿بالشهر الحرام﴾، ومعناه قتال الشهر الحرام، ويروى أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الشهر الحرام هل فيه قتال: فأنزل اللّه عزّ وجلّ أن القتل فيه كبير، أي عظيم في الإثم، وإنما سألوا ليَغُرُّوا[1] المسلمين، فإن علموا أنهم لم يؤمروا بقتلهم قاتلوهم، فأعلمهم اللّه عزّ وجلّ أن القتال فيه محرم إلّا أنْ يبتدىء المُشْرِكُونَ بالقِتَال فيه. فيقاتلهم المسلمون: فالمعنى في قوله: ﴿الشهر الحرام﴾ أي قِتَالَ الشهر الحرام، أي في ﴿الشهر الحرام، بالشهر الحرام﴾. وأعلم اللّه عزّ وجلّ أن هذه الحرمات قصاص، أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمن اعْتَدى عَليْكُمْ﴾.

---

(١) ليخدعوهم.

أي من ظلم فقاتل فقد اعتدى، فاعتدوا (عليه)[1] بمثل ما اعتدى عليكم، وسُمِّيَ الثاني اعتداءً لأنه مجازاة اعتدا فسُمِّيَ بِمثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة. وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول ظلمني فلان فظلمته[2] أي جازيته بظلمه، وجهل عليّ فجهلت عليه أي جازيته بجهله، قال الشاعر:

أَلَا لا يجهلن أحد علينا فنَجهلَ فوق جهل الجاهلينا[3]

أي فنكافئ على الجهل بأكثر من مقداره. وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿ومكروا ومكر اللّه﴾[4] وقال: ﴿فيَسْخَرون منهم سَخر اللّهُ مِنْهُمْ﴾[5]. جعل اسم مجازاتهم مكراً كما مكروا، وجعل اسم مجازاتهم على سخريتهم سُخرياً، فكذلك: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأنْفِقُوا في سبيل اللّه﴾.

أي في الجهاد في سبيل اللّه، وكل ما أمر اللّه به من الخير فهو من سبيل اللّه، أي من الطريق إلى اللّه عزّ وجلّ، لأن السبيل في اللغة الطريق، وإنما استعمل في الجهاد أكثر لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تُلْقُوا بأيدِيكُم إلى التَّهْلُكَة﴾.

أصل بأيديْكُمْ «بأيدِيكم» بكسر الياءِ، ولكن الكسرة لا تثبت في الياءِ «إذا كان ما قبلها مكسوراً»[6] لثقل الكسرة في الياءِ.

---

(١) ليست في ك.

(٢) ط وظلمته.

(٣) هو عمرو بن كلثوم، والبيت في معلقته ـ أنظر شرح المعلقات العشر ١١١.

(٤) آل عمران ٢ ـ ٥٤.

(٥) التوبة ٩ ـ ٨٠.

(٦) في الأصول «مكسور» بالرفع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلى التهلكة﴾ معناه إلى الهلاك، يقال هلك الرجل يهلكُ هَلاكاً وهُلْكاً وتَهْلُكَةً وتَهلِكَـةً. وتهْلُكَةٌ اسم[1]. ومعنـاه[2] إن لم تنفقوا في سبيـل اللَّه هَلَكتم، أي عصيتم اللَّه فهلكتم، وجـائز أن يكـون هلكتم بتقويـة عدوكم عليكم واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَحْسِنُوا إنَّ اللَّهُ يُحبُّ المحْسِنينَ﴾.

أي أنفقوا في سبيل اللَّه فمن أنفق في سبيل اللَّه فَمُحْسِن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَتِمُّوا الحجَّ والعُمرةَ لِلَّه﴾.

يجـوز في العمرة النصب والـرفـع: والمعنى في النَّصْبِ أَتمُّـوهمـا، والمعنى في الرفع وأتموا الحج، والعمرةُ للَّهِ، أي هي مما تَتَقرَّبون به إلى اللَّه عزّ وجـلّ وليس بفَرْضٍ.

وقيل أيضاً في قوله عزّ وجلّ: ﴿وأتموا الحج والعمرة﴾. غير قول:

يُروى عن علي وابنِ مسعـود «رحمة اللَّه عليهـما»[3] أنهما قالا: إتمـامهَا أن تحرم من دُويرة أهلك، ويـروى عن غيرهمـا أنه قـال إتمامُهـا أن تكـون النفقـةُ حـلالاً. وينتهي عما نهى اللَّه عنـه. وقال بعضهم إن الحـجّ والعمرةَ لهـما مواقف ومشاعر، كالطواف والموقِفُ بعرفة وغير ذلك، فإتمامها تأْدية كل ما فيهـما، وهذا بـيِّنٌ، ومعنى أعتمر في اللغـة قيل فيـه قولان، قـال بعضهم أعتمر قصـد، قَـال الشاعر:

لَقـدْ سـما ابن معمـر حـين اعتمـر[4] مغـزى بعيـداً من بـعيـد وضَبـر

---

(١) مع كونه مصدراً هو اسم للهلاك في هذا الموضع.

(٢) معنى هذا الكلام.

(٣) ط رضي اللَّه عنهما.

(٤) تقدم ص ٢٣٤.

المعنى حين قصد مغزى بعيداً، وقال بعضهم معنى اعتمر: زار من الزيارة، ومعنى العُمْرةِ في العَمل الطَّواف بالبَيْتِ والسعيُ بين الصفا والمروة فقط، والعمرة للإنسان في كل السنة، والحجُّ وقته وقت واحد من السنة، ومعنى اعتَمر عِنْدي في قصد البيت. أنه إنما خص بهذا ـ أعني بذكر أعتمر ـ لأنه قصد العمل في وضع عامر لهذا قيل معتمر:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُم فَما اسْتَيْسَرَ مِنَ الهدْي﴾.

الرواية عند أهل اللغة أنه يقال للرجل الذي يمنعه الخوف أو المرض من التصرف قد أحصر فهو مُحْصَر ـ ويقال للرجل الذي حُبِسَ قد حُصِرَ فهو مَحْصُور. وقال الفراءُ: لو قيل للذي حُبِسَ أُحْصِرَ لجاز، كأنه يجعل حابسه بمنزلة المرض والخوف [الذي] منعه من التصرف، وألحق في هذا ما عليه أهل اللغة من أنه يقال للذي يمنعه الخوفُ والمرضُ أُحْصِرَ وللمَحبُوس حُصِر، وإنما كان ذلك هو الحق لأن الرجل إذا امتنع من التصرفَ فقد حبس نفسه، فكأن المَرض أحبسه أي جعله يحبس نفسه، وقوله حصرت فلاناً إنما هو حبسته، لا أنه حبس نفسه، ولا يجوز فيه أحصر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَما اسْتَيسَرَ مِنَ الهَدي﴾.

موضع «مَا» رفْع المعنى فواجب عليه ما اسْتَيسَرَ من الهَدي، وقد قيل في الهدى: الهَدِيُّ. والهَدِيُّ جمْع هَديَّةٍ. وهَدْي[1]، كقولهم في حَذْية السَرج حَذِيَّة وحَذْيٌ. وقال بعضهم ما استيسر ما تيسر من الإبل والبقر، وقال بعضهم بعير أو بقرة أو شاة وهذا هو الأجود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُم حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾.

---

(١) الهدى اسم جنس جمعي لهدية، والهدى جمع سماعي.

قالوا في مَحِلهِ من كان حاجا محله يوم النحر، ولمن كان معتمراً يوم يدخل مكة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾.

أي فعليه فديةٌ، ولو نصب جاز في اللغة على إضمار فليعط فدية أو فليأت بفدية[1]، وإنما عليه الفدية إذا حلق رأسه وحل من إحرامه وقوله أو نُسُك أي أو نَسيكة يذبحها، والنَّسِيكة الذبيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا أَمِنْتُم فَمنْ تَمتَّع بالعُمرة إلى الحجّ فما اسْتَيسر مِنَ الهَدْي﴾.

أي فعليه ما استيسر من الهدي، وموضع ما رفع ويجوز أن يكون نصباً على إضمار فليهد ما استيسر من الهدي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ في الحجّ وَسَبْعةٍ إِذَا رجعْتُمْ﴾.

معناه فعليه صيام، والنصب جائز على فليصم هذا الصيام، ولكن القراءَة لا تجوز بما لم يقرأ به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تلْكَ عشَرةٌ كَامِلَة﴾.

قيل فيها غير قول: قال بعضهم: ﴿كاملة﴾ أي تكمل الثواب، وقال بعضهم كاملة في البدل من الهدي.

والذي في هذا - والله أعلم - أنه لما قيل ﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم﴾، جاز أن يَتوهم المتوهمُ أن الفرض ثلاثة أيَّام في الحج أو سبعةٌ في الرجوع - فأعلم الله عزّ وجلّ - أن العشرة مفترضة كلها، فالمعنى

---

(١) تقدير غير جيد من الوجهة الإعرابية - والأولى فليخرج أو فليفد.

المفروض عليكم صوم عشرة كاملة على ما ذكر من تفرقها في الحج والرجوع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ لِمنْ لم يكُن أَهْلُه حاضِري المِسْجِد الحرام﴾.

أي هذا الفرض على من لم يكن من أهله بمكة [١] - و﴿حاضري المسجد الحرام﴾ أصله حاضرين المسجدَ الحرام فسقطت النون للإضافة وسقطت الياءُ في الوصل لسكونها وسكون اللام في المسجد، وأما الوقف فتقول فيه متى إضطررت إلى أن تقف ﴿حاضري﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الحَجُّ أَشْهرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾.

قال أكثر الناس: «إن أَشهر الحج شوالُ وذُو القَعدة وعشرٌ منْ ذي الحجَّة، ﴿فَمَنْ فرضَ فيهنَّ الحجَّ فَلاَ رَفَثَ﴾.

وقال بعضهم: لو كانت الشهور التي هي أشهر الحج شوالاً، وذا القعدة لما جاز للذي منزله بينه وبين مكة مسافة أكثر من هذه الأشهر أن يفرض على نفسه الحج. وهذا حقيقته عندي أنه لا ينبغي للإنسان أن يبتدئ بعمل من أعمال الحج قبل هذا الوقت نحو الإحرام، لأنه إذا ابتدأ قبل هذا الوقت أضر بنفسه - فأمر اللَّه عزّ وجلّ - أن يكون أقصى الأوقات التي ينبغي للإنسان ألا يتقدمها في عقد فرض الحج على نفسه شوالاً، وقال بعض أهل اللغة: معنى الحج إنما هو في السنة في وقت بعينه، وإنما هو في الأيام التي يأخذ الإنسان فيها في عمل الحج لأن العمرة له في طول السنة، فينبغي له في ذلك الوقت ألا يَرْفُث ولا يفْسُقَ. وتأويل فلا رفَثَ ولا فُسُوقَ، لا جماعَ ولا كلمةً من أسباب الجماع قال الراجز: [٢].

عـن اللَّغـا وَرَفَث التَّكَلُّـمِ

(١) على من لم يكن بين أهله بمكة.

(٢) العجاج من ميميته الطويلة. وقبله: (ورَبِّ) أسراب حَجيجٍ كُظَّم - واللغا - بفتح اللام - اللغو من الكلام. الديوان ٥٩. اللسان (لغو - رفث).

والرفث كلمة جامعة لما يريده الرجل من أهله، وأما فَلا فُسُوقَ فإذا نُهِيَ عن الجِماع كُلِّهِ فالفسوق داخل فيه - ولكن المعنى - واللَّه أعلم - ولا فسوق أي لا يخرج عن شيء من أمر الحج - وقالوا في قوله ولا جدالَ في الحج قولين:[1] قالوا: ﴿لا جدَالَ في الحَجِّ﴾- لا شكَّ في الحج، وقالوا لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه الجدال إلى ما لا ينبغي تعظيماً لأمر الحج، وكلٌّ صَوابٌ، ويجوز فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج. وبعضهم يقرأ - وهو أبو عمرو - فلا رَفَثٌ ولاَ فُسُوقَ ولا جِدَالَ في الحج. وكلٌّ صَواب. وقد شرحنا أن لا تنصب النكرات بغَير تنوين وبيَّنَّا حقيقةَ نصبها وزَعم سيبويه والخليلُ إنَّه يجوز أن تُرفَع النَّكِراتُ بتَنْوينٍ وأن قول العجاج[2].

تَاللَّه لولا أن يحشَّ الطُّبَّخُ ... بِيَ الجَحِيمَ حِينَ لا مُسْتَصرخُ

يجب أن يكون رفع مستصرخ بلا، وأن قوله.

من فَرَّ عن نيرانها ... فأنا ابنُ قيس لا براح[3]

---

(١) ك: لا جدال في الحج فيه قولان.

(٢) الديوان ١٤، وأمالي ابن الشجري ١ - ٢٨٢. وقد قدر الخبر ظرفاً محذوفاً أي لا مستصرخ لي، وجواب لولا في رجز العجاج هو البيت:
«لعلم الجهال أني مِنْفَخ».
ومنفخ صيغة مبالغة من نفخ النار، أو قدها، أو الشر: هاجه، وحَشَّ النار ألقى عليها وقوداً، والطبخ جمع طابخ كجاهل وجهل يراد بهم زبانية جهنم، ومستصرخ، اسم مفعول بمعنى مستغاث، أو مصدر ميمي بمعنى الإغاثة، والمعنى: لولا خشيتي أن يقذف الزبانية بي في جهنم وقوداً لنارها حيث لا يكون من يغيثني لأريت الجهال بأسي وشدتي.

(٣) لسعد بن مالك بن ضبعة من قيس ثعلبة نيرانها - نيران الحرب وشدتها، لابراح - لا مفر أي لا أهرب منها. ابن قيس: سمى نفسه باسم جده لشهرته. اللسان (برح). الخزانة ١ - ٢٢٣. ابن الشجري ١ - ٢٨٢.

وحقيقة ما ارتفَعَ بعدها عند بعض أصحابه على الابتداءِ لأنه إذا لم تنصب فَإنَّما يُجْرِيَ ما بعدها كما يُجْرى مـا بعد هَـل، أي لا تَعْملُ فيـه شيئاً، فيجـوز أن يكون لا رفث على ما قال سيبويه[1] ويجـوز أن يكون عـلى الابتداءِ كـما وصفنا، ويكون في الحج هو خبر لهذه المرفوعات، ويجوز إذا نصبت ما قبـل المرفـوع بغير تنوين وأتيت بما بعده مرفوعاً أن يكون عطفاً على الموضع، ويجوز أن يكون رفعـه عـلى ما وصفنـا، فأمـا العطف عـلى الموضـع إذا قلت لا رجل وغـلامٌ في الـدار فكأنك قلت ما رجل ولا غلام في الدار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَزَوَدُوا فَإنّ خَيرِ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

يروى أن قوماً كانوا يخرجون في حجهم يَتَأكَّلُونَ[2] الناس، يخرجـون بغير زاد، فـأمروا بـأن يتـزودوا، وأعلمـوا مع ذلـك أن خـير مـا تـزود بـه تقـوى اللّٰه عزّ وجلّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾.

﴿الألبـاب﴾ واحدها لب، وهي العقول، ﴿أُولي﴾ نصب لأنه نداء مضاف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكمْ جُنَاحُ أَن تَبْتَغوا فَضْلاً من رَبِّكُمْ﴾.

قيل إنهم كانوا يزعمون أنه ليس لِحَمَّال ولا أجير ولا تَـاجرٍ حـج فأعلمهم اللّٰه عزّ وجلّ. أن ذلك مباح، وأنه لا جناح فيـه، أي لا إثم فيه، وجنـاح اسم ليس، والخبـر عليكم، وموضـع أنْ نصب على تقـدير ليس عليكم جنـاح في أن تبتغـوا[3] فلما أُسقـطت «في» عمـل فيهـا معنى جنـاح. المعنى لستم تـأْثمـون أن تبتغوا، أي في أن تبتغوا.

---

(١) أي اسم لا.

(٢) يسألون الناس ما يأكلون.

(٣) الأولى أن تكون موضع جر ـ لأن حذف الجار مع أن وأن مطرد مع بقاء أثره. في المعنى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَات﴾.

قد دل بهذا اللفظ أن الوقوف بها واجب لأن الإفاضة لا تكون إلا بعد وقوف، ومعنى ﴿أفضتم﴾، دَفعتم بكثرة، ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف. وأفاض الرجل إناءَه إذا صبه وأفاضَ البعيرُ بجرته إذا رمى بها. متَفرقَةً كثيرة، قال الراعي:[1]

وأفضْن بعد كظُومهن بجرة ... من ذي الأَباطح إذ رعْين حقيلا

وأَفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها، لأنها تقع منبعثة متفرقة قال أَبو ذؤيب:[2]

وكأَنّهنّ رِبابَة وكأَنّه ... يَسِر يَفِيض على القِداح ويصدعُ

وكل ما في اللغة من بابِ الإفاضة فليس يكون إلا من تَفْرقةٍ أو كثرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾.

القراءَة والوجه الكسر والتّنْوينُ، وعرفاتٌ إسم لمكان واحد ولفظه لفظ الجمع، والوجه فيه الصرف عند جميع النحويين لأنه بمنزلة الزيدين يستوي نصبه وجره، وليس بمنزلة هاءِ التأْنيث، وقد يجوز منعه من الصرف إذا كان اسماً لواحد، إلا أنه لا يكون إلا مكسوراً وإن أَسقطت التنوين. قال امرؤ القيس[3]:

---

(١) من لاميته المطولة التي كان يرمي من لم يحفظها من أولاده وحفدته بالعقوق - وهي مطبوعة بآخر ديوان جرير - مصر ١٣١٣، الجمهرة ٧٢٥.

(٢) أبو ذؤيب الهزلي - خويلد بن خالد، أشعر الهزليين. مخضرم حسن الإسلام مات مرجعه من إحدى غزوات الروم، وقصيدته هذه من أوجع المراثي - رثى بها أولاده الخمسة ماتوا في الطاعون. وأخباره في الأغاني ٦ - ٦١. والقصيدة من المفضليات ١٢٦ وديوان الهزليين ١ - ٦ والبيت باللسان (ريب. صدع) والربابة - بكسر الراء الرقعة تجمع فيها قداح الميسر، واليسر صاحب الميسر، شبه الأتن بالقداح لتجمعهن وتراكمهن وشبه الحمار الوحشي بالضارب الذي يفرق القداح ويجمعها.

(٣) النحويون على إجازة الأوجه الثلاثة لأنه ليس جميعاً أنظر الأشموني (١ - ٧٥).

تنـــورتها من أذرعـــاتَ وأهلُهـــا بيثـــرب أدنى دارهـــا نـــظر عـــال

فهذا أكثر الرواية، وقد أنشد بـالكسر بغير تنـوين، وأما الفتـح فخطأً لأن نصب الجمع وفتحه كسر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الحَرَامِ﴾.

هو مزدلفة، وهي جمع، يسمى بهما جميعاً[1] المشعر المتعبد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾.

موضع الكاف نصب، والمعنى وأذكروه ذكراً مثل هـدايته إيـاكم أي يكون جزاء لهدايته إيَّاكُم، وأذكروه بتوحيده، والثناءِ عليه والشكر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُم مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِينَ﴾.

معنى ﴿من قبله﴾ أي من قبل هدايتـه، ومعنى ﴿كنتم من قبله﴾[2] ﴿لمن (الضالين)﴾ هذا من التوكيد للأمر، كأنه قيل وما كنتم من قبله إلاَّ ضالين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا من حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

قيل كانت الحُمْسُ من قريش وغيرهـا (وقد بينـا الحمس فيها تقـدم)[3] لا تفيض مع الناس في عرفة - تتمسـك بسنتها في الجـاهلية، وتفعـل ذلك افتخـاراً على الناس وتعالياً عليهم، فأمرهـم اللَّه عزّ وجلّ أن يسـاووا الناس في الفـرض، وأن يقفوا مواقفهم وأن يفيضوا من حيث أفاضوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إن اللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي سلوه أن يغفرَ لكم من مخالفتكم الناسَ في الإفاضة والموقف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فإذَا قَضَيْتُم مَناسكَكُمْ﴾.

---

(١) مجموعة أمكنة تسمى مزدلفة وتسمى المشعر الحرام.

(٢) في ك معنى وإن كنتم من قبل هذا لمن. وفي ط ﴿وإن كنتم من قبله﴾ هذا من التوكيد للأمر.

(٣) ص ٢٦٢ - ٣ والعبارة ليست في ك.

أي متعبداتكم التي أُمرتم بها في الحج.
﴿فَاذْكُروا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ أَبَاءَكُمْ﴾.

وكانت العرب إذا قضت مناسكها، وقفت بَيْنَ المَسْجد بمِنًى وبين الجبل فتعدد فضائل آبائها وتذكر محاسنَ أيامها. فأمرهم اللَّه أن يجعلوا ذلك الذكر له. وأن يزيدوا على ذلك الذكر فيذكروا اللَّه بتوحيده وتعديد نعمه، لأنه إنْ كانت لآبائهم نعم فهي من اللَّه عزّ وجلّ، وهو المشكور عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾.

﴿أشد﴾ في موضع خفض[1] ولكنه لا يتصرف لأنه على مثال أفعل، وهو صفته، وإن شئت كان نصباً على وأذكروه أشدّ ذكراً، وذكراً منصوب على التميز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمِنَ النَّاس مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾.

﴿آتنا﴾ وقف لأنه دعاء[2]، ومعناه أعطنا في الدنيا، وهؤلاءِ مشركو العرب كانوا يسألون التوسعة عليهم في الدنيا ولا يسألون حظا من الآخرة لأنهم كانوا غير مؤمنين بالآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾.
يعني هؤلاءِ، والخلاق النصيب الوافر من الخير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَقُولَ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَة حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

هؤلاءِ المؤمنون يسْألون الحظ في الدنيا والآخرة، والأصل في «قنا» أَوْ قِينا ـ ولكن الواو سقطت كما سقطت من يَقِي، لأن الأصل «يَوْقي» فسقطت الواو

(١) لا مساغ لهذا الخفض بالعطف، إذ هي في موضع المفعول المطلق أي ذكراً أشد من ذكركم آباءكم.
(٢) أراد حذف آخره لأنه أمر.

لوقوعها بين ياء وكسرة، وسقطت ألف الوصل للاستغناء عنها لأنها اجتلبت لسكون الواو، فإذا أسقطت الواو فلا حاجة بالمتكلم إليها، وسقطت الياءُ للوقف[1] ـ وللجزم في قول الكوفيين ـ والمعنى أجعلنا مُوقَيْنَ مِن عذاب النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾.

أي دعاؤهم مستجاب لأن كسبهم ههنا الذي ذكر هو الدعاءُ وقد ضمن اللَّه الإجابة لدعاء من دعاه إذا كان مؤمناً، لأنه قد أعلمنا أنه يضل أعمال الكافرين، ويحبطها، ودعاؤهم من أعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾.

المعنى أنه قد علم ما للمحاسَب وما عليه قَبْل توقيفه على حسابه، فالفائدة في الحساب علم حقيقته ـ وقد قيل في بعض التفسير ـ إن حساب العبد أسرع من لمح البصر ـ واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾.

قالوا: هي أيام التشريق، ﴿معدودات﴾ يستعمل كثيراً في اللغة للشيءِ القليل ـ وكل عدد قل أو كثر فهو معدود، ولكن معدودات أدل على القلة، لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء، نحو دريْهِمَات وجماعات، وقد يجوز وهو حسن كثير أن تقع الألف والتاء للكثير، وقد ذُكِرَ أنه عيبَ عَلى القائل:[2]

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعْن بالضُّحَى وأسيافُنا يقطرْنَ من نجدة دمَا

فقيل له لم قَلَّلْتَ الجَفَنَاتِ ولَمْ تَقُل الجفان.

وهذا الخبر ـ عندي ـ مَصْنوع لأن الألف والتاء قد تأْتي للكثرة ـ قال اللَّه

---

(١) لأنه فعل أمر مبني على حذف حرف العله.

(٢) ينسب لحسان في قصص معروف. وأنظر شواهد الأغاني ص ٢٩٠، والكامل وفيه ما تـوذن أنه لحسان حقاً واستعمله سيبويه جمعاً للكثير ١ / ٣٥٠.

عـزّ وجلّ: ﴿إن المسْلِمِينَ وَالمسْلِمـاتِ والمؤْمِنِينَ والمؤْمِنَـاتِ﴾[1]. وقال: ﴿في جنات﴾[2]، وقال ﴿في الغرفات آمنون﴾[3]، فالمسلمون ليسـوا في جنـات قليلة، ولكن إذا خص القليل في الجمع بالألف والتاء، فـالألف والتاء أدل عليـه، لأنه يلي التَّثْنِيَةِ، تقول:[4] حمام، وحمامان وحمامات، فتؤدى بتـاءِ الواحـد، فهذا أدل على القليل، وجائز حسن أن يراد به الكثير، ويدل المعنى المُشَـاهَدُ عـلى الإرَادَة، كما أن قولك جمع يدل على القليل والكثير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ في يَوْمَيْنْ﴾.

أي من نفر في يومين[5].

﴿فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾.

قيل لمن اتقى قتل الصيد، وقالوا: لمن اتقى التفريط في كل حدود الحـج، فموسع عليه في التعجل في نَفْرِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحياةِ الدُّنيَا﴾.

موضع ﴿مَنْ﴾ رفع على ضـربين: عـلى الابتداء، وبالعامل في ﴿مِنْ﴾ وقد شرحنا هذا الباب.

ويروى أن رجلاً من ثقيف كـان يعجب النبيَّ ﷺ كلامُـه، ويظهـر له من الجميل خلاف ما في نفسه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُشْهِد اللَّهَ عَلَى مَا في قَلْبِهِ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) ليست في ط. وهي في القرآن في آيات كثيرة ـ انظر سورة يونس (٨٠) آية ١١.

(٣) سبأ ٣٤ ـ ٣٧.

(٤) ك يقال.

(٥) نفر من منى، قطع مبيته فيها ونزل مكة بعد يومين.

وإن قلت ويشْهِـدُ اللَّه على مـا في قلبه فهـو جائـز إن كان قـد قـرئ به[١] والمعنى فيه أن اللَّه عالم بما يُسِرُّه، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ النبي ﷺ حقيقةَ أمـر هذا المنافق ـ وقال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَام﴾.

ومعنى خَصمٌ أَلـدُّ في اللغة ـ الشـديد الخصـومة والجَـدَلِ، واشتقاقـه من لُدَيْدَيِ العُنُق، وهما صفحتا العنق، وتأويله، أن خصمه في أي وجـه أخذ ـ من يمين أو شمال ـ من أبواب الخصومة غلبه في ذلك. يقال رجل ألد، وإمـرأة لَدَّاءُ، وقوم لُدّ ـ وقد لَدَدْتُ فُلاناً أَلُدُّه ـ إذا جادلتـه فغلبتُه، وخصـام جمع خَصْمٍ، لآن فعلاً يجمع إذا كان صفة على فِعَالٍ، نحو صَعْب وصِعَاب، وخَـدْل وخِدَال[٢]، وكذلك أن جعلت خصماً صفه، فهـو يجمع عـلى أقل العـدد، وأكثره عـلى فَعُول وفِعَـالٍ جميعاً، يقـال خَصْم وخِصَام وخُصُـومٌ، وإن كان اسـماً فَفِعَال فيـه أكْـثَرِ العَدَدِ، نحو فَرْخٌ وأفراخٌ، لأقل العدد، وفِراخ وفُروخ لما جاوز العشرة.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿وإذا تَوَلّى سَعَى فِي الأَرْض لِيُفْسِدَ فِيهَـا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْل﴾.

نصب ﴿لِيُفْسِد﴾ على إضمار أن، المعنى لأن يفسد فيهـا، وعطف[٣] ويُهلك علي ويُفسد، ويجـوز أن يكون ﴿يُهْلِكَ الحَـرْثَ والنَّسْلَ﴾ عـلى الاستئناف أي وهـو يهلكُ الحرثَ والنسل، أي يعتقد ذلك[٤].

وقالوا في ﴿الحرث والنسل﴾: إن الحرث النساءُ، والنسل الأولاد. وهذا غـير

---

(١) هي قراءة ابن محيصن، الطبري ٤ ـ ٢٧٤.

(٢) الخدل الرخص الجسد والمعنى على هذا التقدير هو أشد الخصوم لدداً، وخصـام أيضاً مصـدر خاصم فالمعنى: هو أشد الناس خصومة.

(٣) في ط نصبت وعطفت.

(٤) هذه سجيته.

منكر لأن المرأة تُسمَّى حرْثاً - قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿نِسَاؤُكم حَرْثٌ لَكُمْ﴾[1] وأصل هذا إنما هو في الزرع، وكل ما حرث. فيشبه ما منه الولد بذلك. وقالوا في الحرث هو ما تعرفه من الزرع. لأنه إذَا أفسد في الأرض[2] أبطل - بإفساده وإلقائه الفتنة - أمْرَ الزراعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ إبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

قال أهل اللغة - ﴿يشري نفسه﴾ يبيع نفسه، ومعنى بيعه نفسه بذلها في الجهاد في سبيل اللّه. قال الشاعر في شريت بمعنى بعت:

وَشَرَيْتُ بُرداً ليتني من بعد برد كنت هامه[3]

وقال أهل التفسير هذا رجل كان يقال له صهيب بن سنان. أراده المشركون مع نفر معه على ترك الإسلام، وقتلوا بعض النفر الذين كانوا معه فقال لهم صهيب أنا شيخ كبير، إن كنتُ عليكم لم أضُرَّكم[4] وإن كنت معكم لم أنفعكم فخلوني وما أنا عليه، وخذوا ماليَ فقبلوا منه ماله، وأتى المدينة فلقيه أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه[5] فقال له: ربح البيع يا صهيب، فرد عليه وأنت فربح بيعك يا أبا بكر[6] وتلا الآية عليه[7].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(٢) أي هذا الشخص.

(٣) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري شاعر إسلامي اشتهر بهذا اللقب لأن أباه ربيعة كان قد راهن على إناء لبن يشربه فشربه كله فسمي مفرغاً وأخبار يزيد بالأغاني ١٧/ ٥١.

وبرد هذا كان غلاماً له، وحين كان يزيد بخراسان مع عباد بن زياد اضطر لبيع جارية له، وبيع برد، وكان رباهما وأحبهما - والهامه الصدى يسمع على قبر الميت - أي ليتني مت ولا أراه بعيداً عني.

(٤) ك - أضرركم.

(٥) ك - رحمة اللّه عليه.

(٦) مجرد دعاء. وانظر ترجمة صهيب في الإصابة رقم ٤١٠٤.

(٧) ك - أبو بكر تلاها.

ونصب ﴿ابتغاءَ مرضاة اللَّه﴾ على معنى المفْعُول له، المعنى يشريها لابتغاءِ مرضاة اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ادْخُلوا في السِّلْمِ كافَّةً﴾.

﴿كافة﴾ بمعنى الجميع الإحاطة، فيجوز أن يكون معناه أُدخلوا جميعاً، ويجوز أن يكون معناه: أدخلوا في السلم كله أي في جميع شرائعه، ويقال السِّلْم والسَّلم (جميعاً)[1]، ويعني به الإسلام والصلح، وفيه ثلاث لغات: يقال: السِّلْمُ، والسَّلَمُ، والسَّلْمُ، وقد قرئ به: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكم السَّلَامَ﴾[2].

ومعنى ﴿كافة﴾ في اشتقاق اللغة ما يكف الشيء من آخره، من ذلك كُفَة القميص، يقال لحاشية القميص كُفَّة، وكل مستطيل فحرفه كُفَّه، ويقال في كل مستدير كِفَّه، وذلك نحو كِفَّة الميزان، ويقال إنَّما سميت كُفَّة الثوب لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكَفّ المنع، ومن هذا قيل لطرف اليد «كف» لأنها يكف بها عن سائر البدن، وهي الراحة مع الأصابع، ومن هذَا قيل رجل مكفوف، أي قد كُفَّ بصره من أن ينظر: فمعنى الآية: ابْلغُوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه، فكفوا من أن تعدوا شرائعه. أو أدْخُلُوا كلكم حتى يكف عن عددٍ وأحدٍ لم يدْخل فيه. وقيل في معنى الآية أن قوماً من اليهود أسلموا فأقاموا على تحريم السبت وتحريم أكل لحوم الإبل، فأمرهم اللَّه عزّ وجلّ ـ أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وقالِ بعض أهل اللغة: جائز أن يكون أَمَرَهُمْ ـ وهم مؤمنون ـ أن يدخلوا في الإيمان، أي بأن يقيموا على الإيمان ويكونوا فيما يستقبلون عليه كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا باللّهِ ورُسُلِهِ﴾[3]، وكلَا القولين

---

(١) ليست في ك. وفيها ومعناها الإسلام.

(٢) سورة النساء ٤/٩٤.

(٣) سورة النساء ٤/١٣٦.

جائز لأن اللَّه عزّ وجلّ، قد أمر بالإقامة على الإسلام فقال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾.

أي لا تقتفوا آثاره، لأَنَّ تَرَكَكم شيئاً من شرائع الإسلام أتباع الشيطان، ﴿خُطُواتِ﴾ جمعُ خطوة(٢)، وفيها ثلاث لغات: خُطُوات، وخُطَوات، وخُطْوات، وقد بينا العلة في هذا الجمع فيما سلف (من الكتاب)(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُم البَيِّنَاتُ﴾.

يقال زل يزِل زَلّاً وزلَلاً جميعاً، ومَزلَّة، وزل في الطين زليلاً(٤)، ومعنى ﴿زللتم﴾ تنحيتم عن القصد والشرائع.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ومعنى ﴿عزيز﴾: لا يُعْجِزونه ولا يُعجزه شيء. ومعنى ﴿حكيم﴾، أي حكيم فيما فطركم عليه، وفيما شرع لكم من دينه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَل مِنَ الْغَمَامِ والمَلائِكةِ﴾.

قال أهل اللغة معناه يأتيهم اللَّه بما وعدهم من العذاب، والحساب كما قال: ﴿فآتاهُم اللَّهُ مِنْ حَيْث لَم يَحْتَسِبُوا﴾(٥) أي آتاهم بخذلانه إياهم و ﴿ظُلَل﴾ جمع ظُلَّة. و﴿الملائكة﴾ تقرأ على وجهين بالضَّمِّ والكَسْر فمن قرأ الملائكةُ بالرفع،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠/١٣٢.

(٢) في ط وخطوة جمعها خطوات.

(٣) ك. فقط. وأنظر ص ٢٤١.

(٤) في ط، ب من الطين أي بسببه. وآثرنا نسخة ك.

(٥) سورة الحشر ٥٩ ـ ٢.

فالمعنى ينظرون إلا أن يأتيهُمُ اللَّه والملائكةُ، والرفع هو الوجه المختار عند أهل اللغة في القراءة، ومن قرأ والملائكة، فالمعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهُمُ اللَّه في ظلل مِنَ الغمام وظُلَل منَ الملائكة.

ومعنى ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ أي فرغ لهم ما كانوا يُوعَدُونَ.

ومعنى ﴿وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمور﴾ وتَرجِعُ الأمور - يقرأان جميعاً - تُردُّ[1]، فإن قال قائل أليست الأمور - الآن وفي كل وقت - راجعة إلى اللَّه عزّ وجلّ، فالمعنى في هذا: الإعْلامُ في أمر الحساب والثواب والعقاب، أي إليه تصيرون فيعذب من يشاءُ ويرحم من يشاءُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بيِّنَةٍ﴾.

الخطاب للنبي ﷺ والمعنى له ولسائر المؤمنين وغيرهم. المعنى أنهم أُعْطُوا آياتٍ بينات قد تقدم ذكرها[2]، وقد علموا صحة أمر النبي ﷺ وجحدوا، وهم عالمون بحقيقته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾.

يعني به في هذا الموضع حُجَجَ اللَّه الدالة على أمر نبيه ﷺ. فإن اللَّه شديد العقاب ﴿أي شَدِيدُ التَّعْذِيبِ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَياةُ الدُّنْيَا﴾.

رُفِعَ على ما لم يسم فاعله، و﴿زُيِّنَ﴾ جاز فيه لفظ التذكير، ولو كانت زُيِّنَت لكان صواباً. وزين صواب حسن، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، لأن معنى الحياة ومعنى العيش واحد، وقد فُصِلَ أيضاً بين الفعل وبين الاسم المؤنث.

---

(١) في ك المعنى ترد.

(٢) من تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى. . . الخ.

وقيل في قوله﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾قولان، قال بعضهم زينها لهم إِبْلِيسُ، لأن اللّه عزّ وجلّ قد زَهَّد فيها وأعلم أنها متاع الغرور. وقال بعضهم: معناه أن اللّه عزّ وجلّ خلق فيها الأشياءَ المعجبة فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها، ودليل قول هؤلاءِ قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ للناس حُبُّ الشهوات من النساءِ والبنينَ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾[1] وكلٌّ جائز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْخَرُونَ منَ الّذينَ آمَنُوا﴾ .

كان قوم من المشركين يسخرون من المسلمين لأن حالهم في ذات اليد كانت قليلة، فأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بأن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة. لأن المسلمين في عليين والفجَّارَ في الجحيم، قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ﴿إنَّ الذينَ أجْرَمُوا كَانُوا منَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ .

ومعنى :﴿ واللَّهُ يَرْزقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيْر حِسَابٍ﴾ .

أي ليس يَرْزُق المؤْمنَ على قدر إيمانه ولا يَرزُقُ الكافرَ على قدر كفره. فهذا معنى﴿بغيرحساب﴾ـ أي ليس يحاسبه بالرزق في الدنيا على قدر العمل، ولكن الرزق في الآخرة على قدر العمل وما يتفضل اللّه به جلّ وعزّ.

قوله عزّ وجلّ:﴿ كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾.

أي على دين واحد، والأمة في اللغة أشياءُ، فمنها أن الأمة الدين، وهو هذا، والأمة القَامة يقال فلان حسن الأمَّة، أي حسن القامة، قال الشاعر:[3]

وأن معاويــة الأكـرميـن حِسَـــان الوجُـوه طـوال الأُمَـمْ

(١) آل عمران ٣ ـ ١٤ .

(٢) المطففين ٨٣ ـ ٢٩ .

(٣) للأعشى. (اللسان ـ أمم) الأمالي للقالي ١ ـ ٢٥ ـ ومعاوية قبيلة.

أي طوال القامات، والأُمة القرن من الناس، يقـولون قـد مضت أُمَمٌ أي قرون، والأُمة الرجَل الذي لا نظير له، ومنه قوله عزّ وجَـلّ ـ ﴿إن إبرَاهيمَ كـان أُمَّةً قانتاً للّه حَنِيفاً﴾(١).

قال أبو عبيدة معنى﴿كان أُمّة﴾كان إمَاماً، والأُمة في اللغة النِّعْمَـةُ والخير، قال عدي بن زيد.

ثم بعد الفلاح والرشد والأُمَّةِ وارتْهُمُ هناك القبور(٢)،

أي بعد النعمة والخير، وذكر أبو عمرو الشيباني أن العرب تقـول للشيخ إذا كان باقي القوة فلانٌ بِـأُمَّةٍ، ومعنـاه(٣) راجع إلى الخيـر والنعمة، لأن بقـاءَ قـوته من أعـظم النعمة، وأصـل هذا كله من القصـد، يقـال أَمَمْتُ الشيءَ إذا قصدْتُه، فمعنى الأُمـة في الدين أن مقصـدهم مقصد واحـد، ومعنى الأُمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له، أن قصده منفرد من قصد سائر الناس.

ويروى أن زيد بن عدي بن نفيل يبعث يـوم القيامـة أمة وحـده(٤) وإنما

(١) سورة النحل ١٦ ـ ١١٩.

(٢) عدي بن زيد (اللسان ـ أمم) الأمالي الشجرية ١ ـ ٩١.

(٣) معنى هذا الكلام.

(٤) هو ابن عم عمر بن الخطاب، من الأحناف كـان يقول لقـريش: ما أصبـح منكم أحد على ملة ابـراهيم غيري، وكـان يسجد على راحـة يده ويقـول: اللهم إني لو أعلم أحب الـوجـوه إليـك لعبـدتك بـه، ولكني لا أعلم، اللهم إني أشهدك أني على دين ابـراهيم: وكان قـد خـرج إلى الشام ليسأل الأحبار عن الدين الصحيح فاتفق له اليهود والنصارى أنه دين إبراهيم فرجع به، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وكان يقول إني أنتـظر نبياً من ولـد اسماعيـل ثم من ولد عبـد المطلب وما أظن أني أدركه وأنا أومن به وأصدقه.

يعتبر عند بعض المحدثين من الصحابة لأنه قابل النبي ﷺ وإن كان ذلك قبـل مبعثه. وهـو أيضاً من الأجواد وكان يحيى الوئيدات، سأل سعدُ ابنهُ رسول اللّه ﷺ أن يدعو له فاستغفر له، وقـال عنه رأيته في الجنة يسحب ذيولاً.

أنظر الإصابة ٢٩١٧.

ذلك لأنه أسلم في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ فمات موحداً فهذا أُمة في وقته لانفراده، وبيت النابغة:

حلفت فلم أتـرك لنفسـك ريبـة وهـل يـأثمن ذو أُمَّةٍ وهـو طـائـع(1)

ويروى ذو أَمَةَ، وذو إمة، ويحتمل ضربين من التفسير: ذو أُمة: ذودين وذو أَمة: ذو نعمة أُسْدَيَتْ إليه، ومعنى الأَمة القامة: سائر مقصد الجسد، فليس يخرج شيءٌ من هذا الباب عن معنى أَممت أي قصدت، ويقال إمامنا هذا حَسنُ الأَمة أي يقوم بإمامتِهِ بنَا في صلاته ويحسن ذلك.

وقالوا في معنى الآية غيرَ قول: قالوا كان الناس فيما بين آدم ونوح عليهما السلام ـ كُفَّاراً، فبعث اللَّه النبيين يبشرون من أَطاع بالجنة، وينذرون من عصي من النار، وقال قومٌ: معنى كان الناس أُمة واحدةً، كان كل من بعث إليه الأنبياءِ كفاراً:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيينَ مُبشِّرينَ ومُنْذِرينَ﴾ .

ونصب مبشرين ومنذرين على الحال، فالمعنى أَن أُمم الأَنبياءِ الذين بعث إليهم الأَنبياءَ كانوا كفاراً ـ كما كانت هذه الأَمة قبل مبعث النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فِيه﴾ .

أَي ليفصل بينهم بالحكمة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وما اخْتَلَفَ فيه إلاّ الّذِين أوتوه﴾ .

أَي ما اختلف في أَمر النبي ﷺ إلا الذين أُعْطُوا علمَ حَقيقتِهِ، وقوله: ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ نصب بغياً على معنى مفعول له، المعنى لم يوقعوا الاختلاف إلا

---

(1) ديوانه من الستة ١٩، اللسان (أمم).

والبيت مشهور، من أحدى اعتذاريات النابغة: عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع.

للبغي، لأنهم عالمون حقيقة أمره في كتبهم. وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فيه منَ الحَق﴾.

أي للحق الذي إختلف فيه أهل الزيغ(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بإذْنه﴾ أي بعلمه، أي مِن الحق الذي أمَرَ به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَهْدي من يشَاءُ إلى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ﴾.

أي إلى طريق الدين الواضح، ومعنى ﴿يَهْدي من يشاءُ﴾: يدله على طريق الهدى إذا طلبه غير متعنت ولا باغ(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أمْ حَسبْتُم أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ﴾.

معناه: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولمَّا يَأْتكُمْ مَثلُ الَّذينَ خلوَا من قَبلكُمْ﴾.

معنى ﴿مثل الذين﴾: أي صفة الذين، أي ولما يصبكم مثل الـذي أصاب الذين خلوا من قبلكم، و﴿خلوا﴾ - مضوا(٣).

﴿وَمَسَّتْهُم البَأْسَاءُ والضَّرَاءُ﴾ ﴿البأْساءُ والضراءُ﴾: القتل والفقر. و﴿زُلزلوا﴾ معنى ﴿زلزلوا﴾ - خُوِّفُوا وحُركُوا بما يُؤْذي، وأَصل الزلزلة في اللغة من زَلَّ الشيءَ عن مكانه فإذا قلت زلزلة فتأْويله كررت زلزلته من مكانه، وكل ما فيه ترجيع كررت فيه فاءُ التفعيل، تقول أَقل فلان الشيءَ إذا رفعه من مكانه فإذا كـرر رفعه ورده قيل قلقله، وكذا صل، وصَلْصَل وصَرَّ وصَرْصَرَ، فعلى هذا قياس هذا البـاب، فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حتى يقولَ الرَّسُولُ﴾.

---

(١) هداهم لما اختلفوا فيه، والذي اختلفوا فيه هو الحق، ومن بيانية.

(٢) تأتي هدى بمعنى دل، وبمعنى قاد ووفق - لأن اللَّه تعالى يخلق الهداية ويهبها من يشاء.

(٣) فنَوا. وماتوا.

قرئت حتى يقولَ الرسولُ ـ بالنصب ـ ويقولُ ـ بالرفع. وإذا نصبت بحتى فقلت سرت حتى أُدخلها. فزعم سيبويه والخليل وجميع أهل النحو الموثوقُ بعلمهم أن هذا ينتصب على وجهين، فأحد الوجهين أن يكون الدخول غاية السير، والسير والدخول قد نصبا جميعاً، (١) فالمعنى: سرت إلى دخولها، وقد مضى الدخول، فعلى هذا نصبت الآية: المعنى وزلزلوا إلى أن يقول الرسول. وكأنه حتى قول الرسول. ووجهها الآخر في النصب أعني سرت حتى أُدخلها أن يكون السير قد وقع والدخول لم يقع، ويكون المعنى سرت كي أُدخلها ـ وليس هذا وَجْه نَصْب الآية.

ورفع ما بعد حتى على وجهين، فأحدُ الوجهين هو وجه الرفع في الآية، والمعنى سرت حتى أدخلها، وقد مضى السير والدخول كأنه بمنزلة قولك سرت فأدخلها. بمنزلة: (سِرْتُ)(٢) فدخلتها، وصارت حتى ههنا مما لا يَعْمَلُ في الفعل شيئاً(٣)، لأنها تلي الجمل، تقول سرت حتى أنّي دَاخل ـ وقول الشاعر: (٤)

فيا عجبا حتى كليب تَسُبُّنِي كَأَنَّ أباها نهشَلٌ أو مُجَاشِع

فعملها في الجمل في معناها لا في لفظها. والتأويل سرت حتى دخولها وعلى هذا وجه الآية. ويجوز أن يكون السير قد مضى والدخول واقع الآن وقد انقطع السير، تقول سرت حتى أدخلها الآن ما أُمْنَع فهذه جملة باب حتى.

ومعنى الآية أن الجهد قد بلغ بالأمم التي قبل هذه الأُمة حتى استبطأوا النصر، فقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

---

(١) كذا في جميع النسخ. (٢) ك فقط.

(٣) لا تضمر أن بعدها في هذه الحالة.

(٤) من قصائد الفرزدق في هجاء جرير. المقاصد ١ ـ ٥٤٢. والخزانة ٤ ـ ١٤١، وديوان الفرزدق ٥٢٠ وشرح شواهد هذا المغنى ٣ ـ والعبارة في كلام الزجاج ناقصة إذ المبتدأ بدون خبر.

فأعلم أولياءَه أنَّه ناصرهم لا محالةَ، وأن ذلك قريب منهم كما قال: ﴿فَإِنَّ حزبَ اللَّه هُمُ الغَالِبُونَ﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَك مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾.

قيل إنهم كانوا سألوا: عَلى مَنْ ينبغي أن يُفْضِلوا - فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن أول مَن تُفُضِّلَ عليه[2] الوالدان والأقربون، فقال:

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي من مال: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ واليَتَامَى والمَسَاكِين وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهِ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي يحصيه، وإذا أحصاه جازى عليه، كما قال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[3]. أي يرى المجازاة عليه، لأن رؤْية فعله الماضي لا فائدة فيه، ولا يرى لأنه قد مضى.

ومعنى «مَاذَا» في اللغة على ضربين، فأحدهما أن يكون «ذا» في معنى الذي، ويكون ينفقون من صلته، المعنى يسألونك أي شيءٍ الذي ينفقون كأنه أي شيءَ وجه الذي ينفقون، لأنهم يعلمون ما المنفق ولكنهم أرادوا علم اللَّه وَجْهَهُ.

ومثل جعلهم «ذَا» في معنى الذي قول الشاعر:[4]

---

(١) المائدة ٥ - ٥٦.

(٢) ك. أفضل عليه - أي تفضل - أحسن إليه.

(٣) الزلزلة ٩٩ - ٧.

(٤) يزيد بن مفرغ: اللسان عدس - الأغاني ١٧ - ٦٠، الخزانة ٢ - ٢١٦ من أبيات له قالها حين خرج من سجن عباد بن زياد - وكان يزيد قد هجا عباداً وآل زياد ومعاوية فسجنه عباد ثم عفا عنه. أنظر الأغاني ١٧ - ٥١ (بولاق) يخاطب بغلة من بغال البريد ركبها ليذهب إلى الشام.
ويلاحظ أن الزجاج يجري على مذهب الكوفيين - أما البصريون فيجعلون هذا اسم إشارة كما هو - وطليق خبر - وتحملين جملة حالية. والتقدير وهذا طليق تحملينه.

عَدَسْ، ما لِعبَّادٍ علَيْكِ إِمَارةٌ أَمِنْتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ

والمعنى والذي تحملينه طليق، فيكون ما رفعاً بالابتداءِ، ويكون ذا خبرها.

وجائز أن يكون «مَا» «مع» «ذا» بمنزلة اسم واحد، ويكون المَوضِع نَصباً بينفقون. المعنى يسألونك أي شيءٍ ينفقون، وهذا إجماع النحويين، وكذلك الوجه الأول إجماعٌ أيضاً(١)، ومثل جعلهم ذا بمنزلة اسم واحد، قول الشاعر: (٢)

دَعِي مـاذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب فنبئيني

كأنه بمنزلة: دعي الذي علمت.

وجزم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ بالشرط، وإسم الشرط «ما» والجواب ﴿فَإِنَّ اللَّه بِهِ عَلِيمٌ﴾ وموضع ما نصب بقوله تفعلوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عليْكم الْقِتَال وهو كُرْهٌ لَكُمْ﴾.

معنى ﴿كتب عليكم﴾ فرض عليكم، والكره يقال فيه كرِهت الشيءَ كُرْهاً وكَرْهاً، وكَرَاهة، وكَرَاهِيَةً، وكل ما في كتاب اللَّه عزّ وجلّ من الكُرْهِ فالفتح جائز فيه، تقول الكُره والكَرْه إلا أن هذا الحرف الذي في هذا الآية - ذكر أبو عبيدةَ - أن الناس مجمعونَ على ضَمِّهِ، كذلك قراءَة أهل الحجاز وأهل الكوفة جميعاً ﴿وَهُوَ كُرهٌ لكم﴾ فضموا هذا الحرف.

---

(١) يريد أن النحويين يجيزون كلا الوجهين.

(٢) المثقب العبدي من نونيته - أفاطم قبل بيئك وهو في كتاب سيبويه ١ - ٤٠٥ - مصر - والمقاصد ١ - ١٩١. والبيت ليس في المفضليات - وقيل هو لعبد بني الحسحاس.

من قصيدة طويلة أوردها صاحب الخزانة ومعظمها من نونية المثقب أنظر ١ - ٤٨٨ وقيل - ولعله الأصح - أنه من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها. وقال ابن الشجري في أماليه ١ - ٣٦٢ أنه للأعشى.

(٣) ليست في ك.

ارتفع ﴿كره﴾ لأنه خبر الابتداءِ ـ وتأويله ذو كره[1] ـ ومعنى كراهتهم القتال أنهم إنما كرهوه على جِنْس[2] غِلَظِه عليهم ومشقَّتِه، لَا أَنَّ المؤمنين يكرهون فرض اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لأن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

وقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

﴿وهو خير لكم﴾[3] يعني به ههنا القتال، فمعنى الخير فيه، أن مَنْ قُتِلَ فهو شهيد وهذا غاية الخير، وهو إنْ قَتَل مُثاب (أيضاً)[4] وهادِمٌ أمرَ الْكُفْرِ، وهو مع ذلك يغنم، وجائز أن يستدعِيَ دخولَ من يقاتله في الإسلام، لأن أمر قتال أهل الإسلام كله كان من الدلالات التي تثبت أمر النُّبوَّةِ والإسلَام، لأن اللَّه أخبر أنه ينصر دينه، ثم أبان النصر بأن العدد القليل يغلبُ العددَ الكثيرَ فهذا ما في القتال من الخير الذي كانوا كرهوه.

ومعنى: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئاً وهو شَرٌّ لَكُم﴾.

أي عسى أن تحبوا القعود عن القتال فتحرموا ما وصف من الخير الذي في القتال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتالٍ فيهِ﴾.

﴿قتالٍ﴾ مخْفُوضٌ على البدل من الشهر الحرام. المعنى يسألونك عن قتال في الشهر الحرام، وقد فسرنا ما في هذه الآية فيما مضى من الكتاب[5]. ورفع ﴿قُلْ قِتالٌ فيه كَبِيرٌ﴾ قتال مرتفع بالابتداءِ، وكبيرَ خبره.

---

(١) الأقرب مكروه ـ فعل بمعنى مفعول.

(٢) طبيعته الغلظ والمشقة.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك فقط.

(٥) ص ٢٦٤.

ورفع ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ على الابتداءِ، وخبر هذه الأَشياءُ ﴿أكبر عند اللَّه﴾ والمعنى وصد عن سبيل اللَّه، وكفر به، وإخراج أَهلَ المسجد الحرام منه أكبر عند اللَّه أي أعظم إثماً.

﴿والْفِتْنَةُ أَكْبرُ منَ الْقَتل﴾.

أي والكفر أكبر من القتل، المعنى وهذه الأَشياءُ كفر، والكفر أكبر من القتل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَرتَدِدْ مِنكُمْ عنْ دِينه فيمُتْ وهو كَافِرٌ﴾.

يرتدد جزم بالشرط، والتضعيف يظهر مع الجزم، لسكون الحرف الثاني - وهو أكثر في اللغة - وقرىءَ: ﴿يَا ايّهَا الذين امنوا من يَرْتَدَّ﴾[1] بالإدغام والفتح[2] وهي قراءَة الناسِ إلا أَهلَ المدينة فإنَّ في مصحفهم مَن يرتدد وكلاهما صواب، والذي في سورة البقرة[3] لا يجوز فيه إلا من يرتَدِدْ لأطباق أَهل الأمصار على إظهار التضعيف وكذلك هو في مَصَاحفهم، والقراءَة سنَّةٌ لا تُخَالف، إذا كان في كل المصحف الحرف على صورة لم تجز القراءَة بغيره.

ويجوز أَن تقولَ من يرتدِّ منكم فتكسر لالتقاءِ الساكنين إلا أَن الفتح أَجود لانفتاحَ التاءِ، وإطباق القراءِ عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يرجُونَ رحمَة اللَّه﴾.

﴿الذين﴾ نصب بأَنَّ، و ﴿أُولئك﴾ رفع بالابتداءِ، و ﴿يرجُونَ﴾ خَبَرُ أُولَئِكَ وأُولئك ويرجون خبرُ إنَّ الذين - وإنما قيل في المؤْمنين المجاهدين ههنا أَنهم إنما يرجون

(١) المائدة ٥ - ٥٤.

(٢) في الدال لأن الفتح أخف الحركات والكسر جائز في العربية.

(٣) في هذه الآية.

رحمة اللَّه لأنهم عند أنفسهم غيرُ بالغين ما يَجب لِلَّه عليهم، ولا يعملون ما يختمون به أمرهم.

وجملة ما أَخْبَرَ اللَّه به عن المؤمنين العاملين الصالحاتِ أَنَّهم يجازَوْن بالجنة. قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية، جزاؤُهم عند ربهم جنات عدن﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلونَك عن الْخَمْرِ والْمَيْسِرْ﴾

﴿الخمر﴾ المجمع عليه، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له خمر. وأن يكون في التحريم بمنزلتها. وتأْويل الخمر في اللغة أَنه كل ما ستر العقل، يقال لكل ما ستر الإنسان من شجرٍ وغيره خمر، وما ستره من شجر خاصة ضَرَى، «مقصور»، ويقال دخل فلان في خِمَارٍ أَي في الكثير الذي يستتر فيه[2] وخِمار المرأَة قناعها، وإنما قيل له خِمار لأَنه يغطي، والْخُمْرَةُ التي يُسْجَد عليها إنما سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض، وقيل للعجين قد اختمر لأَن فطرته قد غطاها الخمر[3] أعني الاختمار ـ يقال قد اختمر العَجينُ وخَمَّرته، وفَطَرْتُه وأَفْطَرتُه. فهذا كله يدل على أَن كل مسكر خمر وكل مسكر مخالط العقل ومغط عليه، وليس يقول أَحد للشارب إلا مخمور ـ من كل سكر ـ وبه خُمَار، فهذا بَيِّن واضح.

وقد لُبِّس على أَبي الأَسود الدؤلي فقيل له: إن هذا المسكر الذي سموه بغير الخمر حلال فظن أَن ذلك كما قيل له، ثم قاده طبعه إلى أَن حكم بأَنهُمَا واحد، فقال:

دع الْخَمْرَ يَشْرِبْها الغواةُ فإِنَّني ... رأيت أَخَاهـا مجزياً لمكانها

(١) البينة ٩٨ ـ ٨.

(٢) في ك، ط فيهم.

(٣) التخمر.

فــإلَّا يـكنهــا أو تـكنـبـه فــإنـــه أخـوهـا غــذَتْـه أُمُّهــا بلبـانها(١)

وقال أهل التفسير في قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ فيهمَا إثمٌ كَبيرٌ﴾ وقرئت «كثير» قالَ قوم زَهَّد فيها في هذا الموضع وبين تحريمها في سورة المائدة في قـوله: ﴿إنَّمَـا الخمرُ والميسرُ والأَنصــابُ والأَزلامُ رجسٌ من عمــل الشيــطان فــاجْتَنِبُــوه لعـلكم تُفلحـون﴾. . إلى قـولـه: ﴿فهـل أنتم منتهــون﴾(٢) ومعنى ﴿فهـل أَنتم منتهـون﴾ التَّحْضِيضُ على الانتهاءِ والتهديد على تركِ الانتهاءِ.

وقال قوم: لا بل تحرم بما بيَّن ههنا مما دل عليـه الكتاب في مـوضع آخـر، لأَنـه قال:(٣)﴿إثْمٌ كبـير﴾ وقد حـرَّم اللّه الإثم نصًّا فقـال: ﴿قل إنَّمـا حـرّم ربيِّ الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغيَ بغَيْرِ الْحَقِّ﴾(٤).

وإنمـا بينـا تحـريم الخمـر وإن كـان مجمعـاً عليــه ليعلم أن نص ذلـك في الكتاب. فأما الإثم الكبير الـذي في الخمر فبـيِّن، لأنها توقـع العداوة والبغضـاءَ وتحول بَيْنَ المرءِ وعقله الذي يميز به ويعـرف ما يجب لخالقه. والقِمَـارُ(٥) يورث العداوة والبغضاءَ، فإن مال الإنسان يصير إلى غيره بغير جزاء يؤْخذ عليـه، وأَما المنافع للناس فيه فاللذة في الخمر والرِّبْحُ فِي الْمُتَجـرِ فيها(٦)، وكـذلك الْمَنْفَعَـةُ في

(١) وجه أبو الأسود هذا الشعر لغلام له كان على تجارته بخراسان فشرب وسكر وتسبب عن سكـره تلف التجارة، فهذا الشعر مما نصح به غلامه. ظنا منه أن النبيذ غير محـرم لأنه أقـل تأثيـراً من الخمر.

والبيت الأول في اللســان (لبن) وهمـا معـا في (كـون) والخـزانـة ٢ ـ ٤٢٦ والكتــاب ٢ ـ ٤٦ ـ والعيني ١ ـ ٣١٠ ـ ١١. وابن يعيش ٣ ـ ١٠٧.

(٢) المائدة ٥ ـ ٩٠ ـ ٩١.

(٣) في جميع النسخ «لأن قوله» ولم يذكر خبر لأن فأصلحناها «لأنه قال».

(٤) الأعراف ٧ ـ ٣٣.

(٥) أي الميسر ـ فهو تفسير له.

(٦) مصدر ميمي أي التجارة.

القمار، يصير الشيءِ إلى الإنسان بغير كد ولا تعب فأعلم اللَّه أن الإثم فِيهِما (إثم)[1] أكبر من نفعهما.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾.

النصب والرفع في﴿العفو﴾جميعاً،مَنْ جعل﴿ماذا﴾إسماً واحداً رد العفو عليه[2] ومن جعل «ما» اسماً و «إذا» خبرها وهي في معنى الذي رد العفو عليه فرفع، كأنه قال: ما الذي ينفقون؟ فقال: العفو، ويجوز أن ينصب العفو وإن كان ما وحدها اسماً فتحمل العفو علي ينفقون، كأنه قيل أنفقوا العفو، ويجوز أيضاً أن ترفع وإن جعلت﴿ماذا﴾بمنزلة شيء واحد على «قل هُو العفوُ».

والعفوُ في اللغة الفضل والكثرة، يقال عفا القومُ إذا كثروا. فَأُمِرُوا أن ينفقوا الفضل إلى أن فرضت الزكاة، فكان أهل المكاسب يأخذ أحدهم من كسبه ما يكفيه ويتصدق بباقيه، ويأخذ أهل الذهب والفضة ما يكفيهم في عامهم وينفقون باقيه هذا قد روي في التفسير، والذي عليه الإجماع أن الزكاة في سائر الأشياءِ قد بينت ما يجب فيها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللَّه لكُمُ الآياتِ﴾.

أي مثل هذا البيان في الخمر والمَيْسِرْ﴿يبين اللَّه لكم الآيات﴾:لأن خطاب النبي مشتمل على خطاب أُمته كما قال عزّ وجلّ: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾[3] ومثل هذا في القرآن كثير، يحكي مخاطبة الإجماع[4] بذلك، وذلكم أكثر في

---

(١) ليست في ك.

(٢) إذا كانت ماذا اسما واحداً فهو مفعول للفعل بعده وينصب العفو بتقدير أنفقوا العفو, ومن جعلها مبتدأ وخبراً رفع العفو على أنها خبر فتكون الجملتان إما اسميتين وإما فعليتين معا ـ هذا للتناسق وقد ذكر جواز غيره.

(٣) سورة الطلاق ٦٥ ـ ١.

(٤) الجماعة.

اللغة، وقد أتي في القرآن في غير «ذَلِك» للجماعة ـ قال اللَّه [تعالى]: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يأْتِ منكنَّ بِفَاحِشَةٍ مبينةٍ يُضَاعفْ لها العذَابُ ضِعْفَيْنِ، وكان ذلك على اللَّه يسيراً﴾[1] ـ والأصل ذلكن، إلا أن الجماعة في معنى القبيل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لعلَّكُمْ تَتَفَكَّرونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾.

يجوز أن يكون ﴿تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ من صلة تتفكرون المعنى لعلكم تتفكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة، ويجوز أن يكون في الدنيا والآخرة من صلة كذلك يبين اللَّه لكم الآيات. أي يبين لكم الآيات في أمر الدنيا وأمر الآخرة لعلكم تتفكرون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عن اليَتَامَى﴾.

هذا مما نحكم تفسيره في سورة النساءِ إنْ شاءَ اللَّه[2]، إلا أن جملته أنهم كانوا يظلمون اليتامى، فيتزوجون العشر[3] ويأكلون أموالهم مع أموالهم، فَشُدِّدَ عليهم في أمر اليتامى تشديداً خافوا معه التزويج بنساءِ اليتامى ومخالطتهم، فأعلمهم اللَّه أن الإصلاح لهم هو خير الأشياء، وأن مخالطتهم في التزويج وغيره جائزة مع تحري الإصلاح فقال:

﴿وإنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم.

فالرفع على هذا. والنصب جائزٌ «وإنْ تخالطوهم فإخوانَكم» أي فإخوانَكم تخالطون، ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأَنَّ بها إلا أن تثبت رواية صحيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعنَتَكُمْ﴾.

قال أبو عبيدة معناه لأهلككم، وحقيقته ولو شاءَ اللَّه لكلفكم ما يشتد

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٠.

(٢) آية: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ وما بعدها.

(٣) أي من أمهات اليتامى.

عليكم فتعنتون، وأصل العنت في اللغة من قولهم: عنِتَ البعيرُ يعنَت إذا حدث في رجله كسر بعد جبر لا يمكنه معه تصريفها، ويقال أكمة عَنُوت إذا كان لا يمكن أن يُجَازيها[1] إلَّا بمشقة عنيفة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي يفعل بعزته ما يحب لا يدفعُه عنه دافع.

﴿حَكِيمٌ﴾ أي ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حتَّى يُؤْمِنَّ﴾.

معنى ﴿لا تَنْكِحُوا﴾ لا تتزوجوا المشركات، ولو قرئت ولا تُنكِحوا المشركات كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها، والمعنى في هذا ولا تتزوجوا المشركات حتى يؤمن، ومعنى المشركات ههنا لكل من كفر بالنبي ﷺ واللغة تطلق على كل كافر أَن يقال له مشرك وكان التحريم قد نزل في سائر الكفار في تزويج نسائهم من المسلمين، ثم أُحلَّ تزويج نساءِ أهل الكتاب من بينهم. فقال اللَّه ـ عزّ وجلّ:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّباتُ وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ والمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[2].

فإن قال قائل: من أين يقال لمن كفر بالنبي ﷺ مشرك وإن قال إن اللَّه عزّ وجلّ واحد، فالجواب في ذلك أنه إذا كفر بالنبي ﷺ فقد زعم أن ما أتى به من القرآن من عند غير اللَّه ـ جلّ ثناؤه ـ والقرآن إنما هو من عند اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لأنه يُعجِز[3] المخلوقين أن يأتوا بمثله ـ فقد زعم أنه قد أتى غير اللَّه بما لا يأتي به إلا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ فقد أشرك به غيره.

---

(١) لا يمر الشخص بها إلا بمشقة. ـ يقال اجتاز المكان وجاز به.

(٢) سورة المائدة ٥ ـ ٥.

(٣) في الأصل وط ـ معجزة وآثرنا هذه عن ـ ك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾.

أي لا تزوجوهم مُسْلِمَةً، وقوله:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

معناه وإن أعجبكم، إلا أن «لو» تأتي فتنوب عن إن في الفعل الماضي، ومعنى الكلام أن الكافر شر من المؤمن لكم وإن أعجبكم أي أعجبكم أمره في باب الدنيا، لأن الكافر والكافرة يدعوان إلى النار أي يعملان بأعمال أهل النار - فكأنَّ نَسْلَكُمْ يتربى مَعَ مَنْ هذه حاله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلى الْجَنَّةِ والْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾.

أي يدعوكم إلى مخالطة المؤمنين لأن ذلك أُوصلُ لكم إلى الجنة ومعنى ﴿بإذنه﴾ أي بعلمه الذي أعلم أنه وصلة لكم إليها.

﴿ويُبيِّنُ آياته﴾ أي علاماته، يقال آية وآيٌ، وآيات أكثر وعليها أتى القرآن الكريم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

معنى لعل ههنا الترجي لهم أي ليكونوا هم راجين - والله أعلم أيتذكرون أم لا، ولكنهم خوطبوا على قدر لفظهم واستعمالهم[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾.

يقال حاضت المرأة تحيض حَيْضاً ومَحاضاً ومَحِيضاً، وعند النحويين أن المصدر في هذا الباب «الْمَفْعِل»، و«المفْعَل» جَيِّدٌ بَالِغٌ فيه[2] يقال ما في بُرِّكَ «مَكال» أي كيل ويجوز ما فيه «مَكيل».

---

(١) تقدم هذا. أي لا ترجى من الله، بل من العباد.

(٢) كلاهما مصدر ميمي - مفعل: محاض، ومفعل محيض وهو الأقيس لأن المضارع مكسور العين.

قال الشاعر وهو الراعي:

بُنِيَتْ مَرافِقُهُنَّ فَوْقَ مَزِلَّةٍ لا يستطيع بها القرادُ مقيلا[1]

أي قيلولة، ومعنى الآية أن العرب كانت تفعل في أمر الحائض ما كانت تفعل المجوس، فكانوا يجتنبون تَكْلِيفها عمل أي شيءٍ، وتُجْتَنَبُ في الجماع وسائر ما تُكَلَّفُه النساء، يريدون أنها نَجَس، فأعلم الله أن الذي ينبغي أن يجتنب منها بُضْع[2] فقط، وأنها لا تُنَجِّسُ شيئاً، واعلم أن المحيض أذى، أي مستقذر، ونهى أن تقرب المرأة حتى تتطهر من حيضها بالماءِ بعد أن تطهر من الدم أي تنقى منه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ ـ المعنى يتطهرن أي يغتسلن بالماءِ، بعد انقطاع الدم ـ وَقُرِئَتْ حتى يَطَّهَّرْنَ «ولكن» «فإذا تَطَهَّرْنَ» يدل على «وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطَّهَّرْنَ» وكلاهما «يَطْهُرْن» ويطهّرن ـ وقرئ بهما ـ جيّدان.

ويقال طهَرَت وَطَهُرَتْ جميعاً وطَهُرَتْ أكثر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي من الجهات التي يحل فيها أن تُقْرب المرأة، ولا تقربوهن مِنْ حيث لا يَجب، أعني ولا تقربوهن صاحباتٍ ولا عشيقاتٍ، وقد قيل في التفسير: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾. في الفروج، ولا يجوز أن يُقْربن في الدبر، والذي يروى عن مالك[3] ليس بصحيح لأن إجماع المسلمين أنَّ الوطءَ، حيث يُبْتَغى

---

(١) من لأميته التي أشرنا إليها آخر ديوان جرير. وفي الخزانة ١ ـ ٥٠٤ جزء منها. وأنظر الجمهرة ٣٣١ ط بيروت ١٩٦٣.

(٢) ط الوطء.

(٣) ك «في هذا»، والمراد ليس صحيح الرواية عنه فهو لم يقله ـ ومذهب المالكية أن عقوبة القتل وفاعله أرذل الفاسقين.

النَّسْلُ، وأن أمر الدُّبُر فاحشةٌ، وقد جاءَ الحديث[١] أن مَحَاشَّ النساء حرام، ويكنى به عن الدبر[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾.

زعم أبو عبيدة أنه كناية، والقول عندي فيه أن معناه أن نساءَكُمْ حرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة[٣].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

أي كيف شئتم، أي ائْتوا موضع حرثكم كيف شئتم، وإنما قيل لهم كيف شئتم، لأن اليهود كانت تقول: إذا جامع الرجل المرأة من خلْفٍ خرج الولد أَحْول، فأعلم اللَّه أن الجماع إذا كان في الفرج حلال على كل جهة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ واتَّقُوا اللَّه﴾.

أي اتقوا اللَّه فيمَا حَدَّ لكم من الجِمَاع وأمر الحيْض، ﴿وَقَدِّمُوا لأنفسكم﴾ أي قدموا طاعته واتباعَ أمره، فمن اتَّبَعَ ما أمر اللَّه به فقد قَدَّمَ لنفسه خيراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّه عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾.

موضع «أَنْ» نصب بمعنى عرضة المعنى لا تعرضوا باليمين باللَّه في أن تبروا - فلما سقطت «في» أفضى لمعنى الاعتراض، فنصب أن[٤].

وقال غير واحد من النحويين إن موضعها جائز أن يكون خفضاً وإن سقطت «في» لأن «أن» الحذف معها مستعمل، تقول جئت لأن تضرب زيداً، وجئت أن تضرب زيداً، فحذفْتَ اللام مع «أن» ولو قلت جئت ضربَ زيد

---

(١) ط يأتي الحديث.

(٢) أي إتيانهن في الدبر - والمحشة مجتمع العذرة - والحسن (مثلثلة) المخرج - انظر المادة في القاموس.

(٣) لأن من معاني الحرث الكسب وجمع المال.

(٤) المعنى: لا تجعلوا اللَّه أو الحلف به حائلاً بينكم وبين البر.

تريد لضرب زيد لم يجز كما جاز مع «أن» لأن «أن» إذاً وصلت دل ما بعدها على الاستقبال. والمعنى: كما تقول: جئتك أن ضربت زيداً، وجئتك أن تضرب زيداً، فلذلك جاز حذف اللام. وإذا قلت: جئتك ضرب زيد لم يدل الضرب على معنى الاستقبال.

والنصب في «أن» في هذا الموضع [هو] الاختيار عند جميع النحويين.

ومعنى الآية أنهم كانوا يعتلون في البر بأنهم حلفوا، فاعلم الله أن الإثم إنَّما هو في الإقامة على ترك البر والتقوى، وأن اليمين إذا كفرت فالذنب فيها مغفور، فقال عزّ وجلّ:

﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

فقيل في معنى اللغو غير قول، قال بعضهم معناه: «لا واللَّه» و «بلى واللَّه» وقيل: إن معنى اللغو الإثم - فالمعنى لا يؤاخذكم اللَّه بالإثم في الحلف إذا كَفَّرْتُمْ. وإنَّما قيل له لغو لأن الإثم يسقط فيه إذا وقعت الكفارة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

أي بعَزْمكم على ألَّا تَبَروا وألَّا تتقوا، وإن تعتلوا في ذلك بأنكم قد حلفتم، ويقال: لغوت ألغو لَغْواً، ولغوت أَلْغَى لغواً، مثل محوت أمحو محواً، وأمْحَى، ويقال لغيت في الكلام أَلْغَى لَغًى، إذا أَتَيْتَ بلَغْو، وكل ما لا خير فيه مما يُؤْثَمُ فيه أو يكون غير محتاج إليه في الكلام فهو لغو ولَغِي.

قال العجاج:

عَنِ اللَّغا وَرَفَثِ التَّكلمِ[1].

وجملة الحلف أنه على أَرْبَعَة أوجه، فوجهان منها الفقهاءُ يجمعون أن

---

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٧٠.

الكفارةَ فيهمَا واجبةٌ، وهو قولك: واللَّه لا أفعل أو واللَّه لأفْعَلَنَّ، ففي هاتين الكفارة إذا آثر أن يُخَالف ما حلف عليه، إذا رأى غيره خيراً منه فهذا فيه الكفارة لا محالة.

ووجهان أكثر الفقهاءُ لا يرون فيهما[1] الكفارة، وَهُمَا قولك: «واللَّه ما قد فعلت»، وقد فعل[2] أو «واللَّه لقد فعلت» ولم يفعل. فهذا هو كذب أكَّدَهُ بيمين، فينبغي أن يستغفر اللَّه منه، فهذا جملة ما في اليمين[3].

ويجوز أن يكون موضع «أن» رفعاً، فيكون المعنى: ﴿ولا تجعلوا اللَّه عرضة لإِيْمَانِكُمْ، أنْ تَبرُّوا وتَتَّقُوا وتُصلِحُوا أَوْلَى﴾، أي البر والتقى أولى، ويكون أولى محذوفاً كما جاءَ حذف أشياءَ في القرآن. لأن في الكلام دليلاً عليها، يشبه هذا منه: ﴿طاعة وقول معروف﴾[4] أي طاعة وقول معروف أمْثَلُ، والنصب في أن والجرُّ مذهب النحويين[5] ولا أعلم أحداً منهم ذكر هذا المذهب ونحن نختار ما قالوه لأنه جيد، ولأن الاتباع أحب وإن كان غيره جائزاً[6].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ سميعٌ عليمٌ﴾.

معناه في هذا الموضع يسمع أيمانكم ويعلم ما تقصدون بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِلَّذين يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾.

معنى ﴿يُؤْلُون﴾ يحلفون، ومعناه في هذا الموضع أن الرجل كان لا يريد

---

(١) في الأصول «فيه» وهو خطأ. والأقسام أربعة لأن كل قسم من هذين إما نفي أو إثبات.

(٢) أي أن المقسم قد فعل خلاف ما حلف عليه، أي والحال أنه فعل.

(٣) عدا يمين اللغو التي تقدمت.

(٤) سورة القتال ٤٧ ـ ٢١.

(٥) في إعراب أن بعد حذف الجر ـ كلا الوجهين جائز.

(٦) لم يذكر أحد منهم أن «أن تتقوا» في موضع رفع على الإبتداء ومع جوازه هو قدء آثر أن يكون المصدر في محل نصب أو جر.

المرأة فيحلف ألا يقربها أبداً، ولا يُحب أن يزوجها غيره، فكان يتركها لا أيِّماً ولا ذاتَ زوجٍ، كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية والإسلام، فجعل اللَّه الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة آخر مداه نهاية أربعة أشهر، فإذا تمّت أربعة أشهر ثمَّ لَمْ يَفِئْ الرجُلُ إلى امْرَأَتِهِ، أي لم يرجع إليها، فإن امرأته بعد الأربعة - في قول بعضهم - قَد بَانَتْ مِنْهُ، ذكر الطلاق بلسانه أم لم يذكره.

وقال قوْم يؤْخذ بعد الأربعة بأن يطلق أو يَفِيءَ.

ويقال آليت أولي إيلاءً وأَلِيَّةً، وأُلُوَّةَ، وإِلِوَّةً، و(إيَـلُ)[1].

والكسر أقل اللغات[2]، ومعنى التربص في اللغة الانتظار.

وقال الذين احتجوا بأنه لا بد أن يذكر الطلاق، بقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فإِنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقالوا[3] ﴿سميع﴾ يدل على أنه استماع الطلاق في هذا الموضع، وهذا في اللغة غير مُمْتَنِع، وجائز أن يكون إنما ذكر ﴿سميع﴾ ههنا من أجل حلفه، أي اللَّه قد سمع حلفه وعلم ما أراده، وكلا الوجهين في اللغة محتمل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾.

يقال طَلَقَتِ المرأةُ طَلَاقاً فهي طَالِقٌ، وقد حكوا طَلُقتْ وقد زَعم قَومٌ أن تاءَ التأنيثِ حُذِفَتْ من «طالِقَة» لأنه[4] للمُؤنَّثِ لاحظ للذكر فيه، وهذا ليس بشيءٍ، لأن في الكلام شيئاً كثيراً يشترك فيه الْمُذَكّر والمؤنَّثُ لا تثبت فيه الهاء في المؤنث، نحو قولهم بعير ضامر، وناقَةٌ ضَامِر، وبعير ساعل وناقة

(١) ليست في ك.

(٢) في «الوة».

(٣) في ك وقيل.

(٤) أي هذا اللفظ.

ساعل[١]، وهذا أكثر من أن يحصى[٢]. وزعم سيبويه وأصحابه أن هذا وقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث لأن المعنى شيءٌ طالق، وحقيقته عندهم أنه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مذكار ورجل مذكار، وامرأة مئناث ورجل مئناث[٣]، وإنما[٤] معناه ذات ذكران وذات إناث، وكذلك مطفل ذات طفل، وكذلك طالق معناه ذات طلاق. فإذا أجريته على الفعل[٥] قلت طالقة، قال الأعشى[٦]:

أَيَا جارتَا بيني فإنكِ طَالِقَةٍ ... كذاكِ أُمور النَّاسِ غادٍ وَطَارقَة

وأما ﴿ثلاثة قروءٍ﴾ فقد اخْتَلَفَ الفقهاءُ وأهل اللغة في تفسيرها وقد ذكرنا في هذا الكتاب جملة قول الفقهاء وجملة قول أهل اللغة:

فأما أهل الكوفة فيقولون: الإِقْرَاءُ الحَيض، وأما أهل الحجاز ومالك فيقولون الإقراء الطُّهر، وحجة أهل الكوفة في أن الإقراءَ و (القِراءَ)[٧] والقروء الحيض ما يروى عن أم سلمة أنها استفتت لفاطمة بنت أبي حبيش[٨] وكانت

---

(١) نشيط مستأسد.

(٢) رد الزجاج ليس بجيد. فجمهور اللغويين أن الوصف الذي لا يكون إلا للأنثى لا تذكر فيه التاء إذ لا داعي لها، مثل حائض ونافث وناهد وحامل وبكر وثيب. وهذا لا ينافي مجي أوصاف للذكر بغير تاء، فالجهة منفكة.

(٣) يمنع التاء في هذا أيضاً أنه صيغة مبالغة.

(٤) في ك أن.

(٥) أي جعله اسم فاعل دالاً على إحداث فعل.

(٦) اللسان (جور) والأغاني ٨/ ٨٠ ـ ٨١.

(٧) ليست في ك.

(٨) أما فاطمة فهي بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد، من قريش روت حديثها هذا السيدة عائشة وجاء في الصحيحين أنها جاءت إلى النبي فقالت إني امرأة أستحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة؟ قال: لا إنما ذلك عرق ليست الحيضة. وللحديث روايات ولعل الحادث تكرر، أو كانت أم سلمة معها ولم تذكر في بعض الروايات. ـ انظر الإصابة ٨٣١.

=

مستحاضة(١) فقال ﷺ تنتظر أيام إقرائها وتغتسل فيما سوى ذلك فهذا يعني أنها تحبس عن الصلاة أيام حيضها ثم تغتسل فيما سوى أيام الحيضَ، وفي خبر آخر أن فاطمة سألته فقال إذا أتى قرؤك فلا تصلي، فإذا مرَّ فَتَطَهَّرِي، وصلّي ما بين القرءِ إلى القرءِ، فهذا مذهب الكوفيين، والذي يقويه من مذهب أهل اللغة أن الأصمعي كان يقول: القُرءُ الحيض، ويقال أقرأتِ المرأة إذا حاضت. وقال الكسائي والفراء جميعاً أقرأت المرأة إذا حاضت فهِي مقريءٌ، وقال الفراءُ: أقرأت الحاجة إذا تأخرت.

وأنشدوا في القرء الحيض وهو بالوقت أشبه:

لَـه قُـروءٌ كقـرُوُءِ الحـائض(٢)

فهذا هو مذهب أهل الكوفة في الأقراء، وما احتج به أهل اللغة مما يقوي مذهبهم، وقال الأخفش أيضاً: أقرأت المرأة إذا حاضت، وما قرأتْ حيضة ما ضمَّت رحمَها على حيْضة.

وأما أم سلمة فهي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، اسمه حذيفة وكان يلقب بزاد الراكب لأنه يكفي رفقته في السفر زادهم، تزوجها ابن عمها أبو سلمة بمكة وكانا من السابقين إلى الإسلام وهاجرا إلى الحبشة فولدت هناك سلمة ثم عادا إلى مكة ولما همَّا بالهجرة إلى المدينة منعها ذووها وردوها إليهم، فأخذ سلمة ذوو أبيه وهاجر الزوج وحده وساءت حالها من الحزن لفراق زوجها وولدها ثم سمح لها أن تهاجر ورد لها ابنها.

ولما مات زوجها تزوجها رسول الله ﷺ.

كانت من ذوات الرأي والعقل وهي التي فرج الله بها كربة المسلمين يوم الحديبية إذ أشارت على النبي ﷺ أن يذبح هدية فلم يسع القوم إلا اتباعه توفيت سنة ٦٢ هـ وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة، الإصابة ١٣٠٢.

(١) لا ينقطع الدم عنها.

(٢) قبْلَه وصاحب صحبته حرائض. والحرض ـ محركة ـ الفساد في البدن والمذهب والرأي، والرجل الفاسد المريض.

وقال أهل الحجاز: الأقراءُ والقرُوُء واحد، وأَحدهما قَرءٌ، مثل (قولك)[1] فَرْعٌ، وهما الأَطهار، واحتجوا في ذلك بما يروى عن عائشة أنها قالت الأقراءَ الأَطهار، وهذا مذهب ابن عمرو ومالك، وفقهاءُ أَهل المدينة، والذي يقوي مذهب أَهل المدينة في أَن الأقراءَ الأَطهار.

قول الأَعشى[2]:

مُـورِّثَـةً مـالا وفي الأَصـل رفعـةٍ لمـا ضاع فيهـا من قُـروء نسـائِكـا

فالذي ضاع هنا الأَطهار لا الحيض.

وفي هذا مذهب آخر، وهو أَن القرءَ الطهر، والقرءَ الحيض[3]، قال أَبو عبيدة: إن القرءَ يصلح للحيض والطهر، قال وأَظنُّهُ من أَقْرأَتِ النُّجومْ إِذَا غابت، وأَخبرني من أَثق به يدفعه إلى يونس أَن الإِقراءَ عنده يَصلح للحيض والطهر، وذكر أَبو عمرو بنِ العلاءِ أَن القرءَ الوقت، وهو يصلح للحيض ويصلح للطهر، ويقال:[4] «هذا قارئُ الرِّياح»: لوقت هبوبها.

وأَنشد أَهل اللغة[5]:

شَنِئتُ الـعُقْـر عقـر بني شُلَيـلٍ إذا هـبت لـقـاريهـا الـريـاحُ[6]

(١) ك فقط ك.

(٢) ديوانه ٦٧، مجاز القرآن ١ ـ ٧٤ ـ والطبري في هذه الآية والخازن، وقبله.

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا

ويروى «وفي الذكر رفعة» وأيضاً وفي الحي رفعة.

(٣) أي يصلح لهما معاً.

(٤) ك ويقول.

(٥) الشعر لمالك بن الحرث من بني ذهل، شنئت ـ كرهت ـ والعقر مكان ـ وهبت لقاريها: لوقت هبوبها ـ وشليل جد جرير بن عبد اللّه البجلي: ديوان الهزليين ٣ ـ ٨٣. والطبري ٤ ـ ٥١١، وفي اللسان (قرأ) كرهت.

(٦) ط ريحيها.

أي لوقت هبوبها، وشدة بـــردها، ويقال «ما قـرأت الناقـة سلا قط» أي لم تضم رحمها على ولد، وقال عمرو بن كلثوم [١]:

نُـريـكَ إذا دخـلت عـلى خـلاءٍ وقـد أمنتْ عـيـونَ الكـاشِـحينـا
ذِراعـي عَـيْـطَلٍ أدمـاءَ بـكـر هـجيـنَ اللون لـم تقـرأ جنينـا [٢]

وأكثر أهل اللغة يذهب إلى أنها لم تجمع ولداً قط في رحمها ر كـر قطرب هذا القول أيضاً، وزاد في لم تقرأ جنيناً أي لم تلقه مجموعاً.

فهذا جميع ما قال الفقهاءُ وأهل اللغة في القرءِ.

والذي عندي أن القرءَ في اللغة الجمع، وأن قولهم قَرَيْتُ الماءَ في الحوض من هذا، وإن كان قد أُلْزِمَ الماء ـ فهو جمعته [٣]، وقولك قرأت القرآن أي لفظت به مجموعاً، والقرد يُقْرِىءُ، أي يجمع ما يأكل في بيته، فإنما القرءُ اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن وليس بخارج عن مذاهب الفقهاءِ، بل هو تحقيق المذهبين، والمقرأة الحوضُ الذي يقرأ فيه الماءُ أي يجمع، والمَقرَأ الإناءُ الذي يقرأ فيه الضيف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّه فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾.

قيل فيه لا يحل لهن أن يكتمن أمر الولد لأنهن إن فعلن ذلك فإنما يقصدن إلى إلزامه غير أبيه.

وقد قال قوم هو الحَيْض. وهو بالولد أشبه لأن ما خلق اللَّه في أرحامهن أدل على الولد، لأن اللَّه جلّ وعزّ قال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف

(١) في معلقته، واللسان (قرأ) ـ والقرطبي ٣ ـ ١١٤.
(٢) يريد أنها ضامرة البطن لأنها لم تحمل قط
(٣) ك جمعت.

يشاءُ﴾[١]، وقال: ﴿فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً﴾[٢] فوصف خلق الولد.

«ومعْنى: ﴿إنْ كُنَّ يؤمِنَّ باللَّهِ والْيَوْم الآخِرِ﴾.

تأْويله إن كن يصدقن باللَّه وبما أَرهب به وخوف من عذابه لأَهل الكبائر فلا يكتمن، كما تقول لرجل يظلمُ إن كنت مؤمناً فلا تظلم، ، لَا أنه يقول له هذا مطلِقاً الظُّلم لغير المؤْمن. ولكن المعنى: إن كنت مؤْمناً فينبغي أَن يحجزك إيمانك عن ظلمي.

وقولهِ عزّ وجلّ: ﴿وبُعُولَتُهُنَّ أَحقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾.

بعولة جمع بَعْل، مثل ذكر وذكورة، وعم وعمومة أَشبه ببَعْلٍ وبعولة، ويقال في جمع ذكر[٣] ذِكارة وحجر حِجَارة. وإنما هذه الهاءُ زيادة مؤَكدة معنى تأْنيث الجماعة، ولكنك لا تدخلها إلا في الأَمكنة التي رواها أَهل اللغة، لا تقول في كعب كُعوبة ولا في كلب كِلابة، لأَن القياس في هذه الأَشياءِ معلوم[٤]، وقد شرحنا كثيراً مما فيه فيما تقدم من الكتاب.

ومعنى ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي في الأَجل الذي أُمِرْنَ أَن يتربصن فيه، فأَزواجهن قبل إنقضاءِ القروءِ الثلاثة أَحق بردهن إن رَدُّوهُنَّ على جهة الإصلاح، أَلا ترى قوله: ﴿إنْ أَرَادُوا إصْلَاحاً﴾؟

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿ولَهُنَّ مثْلُ الَّذي عَلَيْهِنَّ بالْمَعْرُوف﴾.

أَي للنساءِ مثلُ الذي عَليهنَّ بما أَمر اللَّه به من حقِّ الرجُل على المرأة، وهو معنى ﴿بالمعروف﴾.

---

(١) آل عمران ٢ ـ ٦.

(٢) المؤمنون ٢٣ ـ ١٤.

(٣) بكْر وَبِكَارة ـ ولعله أصح لأنه على «فَعْل» وفي ك أيضاً: وإنما هذا هذه الهاء ـ وظاهر أنه خطأ.

(٤) ك ـ معلوم قد شرحناهُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وللرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

معناه زيادة فيما للنساءِ عليهن كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساءِ، بما فضَّل اللَّه بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾[١].

والمعنى أن المرأة تنال من اللَّذة من الرجل كما ينال الرجل، وله الفضل بنفقته وقيامه بما يصلحها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

معناهُ مَلِكٌ يحكم بما أراد، ويمتحن بما أحب، إلا أن ذلك لا يَكون إلا بحكمة بالغة - فهو عزيز[٢] حكيم فيما شرع لكم من ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الطلاق مَرَّتَان﴾.

﴿الطلاق﴾ رفع بالابتداءِ، و﴿مرتان﴾ الخبر، والمعنى الطلاق الذي تُمْلك فيه الرجعة مرتان، يدل عليه ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ المعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. ولو كان في الكلام فإمساكاً بمعروف كان جائزاً. على فأمسكوهن إمساكاً بمعروف كما قال عزّ وجلّ: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف﴾[٣]، ومعنى ﴿بمعروف﴾[٤] بما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾.

أي مما أعطيتموهن من مهر وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّه﴾.

قرئت ﴿يَخافا﴾، ويُخَافَا - بالفتح والضم - قال أبو عبيدة وغيره: معنى ﴿إلا

---

(١) النساء ٣ - ٣٤.

(٢) في ك العزيز الحكيم.

(٣) سورة البقرة ٢ - ٢٣١.

(٤) في ط ومعناه.

أن يخافا﴾ إلا أن يوقنا، وحقيقة قوله: ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود اللَّه﴾أن يكون الأَغْلب عليهما وعندهما أنهما على ما ظهر منهما من أسباب التباعد الخوفُ من أن لا يقيما حدود اللَّه ـ ومعنى﴿حدود اللَّه﴾ ما حده اللَّه جلّ وعزّ مما لا تجوز مجاوزته إلى غيره، وأصل الحد في اللغة المنع، يقال حَدَدْتُ الدار، وحددت حدود الدار، أي بنيت الأمكنة التي تمنع غيرها أن يدخل فيها، وَحَدَدْتُ الرجل أقمت عليه الحد، والحد هو الذي به منع الناس من أن يدخلوا فيما يجلب لهم الأذى والعقوبة، ويقال أحدت المرأة على زوجها وحدت فهي حَادٌّ وَمُحدٌّ، إذا امتنعت عن الزينة، وأحددت إليه النظر إذا منعت نظري من غيره وصرفته كله إليه، وأَحْدَدْتُ السكين إِحْدَاداً، قال الشاعر:

إن العبادي أَحَدَّ فأْسَه فعاد حدُّ فأْسه برأْسه(١)

وَإِنَّما قيل للحديد حديد لأنه أمنع ما يمتنع به، والعرب تقول للحاجب والبواب وصاحب السجن: الحَدَّاد، وإنما قيل له حداد لأنه يمنع من يدخل ومن يخرج، وقول الأعشى:

فقمنَا ولمَّا يصحْ ديكُنَا إلى خمرة عند حَدَّادها(٢)

أي عند ربها الذي منع منها إلا بما يريد.

ومعنى: فلا تَعْتَدُوهَا: أي لَا تُجَاوِزُوهَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حتَّى تَنْكِحَ زوجاً غَيْرَهُ﴾.

أي فإن طلقها الثالثة، لأن الثنتين قد جرى ذكرهما أيْ فلا تحل له حتى تتزوج زوجاً غيره، وفعل اللَّه ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل(٣)،

(١) اللسان ـ حدد.

(٢) اللسان ـ حدد.

(٣) متعلق بصعوبة ـ أي يصعب على الرجل أن تتزوج امرأته بغيره.

فحرم عليه التزوج بعذ الثلاث لئلا يعجلوا بالطلاق، وأن يَتَثَبَّتُوا. وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَعْدَ ذلك أَمْراً﴾(١) يدل على ما قلناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَراجعَا﴾ :

أي فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليها وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، وموضع أن نصب، المعنى لا يَـأْثمان في أن يتراجعا. فلما سقطت «في» وصل معنى الفعل فنصب - ويجيز الخليل أن يكون موضع أن خفضا على إسقاط «في» ومعنى إرادتها في الكلام، وكذلك قال الكسائي، والذي قالاه صواب لأن «أن» يقع فيها الحذف، ويكون جعلها موصولة عوضاً مما حذف، ألا ترى أنك لو قلت لا جناح عليهما الرجوع لم يصلح. والحذف مع أن سائغ فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضِع جر على إرادة في.

ومعنى. ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

أي إنْ كان الأغلب عليهما أن يقيما حدود اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّه يُبَيِّنُهَا﴾.

ويُقْرأُ نُبَيِّنُهَا بالياءِ والنون جميعاً، لِقَوْم يَعْلَمُونَ(٢) أي يعلمون أن وعد اللَّه حق وأن ما أتى به رسوله صدق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾.

أي وقت إنقضاءِ عدتهن.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوف أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوف﴾.

أي إتركوهن حتى ينقضي تمام أجلهن ويكن أملك بأنفسهن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً﴾.

---

(١) الطلاق ٦٥ - ١: لا تدري لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمراً.

(٢) في ط، وك معنى يعلمون.

أي لا تمسكوهن وأنتم لا حاجة بكم إليهن، وقيل إنه كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاءُ أجلها ثم يراجعها إضراراً بها، فنهاهم اللَّه عن هذا الإضرار بهن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه﴾.

أي عَرَّضَها لعذاب اللَّه عزّ وجلّ: لأن إتيانَ ما نهى اللَّه عنه تعرض لعذابه، وأصل الظلم وضع الشيءِ في غير موضعه وقد شرحنا ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً﴾ أي ما قد بينه لكم من دلالاته، وعلاماته في أمر الطلاق وغيره.

وقيل في هذا قولان: قال بعضهم: كان الرجل يُطَلِّقُ ويُعْتِقُ ويقول: كنت لاعباً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن فرائضه لا لعب فيها، وقال قوم: معنى ﴿لا تتخذوا آيات اللَّه هزوا﴾، أي لا تَتْركُوا العَمَلَ بما حدَّد اللَّه لكم فتكونوا مقصرين لاعبين كما تقول للرجل الذي لا يقوم بما يكلفه، وَيَتَوانى فيه: إنما أنت لاعب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾.

هذا مخاطبة للأولياءِ، وفي هذا دليلُ أَنَّ أمر الأولياءِ بينٌ. لأَنَّ المطلَّقة التي تراجع إنَّما هي مالِكةُ بُضْعها[1] إلاَّ أن الولي لا بُدَّ منه، ومعنى ﴿تَعْضُلوهُنَّ﴾: تمنعوهُنَّ وتحبسوهُنَّ، مَن أن ينْكِحن أَزْواجَهُنَّ.

والأَصْل في هذَا فيما رُوي أَنَّ معقل بن يَسَار[2] طلق أُختَه زوجُها،

---

(١) ط في بضعها.

(٢) معقل بن يسار، يكنى أبا عبد اللَّه وأبا علي، مزني أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة للرضوان، وقد أقام بالبصرة منذ فتحها ومات بها في خلافة معاوية، وباسمه يسمى نهر معقل بالبصرة (الإصابة ٨١٣٧).

فَأَبى معقلُ بن يَسار أن يُزَوِّجَها إيّاه، ومَنَعَها بِحَقّ الولاَية منْ ذلك، فلمّا نزلت هذه الآيةُ تلاها عليه رسولُ اللَّه ﷺ فقال معقل: رَغِمَ أَنْفِي لأمْر اللَّه.

وأَصل العَضْل من قولهم: عضَلت الدجاجة، فهي مُعْضَل، إذا احتبس بيضُها ونَشَبَ فلم يَخْرج، ويُقَال عضلت الناقة أَيضاً، فهي مُعْضَلٌ إذا احْتَبس ما في بَطْنِهَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللَّه والْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

أي بأمر اللَّه الذي تلا عليكم، ﴿يوعظ به من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر﴾، أي من صدق بأمر اللَّه ووعيده والبعث وأَطاع اللَّه في هذه الحدود.

وقال ﴿ذلك يوعظ به﴾ ـ وهو يخاطب جميعاً، وقد شرحنا القول فيه فيما تقدم[1]. وقال بعض أهل اللغة: أنه تُوُهِّمَ أَنَّ ذَا مع الْمَعَارف كلمةٌ واحدة، ولا أَدْري ـ منْ غَير قائل هذا ـ بهذا التَّوَهُّم. اللَّهُ خاطب العرب بما يعقلونه وخاطبهم بأفصح اللغات، وليس في القرآن توهم، تعالى اللَّه عن هذا، وإنما حقيقة ذلك وذلكم مخاطبَة الجميع، فالجميع لفظه لفظ واحد، فالمعنى ذلكَ أَيها القبيل يُوعظ به من كان منكم يؤمن باللَّه، وقوله عزّ وجلّ بعد هذا. ﴿ذَلُكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وأَطْهَرُ﴾.

يَدُلُّ على أَنَّ «ذلك» و «ذلكم» مخاطبة للجماعة.

ومعنى ﴿واللَّه يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

أَي اللَّه يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والآجل، وأَنتم غير عالمين إلا بما أَعلمكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْن كَامِلَيْن﴾

---

(١) ص ٢٩٣ ـ ٩٤.

اللفظ لفظ الخبر والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم فلفظه لفظ الخبر، ومعناه اكتف بدرهم، وكذلك معنى الآية لترضع الوالدات يقال أرضعت المرأة فهي مرضعة، (قولهم)[١] إمرأة مرضع بغير هاءٍ، معناه ذات إرضاع، فإذا أردتم اسْمَ الفاعلَ عَلى أَرضعَتْ قلتَ مرضعة لا غير[٢].

ويقال: رُضِعَ المولود يُرْضَع، وَرَضَعَ يرْضَع، والأولى[٣] أكثر وأوضح، ويقال: الرَّضَاعَةُ والرِّضَاعَةُ - بالفتح والكسر - والفتح أكثرُ الكلام وأصحُّه، وعليه القراءَة «لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَة».

وروى أبو الحسن الأخفش أن بعض بني تميم تقول الرِّضاعة بكسر الراءِ، وروى الكسرَ أيضاً غيره، ويقال: الرَّضاع والرِّضَاعَ[٤] ويقال: ما حمله على ذلك إلا اللؤم والرَّضَاعَة بالفتح لا غير ههنا[٥].

ويقال: ما حمله عليه إلا اللؤم والرِّضْع مثل. الحلْف والرَّضْعُ، يقالان جميعاً.

ومعنى ﴿حَوْلَيْنْ كَاملَيْنْ﴾ أربعة وعشرون شهراً، من يوم يولد إلى يوم يفطم، وإنما قيل: ﴿كاملين﴾ لأن القائل يقُول: قد مضى لذلك عامان وسنتان فيجيز أن السنتين قد مضتا، ويكون أن تبقى منهما بقية، إذا كان في الكلام دليلَ على إرادة المتكلم فإذا قال: ﴿كاملين﴾ لم يجز أن تنقصا شيئاً، وتقرأ لمن أراد أن «تَتِمَّ» الرضاعةُ، ولمنْ أرادَ أن يُتِمَّ الرضاعةَ وهذا هو الحقُّ في الرضاعة إلا أن يتراضيا - أعني الوالدين - في الفطام بدون الحولين ويُشَاوَرَا في ذلك.

---

(١) ليست في ك.

(٢) بمعنى تفعل الإرضاع وأنظر ص ٣٠١ فيما سبق.

(٣) في ك ورُضِعَ أفصح.

(٤) ك - الرضاعة والرضاعة.

(٥) مثل يستعمل لتأصل الخسة في الشخص، ولم يسمع إلا هكذا.

ومعنى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُود لَهُ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ﴾ .

أي على الزوج رزْق المرأة المطلقة إذا أرضعت الولد وعليه الْكِسْوة، ومعنى بالمعروف، أي بما يعرفون أنه العدل على قدر الإمكان.

ومعنى ﴿لا تُكَلَّفُ نفْسٌ إلَّا وُسْعَهَا﴾ .

أي لا تكلف إلا قدر إمكانها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا تُضَارّ والدةٌ بولَدِهَا﴾ .

قرئت على ضربين ﴿لا تضارُّ والدة﴾ برفع الراءِ على معنى: لا تكلف نفْسٌ، على الخبر الذي فيه معنى الأمر، ومن قرأ: ﴿لا تضارَّ والدة﴾ بفتح الراءِ، فالموضع موضع جزم على النهي الأصل: لا تُضَارِرْ، فأُدغمت الراءُ الأُولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاءِ الساكنين، وهذا الاختيار في التضعيف إذا كان قبله فتح أو ألف، الاختيار عضَّ يا رجل، وضَارَّ زيداً يا رجل، ويجوز لَا تُضَارِّ والدة بالكسر، ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأنَّ بها، وإنما جاز الكسر لالتقاءِ الساكنين لأنه الأصل في تحْريك أحد الساكنين، ومعنى ﴿لا تضارَّ والدة بولدها﴾: لا تترك إرضاع ولدها غيظاً على أبيه فَتُضرَّ بهِ لأن الوالدة، أشفق على ولدها من الأجنبية(١).

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بولَدِهِ﴾.

أي لا يأخذْه من أمه للإضرار بها فيضُرَّ بولَدِهِ.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي عليه ترك الإضرار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاض مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ .

أي فِطاماً وتراضياً بذلك بعد أن تشاورا وعلماً أن ذلك غير مدخل على الولد ضرراً.

---

(١) الفعل يصلح أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول ـ ولهذا جاء احتمال المعنيين لا تضارر هي الوالد به ـ أو لا يضاررها أبوه به.

﴿فلاَ جُنَاحَ علَيْهِمَا﴾:

أي فلا إثم عليهما في الفصال على ما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ أَردْتُم أَنْ تسْتَرْضِعُوا أوْلاَدَكُمْ﴾.

معناه تسترضعوا لأولادكم غير الوالدةِ، فلا إثم عليكم ﴿إذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بالْمعْرُوفِ﴾.

قيل فيه إذا سلمتم الأمر إلى المسترضَعةِ وقيل إذا أسلمتم ما أعطاه بعضكم لبعض من التراضي في ذلك[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والَّذِينَ يُتَوفُّوْنَ مِنْكُمْ ويَذَرُون أَزْوَاجاً يَتَربَّصْنَ بأَنْفُسِهنَّ أَرْبعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾.

هذا للمتوفى عنها زوجُهَا، عليها أن تنتظر بعد وفاته إذا كانت غير ذاتِ حمْل أربعةَ أشْهُر وعشْراً لا تتزوج فيهن ولا تستعمل الزينة.

وقال النحويون في خبر ﴿الذين﴾ غير قول[٢]:

قال أبو الحسن الأخفش المعني يتربصن بعدهُمْ أو بعد موتهم، وقال غَيْرُه من البصريين أَزْوَاجُهُمْ يتربصن، وحذف أزواجهم لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا إطباق البصريين وهو صواب[٣].

وقال الكوفيون: وهذا القول قول الفراءِ وهو مذهبه[٤] أَنَّ الأَسماءَ إذا

---

(١) في ك بذلك.

(٢) المشكلة النحوية في الآية هي أن ﴿الذين يتوفون﴾ اسم موصول مبتدأ ويتوفون صلته والخبر هو جملة ﴿يتربصن﴾ وليس بها رابط لأن نون النسوة لا تعود على الذين وهذا هو ما اختلفت فيه وجهة نظر الشراح وتقديراتهم.

(٣) قدر الأخفش ظرفاً محذوفاً لأن الظروف كثيراً ما تحذف ويفهم معناها، وقدر البصريون مبتدأ محذوفاً لأنه مفهوم من الكلام.

(٤) ك: قول الفراء ،مذهبهم.

كانت مضافة إلى شيءٍ، وكان الاعتماد في الخبر الثاني، أخبر عن الثاني وتُرِكَ «الإخبار عن الأول»(١)، وأغنى الإخبارُ عن الثَّاني عن الإخبار عن الأول.

قالوا: فالمعنى وإزواج الذين يتوفون يتربصن.

وأنْشَد الفَرَّاءُ:

لَعَلِّي إنْ مالَتْ بي الرِّيحُ مَيْلَةً على ابن أبي ذَبَّانَ أن يتقدما(٢)

المعنى: لعل ابن أبي ذُبَّان أن يتقدم إليّ مالت بِي الريح ميلة عليه. وهذا القول غير جائز. لا يجوز أن يَبْدَأ اسم ولا يحدَّث عنه لأن الكلام إنما وضع للفائدة، فما لا يفيد فليس بصحيح، وهو أيضاً من قولهم محال، لأن الإسم إنما يرفعه اسم(٣) إذا ابتدئ مثله أو ذكر عائد عليه، فهذا على قولهم باطل، لأنه لم يأت اسم يرفعه ولا ذكر عائد عليه.

والذي هو الحق في هذه المسألة عندي أن ذكر ﴿الذين﴾ قد جرى ابتداءً وذكر الأزواج قد جرى متصلاً بصلة الذين، فصار الضمير الذي في ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يعود عَلَى الأزواجِ مضافاتٍ إلى الَّذينَ. كأنك قلت: يتربَّصُ أزواجهم، ومثل

---

(١) ط فقط ـ يعني إذا كان الاسم الثاني هو الأهم جعل الخبر عنه.

(٢) البيت لثابت قطنة من شعراء خراسان في العهد الأموي. كان شجاعاً خطيباً، وفقد إحدى عينيه بسبب ضربة فكان يضع بها قطنة ـ فسمي بها، وقف بجانب يزيد بن الملهب حين خرج على عبد الملك ـ فلما قتل يزيد رثاه وتوعد عبد الملك. وصحة البيت ـ دبان ـ كنية سخر بها من عبد الملك، لأنه كان شديد البخر يموت الذباب إذا دنا من فمه، وفي تاريخ الطبري ٨ ـ ١٦٠، ورواية الفراء في تفسيره معاني القرآن ١ ـ ١٥، والصاحبي ١٨٥ ـ أن يتندما، يريد بقوله: «مالت بي الريح» أن هجمت عليه، أي أشفق على عبد الملك إذا لاقيته في حرب أن يأسف لفعلته. ويبدو أنه تهديد للوليد لقوله: ابن أبي دبان.

والشاهد خلو الخبر من ضمير يعود على إسم لعل وانظر اللسان (ذبب) والحيوان ٣ ـ ٢٨١.

(٣) يرفع الاسم خبرا عن آخر إذا كان الاسمان لشيء واحد، وهذا ظاهر في الخبر المفرد ويأتي أيضاً في الجملة ـ نحو ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾: فإن لم يكن الاسمان كشيء واحد وجب أن يكون في الخبر ضمير رابط يعود على المبتدأ.

هذا من الكلام قولك الذي يموتُ ويُخلف ابنَتَينِ ترثان الثلثين، المعنى ترث ابنتاه الثلثين[1].

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَشْراً﴾ يدخل فيها الأيام.

زعم سيبويه أنك إذا قلت «لخمس ٍ بَقِينَ» فقد علم المخاطب أن الأيام داخلة مع الليالي، وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلَّبٌ في هذا الباب.

وحكى الفراءُ صُمْنَاَ عَشْراً من شهر رمضان، فالصَّوم إنَّما يكون في الأيَّامِ ولكن التأنيث مغلَّبٌ في الليالي - لإجْمَاعِ اهل اللغة «سِرْنَا خَمْساً بيْنَ يوْمٍ وليلة» أنشد سيبويه:[2]

فطافت ثلاثاً بيْنَ يوم وليلة   يكون النكير أنْ تَصيحَ وتَجْأَرا

قال سيبويه هذا باب المؤنث الذي استعمل للتأنيث والتذكير، والتأنيث أصله، قال تقول: عندي ثلاثُ بطات ذكور وثلاثٌ منَ الإبل ذكور، قال لأنك تقول: هذه إبل، وكذلك ثلاث من الغنم ذكور، (قال)[3] فإن قلت عندي ثلاثةُ ذكورٍ من الإبل لم يكن إلاّ التَّذكير، لأنك إنما ذكرت ذكوراً ثم جئت تقول من الإبل بعد أن مضى الكلام على التذكير، وليس بين النحويين البصريين والكوفيين خلاف في الذي ذكرنا من باب تأنيث هذه الأشياءِ فإن قلت عندي خمسة بين رجل وإمرأة غلبت التذكير لا غير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنّ﴾

---

(١) الألف في ترثان بمعنى ابنتيه. ولا تنطبق الألف على الذي.

(٢) كتاب سيبويه ٢ - ١٨٠ باريس، والخزانة ٣ - ١١٧ -.

والبيت للنابغة الجعدي من قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ يصف بقرة وحشية فقدت ولدها وظلت تطوف الأرجاء بحثاً عنه ثلاثاً - حتى عثرت على أشلائه فكان مبلغ ما تنكر به أنها ظلت تصيح وتجأر وهي ضائقة بما حدث. ورواية البيت في هذه المراجع كلها وكان النكير.

(٣) ك فقط.

أي غَاية هذه الأشهر والعشر.

﴿فلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفسِهِنَّ بالْمَعْرُوفِ﴾.

أي لا جناح عليكم في أن تتركوهن - إذا إنقضت هذه المدة - أن يتزوجن، وأن يتزين زينةَ لا ينكر مثلها. وهذا معنى ﴿بالمعروف﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ به منْ خِطْبَة النِّسَاءِ﴾.

المعنى أنه لا جناح على الرجل أن يُعَرِّضَ للمرأة التي هي في عدَّةِ بالتزويج. والتعريضُ أن يقول إني فيك لراغب. وإن قضى اللَّه أمراً كان، وما أشبه هذا من القول، ولا يجوز أن يقطع أمر التزويج والمرأة لم تخرج من عدتها، ومعنى خِطْبَة كمعنى خَطْب، أما خُطْبة فهو ماله أول وآخر نحو الرسالة، وحُكِيَ عن بعض العرب «اللهم ارفع عنا هذه الضُّغْطَة» فالضُّغْطَة ضَغْطٌ له أول وآخر متصل.

ومعنى: ﴿أوأَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

يقال في كل شيء تستره أَكْننته وكَنَنْتُه، وأَكْننتُه فيما يَسْتُرهُ أكثرُ، وما صُنْتَه تقول فيه كننته فهو مكنون، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿كأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُون﴾(١) أي مَصُونٌ، وكل واحدة منْهما قَريبَة من الأُخرى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلكِنْ لا تُواعدُوهُنّ سرًّا﴾.

قال أبُو عُبَيدَةَ: السِّرُّ الإفْصَاح بالنكاح وأنشد:

ويحْرمُ سرُّ جارَتهمْ عليْهمْ ويأْكُلُ جَارُهَمْ أَنفَ القصَاع(٢)

---

(١) الصافات ٣٧/٤٨.

(٢) للحطيئة ديوانه ٣٢٨ - اللسان (أنف) أمالي المرتضى ١ - ١٧٥. يصفهم بالعفة والكرم فهم يعفون عن سر الجارة - ويؤثرون ضيفهم بخير الطعام.

وقال غيره: كَأَنَّ السِّرَ كناية عن الجماع ـ كما أن الغائطَ كناية عن الموضع وهذا القول عندي صحيح.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾.

معناه: لا تَعْزموا على عَقْدِ النكاح، وحذف «عَلَى» استخفافاً كما تقول: ضرب زيد الظهر والبطن، معناه على الظهر والبطن، وقال سيبويه: إن الحذف في هذه الأَشياءِ لا يقاس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الكتابُ أَجَلَهُ﴾.

معناه حتى يبلغ فرض الكتاب أجله، ويجوز أن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض، فيكون المعنى حتى يبلغ الفرضُ أجلَه ـ كما قال: عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ﴾[1] أي فرض عليكم، وإنَّما جَازَ أن يَقَعَ كُتِبَ في معنى فُرِضَ، لأن ما يكتب يقع في النفوس أنه ثَبَتَ، ومعنَى هذا الفرض الذي يبلغ أجله أيام عدة المطلقة والمتوفي عنها زوجها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا جُنَاحَ عليكم إنْ طلقْتُم النِّسَاءَ ما لم تَمَسُّوهُنَّ﴾.

ويُقرأُ: تَماسُّوهن.

«أو تفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً».

فقدْ أعلم اللَّه في هذه الآية أن عقد التزويج بغير مهر جائز، وأنه لَا إثْم على من طلق من تزوج بها من غير مهر كما أنه لا إثم على من طلق من تزوج بمهر، وأمر بأن تمتع المتزوج بها بغير مهر إذا طلقت ولم يدخل بها فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿ومَتِّعُوهُنّ على المُوسِعِ قَدَرُه وعلى المُقْتِر قَدَرُه﴾.

و ﴿قَدرُهُ﴾، يُقْرآن جميعاً، فقالوا إن التَّمتُّعَ يَكونُ بأَشياءَ بأَنْ تَخدَم المرأةُ

---

(١) سورة البقرة ٢ / ١٨٣.

وبأن تُكْسَى، وبأن تُعْطى ما تنفِقه، أيَّ ذَلكَ فَعَلَ يُمَتِّعُ، فذلك جائز له على قدر إمكانه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَتَاعاً بالْمَعْرُوفِ﴾.

أي بما تعرفون أنه القصد وقدر الإمكان، ويجوز أن يكون نصب ﴿متاعاً بالمعروف﴾ على قوله: ومتعوهن متاعا، يجوزُ أن يكون منصوباً على الخروج من قوله: على الموسع قدره متاعاً أي مُمَتِّعاً متاعاً[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَقاً عَلَى المُحْسِنينَ﴾.

منصوب على حق ذلك عليهم حقاً، كما يقال حققت عليه القضاءَ وأحققته، أي أوجبته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾

أي فعليكم نصف ما فرضتم، ويجوز النصب - ﴿فنصف ما فرضتم﴾، المعنى فَأَدُّوا نصفَ ما فرضتم، ولا أعلم أحداً قرأ بها فإن لم تثبت بها رواية فلا تَقْرَأَنَّ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾.

المعنى إلا أن يعفوَ النساءُ أو يعفوَ الذي بيده عقدة النكاح، وهو الزوج أو الولي إذَا كان أباً. ومعنى عَفْو المرأة - أن تعفو عن النصف الواجب لها من المهر فتتركه للزوج، أو يعفو الزوج عن النصف فيعطيها الكل، وموضع ﴿أن يعفون﴾ نصب بأن، إلا أن جماعة المؤنث في الفعل المضارع تستوي في الرفع والنصب، والجزم، وقد بينا ذلك فيما سلف من الكتاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ للتَّقْوى، ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بيْنَكُمْ﴾.

ظاهر هذا الخطاب للرجال خاصة دون النساءِ، وهو محتمل أن يكون

---

(١) هو مفعول مطلق حتى على التقدير الثاني.

للفريقين لأن الخطاب إذا وقع على مذكرين ومؤنثين غلب التذكير لأن الأول أمكن.

والأجود في قوله: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الفَضْلَ بيْنَكُم﴾ الضَّمُ (ويجوزُ وَلَا تَنْسَوْ الفضل بينكم)(١) ـ وقد شَرَحْنَا العلة فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصلاة الوُسْطَى﴾.

قالوا: ﴿الصلاة الوسطى﴾ العصر ـ وهو أكثر الرواية، وقيل إنها الغداة وقيل إنها الظهر. واللَّه قَدْ أمر بالمحافظة على جميع الصلَوَاتِ إلا أن هذه الواو إذا جاءَت مخصِّصَةً فهي دالة على الفضل للذي تُخَصِّصُه(٢) كما قال: عزّ وجلّ: ﴿مَنْ كان عدوًّا للَّهِ وَمَلَائِكَتِه ورُسُلِه وجِبْريل ومِيكَال﴾(٣) فذكر مخصوصين لفضلهما على الملائكة، وقال يونس النحوي في قوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا فاكهةٌ ونخل ورُمَّان﴾(٤) إنما خص النخل والرمان وقد ذكرت الفاكهة لفضلها على سائرها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُومُوا لِلَّه قَانِتِينَ﴾.

القانِتُ المُطيعُ والقَانِت الذاكر اللَّه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿أَمَّنْ هو قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيلِ سَاجِداً وَقَائِماً﴾(٥) وقيل القانت العابد ـ وقالوا في قوله عزّ وجلّ: ﴿وكانت من القانتين﴾ أي العابدين.

والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعَاءُ في القيام، وحقيقة القانت أنه القائم بأمر اللَّه، فالداعي إذا كان قائماً خص بأن يقال له قانتَ،

(١) ليست في ك.
(٢) في ك الذي خصص.
(٣) سورة البقرة ٥ ـ ٢ ـ ٩٨.
(٤) الرحمن ٥٥ ـ ٨٦.
(٥) الزمر ٣٩ ـ ٩.

لأنه ذاكر اللَّه عزّ وجلّ وهو قائم على رجليه. فحقيقة القنوت العبادَة والدعاءُ للَّه في حال القيام. ويجوز أن يقع في سائر الطاعة، لأنه إنْ لم يكن قياماً بالرِّجْلين فهو قيام بالشيء بالنية.

ومعنى: ﴿فَإِنْ خِفْتُم فَرِجَالاً أو رُكْباناً﴾.

أي فصلوا ركباناً أو رجالاً، ورَجَالٌ جمع راجل ورجال، مثل صاحب وصِحَاب، أي إن لم يمكنكم أن تقوموا قَانتين أي عابدين مُوَفِّينَ الصَّلاَةَ حقَّهَا لخوف ينالَكم، فصلوا رجالاً أو ركباناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فإذا أَمِنْتُم فاذكُروا اللَّهَ كَمَا علَّمَكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

أي فَإِذَا أَمِنْتُم فَقُومُوا قانتين مُؤَدِّينَ للفرض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ﴾

ووصيةٌ لأزواجهم يُقرءَان جميعاً، فمن نصب أراد فلْيُوصوا وَصِيَّةً لأزواجهم، ومن رفع فالمعنى فَعَلَيْهِم وصيةٌ لأزواجهم.

﴿مَتاعاً إِلَى الحَوْل غيرَ إِخْرَاجٍ﴾

أي مَتِّعُوهُنَّ مَتَاعاً إلى الحَول، ولا تخرجوهن، وهذا منسوخ بإجماع، نَسخَهُ ما قبله وقد بَيَّنَاه[(١)]. وقيل إنه نسخته آية المواريث وكلاهما ـ أعني ما أمر اللَّه به من تربص أربعة أشهر وعشراً، وما جعل لهن من المواريث قد نسخه[(٢)].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِه لعَلَّكم تَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) ذكر ذلك إجمالاً عند الآية فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم.. الخ. ص ٧.

(٢) آية المواريث نسخت الوصية بمتعة السنة. أي نسخة اللَّه وأزاله.

آياته علاماته ودلالاته على ما فرض عليكم، أي مثل هذا البيان يبين لكم ما هو فرض عليكم، وما فرض عليكم.

ومعنى ﴿لعَلَّكُم تَعْقِلُونَ﴾ معنى يحتاج إلى تفسير يبالغ فيه، لأن أهل اللغة والتفسير أخبروا في هذا بما هو ظاهر، وحقيقة هذا أن العاقل ههنا [هو] الذي يعمل بما إفْتُرِضَ عليه، لأنه إن فهم الفرض ولم يعمل به فهو جاهل ليس بعاقل، وحقيقة العقل هو استعمال الأشياءِ المستقيمة متى عُلمَت، ألا ترى إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾(١)، لو كان هؤلاء جهالاً غيرَ مميزين ألْبَتَّةَ لسقط عنهم التكليف، لأن اللّه لا يكلف من لا يميز، ويقال جهال وإن كانوا مميزين لأنهم آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلوفٌ حَذَرَ المَوْتِ﴾.

معنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، أي ألم ينته علمك إلى خبر هؤلاءِ وهذه الألف ألف التوقيف(٢)، و﴿تر﴾ متروكة الهمزة، وأصله ألم ترءَ إلى الذين، والعرب مجمعة على ترك الهمزة في هذا. ونصب ﴿حذر الموت﴾ على أنه مفعول له والمعنى خرجوا لحذر الموت، فلما سقطت اللام نصب على أنه مفعول له وجاز أن يكون نَصبه على المصدر، لأن خروجهم يدل على حذر الموت حذراً.

وقيل في تفسير الآية: إنهم كانوا ثمانية أُلوف(٣)، أُمروا في أيام بني

---

(١) النساء ٤ ـ ١٧.

(٢) هي ألف التقرير: أي قد انتهى علمك وتسمى توقيفاً لأنها وقفت السامع على الأمر.

(٣) في جميع النسخ ألف وهو خطأ.

إسرائيل أنْ يجاهدوا العَدُوَّ، فاعتلوا بأن الموضع الذي ندبوا إليه ذو طاعون، ﴿فقال لَهُمُ اللّه مُوتُوا﴾.

معناه فأَماتهم اللّه، ويقال إنهم أُمِيتُوا ثمانية أيَّامٍ ثم أُحْيُوا، وفي ذكر هذه الآية للنبي ﷺ احتجاج على مشركي العرب وعلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنه أنْبأَ أَهْلَ الكتاب بما لا يدفعون صِحَّته، وهو لم يقرأْ كتاباً ﷺ.

فالذين تلا عليهم يعلمون أنه لم يقرأْ كتاباً[1] وأنه أُمي، فلا يَعْلَم هذه الأقاصيصَ إلا بوحي، إذْ كانَتْ لَمْ تُعْلَم من كتاب فعلم مشركو العرب أن كل من قرأ الكتب يصدقه ﷺ في أخباره أنها كانت في كتبهم، ويعلم العرب الذين نشأ معهم مثل ذلك وأنه ما غاب غيبة يُعَلَّم في مثلها أقاصيصَ الأُمم وأخبارَها على حقيقة وصحة، وفي هذه الآية أيضاً معنى الحث على الجهاد، وأن الموت لا يُدْفَعُ بالهَرَب منه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّهَ لَذُو فضلٍ عَلَى النَّاسِ﴾.

أي تفضل على هؤُلاءِ بأنْ أحياهم بعدَ مَوْتهم فأَراهم البَصِيرَةَ التي لا غَايةَ بعدها. وقوله عزّ وجلّ: يَعقِب هذه الآية:

﴿وَقَاتِلُوا في سَبيل اللّهِ﴾:

أي لا تهربوا من الموت كما هرب هؤُلاءِ الذين سمعتم خبرهم، فلا ينفعكم الهرب.

ومعنى قوله عزّ وجلّ مع ذكر القتال: ﴿واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ سَمِيع علِيمٌ﴾.

---

(١) في ك أمي لم يقرأ كتاباً. والمراد الذين تلا عليهم النبي هذا القصص من أهل الكتاب يعلمون أنه لم يقرأ.

أي إن قلتم كما قال الذين تقدم ذكرهم بعلة الهرب من الموت[1] سمع قولكم وعلم ما تريدون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّه قرضاً حَسَناً﴾.

معنى القرض في اللغة البلاء السّيِّئ، والبلاء الحَسَن، والعرب تقول: لك عندي قرض حسن وقرض سيىء، وأَصلهُ مَا يُعْطِيه الرجلُ أَو يَعْمله ليجازَى عليه، واللَّه عزّ وجلّ: لا يَستَقْرض من عَوَز ولكنه يَبْلو الأَخبار، فالقرض كما وصفنا، قال أُمَيَّةُ بنُ أَبي الصلت:[2].

لا تَخْلِطَنّ خَبِيثاتٍ بطَيِّبةٍ وأَخلعْ ثيابَك منهَا وانجُ عُريَانَا
كلُّ امرىءٍ سوف يُجْزَى قَرضَه حَسناً أَو سيئاً، أَو مَدِينَا كالذي دانا

وقال الشاعر:

وإذا جُوزِيتَ قرضاً فأجزه إنّما يَجْزِي الفتى ليس الجمل[3]

فمعنى القرض ما ذكرنَاهُ.

فأَعلم اللَّه أَنَّ ما يعْمل وينفق يرادُ به الجزاءَ فاللَّه يضاعفه أَضعافاً كثيرة.

والقراءَة فيضاعفَه، و (قرأُوا)[4]: فيضاعفُه، بالنّصب والرفع فمن رفع عطف على يقرض، ومن [عطف] نصب على جواب الاستفهام وقد بَيَّنّا

---

(١) إن تعللتم لترك الحرب بالخوف من الموت كما فعل هؤلاء.

(٢) يتصل نسبة بثقيف، وكان قد اتصل ببعض الكتابيين فشدا كثيراً من قصص التوراة صاغها في شعره، ووصف الجنة والنار وتحدث عن الملائكة وكان يترقب أن يكون النبي الذي يبعث من العرب ـ فلما ظهر النبي قال أمية كنت أرجو أن أكونه، قال فيه النبي آمن شعره وكفر قلبه، والشعر في ديوانه ٦٣، واللسان (قرض) وروايته هناك: أو مديناً مثل ما دانا.

(٣) كتاب سيبويه ١ ـ ٣٧٠ ـ وإذا «أقرضت»، وهو كما ذكر هنا في العيني ٤ ـ ١٧٦، والخزانة ٤ ـ ٦٩ ـ وهو من شعر لبيد.

(٤) ليست في ك والعبارة هناك والقراءة فيضاعفه وفيضاعفه بالنصب.

الجَوابَ بالفاء ـ ولو كان قرضاً ههنا مصدراً لكان إقراضاً، ولكن قرضاً ههنا اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء[١].

فأما قرضته أقرُضه قرضاً: فجاوزته، وأصل القرض في اللغة القطع، والقِرَاضُ من هذا أُخِذ، فإنما أقرضته قطعت له قطعة يجازى عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾.

قيل في هذا غير قول: قال بعضهم: معناهُ يُقَتِّرُ ويُوسِّعُ، وقالَ بعضهم يَسْلُبُ قوماً مَا أنعَمَ عليهِم ويوسِّع عَلَى آخَرين (وقيل معنى يقبض)[٢] أي يقبض الصدقات ويخلفها، وإخلافها جائز أن يكون ما يعطي من الثواب في الآخرة، وجائز أن يكون مع الثواب أن يخلفها في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلاءِ منْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

الملأ أشرافُ القوم ووجوهُهُمْ، ويروى أن النَّبي ﷺ سَمِعَ رجلاً من الأنصار وقد رجعوا من بدر يقول: ما قتلنا إلا عَجَائِزَ صُلْعاً، فقال ﷺ: أُولئك المَلاَءُ من قُريش، لو حضرتَ فعالهم لاحتَقرْتَ فِعْلَك، والملأ في اللغة الخُلُقُ، يقال أحْسِنُوا مَلأكم، أي أخْلاَقَكُمْ قال الشاعر:[٣]

تَنَادَوْا يآل بُهثَةَ إذ رأونَا ... فقلنا أحسِني مَلأً جُهَيْنَا

أي خُلُقاً، ويقال: أحسني مُمَالأَةً أي مُعَاونَةً، ويقال رجل مَلِيءُ ـ مهموز ـ أي بَيِّن[٤] المَلآءِ يا هذا ـ وأصل هذا كله في اللغة من شيء واحد، فالمَلأ الرؤساءُ إنما سُمُّوا بذلك لأنهم مُلءٌ بما يحتاج إليه منهم. والمَلأ الذي

---

(١) إسم للشيء الذي يقرض ـ فهو مفعول به وليس مفعولاً مطلقاً.

(٢) العبارة بين القوسين في ك فقط.

(٣) البيت في اللسان «بهث وملاء» وهو لعبد الشارق الجهني ـ وَبُهثَة حَيٌّ منْ سُلَيْم.

(٤) ظاهر اليسار.

في الخُلُق، إنما هو الخَلق المليء بما يحتاج إليه، والملا: المُتَّسَعُ من الأرض غير مهموز، يكتب بالألِف - والياءِ في قول قوم - وأما البصريون فيكتبون بالألِف، قال الشاعر في الملا المقْصورِ الذي يدل على المتَّسَع من الأرض:

أَلا غنّيانِي وارفعَا الصَّوتَ بالمَلا فإن المَلاَ عندي يزيد المَدَى بُعْداً[1]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سَبيلِ اللَّهِ﴾.

الجَزْمُ في﴿نُقَاتِلْ في سبيلِ اللَّه﴾ الوجهُ على الجوابِ للْمسْأَلَة الَّتِي في لَفْظِ الأَمْر، أي ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ، أي إنْ تَبعث لنا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سبيل اللَّه، ومن قرأ «مَلِكاً يُقَاتِلُ» بالياءِ، فهو على صفة المَلِك ولكن نقاتلْ هو الوجهُ الذي عليه القراء، والرفع فيه بعيد، يجوز على معنى فَإنّا نقاتل في سبيل اللَّه، وكثيرٌ مِن النَّحويِّينَ، لا يُجِيزُ الرَّفْعَ فِي نُقَاتِل[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُم إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِتَالُ ألاَّ تُقَاتِلُوا﴾.

أي لعَلَّكم أن تَجْبُنُوا عَنِ القتال، وقرأ بعضُهم: هل عَسِيتم بكسر السين إن كتب عليكم القتال، وهي قراءَة نافع، وأهل اللغة كلهم يقولون عَسَيْتُ أن أَفْعَلَ ويختارونه، وموضع ﴿أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾ نَصْبٌ أعني موضع «أنْ» لأن «أَنَّ» وما عملت فيه كالمصدر، إذا قلت عسيت أن أفعل ذاك فكأنك قلت عسيت فعل ذَلِكَ[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا وَمالَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

---

(١) للجهني اللسان (ملا).

(٢) لأن الفعل جواب للأمر - ولا يصلح للحالية - فهم لا يريدون أبعث لنا ملكاً حال قتالنا، وإنما يريدون أن تبعثه نقاتل.

(٣) فهو خبر عسى.

زعم ـ أبو الحسن الأخفش أنَّ «أنْ» ههنا زائدة ـ قال: المعنى وما لنا لا نقاتل في سبيل اللَّه، وقال غيره، وَمَا لَنَا فِي ألَّا نُقَاتِل في سبيل اللَّه، وأسقط «في» وقَال بعْضُ النحويين إنما دخلت «أن» لأنَّ «ما» معناه ما يمنعنا فلذلك دخلت «أن» لأن الكلام ما لك تفعل كذا وكذا.

والقول الصحيح عندي أنَّ «أن» لا تلغى ههنا، وأن المعنى وأي شي لنا في أنْ لا نقاتل في سبيلِ اللَّه، أي أي شيء لنا في ترك القتال.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا من دِيَارِنا وأَبْنَائِنَا﴾.

ومعنى ﴿وأبنائِنا﴾، أي «سُبِيَتْ ذرارينا».

ولكنَّ «في» سقطت مع «أن» لأن الفعلَ مُستَعمل مع أن دالا على وقت معلوم، فيجوز مع «أن» حذف حرف الجر كما تقول: هربت أن أقول (لك)[1] كذا وكذا، تريد هربت أن أقول لك كذا وكذا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تولَّوْا إلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.

﴿قليلاً﴾ منصوب على الاستثناءِ، فأما من روى «تولَّوْا إلا قليلٌ منهم» فلا أعرف هذه القراءَة، ولا لها عندي وجه، لأن المصحف على النصب والنحو يوجبها، لأن الاستثناءَ ـ إذا كان أولُ الكلام إيجاباً ـ نحو قولك جاءَني القوم إلا زيداً ـ فليس في زيد المستثنى إلا النصب[2] ـ والمعنى تولوا أَسْتَثْنِي قَليلاً مِنْهم ـ وإنما ذكرت هذه لأن بعضهم روى «فشربوا منه إلا قليلٌ منهم» وهذا عندي ما لا وجه له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُمْ: إنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكاً﴾.

---

(١) ك فقط.

(٢) أي أن المستثنى منه تام موجب فلا بد من نصب المستثنى وعبارة المؤلف غير جيدة لخلو الخبر من الرابط.

أي قد أجابكم إلى ما سألتم. من بعث ملك يقاتل، وتقاتلون معه وطالُوت وجالُوت وداوُد. لا تنصرف لأنها أسماء أعجمية، وهي معارف فاجتمع فيها شيئان ـ التعريف والعجمة، وأما جاموس فلو سميت به رجلاً لأنصرف، وإن كان عجمياً لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام، فتقول الجاموس والرَّاقُودُ(١).

فعلى هذا (قِيَاسُ جميع)(٢) الباب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾.

أي من أي جهة يكون ذلك.

﴿ولم يُؤت سَعةً من المال﴾ أي لم يؤت ما تَتَمَلَّكُ به الملوك.

فأعلمهم اللَّه أنه ﴿اصطفاه﴾ ومعناه اختاره، وهو «افتعل» من الصفوة، والأصل اصتفاه فالتاءُ إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء، والطاء مطبقة، كما أن الصَّادَ مطبقة، فأبدلوا الطاء من التاء، ليسهل النطق بما بعد الصاد، وكذلك افتعل من الضرب: اضطرب، ومن الظلم اظطلم، ويجوز في اظطلم وجهان آخران، يجوز اطَّلم بطاءٍ مشددة غير معجمة واظَّلم بظاء مشددة قال زهير:

هو الجواد الذي يعطيك نائلَهُ عفواً ويُظْلم أحياناً فيظطلم(٣)

و «فيطَّلم» و «فيظَّلِم».

أعلمهم اللَّه أنه اختاره، وأنه قد زِيدَ في العلم والجسم بسطة، وأعلمهم أن العلم [هو] الذي به يجب أن يقع الاختيار(٤) ليس أن اللَّه جلّ وعزّ: لا

---

(١) الراقود: دَنّ كبير يدهن أسفله بالقار، وسمكة صغيرة. (٢) في ك فقط.

(٣) الديوان ١٥٢، اللسان (ظلم) والمقاصد ٤/٥٨٢. وهو من الشواهد الشائعة. ـ يريد أنه يغضي عن الانتقام مع سخائه وجوده.

(٤) ك الذي يجب أن يقع به

يُمَلَّكَ إلا ذا مال، وأعلم أن الزيادة في الجسم مما يهيب بـه العدو، وأعلمهم أنـه يُؤتِي مُلْكَه من يشاء، وهو جلّ وعزّ لا يشاء إلا ما هو الحكمة والعدل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي يوسع على من يشاء ويعلم أين ينبغي أن تكون السعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾.

أي علامة تمليك اللَّه إياه﴿أَن يَأْتِيَكُم التَّابُوتُ﴾.

وموضع﴿أَنْ﴾ رَفْعٌ المعنى: إنَّ آية ملكه إتيانُ التابوت إيَّاكم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُم﴾.

أي فيه ما تسكنـون به إذا أتـاكم، وقيل في التفسـير إن السكينة لهـا رأس كرأس الهِر من زبرجد أو ياقوت، ولها جناحان[١].

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَـٰرُونَ﴾.

قيل في تفسيره: البقيةُ رضاض[٢] الألواح وأن التوراة فيه وكتاب آخـر مع التوراة وعصا موسى. فهذا ما رُوِيَ مِمَّا فيـه، والظاهـر، أن «فيه بقيـة» جائـز أن يكـون بقية من شيء من عـلامات الأنبيـاءَ، وجائـز أن يكون البقيـة من العلم، وجائز أن يتضمنها جميعاً.

والفـائدة ـ كـانت ـ في هـذا التـابـوت أن الأنبيـاءَ ـ صلوات اللَّه عليهم ـ كانت تستفتح[٣] به في الحروب، فكان التابوت يكون بين أيديهم فـإذا سُمِعَ من جوفه أنين دف التابوت[٤] أي سار والجميع خلفه ـ واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

---

(١) كانوا يحملون هذا الصندوق ـ التابوت ـ معهم في الحرب تيمناً به ـ فلما أخذ منهم قيل لهم أن مما يثبت ملك طالوت أن تستردوا الصندوق، فتسكن به نفوسكم وتطمئن.

(٢) في ك رضاض كسر الألواح، أي حطامها.

(٣) تطلب الفتح ـ تتفاءل باصطحابه.

(٤) اهتز واضطرب، وفي ك. سار وسار الجميع.

وروي[1] في التفسير أنه كان من خشب الشمشار[2] وكان قد غلب جالوتُ وأصحابُه عليه فنزلهم بسببه داء، قيل هو الناسور الذي يكون في العنب فعلموا أن الآفة بسببه نزلت، فوضعوه على ثورين فيما يقال، وقيل معنى تحمله الملائكة: إنها كانت تسوق الثورين وجائز أن يقال في اللغة تحمله الملائكة، وإنما كانت تسوق ما يحمله، كما تقول حَمَلْتَ متاعي إلى مكة، أي كنت سبباً لحمله إلى مكة.

ومعنى ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُم﴾.

أي في رجوع التابوت إليكم علامة أن اللَّه ملك طالوت عليكم إذ أنبأكم في قصته بغيب.

﴿إنْ كُنْتم مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مصدقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾.

معناه مختبركم وممتحنكم بنهر، وهذا لا يجوز أن يقوله إلا نبي، لأن اللَّه عزّ وجلّ قال: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إلَّا مَنِ ارتَضَى مِن رَسُولٍ﴾[3] ومعنى الاختبار بهذا النهر كان ليعلم طالوت من له نيَّةُ القِتَال معه ومن ليسَتْ له نيَّةٌ. فقال: ﴿فَمَنْ شَرِبَ منْه فَلَيْسَ مِنِّي﴾.

أي ليس من أصحابي ولا ممّن تبعني، ومن لم يطعَمْه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإنَّهُ مِنِّي﴾ أي لم يتطعم به[4].

﴿إلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، غُرفة وغَرفَة قرئ بهما جميعاً فمن قال غَرفَة

---

(١) ك ويروى.

(٢) شجر ينبت بالبادية وقيل هو خشب الساج.

(٣) الجن ٧٢ ـ ٧٦.

(٤) من الطعام أو من الطعم. لم يذق طعمه. أو يتخذه طعاماً.

كان معناه غَرفة واحدة باليد. ومن قال غُرفة كان معناه مقدار ملء اليد.

ومعنى ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾

شربوا منه ليرجعوا عن الحرب، لأنه قد أعلمهم ذلك.

وذكر في التفسير أن القليل الذين لم يشربوا كان عدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدد أهل بدر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾.

أي جاوز النهر هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ. قيل لما رأوا قلتهم، قال بعضهم لبعض: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

أي لا قوةَ، يقال أطقتُ الشيءَ إطاقةً وطَوْقاً، مثل أطعت طاعة وإطاعَة وطَوْعاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾.

قيل فيه قولان: قال بعضهم وهو مذهب أهل اللغة ـ قال الذين يوقنونَ أنهم مُلاقو الله[1] قالوا ولو كانوا شاكين لكانوا ضُلالاً كَافِرين وظننت في اللغة بمعنى أيقنت موجود.

قال الشاعر ـ وهو دريد:

فقلت لهم ظُنوا بالفيء مُدَجَّجٍ سراتهم في الفَارِسي المسَرَّدِ[2]

أي أيقنوا.

وقال أهل التفسير: معنى ﴿يظنون أنهم ملاقو اللّه﴾ أي أنهم كانوا يتوهمون أنهم في هذه الموقعة يقتلون في سبيل اللّه لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وعظم عددِ عدُوِّهم، وهم أصحاب جالوت.

(١) ط «الذين يظنون» وهو سهو من الناسخ.

(٢) تقدم شرح البيت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّه﴾.

أي كم من فرقة، وإنما قيل للفرقة فئة ـ من قولهم فأوت رأسه بالعصا، وفأيْتُ إذَا شَقِقْتُه، فالفِئَةُ الفِرقَةُ مِنْ هذَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابرينَ﴾.

(أي أنَّ اللَّه ينْصرُ الصَّابِرينَ)[1]، إذا صبروا على طاعته، وما يُزْلِفُ عنده.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾.

أي أصْبُبْ علينا الصَّبرَ صبًّا، كما تقول: أفرغتُ الإِنَاءَ إذا صببْتُ ما فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

معناه كسروهم وردوهم، وأصل الهزم في اللغة كسر الشيء، وثنى بعضه على بعض، يقال سقاء مَهْزُوم، إذا كان بعضه قد ثنى على بعض مع جفاف، وقَصب مُتَهزِّم، ومهْزُوم، قد كسر وشقق، والعرب تقول هَزَمتُ على زيدٍ أي عطفتُ عليه، قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا بنْتَ مَالكٍ ... فجُودِي علينا بالنَّوالِ وأَنْعِمِي[2]

ويقال: سمعت هَزْمَةَ الرَّعْدِ، قال الأصْمَعِي كأَنَّهُ صوتٌ فِيه تشقُّقٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ وَالحِكْمَةَ﴾.

أي آتى داود عليه السلامُ الملك لأنه مَلَكَ بعد قتله جالوت وأُوتي العلم.

ومعنى ﴿وعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾.

قيل مِمَّا علَّمه عمَلُ الدُّرُوعِ، ومنْطِقُ الطَّيْر.

---

(١) ليست في ك. وعبارتها إذا صبروا في طاعته وما يزلف لديه.

(٢) لأبي بدر السلمي ـ اللسان (هزم) أي عطفت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

أي لولا ما أمر اللَّه به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض وقيل أيضاً: لولا دفع اللَّه الكافرين بالمسلمين لكثر الكُفْر فنزلت بالناس السخطة واستُوْصِل أهلُ الأرض.

ويجوز ﴿ولولا دفْعُ اللَّه﴾، ولولا دِفاعُ اللَّه.

ونُصِبَ ﴿بعضهم﴾ بدلاً من الناس، المعنى ولولا دفع اللَّه بعض الناس ببعض، ودفعُ مرفوعٌ بالابْتِدَاءِ، وقد فسرنا هذا فيما مضى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْك بِالحَقِّ﴾.

أي هذِه الآياتُ التي أنْبأْتُ بها وَأُنْبِئْتَ، آياتُ اللَّه أي علاماته التي تدُلّ على توْحيدِه، وتَثْبيتِ رسالاتِ أَنْبِيَائِه، إذْ كان يعجز عن الإتيان بمثلها المخلقون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

أي وأنت من هؤُلاءِ الذين قصصْتُ آياتهم، لأَنَّك[1] قَدْ أُعْطِيتَ مِنَ الآياتِ مثل الذي أُعْطُوا وزدْتَ على مَا أُعْطُوا.

ونحنُ نبين ذلك في الآية التي تليها إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ﴾.

﴿الرسل﴾ صفة لتلك[2] كقولك أُولئِك الرسلُ فضلنا بعضهم على بعض إلَّا أنَّهُ قيل تِلْك للجماعة، وخبر الابتداءِ ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾.

ومعنى: ﴿مِنهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: أَي من كلمَّهُ اللَّه.

---

(١) في ك - لأنك - تقول - أعطيت.

(٢) تابع - بدل أو عطف بيان. وسبق أن الزجاج يسمى التابع صفته.

والهاء حُذفت من الصلة لطول الاسم، وهو مُوسى ﷺ أَسْمَعَه (اللَّه)[1] كلامه من غير وحي أتاه به عن اللَّه مَلَكٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى بنَ مَرْيَم البَيِّنَاتِ﴾.

أي أعطيناه. والبينـاتُ الحُجَجُ التي تَـدُلُّ على إثبـات نُبُوَّتـه ﷺ من إبراء الأَكْمه والأَبرص وإحياءِ المَوْتى والإِنباءِ بما غاب عنه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾.

جاءَ في التفسير أنـه يُعْنَى به محمـد ﷺ أُرْسِل إلى الناس كافـة، وليس شيءٌ من الآيات التي أُعطيها الأَنبياء إلا والـذي أُعطى محمـدٌ ﷺ أكثر مُنْـه، لأنه ﷺ كلَّمتْه الشَّجرةُ، وأَطْعَمَ من كفٍّ التَّمر خلقاً كثيـراً، وأَمرَّ يـده على شـاة أمّ معبد فدرت وحلبت بعد جفاف، ومنها انشقاق القمر، فـإن النبي ﷺ رأى الآيات في الأَرض ورآها في السماءِ، والذي جاءَ في آيات النبي كثير.

فأَما انشقاق القمر وصحته فقد روينا فيه أَحاديث:

حدثني اسماعيل بن إسحق قال: حدثنا محمد بن المُنْهَال، قال حدثنا يزيد ابن زُرَيْـع عن سعيد عن قُتادة عن أنس قـال: سـأَل أهـل مكـة النبيَّ ﷺ آيـةً فأَراهم انشقاقَ القَمَرِ فِرْقَتَيْن، وحدثني مُسـدّد يرْفعـه إلى أَنس أَيضاً مثـل ذلك، ونحن نذكر جميع ما روى في هذا الباب في مكـانه إن شـاءَ اللَّه[2]، ولكنا ذكـرنا ههنا جملة من الآيات لنُبينَ بها فضل النَّبيِّ ﷺ فيما أَتى به من الآيات.

ومن أَعظم الآيات القرآنُ الذي أَتى بـه العرب وهم أَعلم قـوم بالكـلام، لهم الأَشعار ولهم السجع والخَطَابةُ، وكـلِ ذلك معـروف في كلامهـا، فقيل لهم ائتوا بعشْر سُورٍ فعجزوا عَنْ ذلك، وقيل لهم ائتوا بسورة ولم يشترط عليهم فيهـا

---

(١) لست في ك.

(٢) ذكر ذلك في أول سورة القمر.

أن تكون كالبقرة وآل عمران وإنما قيل لهم ائتوا بسورة فعجزوا عن ذلك.

فهذا معنى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَات﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَل الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

يعني من بعد الرسل: ﴿مِنْ بَعدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ﴾.

أي من بعد ما وضحت لهم البراهين، فلو شاءَ اللَّه ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة، ويجوز أن يكون «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا إقْتَتَلُوا» أي لو شاءَ اللَّه أن يضطرهم أن يكونوا مؤمنين غير مختلفين لفعل ذلك كما قال: ﴿ولو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾.

أي أنفقوا في الجهاد وليُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ قَبْل أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ ولاَ خُلَّةٌ﴾.

يعني يوم القيامة «والخُلَّةُ» الصداقة، ويجوز لا بيعَ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ، ولا بيعٌ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ، على الرفع بتنوين والنصب (بغير تنوين)[2]، ويجوز لا بيعَ فيه ولا خلة ولا شفاعةَ بنصب الأول[3] بغير تنوين وعطف الثاني على موضع الأول، لأن موضعه نصب، إلا أن التنوين حذف لعلة قد ذكرناها، ويكون دخول «لا» مع حروف العطف مؤكداً، لأنك إذا عطفت على موضع ما بعد «لا» عطفته بتنوين، تقول: لا رجلَ وغلاماً لك، قال الشاعر:

---

(١) سورة الأنعام / ٣٥ والمحذوف في الآيتين هو مفعول المشيئة وهذا معروف في هذا الفعل.

(٢) ليست في ك.

(٣) كما هي عادته يعبر عن المبني على الفتح بالنصب ـ وهو يعني فتح اسم لا.

فـلا أَب وابنـاً مثـل مـروان وابنِـه إذا هُـو بـالمجـد ارتـدى أَو تـأَزَّرا[١]

ومعنى: ﴿والكَافِرُون هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أي هم الذين وضعوا الأَمر غير موضعه وهذا أَصل الظلم في اللغة وقـوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾.

يروى عن ابن عباس رحمة اللَّه عليه أَنه قال: أَشـرف آية في القـرآن آية الكرسي.

وإعراب﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ النصبُ بغير تنوين في ﴿إِلَه﴾.

المعنى لا إِلـه لكل مخلوق إلا هُـو، وهو محمـول على موضـع الابتداء المعنى مـا إِلهٌ للخلق إلا هـو، وإِن قلت في الكلام لا إِلـهٌ إِلا اللَّه جـاز، أَمـا القرآن فلا يقرأ فيه إِلا بما قد قرأَتْ القراءُ بِه، وثَبَتتْ به الرواية الصحيحة، ولو قيل في الكلام لا رجلَ عندك إلَّا زيداً جاز، ولا إِله إِلا اللَّهَ جاز ولكنَّ الأَجـودَ ما في القرآن، وهو أَجودُ أَيضاً في الكلام، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢].

فإذا نصبت بعد إلا فإنما نصبت على الاستثناء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الْحَيُّ القَيُّـومُ﴾

معنى ﴿الحي﴾ الدائم البقاء، ومعنى ﴿القيوم﴾ القائم بتدبير سائر أَمر خلقه، ويجوز القيَّامُ، ومعناهما واحد.

فهـو اللَّه عزّ وجـلّ قائم بتـدبير أَمـر الخلق في إِنْشـائِهِم وَرِزْقِهِمْ وعلمـه

---

(١) لرجل من بني عبد مناة يمدح مروان بن الحكم وابنه عبد الملك وتـأزر: لبس الأزار والرداء مـا فوقه، يعني أنهما لا يباريهما أحد في المجد.

(٢) الصافات ٣٧ ـ ٢٥.

بأمكنتهم وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابةً فِي الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّه رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[١].

ومعنى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي لا يأخذه نعاس.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾.

وتأويله أنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق.

ومعنى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

أي لا يشفع عنده إلا بِمَا أمر به من دعاء بعض المسلمين لبعْض ومن تعظيم المسلمين أَمْرَ الأنبياء والدعاء لهم، وما علمنا من شفاعة النبي ﷺ وإنما كان المشركون يزعمون أنَّ الأصنام تشفع لهم، والدليل على ذلك قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[٢] وذلك قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[٣]، فَأَنْبَأَ اللَّهُ عزّ وجلّ أن الشفاعة ليست إلا ما أعلَم من شَفاعة بَعْضِ المؤمنين لبعض في الدعاء وشفاعة النبي ﷺ.

ومعنى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

أي يعلم الغيب الذي تقدمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم.

ومعنى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بشيءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾.

أي لا يعلمون الغيبَ لا مِمَّا تقدَّمهُمْ ولا مما يكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ.

ومعنى: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: إلا بما أنبأ به ليكون دليلاً على تثبيت نبوتهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

قيل فيه غير قول، قال ابن عباس: كرسيُّه علمه، ويروى عَنْ عطاءٍ أنه

---

(١) سورة هود ١١ ـ ٦.

(٢) الزمر (٣٩) آية ٣.

(٣) يونس (١٠١) آية ١٨.

قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلا حَلْقَةٌ في فلاة، وهـذا القول بين لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيءُ الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدل أن الكرسي عظيم، عليه السموات والأرضُونَ، والكرسيُّ في اللغة والكراسةِ إنما هو الشيءُ الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً، والكرسي ما تَلَبَّد بعضُه على بعض في آذان الغنم ومعاطن الإبل. وقال قوم: ﴿كُرسيُّه﴾ قُدْرتُه التي بها يمسك السموات والأرض، قالوا: وهذا قولك إجعل لهذا الحائط كرسياً، أي إجعل له ما يعْمِدُه ويُمسكه، وهذا قريب من قول ابن عباس رحمه اللَّه. لأن علمه الذي وسع السموات والأرض لا يخرج من هذا، واللَّه أعْلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملته أنه أمر عظيم من أمره ـ جلّ وعزّ.

ومعنى: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

أي لا يُثقله، فجائز أن تكون الهاءُ للَّه عزّ وجلّ، وجائز أنْ تكون للكرسي، وإذا كانت للكرسي فهو من أمر اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

﴿إكراه﴾ نصب بغير تنوين، ويجوز الرفع «لَا إِكْرَاهٌ» ولا يُقرأ به إلَّا أن تَثْبُت روايةٌ صحيحةٌ

وقالوا في ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ثلاثة أقوال: قال بعضهم إن هذه نسخها أمر الحرب في قوله جلّ وعزّ: ﴿واقْتُلُوهُمْ حيْث ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[1] وقيل إن هذه الآية نزلت بسبب أهل الكتاب في أنَ لا يكرهوا بعد أن يؤدوا الجزية، فأما مشركو العرب فلا يقبل منهم جزية وليس في أمرهم إلا القَتْلُ أو الإسلام. وقيل معنى ﴿لا إكراه في الدين﴾ أي لا تقولوا فيه لمن دخل بعد حرْبٍ أنَّهُ دخَل مكرهاً، لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره.

---

(١) البقرة ٢ آية ١٩١.

ومعنى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ﴾.

قيل الطاغوت مَرَدَةَ أَهل الكتاب، وقيل إن الطاغوت الشيطان، وجملته أَن من يكفر[1] به، وصدق باللَّه وما أَمر به فقد استمسك بالعروة الوثقى، أَي فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً لا تحله حجة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا انْفِصَام لَهَا﴾: لا إنقطاع لها.

يقال فصمت الشيءَ أَفْصُمُه فصماً أَي قطعته.

ومعنى: ﴿واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أَي يسمع ما يعقد على نفسه الإنسان من أَمر الإيمان، ويعلم نيته في ذلك[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يقال قد توليت فلاناً، ووليت فلاناً ولايةً، والوِلاَيَةُ بالكسر اسم لكل ما يتولى، ومعنى ﴿وَلِيَّ﴾ على ضروب، فاللَّه ولي المؤْمنين في حِجَاجِهم وهدايتهم، وإقامةِ البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية، كما قال عزّ وجلّ: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[3]. ووليهم أَيضاً في نصرهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، ووليهم أَيضاً بتولي قولهم ومجازاتهم بحسن أَعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

أَي يخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور الهدى لأَن أَمر الضلالة مظلم غير بين، وأَمر الهدى واضح كبيان النور، وقد قال قوم ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظلماتِ إِلَى النُّورِ﴾ يحكم لهم بأَنهم خارجون من الظلمات إلى النُّور، وهذا ليس قولَ أَهل التفسير، ولا قول أَكثر أَهل اللغة. إنما قاله الأَخفش وحده.

---

(١) في ك: من يكفر بما خالف أمر اللّه.

(٢) في ك فيه.

(٣) سورة القتال ٤٧ آية ١٧.

والدليل على أنه يزيدهم هدى ما ذكرناه من الآية، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾[1].

ومعنى: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُم الطَّاغُوتُ﴾.

أي الذين يتولون أمرهم هم الطاغوت «وقد فسرنا الطاغوت» و﴿الطاغوت﴾ ههنا واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة، قال الشاعر:

بِها جيفُ الحَسْرى فأما عِظامها ... فَبِيضٌ، وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[2]

جلدها في معنى جلودها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّه﴾.

هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه[3]، ولفظها لفظ استفهام، تقول في الكلام: ألم تر إلى فلان صنع كذا وصنع كذا. وهذا مما أَعْلِمَه النبي ﷺ[4] حُجَّةً على أهل الكتاب ومشركي العرب لأنه نبأٌ لا يجوز أن يعلمه إلا من وقف عليه بقراءَة كتاب أو تعليم معلم، أو بوحي من الله عزّ وجلّ: فقد علمت العرب الذين[5] نشأ بينهم رسول الله ﷺ أنه أُمِيٌّ، وأنه لَمْ يُعَلَّمْ التوراةَ والإنجيلَ وأخبارَ من مضى من الأنبياءِ، فَلم يبق وجه تعلم منه هذه الأحاديث إلا الوحيُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ﴾.

أيْ آتى الكافرَ الملكَ، وهذا هو الذي عليه أهل التفسير وعليه يصح

---

(١) ليست في ك والاية سورة ٩ ـ ١٢٤.

(٢) تقدم شرحه

(٣) كلمة ﴿ألم تر﴾.

(٤) في ط علمه.

(٥) في ط الذي.

المعنى، وقال قوم إن الذي آتاه اللَّه الملك إبـراهيمَ عليه السـلام وقالـوا: اللَّه عزّ وجلّ لا يُمَلِكُ الكفّارَ.

وإنما قالوا[1] هذا لذكره عزّ وجلّ: «آتاه الملك» واللَّه قال:

﴿تُؤْتي المُلكَ مَنْ تَشَاءُ وتنـزع الملك مِمَّنْ تَشَاءُ، وتُعِـزُّ مَنْ تَشَاءُ وتُـذِل مَنْ تَشَاءُ﴾[2]. فتـأويل إيتاءِ اللَّه الكافرَ الملكَ ضرب من امتحانـه الذي يَمْتَحِنُ اللَّه به خلقه، وهو أعلم بوجه الحكمة فيه.

والدليل على أَن الكافر هو الذي كـان مُلِّكَ أَنه قال: ﴿أَنا أُحيي وأُميت﴾ وأَنه دعا برجلين فقتل أَحدهما وأَطلق الآخر، فلولا أَنه كان ملكاً وإبراهيمُ عليه السلام غيرَ ملك لم يتهيأْ له أَن يقتل وإبراهيم الملك، وهو النبي عليه السلام.

وأَما[3] معنى احتجاجـه على إبراهيم بـأَنه يحيى ويميت، وتـرك إبراهيم منـاقضته في الإحيـاءِ والإماتـة، فمن أَبلغ ما يقـطع به الخصـوم ترك الإطـالـة والاحتجاج بالحجة المُسْكِتةِ لأَن إبراهيم لما قال له: ﴿فَـإِنَّ اللَّه يأْتي بـالشمس من المشـرق فأْت بهـا من المغـرب﴾ كـان جـوابـه على حسب مـا أَجـاب في المسأَلة الأُولى أَن يقول:[4] فأَنا أَفعل ذلك فَتَبَيَّن عجزُه وكان في هذا إسْكَـاتُ الكَافِرِ فقال اللَّهُ عزَّ وجلّ:

﴿فَبُهِتَ الَّـذِي كَفَر﴾ وتـأْويله انقطع وسَكتَ مُتحَيّـراً، يقال: بُهِتَ الـرجل يُبْهَتُ بُهْتاً إذا انقطع وتحير، ويقال بهذا المعنى «بَهِتَ الرجل يَبْهَتُ»[5]، ويقال بَهَتُّ الرجل أَبْهَتُه بُهْتاناً إذا قابلتُه بكذبٍ.

---

(١) في ط الذي قالوا.

(٢) سورة آل عمران ٣ آية ٢٦.

(٣) في ك فأما.

(٤) كان مقتضي الإجابة الأولى أن يقول هنا: أنا آتي بالشمس من المغرب، ولكنه لا يستطيع فتبين عجزه.

(٥) عبارة ك: ويقال بهت بهذا المعنى، بهت الرجل وبهت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أو كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيةٍ﴾.

هـذا الكلام معـطُوف على معنى الكـلام الأول، والمعنى - واللَّه أعلم - أرأيت كالذي مـرَّ على قَريـةٍ، والقريـة في اللغة سميت قـرية لاجتمـاع الناس فيها، يقال قَرَيْتُ المَاءَ في الحوضِ إِذَا جمعتُه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهِيَ خَاوِيةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

معنى ﴿خاوية﴾: خالية - و ﴿عروشها﴾ - قال أبو عبيدة: هي الخِيَامُ وهي بيوت الأعـراب، وقال غير أبي عبيدة: معنى ﴿وهي خاوية على عروشهـا» بَقِيَتْ حيطانُها لا سُقُوف لها. ويقال خَوتِ الدار والمدينة تخْوي خَـواءً - ممدود - إذا خلت من أهلها، ويقال فيهـا: «خَوِيَتْ» والكـلام هو الأول - ويقـال للمرأة إذا خَلَا جوفُها بعدَ الولادةِ وللرجل إذا خَلا جوفُـه من الطَّعـام - قدْ خـوِيَ وَيَخْوَى خَوًى - مقصور - وقد يقال فيه خَوَى يخْوِي - والأولُ فِي هَذَا أجود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِه اللَّهُ بعْدَ مَوْتِهَا﴾.

معناه منْ أَيْنَ[1] يُحيِي هَذه اللَّهُ بعْدَ مَوْتهَا.

وقيـل في التفسير إنـه كان مؤمنـاً وقد قيـل إنه كـان كافـراً، ولا ينكر أن يكون مُؤمناً أحبَّ أن يـزداد بصيرة في إيمـانه فيقـول: ليت شعري كيف تُبْعَثُ الأموات كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِ أرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَماتَهُ اللَّه مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَه﴾.

معناه ثم أحياه لأنه لا يُبْعث ولا يتصرف إلا وهو حي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾.

---

(١) الاستفهام على هذا يعني الاستبعاد - وفي الشرح الآتي فسره بكيف ومعناه التعجب وهو أولى.

يقــرأ بتبيين الثَّـاءِ، وبــإدغـام الثــاءِ في التـاءِ، وإنمــا أُدغمت لقـرب المخرجين.

ومعنى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أنه كان أُميت في صدر النهار ثم بعث بعـد مائـة سنة في آخـر النهار، فـظن أَنَّ مقـدار لُبثه مــا بين أَول النهـار وآخره، فأَعلمه اللَّه أَنه قد لبث مائة عام وأَراه علامة ذلـك ببلَى عظام حمـاره، وأَراه طَعَامَه وشَرَابه غير متغير وأَراه كيف﴿يُنْشِـزُ العِظَامَ، وكيف تُكْتَسَى اللحمَ﴾ فقال:

﴿فَٱنْظُر إِلَى طَعَامِكَ وشَرَابكَ لَمْ يَتَسنَّه﴾.

يجـوز بإِثبـات الهـاءِ وبـإِسقـاط الهـاءِ[1] في الكـلام، ومعنـاه لم تغيـره السنـون، فمن قال في السنـة سانهت فـالهاءُ من أَصـل الكلمة، ومن قـال في السَّنَة سَانَيت فالهاءَ زيدت لبيان الحركة، ووجـه القراءَة على كـل حال إثبـاتُها والوقوفُ عليها بغير وصل[2] فمن جَعَلَهُ سانيت ووصلها إن شاءَ أَو وقفهـا على من جعله من سانهت، فأَما من قال: إِنه من تغير من أَسِنَ الطعام يأْسَنُ فخطأٌ. وقد قال بعض النحويين إنه جـائز أَن يكون من (التغيير)[3] من قـولك من حمـإٍ مسنون وكأَن الأَصل عنده «لم يتسنن» ولكنه أَبدل من النون ياءً كما قال:

تقضـي البــازي «إذا البــازي كَشَــرْ»[4].

---

(١) ك من الكلام.

(٢) ك. الوقوف عليها بهاء السكت. أي فـإذا وصـلت كـلامــك أسقطتهـا من لفظك فقلت لم يتسن، وانظر ومن جعله من سنهت أثبت الهاء في لفظه وقف أو وصل.

(٣) ليست في ط.

(٤) العجـاج اللسان. (قضض، ضبـر). وانظر ص ٢٣٤ يمــدح عمــر بــن عبــد الله بن معمر القرشي:

لقــد سمـــا ابن معمــر حين اعتمــر ....
إذا الــكــرام ابــتــدروا الــبــاع بــدر تقضــي البــازي إذا البــازي كشــر

يريد تقضض، وهذا ليس من ذاك لأن «مسنون» إنما هو مَصْبُوب على سنة الطريق[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وانْظُرْ إلى العِظام كَيْف نُنْشِزُها﴾.

يقرأ ﴿نُنْشِزُها﴾ بالزاي، ونُنْشِرُها، ونَنْشُرُهَا [بالراءِ] فمن قرأ نُنْشِزُها كان معناه نجعلها بعد بِلاها وهجودها ناشزه ينشز بعضها إلى بعض، أي يرتفع، والنَّشَزُ في اللغة ما ارتفع عن الأرض، ومن قرأ نُنْشِرُها، ونَنْشُرُها، فهُو من أنْشَر اللَّه الموتى ونشرهم ـ وقد يقال نَشَرهم اللَّه أي بعثهم، كما قال: ﴿وإليه النُّشُورُ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلمَّا تَبَيَن له قَال أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

(معناه: فلما تبين له كيف إحياء الموتى. قال: ﴿أَعْلَمُ أَن اللَّه على كل شيءٍ قدير﴾، فإن كان كلما قيل أنه كان مؤمناً، فتأويل ذكره: ﴿أعلم أن اللَّه على كل شي قدير﴾[3] ليس لأنه لم يكن يعلم قبل ما شاهد ولكن تأويله: أني قد علمت ما كنت أعلمه غيباً ـ مشاهدة، ومن قرأ «أعْلَمْ أن اللَّه على كل شيءٍ قدير» فتأويله إذا جزم أنه يُقْبل على نفسه فيقول: «أعْلَمْ أيها الإنسان أن اللَّه على كل شيءٍ قدير» ـ والرفع على الإخبار[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإذْ قَالَ إبراهيمُ ربِّ أَرِني كَيْفَ تُحْيي الْمَوْتَى﴾.

وأوردها في (ضبر) بالسين. من كسر الطائر يكسر كسرا وكسورا إذا ضم جناحيه حتى ينقض ـ فإذا ذكرت جناحيه قلت: كسر جناحيه كسراً. يقال: انقض الطائر، وتقضض وتقضى ـ على التحويل.

(١) تابع الزجاج هنا أبا عبيدة وجمهور المفسرين أنه منتن.

(٢) الملك ـ ١٨.

(٣) ما بين القوسين ليس في ط.

(٤) أي المضارع لإخبار المتكلم عن نفسه أنه قد إقتنع.

موضع ﴿إذ﴾ نصب، المعنى أذكر هذه القصة ـ وقوله ﴿ربِّ أرِني﴾. أصله أرْإني، ولكن المجمع عليه في كلام العرب والقراءَة طرح الهمزةِ، ويجوز «أرْني». وقد فسرنا إلْقَاءَ هذه الكسرة فيما سلف من الكتاب، وموضع ﴿كيف﴾ نصب بقوله: ﴿تحْيي الموْتَى﴾[1] أي بأي حال تحيي الموْتى وإبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً ولكنه لمْ يكن شَاهَدَ إحْياءَ ميّتٍ، ولا يعْلم كيف تجتمع العظام المتفرقةُ الباليةُ، المستحيلة[2]، من أمكنة متباينة فأحب علم ذلك مشاهدة.

ويروى في التفسير أنه كان مرَّ بجيفَةٍ على شاطىءِ البحر والحيتان تخرج من البحر فتنتف من لحم الجيفة، والطيرُ تَحُط عليها وتَنْسِرُ[3] منها، ودوابُّ الأرض تأكلُ منها، ففكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة فحلَّ في حيتان البحر وطير السماءِ ودواب الأرض ثم يعود ذلك حياً، فسأل اللَّه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره اللَّه أن يأْخذ أربعة من الطير، وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿فَصُرْهُنَّ إليك﴾.

وتقرأ فَصِرْهُنَّ إليك ـ بالضم والكسر ـ.

قال أهل اللغة: معنى صرهن أمِلْهن إليك، وأجمعهن إليك، قال ذلك أكثرُهم، وقال بعضهم: صرهن إليك أقْطَعْهن، فأما (نظير)[4] صُرهُن أملهن وأجمعهن فقول الشاعر:[5]

---

(1) أي هي حال.

(2) التي تحولت إلى هيئة أخرى.

(3) تقتطع منها نتفاً.

(4) ك فقط. وعبارتها ـ ونظير صرهن وأجمعهن قول الشاعر:

(5) للمعلي بن جمال العبدي وجاء بعده:

يفرق بينها صدع رباع ... له ظأب كما صخب الغريم

وجـاءَت خِلْعـةٌ دهسٌ صفـايـا يصــور عنـوقَهــا أَحْـوى زَنيم

المعنى أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا الكبش الأحوى.

ومن قال صرت: قطعت، فالمعنى فخذ أربعة من الطير فصرهن أي قَطِّعْهُنَّ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا. المعنى إجعل على كل جبل من كل واحـد منهن جزءًا. ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام ثم دعاهن فنظر إلى الريش يسعى بعضه إلى بعض، وكذلك العظام واللحم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكيمٌ﴾.

﴿عزيز﴾ أي لا يمتنع عليه ما يريد ـ حكيم فيما يـدبر، لا يفعـل إلا ما فيـه الحكمة.

فشاهد إبـراهيم عليه السـلام ما كـان يعلمه غيبـاً رأْيَ عينْ، وعلم كيف يفعل اللَّه ذلك. فلما قَصَّ اللَّه ما فيه البرهانُ والدِّلالَةُ على أَمر تَوْحيده. وما آتاه الرسل من البيِّنَات حثَّ على الجهاد، وأَعلن أن من عانده بعد هذه البراهين فقد ركب من الضلال أمراً عظيماً وأن من جاهد مَنْ كَفَـر بعدَ هـذا البُرهَـان فله ـ في جهاده ونفقته فيه ـ الثوابُ العظيم، وأن اللَّه عزّ وجلّ وعد في الجنَّة عشْرَ أَمْثالِهَـا من الجهَاد. ووعد في الجهاد أَنْ يُضاعِفَ الواحد بسبع مائة مرة لما في إقامـة الحق من التوحيد[1]، وما في الكفر من عظم الفساد فقال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموَالَهُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(اللسان: دهس وجاء فيه في: (ظأب) رواية أخرى هي:
يصوع عنوقها أحوى زنيم ـ. له ظأب...، وفي (صور) كما هنا ويصوع معناه يسوق أو يجمـع ـ والعنوق جمع عناق: الأنثى من ولد المعز، والأحوى ـ يقصد به التيس الذي به حوة، وهي سواد يميل إلى الحمرة والزنيم ـ الذي له زنم في عنقه. وخلعة: جماعة.

(١) ك أن الواحد يضاعف... لما في الجهاد.

أي جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة، عليم حيث يضعه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتكُمْ بالْمَنِّ وَالأَذَى﴾.

فالمن أَن تمُنَّ بما أَعطيت وتَعْتَدَّ به كأَنك إنما تقصد به الاعتـداد والأَذى أَن تَوبخ المعطي.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن المن والأَذى يبطلان الصدقة كما تبطل نفقـة المنافق الذي إنما يعطي وهو لا يُريدُ بذَلك العَـطاءِ ما عنـدَ اللَّه، إنما يعـطي ليُوهِمَ أنـه مؤْمن(١)، وقال عزّ وجلّ:

﴿فمثلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ﴾.

والصفوان الحجر الأَملس وكذلك الصفا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿عَلَيْه تُرابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾.

والوابل المـطرُ العظيم القَـطْر ـ فإذا أَصـاب هذا المـطرُ الحجرَ الـذي عليه تـراب لم يبْق عليه من التـراب شيءٌ، وكذلـك تبطل نفقـة المنـافق ونفقـة المَنَّـان والمُؤذِي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّه لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾.

أي لا يجعلهم بكفـرهم مهتدين، وقيـل لا يجعل جـزاءَهم على الكفـر أَنْ يهديهم، ثم ضرب اللَّه لمن ينفق يريد ما عند اللَّه ولا يمن ولا يؤذي مثلاً. فقال:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

أَي ليـطلب مرضـاة اللَّه وتثبيتاً من أَنفسهم، أَي ينفقـونها مقـرين أَنها ممـا يثيب اللَّه عليها.

---

(١) في ط بعد هذا إعادة الجملة. قال: فأعلم اللَّه أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما يبطل إنفاق هذا إعطاؤه.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ بفتح الراءِ وبرُبوة. بالضم - وبرِبْوة - بالكسر - وبِرِباوة، وهذا وجه رابع.

والربوة ما إرتفع من الأرض، والجنة البستان، وكل ما نبت[1] وكثف وكثر، وستر بعضه بعضاً فهو جنة - والموضع المرتفع إذا كان له ما يرويه من الماءِ فهو أكثر رِيْعاً من المستنفِل، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن نفقة هؤلاءِ المؤمنين تزْكو كما يزكو نبْتُ هذه الجنة التي هي في مكان مرتفع.

﴿أَصَابَها وَابلٌ﴾: وهُو المطرُ العظيمُ القَطْر.

﴿فآتَتْ أُكُلها﴾: أي ثمرها، ويقرأ أُكْلَهَا والمعنى واحدٌ.

﴿ضِعْفَيْنْ﴾: أي مثلين.

﴿فإنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾.

و ﴿الطل﴾ المطر الدائمُ الصِّغَارِ القَطْرِ الذي لا يكاد يسيل منه المثاعب[2].

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أي عليم، وإذا علمه جازى عليه والذي ارتفع عليه ﴿فطل﴾ [أنَّهُ] على معنى فإن لم يصبها وابل فالذي يصيبها طل[3].

وقوله جلّ ثَنَاؤه: ﴿أَيَوَدُّ أَحدُكُم أَنْ تَكُونَ لَهُ جنَّةٌ مِنَ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾.

هذا مثلُ ضَربهُ اللَّه لهم للآخرة وأَعْلَمَهُم أَنَّ حاجتهم إلَى الأَعمال الصَّالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذُرِّيَّة ضُعفاءُ، فإن احترقت جنته وهو كبير وله ذرية ضعفاءُ انقطع به، وكذلك من لم يكن له في الآخرة عمل يوصله إلى

---

(١) ك: كل نبت كثف.

(٢) الجداول الصغيرة. - جمع مثعب.

(٣) أي هو معطوف على الفاعل.

الجنة فَحسْرتُه في الآخرة ـ مع عظيم الحسْرة فيها ـ كَحَسْرة هذا الكبير المنقَطع به في الدنيا.

ومعنى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾.

الإعصار الريح التي تهب من الأرض كالْعَمُود إلى نَحْو السَّماءِ وهي التي تسميها الناس الزَّوْبَعَةَ، وهي ريح شديدة، لا يقال إنها إعصار حَتَّى تهبَّ بِشدَّةٍ، قال الشاعر:

إنْ كنْتَ ريحاً فقد لاقيتَ إِعْصَاراً[1]

ومعنى: ﴿كذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾.

أي كهذا البيان الذي قد تبين الصَّدَقَة والجهاد وقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ والذي مرَّ على قرية، وجميع ما سلَف من الآيات أي كَمَثل بيان هذه الأقاصيص ﴿يبيِّن اللَّه لكم الآيات﴾، أي العَلاَمَات والدّلالات التي تَحْتَاجُون إليها في أمْر توحيده، وإثْبَات رسالات رسله وثوابه وعقابه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تبارك إسمه: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمُ مِنَ الأَرضِ﴾.

فالمعنى أنفقوا من جَيِّد ما كسبتموه من تجارة، ومن وَرِقٍ وعين، وكذلك من جَيد الثمار، ومعنى ﴿أنفقوا﴾: تصدقوا وكان قوم أتوا في الصدقة برديء الثمار.

ويروى عن النبي ﷺ أنه أمر السعاة الا يُخَرِّصَ الجُعْرَورَ وَمِعَى الفارة[2]

---

(١) مثل عربي في اللسان «عصر».

(٢) الجعرور ضرب من التمر صغار لا ينتفع به ومعي الفارة نوع من النخيل رديء الثمر.

وذلك أنها من رديءِ النخل، فأُمر ألا تخرص عليهم لئلا يعتلوا به في الصدقة[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.

أي لا تقصدوا إلى رديءِ المال، والثمار فتتصدقوا به، وأنتم (تعلمون أنّكم)[2] لا تأْخذونه إلا بالإغماض فيه.

ومعنى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.

يقول: أنتم لا تأْخذونه إلا بوَكْسٍ[3]. فكيف تعطونه في الصدقة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

أي لم يأْمركم بأن تتصدقوا من عَوَزٍ. ولكنه لاختبَاركم، فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمه. يقال قد غَنِيَ زيد يغنى غِنًى - مقصور - إذا استغنى، وقد وقد غَنِيَ القومُ إذا نَزَلوا في مكان يقيهم، والمكان الذي ينزلون فيه مَغْنًى، وقد غَنَّى فلان غِنَاء إذا بالغ في التطريب في الإنشاد حتى يستغنى الشعر أن يزاد في نغمته، وقد غنيت المرأة غُنْيَاناً. قال قيس بن الخطيم:

أَجَدَّ بعمرة غُنْيانُها فتهجرَ أم شأننا شأْنُها[4]

غُنْيانها: غِنَاها. والغواني: النساءُ، قيل إنهن سمين غواني لأنهن غَنِينَ بجمالهن. وقيل بأزواجهن.

وقوله جلّ وعلا: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾.

---

(١) يخرجون صدقاتهم عنها.

(٢) ط فقط.

(٣) الوكس: النقص ووكس الشيء نقص. أي لا تأخذونه إلا مغبونين منقوصاً حظكم.

(٤) الأغاني ٣ - (١٢ - ١٣) ط دار الكتب. يريد أبطرها الثراء والغنى.

وقيس بن الخطيم بن عدي - فارس فاتك: قتل أبوه وجده - وكان قاتل أبيه من الخزرج: وكان قيس طفلاً فلما كبر ثأر لهما- وعمرة هذه هي أم النعمان بن بشير عمرة بنت رواحة، ترجمتها في الاصابة حـ ٨ ص ١٤٦.

يقال الفقْر والفَقْر جميعاً، والمعنى أنه يحملكم على أن تؤدوا في الصدقة رديءِ المال يخوفكم الفقْرَ بإعطاءِ الجيِّدِ - ومعنى ﴿يعدكم الفقر﴾: يعدكم بالفقر ولكن الباءَ حذفت. وأفْضَى الفعل فنصب كما قال الشاعر:(١)

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أُمرت به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَب

ويقال وعدته أعده وَعْداً وعِدةً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً وموْعُوداً وموعودة.

ومعنى: ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ﴾.

أي بأن لا تَتَصَدَّقُوا فَتَتقاطَعُوا.

ومعنى: ﴿واللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرةً مِنْه وَفَضْلاً﴾.

أي يَعِدُكُمْ أن يُجازيكم على صَدقَتكم بالمغْفرةِ، ويَعِدُكم أن يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ.

ومعنى: ﴿واللَّهُ وَاسِعٌ عليمٌ﴾.

﴿واسع﴾ يعطي من سعة، و ﴿عَليمٌ﴾ يعْلَم حيثُ يضَع ذلك، ويعلم الغيبَ والشَّهادَةِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يشَاءُ﴾.

معنى ﴿يؤْتي﴾ يعطي، و﴿الحكمة﴾ فيها قولان: قال بعضهم [هي] النبوة، ويُرْوَى عن ابن مسعود أن الحكمة [هي] القرآنُ، وكفى بالقرآن حِكْمةً، لأن الأُمَّةَ بِهِ صارت علماءَ بعد جهل، وهو وصلة إلى كل علم يُقَرِّب منَ اللَّهِ عزّ وجلّ: وذَريعةٌ إلى رحمته، ولذلك قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ يؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً﴾.

---

(١) ينسب لعدد من الشعراء - الأعشى وخفاف بن ندبة وإياس بن عامر وأعشى طرود والعباس بن مرداس - والمشهور أنه لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

أنظر الكامل ١ - ٣٣ ت أبو الفضل، والخزانة ١ - ٦٦٤ - ١٦٦ والكتاب - ١ - ١٢ باريس. ١٢ - ١٧ ط القاهرة. وابن الشجري ٢ - ٢٤١ وفي كثير من الكتب.

أي أُعْطِيَ كل العلم، وما يوصـل إلى رحمة اللَّه، و﴿يُؤت﴾ جزم بِمَن، والجواب﴿فقَدْ أُوتِيَ خيراً كَثيراً﴾

ومعنى﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾.

أي ما يفكر فكراً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا أُولـو الألباب، أي ذَوُو العُقول. وواحد الألبَاب لُبّ، يقال قَد لَبِبْتَ يا رجُـل[١] وأنت تَلَبُّ، لَبَابَـة ولُبًّا، وقرأتُ على مُحمَّدٍ بن يزيدَ عن يونس: لَبُبْت لَبَابَةً. وليس في المضاعف على فَعُلْتُ غيرُ هذا[٢]، ولم يروه أحد إلا يونسَ، وسألت غيـر البصريين عنـه فلم يَعْرِفْهُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أو نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُه﴾.

أي مـا تصدقتم بـه من فرض لأنـه في ذكر صـدقة الـزكاة وهي الفـرض والنذر: التطوع، [و] كل ما نوى الإنسانُ أن يتطوع به فهو نذر.

﴿فإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾: أي لا يخفى عليـه فهـو يجـازي عليـه، كمـا قـال جـلّ ثَناؤه: ﴿فَمَنْ يَعْمَـلِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْـراً يَره﴾[٣] - يقـال نذرت النَّـذْرَ أَنذِرُهُ وأَنْذُرُه[٤]، والجميع النُّذُورُ، وأَنْذَرْتُ القَوْمَ إذَا أَعْلَمْتُهُمْ وخَوَّفْتُهم إنْذاراً ونَذِيراً ونُـذُراً. قال اللَّه عـزّ وجلّ: ﴿فَسَتَعْلَمُـونَ كَيْفَ نَذِيـر﴾[٥]، وقال جـل ثنـاؤه: ﴿فكيف كَانَ عَذَابِي وَنُذُر﴾[٦].

النُّذُر مثل النُّكُر، والنَّذِير مثل النَّكِير.

---

(١) كعلم يعلم.

(٢) إن كان بمعنى صار ذا لب كحَسُن أي صار ذا حسن فهو قياس جائز. ولكن لم يأت في المصنف.

(٣) الزلزلة ٩٨ - ٧.

(٤) كضرب وكنصر.

(٥) سورة الملك ٦٧ - ١٧.

(٦) سورة القمر ٥٤، ١٦، ١٨، ٣٠.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فنِعمَّا هي﴾.

معنى ﴿إنْ تُبْدوا﴾: تُظْهِرُوا، يُقَالُ بَدَا الشيءُ يبدو إذَا ظَهـرَ، وأَبْدَيتُه أَنَا إبْدَاءً، إذَا أَظهرته، وبدا لي بُدَاءُ إذا تَغيَّر رأيِي عمّا كان عليه، و﴿تُبْدوا﴾ جُزِمَ بإِنْ، وقوله: ﴿فَنعمَّا هي﴾[1] الجواب، وروى أبو عُبَيْدٍ أَنَّ أَبَا جَعْفَر[2] وشَيْبَةَ[3] ونافعاً وعاصماً وأبا عمرو بن العلاءِ قرأُوا: ﴿فنِعْمَّا هي﴾ «بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم»، وروى أن يحيى[4] بن وثَّاب، والأَشْمس وحمزة

(١) في ب نعم.

(٢) هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المخزومي، تابعي مشهور أحد القراء العشرة، قرأ على عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس وأبي هريرة، وروى الحديث عنهم، أُحْضِرَ إلى أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وصلى بابن عمر، وظل يقرىء بالمدينة قرابة ثمانين عاماً، لأنه أقرأ قبل موقعة الحرة ومات سنة ١٣٠، أو ١٣٢، وممن قرأوا عليه نافع بن أبي نعيم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابناه إسماعيل ويعقوب، كما قرأت عليه ابنته ميمونة وزوجها شيبة، لُقِّبَ القارىءَ لأنه كان إمام المدينة في القراءة مدة طويلة، وكان يُقَدَّمُ على عبد الرحمن بن هرمز وهو أيضاً من العُبَّاد - ظل زمناً يصوم يوماً ويفطر يَوْماً ليروض نفسه على العبادة، وكان يصلي في جوف الليل ثماني ركعات يقرأ في كل ركعة سورة من طوال المفصّل، ورُؤي على صدره يوم موته دائرة بيضاء في بياض اللبن فقال أصحابه إنها نور القرآن، وللناس فيه عقيدة حسنة. وهو مولى ابن، عياش. أنظر غاية النهاية ٣٨٨٢.

(٣) هو شيبة بن نصاح من قراء التابعين، تلميذ أبي جعفر وخَتَنُه ومقرئ المدينة معه، كما كان قاضي المدينة.

مولى أم سلمة دعت له هي والسيدة عائشة أن يعلمه الله القرآن، ولفضله وقرآنه قدم ليصلي على السيدة سكينة. أدرك الصحابة، وعرض قراءته على عبد الله بن عباس، وعرض عليه نافع قراءته، كما عرض عليه أبو عمرو بن العلاء وإسماعيل بن جعفر وأخته ميمونة - زوج شيبة.

وهو أول من ألف في الوقف في القرآن، وكان كتابه مشهوراً متداولاً، توفي شيبة سنة ١٣٠ في أيام مروان بن محمد. غاية النهاية ١٤٣٨/٥.

(٤) من التابعين والأعلام العباد الكثيري الصلاة روى عن ابن عمر وابن عباس، وتعلم من عبيد بن فضلة آية آية، وعرض عليه من مشهوري القراء، الدّاني، وأبو عمرو، وأبو عبد الرحمن السلمي. وكان مقريء أهل الكوفة في عصره، وأشهر قرائها الثلاثة - هو، وعاصم، والأعمش، وكلهم أسديون بالولاء - كان لحسن قراءته إذا قرأ لا تُحَسُّ بالمسجد حركة كان

والكسائيَّ قرأُوا: «فنَعِمَّا» هي - بفتح النون وكسر العين.

وذكر أبو عُبَيْدٍ أنَّه رُويَ عن النبي ﷺ قوله لابن العاص: نعْمَّا بالمال الصَّالح للرجل الصَّالِح. فذكر أبو عبيدٍ أنه يَخْتَار هَذه القراءَة من أجل هذه الرِّوَاية.

ولا أَحسب أَصحابَ الحديث ضَبَطُوا هذا، ولا هذه القراءَةَ عند البصريين النحويين جائزةً البتة، لأَن فيها الجمعَ بينَ ساكنين من غير حرف مَدٍّ ولين.

فأما مَا قَرأنَاه من حرف عاصمْ رواية أَبي عمرو﴿فنِعِمَّا هِي﴾، بكسر النون والعين، فهذا جَيِّدٌ بَالغٌ لأَن ههنا كسرَ العينِ والنونِ، وكذلك قراءَة أَهلِ الكوفة «نَعِمَّا هي» جَيِّدة لأَن الأَصل في نِعْمَ نَعِمَ ونِعِمَ. ونِعْمَ فيها ثلاث لغاتٍ، ولا يجوز مع إدغام الميم نِعْمَّا هي. و«ما» في تأْويل الشَّيءِ زعم البصريون أَنَّ نِعِمَّا هي: نعْمَ الشَّيءُ هِيَ. وقد فسرنا هذا فيما مضى[1].

ومعنى: ﴿وإن تُخْفُوهَا وتُؤْتُوها الفُقَرَاءَ فَهُو خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

هذا كان على عهد رسول اللّه ﷺ فكان الإخفاء في إيتاءِ الزكاة أَحْسَن، فأَمَّا اليومَ فالناس يُسِيئون الظن، فإظهارُ الزكاة أَحسنُ، فأَمَّا التَّطوع فإخفاؤُه أَحسن، لأَنه أَدل على أَنه يريد اللَّهَ به وحده، يقال أَخفَيْتُ الشيءَ إخفاءً إذا سَتَرْتُهُ، وخَفِي خَفَاءً إذا اسْتَتَر، وخفَيْتُه أَخْفيه خَفْياً إذا أَظْهَرْتُه، وأَهل المدينة يسمُّون النَّبَّاشَ: المُخْتَفِي[2]، قال الشاعر في خفيته أَظهرته:

ليس به أحد. وهو قرأ على علقمة، وعلقمة قرأ على ابن مسعود.

توفي سنة ١٠٣ (غاية النهاية ٣٨٧١ حـ ٢ - ٣٨٠).

(١) ص ١٧٢.

(٢) من خَفَى الشيءَ واختفاه خفياً وخفياً إذا أظهره واستخرجه - فهو مختف أي مُسْتَخْرِج.

فَــإنْ تَــدفِنُــوا الــداءَ لا نَخْفِــه   وإن تَبْعَثُــوا الحرْبَ لا نَـقْعُـدِ(١)

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾.

معناه إنما عليك الإبلاغ كما قال ـ جلّ وعزّ ـ ﴿ولاَ تُسْـأَل عن أَصحاب الجحيم﴾(٢).

ومعنى: ﴿وَلَكنَّ اللَّه يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أَي يـوفق منْ يشـاءُ للهـدايـة، وقـال قـوم: لَــوْ شـاءَ اللَّه لهــداهم أي لاضطرهم إلى أَن يهتدوا ـ كمـا قال: ﴿إنْ نَشَـأْ نُنَـزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَـاءِ آيَـةً فَـظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَـا خَاضِعِينَ﴾(٣). وكمـا قـال ـ عـزّ وجـلّ ـ ﴿ولَـوْ شَـاءَ اللَّهُ لجَمَعهُم عَـلَى الهُدى﴾(٤) وهذا ليس كذلك. هـذا فيه: ﴿ولكن اللَّه يهـدي من يشاءُ﴾. فَلاَ مُهتديَ إلاَّ بتَوفيق اللَّه ـ كما قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ باللَّه﴾(٥).

ومعنى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إلاَّ ابْتِغَاءَ وجْهِ اللَّهِ﴾.

هذا خاص لِلْمُؤْمِنِينَ، أَعْلمهم أَنه قد عَلِم أَنهم يريدون بِنَفقتهم مـا عند اللَّه جلّ وعزّ، لأَنه إذا أَعلمهم ذلك فقد علموا أَنهم مثـابون عليـه، كما قـال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إلَيْكُم وأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَهُوَ خيرٌ لَكُم ويُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

الرفع في ﴿يُكَفِّرُ﴾ والجزمُ جائزان، ويقـرأُ ـ ونُكفر عنكم ـ بـالنون واليـاءِ، وزعم سيبويه أَنه يَخْتَار الرفعَ في ويُكَفِّرُ، قال لأَن ما بعد الفاءِ قد صار بمنزلتِـه

(١) هو لامرىء القيس يتـوعد قتلة أبيـه. معاني القـرآن للفراء ٢ ـ ١٧٧ أمـالي المرتضى ٢ ـ ١٣ ـ وابن يعيش ـ لا تخفه: لا تظهره.

(٢) البقرة / ١٠٨.

(٣) سورة الشعراء ٢٦ ـ ٤.

(٤) الأنعام ٦ ـ ٣٥.

(٥) هود ١١ ـ ٨٨.

في غير الجزاءِ[1]، وأجاز الجزمَ على موضع فهو خير لكم لأن المعنى يكن[2] خيراً لكم، وذكر أن بعضهم قرأ: «مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ويَذَرْهم» بجزم الراءِ، والاختيار عنده الرفع في قوله﴿ويذرهُم﴾ وفي «ونُكَفِّر»قال: فأما النصب فضعيف جداً، لا يجيزُ ونكفرَ عَنْكم»[3] إلا على جهة الاضطرار، وزعم أنه نحو قول الشاعر[4].

سَأَتْرُكُ مَنزِلي لبَني تَميمٍ وأَلْحقَ بالحجاز فأَسْتريحَا

إلا أن النصب أقوى قليلاً لأنه إنَّمَا يَجبُ به الشَّيءُ بوجُوبِ غيره فضارع الإستفهامَ وما أَشبَهَهُ.

هذا قول جميع البصريين وهو بين واضحٌ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا في سَبِيل اللَّهِ﴾.

فُقراء جمع فقير مثل ظريف وظُرَفاء، وقالوا في ﴿أُحْصِرُوا﴾ قولين: قالوا أَحْصَرهم فرضُ الجهاد فَمَنَعَهُم من التَّصرُّفِ[5]. وقالوا أَحصرهم عَدُوُّهُم لأَنَّه شَغَلَهُمْ بِجِهادِهِ،ومعنى﴿أُحْصِرُوا﴾ صاروا إلى أَنْ حصروا أَنفسهم للجهاد، كما تقول رَابَط في سبيل الله.

ومعنى: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) الفاء وقعت في جواب الشرط، فما بعدها لا يستحق أن يجزم لأن الفعل معطوف على ما بعد الفاء.

(٢) في الأصل يكون.

(٣) في الأصل ـ ويكفر.

(٤) ينسب لرجل من تميم، وهو في كتاب سيبويه ١ ـ ٤٢٣ بدون نسبة ـ وقال البغدادي، هو للمغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة التميمي ـ شاعر إسلامي اشتهر بهجائه أخاه صخرا ـ وحبناء أمه غلب اسمها على أبيه ـ المقاصد ٤ ـ ٣٩٠ وسماه هناك ابن حنين.

(٥) الاضطراب في الأرض للبيع والشراء.

أي قد أُلزموا أنفسهم أمرَ الجهادِ فمنعهم ذلك من التَّصرف وليس لأنهم لا يقدرون أن يتصرفوا. وهذا كقولك، أمرني المولى أن أُقيمَ فما أَقدرُ على أن أبرحَ، فالمعنى أني قد أُلزَمْتُ نفسي طاعَتَهُ، لَيْس أنه لا يقدر على الحَركَةِ وهو صحيحٌ سَوِيّ، ويقال ضربْتُ في الأرض ضرباً، وَضَرَبَ الفَحْلُ الناقَةَ إذا حَمَل عليها ضِراباً، والضَّرِيبُ الجليد الذي يسقط على الأرض، يقال ضَرِبَت الأرض وجُلِدت الأرض وَجَلِدَتْ الأرض. وروى الكسائي: ضَرِبَتْ الأَرضُ وجَلِدتْ، والأكثر ضَرَبَتْ وجُلِدَتْ(١).

ومعنى ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

أي يحسبهم الجاهل ويخالهم أغنياء من التعفف عن المسألة وإظهارِ التجمل.

ومعنى: ﴿لَا يَسْأَلُون النَّاس إلْحافاً﴾.

روي عن النبي ﷺ أنه قال «من سأل وله أربعون درهماً فقد أَلْحَفَ» ومعنى «أَلحفَ» أي اشتمل بالمسْأَلَة، وهو مستغن عنها، واللِّحافُ من هذا اشتقاقه لأَنَّه يشْمَلُ الإِنْسَان في التغطية.

والمَعْنَى أَنَّه ليس منهم سؤال فيكون منهم إلحاف، كما قال أمرُؤ القيس.

على لَاحِبٍ لا يُهْتَدى بِمَنَارِه إذا سافَه العَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا(٢)

المعنى ليس به منار فيهتدى بها، وكذلك ليس من هؤُلاءِ سؤال فيقع فيه إلحاف.

---

(١) تكون الجليد على سطحها. وهو الضريب. وفي القاموس جلدت كفرح وأجلدت.

(٢) سافه: شَمَّهُ - العَوْدُ المسن من الإبل - الدِّيَافيُّ، نسبة إلى دياف قرية بالشام. جرجرا: أخرج شقشقته وصاح. ويروي النباطي وهو الأكثر بمعنى الضخم الجسيم، واللاحب الطريق الواضح. ديوانه ٧٢ ط السندوبي. وأمالي المرتضى ١ - ١٦٥. وفي ط الديابي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[1].

﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وجاز أن يكون الخبر ما بعد الفاءِ، ولا يجوز في الكلام «زيد فمنطلق» لأن الفاءَ لا معنى لها، وإنما صلح في الذين لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاءِ[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.

المعنى الَّذين يأكلونَ الرِّبَا لا يقومون في الآخرة إلَّا كما يقومُ المَجْنُون، مِنْ حَالِ جُنُونِه. زعم أهل التفسير أن ذلك عَلَمٌ لهُمْ في الموقِف، يَعْرفُهُمْ به أهل المَوْقِف، يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهُمْ أَكَلَةُ الربا في الدنيا يقال بِفُلان مَسٌّ، وهو أَلْمَس وأَوْلَق[2] إذا كان به جنون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فمن جاءَه موْعظةٌ مِنْ ربِّهِ فانْتَهى﴾.

جاز تذكير ﴿جاءَه﴾، وقال: [تعالى] في موضع آخر ﴿قد جاءَتكم موعظةٌ من رَبِّكُمْ﴾[3] لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز ألا ترى أن الوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

أي قَد صُفِحَ لَه عَمَّا سَلَفَ﴿وأَمْرُهُ إِلَى اللَّه﴾أي اللَّه وليه.

ومعنى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

أي من عاد إلى استحلال الربا فهو كافر، لأن من أحل ما حرم اللَّه فهو

---

(١) ﴿بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم﴾.

(١) يُشبَّه الموصول بالشرط لعمومه واستقباله، فتأتي الفاء بعده.

(٢) وهذه كلها أسماء للجُنُونِ.

(٣) يونس ١٠ ـ ٥٧.

كافر، وهؤلاءِ قالوا: ﴿إِنَّمَا البيع مثل الربا﴾ ومن اعتقد هذا فهو كافر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

نزلت في قوم من أهـل الطائف كـانوا صُـولِحوا على أَنْ وُضِـعَ عَنهُمْ ما كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الربـا، وَجُعلَ لَهم أن يـأْخُذُوا مَـا لَهُمْ مِنَ الرِّبَـا وكان لهم على قوم مِنْ قُرَيْشٍ مالٌ فطالَبُوهُمْ عندَ المَحْل بالمال والرِّبَا فقالتْ تلك الفرقة[١] ما بالنا مِنْ أشقى الناس يُؤخذ منا الربا الذي قد وضع عن سائر الناس، فأمـر اللَّه عزّ وجلّ - بترك هذه البقية، وأعلم أن من كان مؤمناً قَبلَ عن اللَّه أَمرَه ومن أبى فهو حرْبٌ، أي كافر، فقال: ﴿فإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقال بعضهم فآذِنوا، فمن قال ﴿فأْذَنُوا﴾: فالمعنى: أَيقِنُوا ومن قـال فآذِنـوا كان معناه فأَعْلِمُوا كلَّ مَنْ لمْ يترُكِ الرِّبَا أنَّه حَرْب. يقال قد آذنتـه بكذا وكـذا، أُوذنُه إيذَاناً إذا أَعْلَمْتُه وقد أَذِنَ به يأْذنُ إِذْناً إذا عَلِمَ به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيسرة﴾.

أي وإن وقعَ﴿ذُوعُسْرَةٍ﴾، ولو قرئت، وإن كـان ذا عُسْرَةٍ لجـاز، (أي)[٢] وإن كان المدين الذي عليه الدَّينُ ذَا عُسْرةٍ، ولكن (لا يُخَـالف المصحف)[٣] والرفع على [أَنَّ] ﴿إِنْ كان﴾، على معنى «إِنْ وقع» ذو عسرة - ورفع ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ على فعلى الَّذِي تعاملونه نظرة أي تأْخيـر، يقال بعتـه بيعاً بِنَـظرةٍ. ومن قـال فناظـرة إلى ميسرةففـاعلةٌ من أسمـاءِ المَصَـادِر[٤] نحـو ﴿ليس لـوقعتهـا

---

(١) من قريش، ولعل هـذا كان بعـد الفتح لأن النبي ﷺ إذا ذاك أعلن أن ربـا الجاهليـة موضـوع، والطائف فتحت بعد فتح مكة كما هو معروف.

(٢) ليست في ك.

(٣) في ك فقط.

(٤) من الأسماء التي تؤدي معنى المصدر أي الحدث المجرد.

كاذبة﴾(١) ونحو ﴿تظن أَنْ يُفْعَلَ بهَا فَاقِرة﴾(٢) - وإنْ شئْتَ قُلتَ إلى «مَيْسُرة» فأمَّا منْ قَرأَ «إلى مَيْسُرِهِ» على جهةِ الإضافة إلى الهاءِ فمخطىءٌ، لأن «ميسُر» مَفْعُل وليْس في الكلام مفعُل(٣).

وزعم البصريون أنهم لا يعرفونَ مفْعُلاً إنَّما يَعْرِفُون مفْعُلَة.

فأمرهم اللّه بتأخيرِ رأس المال بعد إسقاط الربا، إذا كان المُطَالَبُ مُعْسِراً، وأعلمهم أنَّ الصَّدقة بِرَأس المالِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ.

فقال: ﴿وأَنْ تَصَدَّقُوا خيرٌ لكُم إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واتَّقُوا يَوْماً تُرجَعُون فيه إلى اللّه ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْس ما كَسبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

هذا يوم القيامة، ويقال إنها آخر آية نزلت من كتاب اللّه جلّ وعزّ. كذا جاءَ في التفسير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا إذا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾.

يقال دَايَنْتُ الرجلَ إذا عاملته بدين، أَخَذْتُ منه وأعطيتُه. وتَدايَنَّا على دايَنْتُه، قال الشاعر:(٤)

دايَنْتُ لَيْلَى والدُّيُونُ تقضَى ... فمطلت بعضاً وأدَّت بعضاً

ويقال دِنْت وأَدَنْتُ أي اقْترضْت، وأَدَنْتُ إذا أَقْرضْتُ. قال الشاعر:

أدانَ وأنبأه الأولون ... بأنَّ المُدَان مَلِيءٌ وفيٌّ(٥)

---

(١) الواقعة ٥٦ - ١.

(٢) القيامة ٧٥ - ٢٥ - والفاقرة. الداهية، الأمر العظيم.

(٣) ورد المصدر على مفعلة فقط نحو مكرمة ومقُدرة بمعنى تكرم وقدره، ولم يرد مَفعُل.

(٤) هو رؤبة بن العجاج - والبيت في العيني ٣ - ١٣٩، الخصائص ٢ - ٣٦ ومن شواهد الكشاف - في الآية وفي الكتاب ٢ - ٣٠٠ واللسان (دان).

(٥) لأبي ذؤيب اللسان (دان) وروايته في ديوان الهزليين ١ / ٦٥ «المليء الوفى» معرفاً.

فالمعنى إذا كان لبَعْضِكم على بعْض دينٌ إلى أَجل مُسَمًّى فاكتبوه فأمر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ بكَتْبِ الدين حِفظاً مِنْه للأَمْوال، وكذلك الإشهاد فيها وللنَّاسِ من الظُّلْمِ لأَن صاحب الدَّيْنِ[1] إذا كانت عليه الشُّهُودُ والبَيِّنَةُ قلّ تحديثُه نفسَه بالطَّمَع في إذْهَابِهِ.

فأمر اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ بالإشهاد والكِتَابِ».

قال بعض أهل اللغة هذا أدب[2] من اللَّه عزّ وجلّ وليس بأمر حَتْمٍ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وإذَا حَلَلْتُم فاصْطادوا﴾[3] ـ فليس يجب كُلَّما يحل من الإحرام أن يصطاد[4]، وكما قال: ﴿فإذا قُضِيَت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾[5].

وهذا خلاف ما أَمَرَ اللَّه به في كتاب الدين والإشهاد لأن هذين جميعاً إباحة بعد تحريم[6] ـ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾[7] وقال: ﴿لا تَقْتُلوا الصَّيْدَ وأَنتُم حُرُم﴾[8] ثم أباح لهم ـ إذا زال الإحرام ـ الصيدَ «وكذلك» قال: ﴿إذا نُودِيَ للصلاة مِنْ يَومِ الجُمعةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ﴾[9] فَأَبَاحَ لَهُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الصَّلاةِ الابتغاءَ مِنْ فَضْلِهِ، والانتشارَ في الأَرض لِمَا أَرادوا من بيعٍ وغَيْره. وليست آيةُ الدَّيْنِ كذلك، ولكن الذي رخص في ترك الإشهاد في قول قوم قوله: ﴿فإنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾[10].

أَيْ يَكْتب بالحَقّ، لا يكتب لصاحب الدين فضلاً على الذي عليه الدين ولا يُنْقِصُه مِنْ حقِّه ـ فهذا العدْل.

---

(1) المتَّصفُ به، أي المدين.

(2) في الأصل إذن ـ والمثبت رواية ك، ط.

(3) المائدة ٥ ـ ٢.

(4) في الأصل يحلون ـ يصطادوا.

(5) الجمعة ٦٢ ـ ١٠ـ والأمر فيها جميعاً للإباحة.

(6) في ك بغير تحريم.

(7) المائدة ٥ ـ ٩٦.

(8) المائدة ٥ ـ ٩٥.

(9) الجمعة ٩.

(10) البقرة ٢ ـ ٢٨٣.

ومعنى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾.

أي لا يأب أنْ يكتب كما أمره اللّه به من الحق، وقيل ﴿كما علمه اللّه فليكتب﴾، أي كما فضله اللّه بالكتاب فلا يَمْنَعَنَّ المَعْرُوفَ بكتَابِهِ. وأبى يأبى في اللغة منفردٌ لَم يَأْتِ مِثْلُه إلا قَلَى يَقْلَى، والذي أَتَى أَبى يأبى لا غير - فَعَل يَفْعَل، وهذا غير معروف إلا أن يكون في موضع العين من الفعل أو اللام حرف من حروف الحلق، وقد بيَّناها، ولكن القول فيه أن الألف في أبى أَشْبَهَت الهَمْزَة فَجاءَ يَفْعَل مفْتُوحاً لِهَذِهِ العِلَّةِ، وهذا القول لإسماعيل بن إسحق[1] ومثله قلى يلقى[2].

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي لَا يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾.

السفيه الخفيف العقل، ومن هذا قيل تسفهت الريح الشيء إذا حركته، وإستخفته، قال الشاعر:[3]

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مر الرياح النواسم

---

(١) إسماعيل بن إسحق من أسرة آل حماد، موالي آل جرير بن حازم ولد ونشأ بالبصرة ثم استوطن بغداد. جمع علم القرآن والحديث والفقه والكلام وعلوم اللسان - كان من نظراء المبرد في علم كتاب سيبويه - كان شيخ المالكية في زمانه - وقال المبرد: لولا اشتغاله برئاسة الفقه والقضاء لذهب برئاستنا في النحو والأدب. ألف كتباً كثيرة وله كتاب في أحكام القرآن ولم يُسْبَق إليه، وكتاب في معاني القرآن. توفي سنة ٢٨٠ هـ. له ترجمة في الديباج المذهب ص ٩٢ ط ١٩٢٩، وفي غاية النهاية ١٥٤ - وانظر ص ٩٦ فيما سبق.

(٢) ليست في ك.

(٣) ذو الرمة. والبيت في ديوانه ٦١٦، اللسان «سفه» - يصف نسوة - ورماح: أغصان وتسفهت أمالت - والنواسم الضعيفة والبيت أيضاً في القرطبي ٣ - ٣٨٦.

فالنساء والصبيان[1] اللاتي لا يميزن تميزاً صحيحاً سفهاء، والضعيف في عقله [سفيه] والذي لا يقدر على الإملاءِ العيي.

وجائز أن يكون الجهول سفيهاً كهؤلاءِ.

ومعنى: فليملل وليه بالعدل: أي الذي يقوم بأمره، لأن الله أمر ألا نؤتي السفهاء الأموال. وأمر أن يقام لهم بها فقال:

﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾[2].

فوليه الذي يقوم مقامه في ماله لو كان مميزاً.

وقال قوم: ولي الدَّيْنِ. وهذا بعيد: كيف يقبل قول المدعي، وما حاجتنا إلى الكتاب والإشهاد والقول قوله:

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَين مِن رِجَالِكُمْ﴾.

معنى رجالكم من أهل ملتكم[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَرَجُلٌ وامْرَأَتَانِ ممَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

أي فالذي يشهد - إن لم يكن - رجلان[4] - رجل وامراتان ومعنى ﴿ممن ترضون من الشهداءِ﴾، أي ممن ترضون مذهبه، ودل بهذا القول أن في الشهود من ينبغي ألا يرضى.

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾.

مَنْ كسر ﴿أَنْ﴾ فالكلامُ على لَفظ الجَزَاءِ، ومعناه: المعنى في «إنْ تَضِلَّ» إن تَنْسَى إحداهما، تذكرْهَا الذَّاكرةُ فَتَذْكر. و «فَتُذَكِّرُ» رُفِعَ مع كسر «إنْ» لا

(١) ك الصبيان والنساء.

(٢) سورة النساء ٤ - ٥.

(٣) ك معناه من أهل دينكم.

(٤) ذكر المثنى بالرفع على معنى إن لم يوجد.

غير[1] ـ ومن قرأ أن تَضِـلَّ فَتُذَكِّـرَ، وهي قراءة أَكْثـرِ الناس، فَـزَعَمَ بعضُ أهل اللغة فيها أن الجزاء فيها مقـدَّم (أصله التأخيـر)[2] وقال: المعنى: استشهـدوا امرأتين مكان الرجل كي تُذَكِّرَ الـذاكرة النـاسِيَةَ إن نَسِيَتْ. فلمـا تقدَّم الجـزاءُ اتصلَ بأول الكلام وفُتِحَتْ أَنْ وصارَ جوابُهُ مردُوداً عليه، ومثله إني لَيُعْجِبُني أن يَسْأَلَ السَّائلُ فيعطى، قال والمعنى إنَّما يُعجبُه الإعطاء إن سَـأَل السَّائِـل وزعم أن هذا قول بين.

ولستِ أعـرف لِمَ صار الجـزَاءُ إذَا تقدَّم ـ وهـو في مكَانِـه[3] أو في غيـر مكانِه وجب أنِ يفتح أن[4] [معه].

وذكـر سيبويـه والخليل وجميـع النحـويين المـوثـوق بعلمهم أن المعنى استَشْهدوا إمرأتين لأن تُذَكِّرَ إحداهما الأُخـرى، ومِنْ أَجْل أَنْ تُـذَكِّرَ إحـداهما الأُخـرى، قال سيبـويه: فـإن قال إنْسَـانٌ فلم جاز ﴿أن تضل﴾ وإنما أعـدَّ هـذا للإِذْكار، فالجواب أن الاذكار لمَّا كانَ سَبَبُه الإِضْلال جاز أن يذكر ﴿أنَ تضل﴾، لأن الإضلال هو السبب الذي أوجب الاذكار، قال ومثله: أعددت هذا الجذع أن يَمِيلَ الحائطُ، فـأدعمَهَ، وإنمـا أعددتـه للدَّعم لا لِلْمَيل، ولكنَ الميـلَ ذُكرَ لأنَّه سَبَبُ الدعم، كما ذكر الإِضْلال لأنَّه سبب الاذكار ـ فهذا هو البيِّن إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذا مَا دُعُوا﴾.

---

(1) ورفع المضارع إما لأن جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم، وإما لأن الفاء واقعة في جواب الشرط ـ وكلاهما غير جيد، الأول فاسد المعنى والثاني فيـه «تذكـر» معامـل معاملة الأمـر وهو ليس أمراً لفظاً.

(2) ك ـ فقط.

(3) في ط وفي غير مكانه.

(4) الإعتراض على التخريج، وجعله فتح أن للسبب الذي ذكر أمـا القـراءة بفتـح أن فواضـح أنها للتعليل وتمثيله جيد.

يروى عن الحسن أنه قال: لا يأْب الشهداءُ إذا ما دعوا لابتداءِ الشهادة، أي ولا يأبوا إذا دُعُوا لإقامتها.

وهـذا الذي قـال الحسن هو الحق ـ واللَّه أعلم ـ لأن الشهـداء إذا أبوا ـ وكان ذلك لهم ـ أَنْ يشْهدوا تَوِيَتْ(١) حقوقهم وبطلت معاملاتهم فيما يحتاجون إلى التوثق فيه.

وقـال غير الحسن: ﴿لا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ ـ وكـانت في أعنـاقهم شهـادة ـ أن يقيموهـا. فـأما إذا لم يكـونـوا شهـداء فهم مخيـرون في ابتـداء الشهادة، إن شاءُوا شهدوا وإن شاءُوا أبوا(٢).

ويدل على توكيد أن الشاهد ينبغي له إذا مـا دعي ابتداء أن يجيب قـوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَموا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ﴾.

أي لا تملوا أن تكتبوا ما أَشْهَدتم عليه، فقد أُمِرُوا بهـذا، فهذا يؤكـد أن أمـر الشهادة في الابتـداءِ واجب، وأنـه لا ينبغي أن يُمَـلّ ويقـال سئمت أسأم سآمة. وسأماً، قال الرَّاجز:

لـمـا رأيـت أنـه لا قـامـة ... وأنني سَـاق عـلى السَّـآمَـة

نزعـتُ نـزعـاً زَعْـزَع الدِّعَـامَـة(٣)

ومعنى: ﴿إلَّا أَنْ تَكُونَ تجارَةً حَاضِرَةً﴾.

أَكْثر القراءِ على الـرَّفع [تِجَارَةٌ حاضِـرَةٌ] على معنى: إلَّا أَنْ تقَع تِجَـارةٌ

---

(١) من التوى وهو البوار والهلاك، أي ضاعت حقوق المتعاملين.

(٢) تكون الشهادة في أعناقهم إذا تعينت عليهم ولم يكن من يشهد غيرهم.

(٣) اللسان (دعم ـ قوم) وفيـه «أنها لاقـامة». والقـامة هي البكـرة تعلق على فم البئر ويـربط الدلـو فيها.

حاضِرة. ومن نصب تجارة ـ وهي قراءَة عاصم فالمعنى إلا أن تَكـونَ المُداينـة تجارةً حاضرةً. والرفع أكثرُ وهي قراءَة الناس.

فـرخص اللَّه عزّ وجـلّ في ترك كتـابة مـا يديـرونه بينهم لكثـرة مـا تقـع المعاملة فيه، وأنه أكثر ما تقع المتاجرة بالشيءِ القليل، وإن وقـع فيه الـدين، ووكّدَ في الأشهاد في البيع فقال:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾وقد بيَّنا ما الذي رخص في ترك، الإشهاد(١).

ومعنى :﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

قالوا فيه قولين: قـال بعضهم: ﴿لا يُضارّ﴾: لا يضارِرْ(٢)، فأدغمت الـراءُ في الـراءِ، وفتحت لالتقـاءِ السَّـاكنين، ومعنى لا يضـار لا يكتب الكـاتب إلاَّ بالحق ولا يَشْهدُ الشاهد إلا بالحق. وقال قوم: ﴿لا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾: لا يُدْعَى الكاتبُ وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله إلا بضرر يدخل عليه، وكـذلك لا يُدْعى الشَّاهد ومجيئُه للشَّهادة يضُرُّ به والأول أبينُ لقولـه: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّـهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

فالفاسق أشبه بغير العـدل وبمَنْ حرَّف الكتـاب منه بـالذي دعـا شاهـداً ليشهد، ودعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول فليسَ يسمَّى هـذا فاسقـاً ولكن يسمى من كذب في الشهادة ومن حرف الكتاب فاسقاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾.

قرأ الناس «فرُهُن مقبوضة» و «فَرِهانٌ مقبُوضَـةٌ» فأَمـا رُهُنٌ فهي قراءَة أبي عَمرو، وذكر فيه غير واحد أنّها قرئت: «فَرُهُنٌ» ليُفْصَـل بين الرِّهَـانِ في الخَيْل

---

(١) في الصفحة السابقة.

(٢) الفعـل يصلح مبنياً للمعلوم. . . «يضارِرْ» أي يضـر غيره، ويصلح أن يكـون مبنيـاً للمجهـول. «يضارَرَ» أي يضره غيره.

وبين جَمْع رَهْن في غيرها، ورُهُنٌ ورهانٌ أكثر في اللُّغَةِ، قالَ الفرّاء «رُهُنٌ» جمع رِهَانٍ، وقال غَيْرُه: رُهُنٌ ورَهْنٌ»[1] مِثْل سُقُف وسَقْف. وفَعْل وفُعُل قليلٌ إلا أنه صحيح قد جاءَ؛ فأمّا في الصفة فكثيرٌ، يقال: فَرَسٌ وَرْد، وخيل وُرْدٌ، ورجل ثَطّ وقَوْم ثُطٌّ[2]، والقراءَةُ على «رُهُن» أعجَب إليَّ[3] لأنها موافقة للمصحف[4]، وما وافق المصحف وصح معناه وقرأت به القراء فهو المُختار، ورِهَانٌ جَيِّد بَالغ.

يقال: رهنتُ الرهن وأرْهَنْتُه، وأرْهَنْتُ أقلُّهما، قال الشاعر[5] في أرْهنت:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُم ... نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكاً

وقال في رَهَنْت: أنشده غيرُ واحد:[6]

---

(١) أي إن الفراء يعتبر «رُهُن» جمع رهان، ورهان جمع رَهْن فالكلمة إذن جمع الجمع، أما غيره فيرى أنها جمع المفرد.

(٢) رجل ثط: ثقيل البطن خفيف الشعر.

(٣) أي يعجب بها أكثر من غيرها، وأعجب صيغة شاذة من تعجب واستعجب ـ ومن أعجب.

(٤) ﴿رهان مقبوضة﴾ كتبت في الرسم العثماني «رِهٰن» بغير ألف فهي مستكملة الشروط الثلاثة لصحة القراءة: موافقة النحو التي بها يصح المعنى، وموافقة الرسم وصحة الرواية.
أنظر مقدمة ابن الجزري. (ص ٨).

(٥) هو عبد الله بن همام السلولي، توعده عبيد الله بن زياد ففر إلى الشام مستنجداً بيزيد، ومالك عريفه، تركه لجنود عبيد الله ونجا بنفسه، أنظر العيني ٣ ـ ١٩٠، ومعاهد التنصيص ١ ـ ٩٦، وأظافير جمع أظفور وظفر، ورواية معاهد التنصيص: (وأرهنهم).

(٦) لأحيحة بن الجلاح شاعر جاهلي توفي سنة ١٣٠ ق. الإسلام كان سيد الأوس وكان مرابياً واسع الثراء له حصنان: المستظل في المدينة والصحبان خارجها، وكان له مزارع وبساتين، وكان له من بني النجار زوجة خلفه عليها هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ وهي أم عبد المطلب (الأغاني ١٢ ـ ١١٥)، وأنظر الخزانة ٢ ـ ٢٣ وأمثال الميداني ١ ـ ١٣ ورواية البيت الثالث في اللسان: وما يدري، وبيت رابع هو:

وما تدري إذا يمّمْتَ أمراً ... بأي الأرض يدركك المقيل :

فَهَلْ من كاهِنٍ أَوْ ذِي إِلهٍ إذا ما حانَ من رَبّي قُفولُ
يُراهِنُني فيَرهَنُني بَنِيهِ وأَرهَنُه بَنِيَّ بما أقولُ
لَمَا يَدْرِي الفقيرُ متى غِناهُ ومَا يَدْري الغَنِيُّ متى يُعِيلُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

معناه هو خالقهما.

﴿وإن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾.

معناه إن تظهروا العمَل به أو تُسِرُّوه يُحاسبكم به اللَّه، وقد قيل إن هذا منسوخ، روي عن النبي ﷺ أنه قال تُجَوِّزَ لهذه الأُمة عن نسيانها وما حدَّثَتْ به أنْفُسَهَا.

ولما ذكر اللَّه - جلّ وعزّ - فَرْضَ الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاءِ والجهاد وأَقاصيص الأَنبياءِ والدَّيْن والربا، ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤْمنين بجميع ذلك فقال:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

أَي صدق الرسول بجميع هذه الأَشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤْمنون.

﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ أي صدَّق باللَّه وملائكته وكتبه.

- وقرأَ ابن عباس - وكِتَابه وقرأَتْه جماعةٌ من القراءِ.

فأَما كُتُب فجمع كِتاب، مثل: مِثَال ومُثُل، وحِمَار وحُمُر، وقيل لابن عباس في قراءَته «وكتابه» فقال كتاب أَكثر من كتب. ذهب به إلى اسم الجِنْس

= ويعيل: يفتقر. يَنْشُدُ شخصاً ذا تدين يتحالف معه ليرعى كلَّ أولاد الآخر بعد موته، لأن حال الحياة لا تدوم.

كما تقول: كثر الدِّرْهَم فِي أَيدِي الناس[1].

ومعنى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾.

أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب قبلنا. الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، نحو كُفْر اليهود بعيسى، وكفْر النصارى بغيره فأخبر عن المؤمنين أنهم يقولون لا نُفرّق بين أحدٍ من رُسُله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

أي﴿سَمِعْنَا﴾ سَمْع قابلينَ. و﴿أَطَعْنَا﴾: قِبلْنَا ما سَمِعْنَا، لأن مَن سمع فلم يعْمل قيل له أصمّ - كما قال جلّ وعزّ: ﴿صُمٌّ - بُكْمٌ - عُمْيٌ﴾. ليس لأنهم لا يسْمعون ولكنهم صاروا في ترك القبول بمنزلة من لا يسمع قال الشاعر:

أَصَمُّ عمَّا سَاءَهُ سَمِيع[2]

ومعنى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

أي أغفر غُفْرانَك، وفُعْلَان من أَسْمَاءِ الْمَصَادِرِ نحو السُّلوانِ والكُفْران.

ومعنى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي نحن مقرُّون بالبعْثِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

أي إلَّا قدرَ طَاقَتها، لا يكلفها فَرضاً من فُروضِهِ من صَوْمٍ أو صَلاةٍ أو صَدَقَةٍ أو غير ذلك إلا بمقدار طاقتها.

ومعنى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

أي لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره - كما قال - جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[3].

---

(١) في الأصل أكثر الدرهم.

(٢) تقدم أنه في اللسان سمع. ولا يعرف قائله.

(٣) الإسراء ١٧ - ١٥.

ومعنى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطأْنَا﴾.

قيل فيه قولان: قال بَعضهم إنَّه على مَا جاءَ عن النبي ﷺ (عُفِيَ لِهَذِهِ الأُمَّة عن نِسْيَانِهَا ومَا حَدَّثتْ بِهِ أَنفُسَهَا) وقيل: ﴿إِنْ نَسِينَا أَو أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تَرَكْنَا. ﴿أَو أَخْطَأْنَا﴾: أَيْ كَسَبْنَا خطيئةً واللَّه أعلم.

إلا أن هذا الدعاءَ أخبر اللَّه به عن النبي ﷺ والمؤْمنين وجعله في كتابه ليكون دعاءَ مَنْ يأْتي بعد النبي ﷺ والصحابة رحمهم اللَّه، وروى عن النبي ﷺ أن اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ قال في كل فصل من هذا الدعاء فَعلتُ فعلتُ أي اسْتَجَبْتُ.

فَهُوَ منَ الدعاء الذي ينبغي أَن يحفظ وأَن يدعى به كثيراً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾.

كل عقد من قرابة أَو عهد فَهُو إِصْرٌ، العرب تقول: مَا تأْصِرُني على فلان آصرة. أَي ما تَعطفني عليه قرابة ولا مِنَّة[1] قال الحطيئة:

عَطفُوا عليّ بغير آصرة فقد عَظُمَ الأَواصِر[2]

أَي عطفوا عليّ بغير عهد قرابة، والْمَأْصَرُ من هذا مأْخوذُ إنما هو عقد[3] ليحبس به، ويقال للشيء الذي تُعْقَدُ به الأَشياء الإِصَار[4].

فالمعنى لاَ تَحْمِلْ علينا أَمْرا يثقُل كما حمَلتَه على الذين من قبلنا نحو ما

(١) أي صنيع وأسداء يد.

(٢) ديوانه ص ١٧٤ تحقيق نعمان أمير طه ـ القاهرة ١٩٥٨ يمدح آل شماس بن بدر بأنهم أووه من غير سابق قرابة.

(٣) ك إنما عقد.

(٤) في الأصل الإصار «من هذا».

أُمِرَ به بنو إسرائيل من قتل أنفسهم، أي لا تَمْتَحِنَّا بما يثقل. (أيضاً)[1] نحو قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِن فِضَّةٍ﴾[2].

والمعنى لا تمتحنا بمحنة تثقل.

ومعنى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

أي ما يثقل علينا، فإن قال قائل - فهل يجوز أن يُحَمِّلَ اللَّهُ أحداً ما لا يطيق. قيل له: إن أردت ما ليس في قدرته البتة فهذا محال. وإن أردت ما يثقل ويخف فللّه عزّ وجلّ أن يفعل من ذلك ما أحب. لأن الذي كلفه بني إسرائيل (من)[3] قتل أنفسهم (يَثْقَل)، وهذا كقول القائل: ما أُطيقُ كلام فلان، فليس المعنى ليس في قُدرتِي أن أُكَلِّمَهُ ولكنْ معناه في اللغة أنه يثقل عليّ.

ومعنى: ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

أي أنْصُرنا عليهم في إقامة الحجة عليهم، وفي غلبنا إياهم في حربهم وسائر أمرهم، حتى تظهر ديننا على الدِّين كله كما وعدتنا.

---

(١) ك فقط.

(٢) الزخرف ٤٣ - ٣٣.

(٣) ليست في ك

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

أَجمعت القراءُ على فتح الميم وقد روي عن الرُّواسي «الم اللّه» بتسكين الميم، وقد رَوَى هذه القراءَة بعضُهم عن عاصم والمضبوط عن عاصم في رواية أَبي بكر بن عَيّاش وأَبي عمرو فتحُ الميم، وفتحُ الميم إجماعٌ.

وقد شرحنا معنى ﴿الٓـمٓ﴾(١).

واختلف النحويون في علة فتح الميم، فقال بعض البصريين: جائز أَن يكون الميمُ فتحتْ لالتقاء الساكنين، وجائِزٌ أَن يكون طرحت عليها فتحة الهمزة لأَنَّ نيةَ حروف الهجاءِ الوقف، وهذا أَيضاً قول الكوفيين.

وذكر أَبو الحسن الأَخفش أَنَّ الميمَ لو كُسرتْ لالتقاءِ الساكنين فقيل «الم اللَّه» لجازَ، وهذا غلط من أَبي الحسن لأَنَّ قبل الميم ياءً مكسوراً ما قبلها فحقها الفتح لالتقاءِ الساكنين وذلك لثقل الكسرة مع الياءِ.

فَأَما ﴿الْقَيُّومُ﴾ فقد روي عن عُمَرَ وابنِ مَسْعود جميعاً أَنَّهُمَا قرءَا القيَّام، وقد رويت الْقَيِّمُ، والذي ينبغي أَنْ يُقرأَ ما عليه المصحف، وهو القيُّوم بالواو، والقيِّمُ أَيضاً جيدٌ بالغٌ كثيرٌ في العربية، ولكن القراءَةَ بخلاف ما في المصحف لا

---

(١) انظر أول سورة البقرة.

تجوز، لأن المصحفَ مجمعٌ عليه، ولا يعارض الإجماع برواية لا يعلم كيف صحتُها.

ومعنى ﴿الْقَيُّومُ﴾: القائِمُ بِتَدْبير جميع ما خَلَقَ من إحياءٍ وإنشاءٍ ورزْقٍ ومَوْتٍ.

وأَصل قَيُّوم قَيْوُوم، إلاّ أن الياء إذا سَبَقت الواو بسُكونٍ قُلبَتْ لها الواو وأُدغمت الياء فيها وكذلك القيَّام أَصله الْقَيْوَام، ومعنى الكتاب ما كتب يقال للقرآن كتاب لأنه يُكتَبُ، ومعنى يكتب في اللغة يجمع بعضه إلى بعض، والكُتْبَةُ في اللغة الخَرْزة[1] وجمعها كتب والكتيبة القطعة من الجيش العظيمة، إنما سميت لاجتماع بعضها إلى بعض[2].

ومعنى ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي للكتب التي تقدمته والرسل التي أَتَتْ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنزلَ التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاس﴾ أيْ من قَبْل الْقُرآنِ.

وقد إخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ في «تَوْرَاة» فَقَالَ الكُوفِيُّونَ تَوْرَاة يصلُحُ أَنْ يكونَ «تَفْعَلَة» مِن وَرَيْتُ بِك زِنَادِي، فالأَصل «عندهم»[3]. تَوْرَيَة إلا أَن الياءَ قلبت أَلفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. «وتفْعَلة» لا تكاد تُوجد في الكلام، إنما قالوا في تُتْفلَة «تَتْفَلَة»[4].

وقال بعضهم يصلح أَن يكون تَفْعِلة مثل تَوْصِيَة ولكن قلبت من تَفْعِلة

---

(١) السير يخرز به وهي بضم الكاف.

(٢) سبق هذا ص ١٤٤.

(٣) في الأصل وك. عنده.

(٤) أنثى التَّتْفل وهو الثعلب ويقال فيه أيضاً تُتفل بضم أوله والمعنى أن العرب لم تقل تَفعِل في غير هذه الكلمة.

إلى تَفْعَلَة. وكأنَّه يجيز في تَوْصِية تَوْصَاةَ، وهذا رَديءٌ ولم يَثْبُتْ في تَوفيَة توفاة، ولا في توقية توقاه.

وقال البصريون: أصلها فَوْعلَة، وفوعلة كثيرٌ في الكلاَم مثل الحوقلة، وَدَوْخَلة[1] وما أشبه ذلك. وكل ما قلت فيه فَوْعَلْتُ فمصْدرُهُ فَوْعلَة، فأصلها عندهم «وَوْريَة» ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما في «تَوْلَج»[2] وإنما هو فَوْعَل من ولجت، وكما قلبت في تراث. الياءُ الأخيرة[3]، قلبت أيضاً لتحركها وانفتاح ما قبلها بإجماع[4].

وَإنْجِيل: إفْعيل مِن النَّجْل وهو الأَصلِ: هكذا يَقُول جميع أهل اللغة في إنْجِيل.

ومعنى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾: أي من قبلِ القُرآن.

ومعنى﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾. أي ما فُرِّق بِه بين الحَقِّ والباطِل ورُوي عَنْ بَعْض المفسرين أنَّ كلَّ كتاب[5] للَّه فُرْقَان.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ أي قد ذل له كل شيءٍ بأثر صنعته فيه.

ومعنى ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي ذُو أَنْقَامٍ مِمَّن كَفر به، لأن ذكر الكافرين ههنا جرى.

ومعنى: ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾.

أي هو ظاهر له، وهو جلّ وعزّ أنشأه.

ومعنى﴿يُصوِّرُكُم فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

---

(١) الدوخلة سفيفة ـ أي نسيج ـ من خوص يوضع فيها الثمر... بمقدار الزبيل والحلة.

(٢) كناس الوحش.

(٣) أصلها وورية. قلبت الواو في أولها تاء وقلبت الياء ألفاً.

(٤) آثر الزجاج مذهب البصريين.

(٥) في الأصل ـ كل كتاب اللَّه، والمعنى فيهما: كل كتب اللَّه.

أي على ما يشاءُ من عظم وصغر لون، وضعف وقوة. وله - جلّ وعزّ - في ذلك حكمة كما قال: ﴿لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ الْعزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مِنْه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكتَابِ وأُخَرُ مُتشابِهَاتٌ﴾.

روي عن ابن عباس [رضي اللّه عنه] أنه قال: [١] المحكمات: الآيات في آخر الأنعام. وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[٢] إلى آخر هذه الآيات، والآيات المتشابهات آلم والمر وما اشتبه على اليهود من هذه ونحوها.

وقال قوم: معنى﴿منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، أي أُحكمت في الإبانة فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها لأنها ظاهرة بينة نحو ما أنبأ اللّه من أقاصيص الأنبياءِ مما اعترف به أهل الكتاب وما أخبر اللّه به من إنشاءِ الخلق من قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[٣] فهذا اعترف القوم به وأقروا بأن اللّه هو خالقهم، وما أخبر اللّه به من خلقه من الماءِ كلَّ شيءٍ حي وما خلق لهم من الثمار وسخر لهم من الفلك والرياح وما أشبه ذلك. فهذا ما لم ينكروه، وأنكروا ما احتاجوا فيه إلى النظر والتدبر من أن اللّه عزّ وجلّ يبعثهم بعد أن يصيروا تراباً فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّق إِنَّكُم لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[٤]. ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ ائِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَو آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾[٥].

---

(١) ك - أنه قال في المحكمات.

(٢) الأنعام (٦) آية ١٥١ وما بعدها.

(٣) سورة المؤمنون (٢٣) آية ١٤.

(٤) سورة سبأ. (٣٤) آية ٨.

(٥) سورة الواقعة (٥٦) ٤٧ - ٤٨.

فهذا الذي هو المتشابه[1] عليهم فأعلمهم الله الوجه الذي ينبغي أن يستدلوا به على أن هذا المتشابه عليهم كالظاهر إن تدبروه ونظروا فيه، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنسيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِي رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خلق عليم. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضر ناراً﴾[2]. وقال: ﴿أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضَ بِقَادِرٍ على أَنْ يَخْلُقَ مِثلهُم﴾ أي إذَا كنتم قد أقررتم بالإنسان والابتداءِ فما تنكرون من البعث والنشور؟ فهذا قول كثير من الناس وهو بين واضح. والقول الأول حسن أيضاً[3].

فأما ﴿أُخَرُ﴾ فغير مصروفة. زعم سيبويه والخليل أن ﴿أُخَرُ﴾ فارقت أخواتها والأصلَ الذي عليه بناءُ أخواتِها، لأن أُخَرَ أصلها أن تكون صفة بالألف واللام. كما تقول الصغرى والصُّغَر، والكبرى والكُبَر فلَمَّا عدلت عن مجرى الألف واللام وأَصْلِ «أَفْعَلُ مِنْك» وهي مما لا تكون إلا صفة ـ منعت الصرف[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَه منه﴾.

الزيغ: الجور والميل عن القصد، ويقال زاغ[5] يزيغ إذا جار.

ومعنى ﴿ابْتغَاءَ الْفِتْنَة﴾. أي يفعلون ذلك لطلب الفتنة. ولطلب التَّأْوِيل، والفتنةُ في اللُّغَةِ على ضُروبٍ: فالضَّرْب الذي ابتغاه هؤُلاءِ [هو] فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ

(١) ط. متشابه.

(٢) يس (٣٧) آيات ٧٨ ـ ٨١.

(٣) في ط أحسن أيضاً. والفرق فيهما واضح.

(٤) أي علة منعها من الصرف أنها لم تجر مجرى الصفة فتتبع بمن ولا دخلتها أل. كالأحسن والأفضل.

(٥) في ط زاغ الرجل يزيغ.

في الدِّينِ والحرُوبِ، والفتنة في اللغة: الاسْتِهْتَار بالشَّيْءِ والغُلُوُّ فيه: يقال فلان مفتون في طلب الدنيا، أي قد غلا في طلبها وتجاوز القُدْرة. والفتنة الاختبار كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[1] أي اختبرنا، ومعنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلم اللّه أن تأويل ذلك ووقتَه لا يعلمه إلا اللّه[2].

والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبلُ﴾[3] أي يوم يرون ما وعدوا به من البعث والنشور والعذاب ﴿يَقُولُ الَّذِين نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾[4] أي الذين تركوه وتركوا ما أنبأ به النبي ﷺ - عن اللّه - عزّ وجلّ من بعثهم، ومُجَازاتِهم، وقوله - عزّ وجلّ -: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (أي قد رأينا ما أنبأتنا به الرسل)[5].

فالوقْفُ التام قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم أحد متى البعث. (غير اللّه)[6].

ومعنى: ﴿والرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ﴾ أي الثابتون.

يقال رسخ الشيءُ يَرْسَخُ رُسوخاً إذا ثبت. [أي] يقولون صدقنا بأنَّ اللّه يبعثنا، ويؤْمنون بأَنَّ البعثَ حق كما أَنَّ الإنشَاءَ حق، ويقولون: ﴿كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام (٦) آية ٥٣.

(٢) طلبوا معرفة وقته وتحديد موعده.

(٣) الأعراف (٧) - آية ٥٣.

(٤) الأعراف (٧) آية ٥٣.

(٥) ليست في ك.

(٦) ك فقط.

(٧) أي المحكم والمتشابه كل من عند اللّه فنحن نؤمن به.

ويدل على أن الأمر الذي اشتبه عليهم لم يتدبروه، قوله عزّ وجلّ:
﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أي ذوو العقول[1].

أي ما يتذكر القرآن وما أتى به الرسول ﷺ إلّا أولو الألباب قوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

أي لا تُمِلْها عن الهدى والقَصْد، أي لا تُضلّنا بعد إذ هديتنا، وقيل أيضاً: ﴿لا تزغ قلوبنا﴾ لَا تَتَعبَّدْنا بما يكون سبباً لزيغ قلوبنا وكلاهما جيد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يدلُّ عَلَى تأويل قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ - فقولهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فيهِ﴾ إقرار بالبعث ودليل أنهم خالفوا من يتبع المتشابه لأن الذين ابتغوا المتشابه هم الذين أنكروا البعث.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. لا شك فيه. وقد شرح باستقصاءِ فيما تقدم (من كتابنا)[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّه لَا يُخْلِفُ الْمِيعَاد﴾.

جائز أن يكون حكاية عن الموحدين، وجائز أن يكون إخباراً عن الله وجائز «فتح». «أن اللَّه لا يخلف الميعاد»، فيكون المعنى جامع الناس لأنك لا تخلف الميعاد. أي قد أعلمتنا ذلك ونحن غير شَاكّين فيه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

أي الكفار يعذبون[3] وهم وقود أنفسهم، كلما نضجت جلودهم وعظامهم بالاتقاد بُدِّلُوا جُلوداً غيرها. فعذبهم بجلودهم وعظامهم.

---

(١) في الأصل ذو العقول.

(٢) ك فقط. وأنظر ص ٦٩.

(٣) في الأصل وك - يعذبون بهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَونَ والَّذينَ منْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي كشأن آل فرعون، وكأمر آل فرعون، كذا قال أهل اللغة والقول عندي فيه ـ واللَّه أعلم ـ إن «دأب» ههنا أي اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام.

وموضع الكاف رفع وهو في موضع خبر الابتداءِ، المعنى دأْبهم مثلُ دَأْبِ آل فرعون، و﴿كدَأْبِ آلِ فِرْعَونَ والَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[1].

يقال دأَبْتُ أدأب دَأْباً ودُؤوباً إِذا اجتهدت في الشيءِ، ولا يصلح أن تكون الكاف في موضع نصب بكفروا لأن كفروا في صلة الذين، لا يصلح أن الذين كفروا ككفر آل فرعون لأن الكاف خارجة من الصلة ولا يعمل فيها ما في الصلة[2].

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾.

وتقرأ سيغلبون، فمن قرأ بالتاءِ فللحكاية والمخاطبة، أي قل لهم في خطابك ستغلبون. ومن قال سيغلبون فالمعنى بلغهم أنهم سيغلبون. وهذا فيه أعظم آية للنبي ﷺ لأنه أنبأهم بما لم يكن وأنبأهم بغيب، ثم بأن تصديق ما أنبأ به لأنه ﷺ غلبهم أجمعين كما أنبأهم.

ومعنى ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: بئس المثوى وبئس الفراش.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾.

آية علامة من أعْلامِ النَّبيّ ﷺ، التي تدل على تصديقه، والفئةُ في اللغة

---

(١) ك: كشأن أمر آل فرعون.

(٢) أي من: ﴿أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم﴾، فقد تم الخبر بذكر لن تغني، ولا يعطف على صلة الموصول بعد تمام الجملة.

الفِرقةِ، وهي مأخوذة من قولهم فَأَوْتُ رأسَه بالسَّيْفِ وفأيته إذا فلقته ومعنى[1] فئتين فرقتين.

﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾: الرفع والخفض جائزان جميعاً، فأما من رفع فالمعنى: إحداهما تُقاتِل في سبيل اللّه والأُخْرى كافرة، ومن خَفَضَ جعل فئةً تُقاتِل في سبيل اللّه وأُخْرى كافرة بدلاً من فئتين:

المعنى: قد كان لكم آية في فئة تقاتل في سبيل اللّه وفي أُخرى كافرة.

وأنشدوا بيت كثير على جهتين:[2]

وكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحةٌ ورجْلٌ رمى فيها الزمان فَشَلَّت

وأنشدوا أيضاً: رجلٍ صحيحةٍ، ورجلٍ رمى فيها الزمان.
على البدل من الرجلين[3].

وقد اختلف أهل اللغة في قولهم «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ، رَأْيَ الْعَيْنِ» ونحن نبين ما قالوه إن شاءَ اللّه وما هو الوجه. واللّه أعلم.

زعم الفراءُ أن معنى ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيهِمْ﴾ يرونهم ثلاثة أمثالهم قال لأنك إذا قلت: عندي ألف وأحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ألفين فكأنك قلت أحتاج إلي مثليها - وإذا قلت عندي ألف وأحتاج إلى مثليها فأنت تحتاج إلى ثلاثة آلاف، وهذا باب الغلط فيه غلط بَيِّنٌ في جميع المقاييس وجميع الأشياءِ، لأنا إنما نعقل مثل الشيءِ ما هو مساو له، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين، فإذا جهلنا المثل فقد بطل التميز، وإنما قال هذا لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا ثلاثمائة وأربعة

---

(١) ك - فالمعنى.

(٢) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي. ويعرف باسم حبيبته عزة، ومن شعراء الشيعة الرافضة - والبيت من قصيدته - خليلي هذا ربع عزة وهو في الخزانة ٢ - ٣٧٦ ومن الأبيات السائرة.
مجاز أبي عبيدة ١ - ٨٧ معاني الفراء ١ - ١٩٢ ديوان كثير ١ - ٤٦.

(٣) يريد أن «رجل» تروى بالرفع والجر.

عشر[1] رجلاً وكان المشركون تسعَمائةٍ وخمسين رجلاً فالذي قـال يبطل في اللفظ ويبطل في معنى الدلالة على الآية التي تُعْجز، لأنهم إذا رأوهم على هَيْئَتِهِمْ فليس هذا آيةٍ، فإنْ زَعم أنَّ الآيةَ في هذا غلبةُ القليل على الكثير فقد أَبْطَلَ أيضاً لأن القليل يغلب الكثيرَ. موجود ذلك أبداً.

فهذا الذي قال يبطل في اللغة وَفي الْمَعْنَى وإنَّما الآيةُ في هذا أَنَّ المشركين كانوا تسعمائة وخمسين وكان المسلمون ثلاثمائةٍ وأربعةَ عشرَ فأرى اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ المشركين أنَّ المسلمين أَقَلُّ من ثلاثمائة واللَّه قد أعلم المسلمين أن المائة تغلب المائتين فأراهم[2] المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لِيُقَوِّيَ قلوبهم، وأرى المشركين المسلمين أقل من عدد المسلمين، ثم أَلقَى مع ذلك في قلوبهم الرعب فجعلوا يرون عدداً قليلاً مع رعب شديد حتى غُلِبُوا.

والدليل على صحة هذا القول قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّه أَمراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[3] فهذا هو الذي فيه آية أن يُرَى الشيء بخلاف صورته ـ واللَّه أعلم ـ.

ويجوز نصب ﴿فئة تقاتل في سبيل اللَّه وأخرى كافرة﴾، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ونصبها من وجهين ـ أحدهما الحال المعنى التقتا مؤمنة وكافرة[4] ويجوز نصبها على أعنى فئة تقاتل في سبيل اللَّه وأُخرى كافرة[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ﴾.

---

(١) في الأصول: أربعة وعشرين ـ والتصحيح من كتب السيرة. ابن هشام وحياة محمد. وفي السيرة الحلبية ثلثمائة وخمسة ـ وسيذكر هنا قريباً ثلاث مائة وأربعة عشر.

(٢) في ك: هذا ـ وآراهم.

(٣) الأنفال ٨ ـ ٤٤.

(٤) صاحب الحال هو فاعل التقتا.

(٥) لم يتقص الأقوال كما وعد ـ وإنما ذكر ـ رأي الفراء فقط وفنده.

قيل في ﴿زُيِّنَ﴾ قولان: قال بعضهم اللَّه زينها مِحْنَةً[1] كما قال:
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[2]

وقال بعضهم: الشيطان زينها لأن اللَّه قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور.

والقَوْلُ الأَوّل أَجودُ لأَنَّ جَعْلَهَا زينةً محبوبةً موجودٌ واللَّه قد زهَّد فيها بأن أعلم وأَرى زوالها،ومعنى ﴿القناطير﴾ عند العرب الشيءُ الكثير من المال وهو جَمْع قنطار.

فأما أهل التفسير فقالوا أَقوالاً غير خارجة من مذهب العرب: قال بعضهم القنطار ملءُ مَسْكِ[3] ثَوْرٍ ذهباً أَوْ فضَّة وقال بعضهم القنطار ثمانون أَلفَ دِرهمٍ. وقال بعضهم: القنطار أَلفُ دينار، وقال بعضهم [أَلف] رطلٍ ذهباً أَو فضَّةً.

فهذه جملة ما قال الناس في القنطار.

والذي يخرج في اللغة أَن القنطار مأْخوذ من عقد الشيءِ وأَحكامه والقنطرة مأْخوذة من ذلك، فكأَن القنطار هُوَ الجملة من المال التي تكُون عقدة وثيقة منه. فأَما من قال من أَهل التفسير أَنه شيءٌ من الذهب موف[4]، فأَقوى منه عندي ما ذكر من أَنه من الذهب والفضة، لأَن اللَّه - جلّ وعزّ - ذكر القناطير فيهما، فلا يستقيم أَن يكون القنطار في إحداهما دون الأُخرى.

ومعنى﴿الخيل المُسَوَّمَة﴾[5] في اللغة - الخيل عليها السِّيمَاءُ والسُّومَة وهي

(١) امتحاناً.

(٢) الكهف «١٨» آية ٧.

(٣) ملء جلده.

(٤) في ط مؤقت.

(٥) في ك المُسَومة

العلامة، ويجوز ـ وهو حسن ـ أن يكون المسومة السائمة، وأُسِيمَت أُرْعِيَتْ. ﴿والأَنْعَامُ﴾ المواشي واحدها نَعَمٌ، أكثر استعمالها في الإبل، ﴿والحرث﴾ الزرع، وهذا كلُّه مُحبَّب إلى الناس كما قال اللَّه ـ عزّ وجلّ[1]: ثم زهد اللَّه في جميعه.

وتأْويل التزهيد فيه ليس الامتناع من أَنْ يَزْرع الناسَ، ولا من أَن يَكْسِبُوا الشيءَ من جهة، وإنما وجه التزهيد فيه الحث على الصدقة وسلوك سُبل البِرّ الَّتِي أمرَ بِها في ترك الاستكثار من المال وغيره، فهذا وجه التزهيد. فقال جلّ وعزّ:

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما يتمتع به فيها.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ :

والمآب في اللغة المرجع، يقال آب الرجل يؤُوب أَوْبا وإِياباً ومآباً.

وأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أن خيراً من جميع ما في الدُّنيا ما أَعده لأَوليائه فقال:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ، لِلَّذِينَ اتَّقَوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

الرفع [في جنات] القراءَة، والخفض جائز على أَنْتكون ﴿جنات﴾ بدلاً من خير المعنى أَؤُنبئكم بجنات تجري من تحتها الأَنهار ويكون، ﴿للذين اتقوا عند ربهم﴾ من تمام الكلام الأَول.

ومعنى ﴿وأَزواج مطهرة﴾: أي مطهرة من الأَدناس ومطهرة مما يحتاج إليه نساءُ أَهل الدنيا من الحيض وغيره.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

أَكثر القراءَة كسر الراءِ. وروى أَبو بكر بن عياش عن عاصم «ورُضوان

(١) أي في الآية السابقة وهي ﴿زين للناس﴾ ألخ.

من اللّه» بضم الراءِ في كل القرآن، ويقال رَضِيتُ الشيءَ أرضاهُ رضا ومرضاة ورِضواناً ورُضواناً.

وموضع ﴿الذين يقولون﴾ خفض صفة ﴿للذين اتقوا﴾ المعنى للمتقين القائلين. ﴿ربنا إننا آمنا﴾ وكذلك ﴿الصابرين والصادقين﴾[1] ولو كانت رفعاً على الاستئناف لجاز ذلك ولكن القراءَة لا تجاوز.

ومعنى ﴿القانتين﴾ أي القائمين بعبادة اللّه، وقد فسرنا القنوت فيما مضى[2]. ومعنى ﴿المنفقين المتصدقين﴾، وجميع ما في سبيل اللّه[3].

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بالأَسْحَارِ﴾.

السحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر. العرب تقول جئتك بأعلى السحر نريد في أول السحر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر الظاهر البين.

فَاللَّه عزَّ وجَلَّ وصفَ هؤُلاءِ بالتَّصْدِيقِ والإنْفَاقِ في سَبِيلِهِ والقيامِ بِعِبَادَتِهِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَوَجَلِهِمْ يستغفرون بالأَسحار.

وقوله عَزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّه أنَّه لَا إِلَه إِلَّا هُوَ والْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾.

قال أبو عبيدة معنى ﴿ شهد اللَّه﴾. قضى اللَّه، وحقيقته أنه عَلِمَ وبين اللَّه، لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فاللَّه عزّ وجلّ - قد دل على تَوْحيدِه. بجميع مَا خَلق فَبَيَّن أنَّه لا يقدِرُ أحدٌ أَنْ يُنْشِيءَ شَيْئاً واحداً مما أَنْشَأ،

---

(١) الآية كاملة هي:

﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾.

(٢) ص ١٩٨.

(٣) ك وجميع ما أنفق في سبيل اللّه - والمراد كل ما أنفق في سبيل اللّه صدقة.

وشهدت الملائكة لما علمت من قدرته وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره.

وأكثر القراءة ﴿أَنَّهُ لَا إِله إِلَّا هُوَ﴾ بفتح الألف في﴿أَنَّهُ﴾ وقدرُويَت بالكسر عن ابن عباس، وروى «أَنَّ الدين عند اللّه الإسلام» «بفتح الألف»[1] والأكثر فتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾.

ومن قرأ «إِنَّه» بالكسر فالمعنى شَهِد اللّه أن الدين عند اللّه الإسلام. وأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ[2]. والأَجْوَدُ الْفَتْحُ كما وَصَفْنَا في الأول، لأن الكلام والتوحيد[3] والنداءَ بالإذان ﴿أشهد أن لا إله إلا اللّه﴾ وأكثر[4] ما وقع أَشْهَد على ذِكر التوحيد[5] وجائز أن يفتح أن الأولى وأن الثانية. فيكون فتح الثانية على جهتين على شهد اللّه أن لا إله إلا هو وشهد أن الدين عنده الإسلام[6].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بعدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بغياً بَيْنَهُمْ﴾.

لك في ﴿جَاءَهم﴾ الفتح والتفخيم، ولك الإمالة نحو الكسر فأما الفتح فلغة أهل الحجاز، وهي اللغة العليا القدمى وأما جاءَهم «بالكسر»[7] فلغة تميم، وكثير من العرب وهي جيدة فصيحة أيضاً. فالذي يميل إلى الكسر يدل على

---

(١) لاحظنا من قبل أن الزجاج يستعمل الألف بمعنى الهمزة.

(٢) لأن شهد تضمن معنى القسم.

(٣) أي النطق بكلمة الشهادة.

(٤) في الأصل فأكثر.

(٥) أي أن الشهادة واقعة على ﴿أن لا إله إلا هو﴾ فهي في موضع المفعول به. فتفتح الهمزة.

(٦) هذا الذي ذكره وجه واحد وهو العطف. أما الوجه الثاني فعلى تقدير حذف الجار. أي لأن الدين.

(٧) بالإمالة.

أن الفعل من ذوات الياءِ والذي يفتح فلأن الياءَ قد انقلبت صورتها إلى الألف وفي الألف حظها من الفتح . وكلٌّ مصيب .

ونصب ﴿بَغْياً﴾ بقوله : «اختلفوا» والمعنى اختلفوا بغياً، أي للبغي، لم يختلفوا لأنهم رأوا البصيرة والبرهان .

قال الأخفش : المعنى «وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب بغياً بينهم إلَّا من بعد ما جاءَهم العلم»، والذي هو الأجود أن يكون بغياً منصوباً بما دل عليه ﴿وما اختلف﴾ فيكون المعنى اختلفوا بغياً بينهم[1] .

﴿ومن يكفر بآيات اللَّه فإن اللَّه سريع الحساب﴾ أي سريع الحساب له[2] . والجزم هو الوجه في ﴿ومن يكفر﴾ وهي القراءَةُ ولو قرئت بالرفع لكان له وجه من القياس[3] ولكن الجزم أجود وأفصح في المعنى .

ومعنى ﴿سريع الحساب﴾ أي سريع المجازاة (له)[4] كما قال : ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾[5] وقالوا : جائز أن يكون ﴿سريع الحساب﴾ سريع التعريف للعامل عمله ـ لأنه جل ثناؤه ـ عالم بجميع ما عملوا لا يحتاج إلى إثبات شيءٍ وتذاكر شيءٍ .

ونصب ﴿قائماً بالقسط﴾ حال مؤكدة لأن الحال المؤكدة تقع مع الأسماءِ

---

(١) المعنى يختلف في تقدير العامل ـ فالأخفش يرى أن في الجملة تقديماً وتأخيراً . والمعنى على رأيه : لم يحَمّلهم البغي على الاختلاف إلا من بعد مجيء العلم ـ وبهذا يجوز أنهم كان بينهم اختلاف قبل العلم لسبب غير البغي . والمعنى على رأي الزجاج لم يختلفوا إلا بعد مجيء العلم وذلك بسبب البغي .

(٢) أي الرابط محذوف مقدر بما ذكر .

(٣) هو اعتبار محسن ١ ـ ١ موصولاً .

(٤) ليست في ك .

(٥) سورة النحل ـ ٧٧ .

في غير الإشارة، تقول إنه زيد معروفاً وهو الحق مصدقاً ولا إله إلا هو قائماً بالقسط.

والقسط في اللغة العدل: قال اللَّه - ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾[1] أي بالعدل، ويقال أقسط الرجل إذا عدل وقسط إذا جار والعادل مقسط والجَائِر قَاسِط[2] - قال اللَّه: ﴿وَأَقْسِطُوا انَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3] أي اعدلوا ان اللَّه يحب العادلين. وقال: ﴿وأما الْقَاسِطُونَ فكانوا لجهنم حطباً﴾[4].

فإن قال قائل: فمن أين جاءَ من لفظ القسط ما معناه الجور وأصله العدل؟ فإنما ذلك كقولك عدل الرجل على القوم يعدل عدلا ومعْدِلة، وَمَعْدَلَةً، إذا هو أنصفهم، وَعَدَلَ عَن الحق عَدْلاً إِذَا جَارَ، فكذلك جاءَ من لفْظ القَسْطِ ما مَعْناه الجور كما جاءَ ما معناه العَدْلُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ حاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّه﴾.

إنْ شِئْتَ أسكنت اليـاءَ [من وَجْهِيَ] وإنْ شِئْتَ فتحتها فقلت أسلمت وَجْهِيَ للَّه، وقد فسّرْنَا أَمْر هذه الياءَ فيما سلف، والمعنى أن اللَّه عزّ وجلّ، أمر النبي ﷺ أن يحتج على أهل الكتاب والمشركين بأنه اتبع أمر اللَّه الذي هم أجمعون مقرون بأنَّه خَالِقَهُمْ، فَدعَاهُم إلى ما أَقَرُّوا به، وأراهم الدَّلاَلاَتِ والآيَاتِ الَّتي قَد شَرَحْنَا ذكرها بأنه رسولُه ﷺ.

ومعنى ﴿ أَسْلَمْتُ وجهي للَّه ﴾ أي قصدت بعبادتي إلى اللَّه جلّ ثناؤه وأقررت أنه لاَ إِلَه غَيرهُ، وكذلك﴿ من أتبعني﴾ ويجوز في اللغة أسلمت وجهي [أي] أسلمت نفسي - قال اللَّه عزّ وجلّ - ﴿كل شيءٍ هالك إلا وَجْهَهُ﴾[5]

---

(١) الرحمن ٩.

(٢) الهمزة للإزالة.

(٣) الحجرات ٤٩ - ٩.

(٤) الجن ٧٢ - ١٥.

(٥) القصص ٢٨ - ٨٨.

وقال: ﴿ويبقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[1] المعنى ويبقى ربك والمعنى كل شيءٍ هالك إلا اللّٰه عزّ وجلّ.

﴿ومن اتبعنِ﴾ لك حذف الياءِ وإثباتها، والأحبّ إليّ في هذا اتباع المُصْحف لأن اتباعه سنة ومخالفته بدعة، وما حذف من هذه الياءَات نحو ﴿ومن اتبعن﴾ ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة﴾[2] ونحو فيقول ﴿رب أكرمن﴾[3] فيقول: ﴿رب أهانن﴾ فهو على ضربين مع النون، فإذا كان رأس آية فأهل اللغة يسمون أواخر الاي الفواصل فيجيزون حذف الياءَات، كما يجيزونَهُ في قوافي الشعر، كما قال الأعشى:[4]

ومن شانىء كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن
وهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت أن يأتين

المعنى أن يأتيني وأنكرني، فإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جَيّد بالغ أيضاً بخاصة مع النونات، إلّا أن أصل ﴿اتبعني﴾ «أتبعي» ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الياءِ، فإذا لم تكن النون نحو غلامي وصاحبي فالأجود إثباتها، وحذفها مع غير النون أقل منه مع النون إلا أنه جائز، نقول هذا غلام قد جاءَ، والأجود هذا غلامي قد جاءَ، وغلاميَ قد جاءَ، بفتح الياءِ وإسكانها. وحذفها جائز لأنَّ الكسرة دالة عليها.

---

(١) الرحمن ٢٧.

(٢) الإسراء ١٧ ـ ٦٢.

(٣) الفجر ١٥، ١٦.

(٤) الشائي المبغض وكاسف وجهه متغير، انكرن: ادعى لكراهته لي أنه لا يعرفني، ورواية البيت في الديوان: ١٦: ومن كاشح ظاهر غمره أي حماقته، وأنظر الكتاب ٢ ـ ٣١٧، أمالي القالي ٢ ـ ٢٦٣.

وقوله تبارك اسمه ﴿وَقُلْ للذين أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾.

الذين ﴿أُوتوا الكتاب﴾: اليهود والنصارى، والأُميون مشركو العرب لأَنهم إنما نُسِبُوا إلى ما عليه الأمة في الخلقة، لأَن الإنسان يخلق غير كاتب، فهذا معنى الأُمِّيِّين، وقال بعض النحويين معنى أأسلمتم الأمر، معناه عندهم[1] أَسلِموا - وحقيقة هذا الكلام أنه لفظ إستفهام معناه التوقيف والتهديد، كما تقول للرجل بعد أن تأمره وتؤكد عليه «أَقْبِلْتَ. . وإلا فأنت أَعلم». فأنت إنما نَسْأَله متوعداً في مسألتك، لعمري [هذا] دليلٌ أنك تَأْمره بأن يفعل.

ومعنى: ﴿وإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ . . .

أَي ليس عليك هداهم - إنما عليك إقامةُ البُرهانِ لهمْ فإذا بَلَّغْتَ فقد أَدَّيْتَ ما عليك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بالْعِبَادِ﴾ أي بصير بما يقطع عذرهم فيما دلهم به على وحدانيته وتثبيت رسله، وقال في أَثر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآيات اللَّهِ﴾ أَي أَعلام اللَّه التي أَتَيْتَهُمْ بِهَا.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيين بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:

وقرئت ويُقَاتِلُون، ومعنى ﴿ويقتلون النبيين بغيرحق﴾ ههنا قيل فيه قولان: قيل رضاهم بقتل من سلف منهم النبيين[2] نحو قتل يحيى[3] [عليه السلام] وهذا يحتمل - واللَّه أَعلم - وقيل ويقتلون النبيين لأَنهم قاتلوا النبي ﷺ وهموا بقتله قال اللَّه - جلّ وعزّ، ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك. أَو يقتلوك أو

---

(١) يريد الاستفهام للأمر لا للتقرير.

(٢) في ط - من النبيين والمعنى على ما في ط. رضاهم بقتل هؤلاء وذهابهم. والأصل رضاهم بعمل القاتلين.

(٣) في ط: يحيى بن زكريا.

يخرجوك ﴾[1] فهذا معنى: ويقتلون النبيين والله أعلم.

وجاز دخول الفاء في خبر إن[2]، ولا يجوز أن زيداً فقائم وجاز ههنـا.. ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ لأن «الذي» يوصل فتكون صلته بمنزلة الشرط للجـزاءِ فيجاب بالفاءِ. ولا يصلح ليت الذي يقوم فيكرمك. لأن «إنّ» كأنهـا لم تذكـر في الكلام فدخول الجواب بالفاءِ، عليها كدخولها على الابتداءِ والتمني داخل فزيل معنى الابتداءُ والشرط[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ألم تر إلى الذين أوتـوا نصيباً من الكتـاب﴾ معناه حـظاً وافراً منه[4].

و﴿يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾... أي يدعون إلى كتاب الله الذي هم به مقرون، وفيه ذكر النبي ﷺ والإنباء برسالته ﴿ثم يتـولى فريق منهم وهم معرضون﴾:

أي جمع كثير، وإنما أعرضوا إلا أنه لا حجة لهم إلا الجحد بشيءٍ قـد أقر به جماعة من علمائهم أنه في كتابهم.

ثم أنْبَأ الله ـ عزّ وجلّ ـ بما حملهم على ذلك وخيَّر بما غرهم.

فقـال عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِـأَنَّهُمْ قَالُـوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّـارُ إِلاّ أَيَّامـاً مَعْدُودَاتٍ، وغَرَّهم في دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأنفال ٨ ـ ٣٠.

(٢) الفاء في قوله ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾، والفاء تـأتي في جواب المـوصول لشبهـه بالشـرط. في عمومه واستقباله.

(٣) في هـذا المثال لا تـأتي الفاء لأن «ليت» غيـرت الجملة إلى التمني أمـا «ان» فلم تغيـر المعنى الأصلي. فبقي في الموصول معنى الشرط.

(٤) أي أن في﴿نصيباً﴾ وصفاً محذوفاً تقديره وافراً وكبيراً.

فموضع ﴿ذلك﴾ رفع المعنى شأنهم ذلك وأمرهم ذلك[١] بقولهم وبظنهم أنهم لا يعذبون إلا أياماً مَعْدُودَاتٍ.

جاءَ في التفسير أنهم قالوا إنما نعذب أربعين يوماً عبد آباؤنا فيها العجل، فأعلم اللَّه تبارك وتعالى أن ذلك فرية منهم، وأنه هو الذي غرهم[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيومٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت. وهذا الحرف مستعمل في الكلام[٣]، تقول إنا أكرمك وأنت لم تزرني، فكيف إذا زرتني.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

أي لحساب يوم لا شك فيه. وقوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالَكَ الْمُلْكِ﴾.

أمر اللَّه النبي ﷺ بتقديمه وذكر ما يدل على توحيده، ومعنى ﴿مالك الملك﴾ إن اللَّه يملك العباد ويملك ما ملكوا[٤].

ومعنى: ﴿تُؤْتِيَ الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾.

فيه قولان: - تؤتي الملك الذي هو المال والعبيد والحضرة[٥] من تشاءُ وتنزعه ممن تشاءُ، وقيل تؤتي الملك من تشاءُ من جهة الغلبة بالدِّين[٦] والطاعة، فجعل اللَّه - عزّ وجلّ - كل ما في ملكه ملك غير مسلم للمسلمين

---

(١) أي شأنهم الكفر وقتل الأنبياء.

(٢) هذا الافتراء والظن الكاذب غرهم.

(٣) هذا التعبير.

(٤) ط مالك العاد ومالك ما ملكوا.

(٥) التحضر والثراء.

(٦) أي تجعل من تشاء منهم غالباً بسبب أتباعه الدين الذي أرتضيه.

ملكاً غنيمة، وجعلهم أحق بالأملاك كلها من كل أهل لمن خالفوا دين الإسلام.

وقيل في التفسير أن اللّه عزّ وجلّ ـ أمر النبي ﷺ في هذه الآيات أن يسأله نقل عزِّ فارس إلى العرب وذلَّ العرب إلى فارس ـ واللّه أعلم بحقيقة ذلك.

فأما إعراب ﴿اللّهم﴾ فضمُّ الهاءِ وفتح الميم، لا اختلاف فى اللفظ به بين النحويين، فأمّا العلّة فقد اختلف فيها النحويون فقال بعضهم: معنى الكلام يا اللّه أم بخير، وهذا أقدام عظيم لأن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به، يقال ويل أمه، وويلُ أُمِّه[1]، والأكثر إثبات الهمز، ولو كان كما يقول لجاز أومم، واللّه أمّ، وكان يجب أن تلزمه ياءُ النداءِ لأن العرب تقول يا اللّه أغفر لنا، ولم يقل أحد من العرب إلا اللهمّ، ولم يقل أحد يا اللّهمّ. قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وإذا قالوا اللّهم إن كان هذا هو الحق﴾[2]، وقال: ﴿قل اللّهم فاطر السموات والأرض﴾[3].

فهذا القول يبطل من جهات: أحدها أن «يا» ليست في الكلام وأخرى أن هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما نتكلم بمثله وأنه لا يقدم أمام الدعاءِ هذا الذي ذكره، وزعم أن الضمّة التي في الهاءِ ضمة الهمزة التي كانت في أم، وهذا محال أن يترك الضَّم الذي هو دليل على النداءِ للمفرد. وأن يجعل في اللّه ضمّة «أم». هذا الحاد في اسم اللّه ـ عزّ وجلّ.

---

(١) هي كلمة تعجب، يقال رجل ويلمه. بضم اللام وكسرها أي داهية، ويقال للشيء المستجاد ويلمه. والأصل ويل لأمه ـ أي عجب لها كيف أنجبت هذا، كما يقال لا أب لك بمعنى لا أب ينجب مثلك. وقد ركبت «ويل أمه» فجعلت كلمة واحدة. ثم لحقته الهاء مُبَالَغَة.

(٢) الأنفال ٨ ـ ٣٢.

(٣) الزمر ٣٩ ـ ٤٦.

وزَعمَ أن قولَنا هلمّ مثل ذلك أنّ أصلها: هلْ أُمَّ ـ وإنَّمـا هِي لُمَّ. والهاءُ للتنبيه، وقال المحتج بهذا القـول: أن «يا» قـد يقال مـع: «اللهم» فيقال: يَـا اللّٰهُمَّ، ولا يروي أحد عن العرب هذا غيره ـ زعم أن بعضهم أنشده:

وَمَـا عَـليـكِ أن تـقـولـي كـلمـا صليتِ أوْ سبَّحتِ يـا اللهـم مَـا
اردد علينـا شـيخنـا مسـلّمـا[1]

وليس يُعـارَض الإجماع ومـا أتى به كتـاب اللّه تعالى ووجـد في جميـع ديـوان العرب بقـول قائـل أنشدني بعضهم، وليس ذلـك البعض بمعـروف ولا بمسمّى.

وقـال الخليل وسيبـويه وجميـع النحويين المـوثوقُ بعلمهم: أن «اللهم» بمعنى يا اللّه، وأن الميم المشدّدة عوض من «يا» لأنهم لم يجدوا ياءً مع هذه الميم في كلمة، ووجدوا اسم اللّه جـلّ وعزّ مستعمـلاً بيا إذا لم يـذكر الميم. فعلموا أن الميم من آخر الكلمـة بمنزلـة يا في أولّها، والضّمة التي في أولها ضمة الاسم المنادى في المفرد، والميم مفتوحـة لسكونهـا وسكون الميم التي قبلها.

وزعم سيبويه أن هذا الاسم لا يوصف لأنه قد ضمت إليـه الميم، فقال في قوله جلّ وعزّ: ﴿قُـلِ اللَّهُمَّ فَاطِـرَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾ أن ﴿فاطر﴾ منصوب على النّداءِ، وكذلك ﴿ مَالِكَ الملْكِ﴾ ولكن لم يذكره في كتابه.

والقـول عنـدي أن﴿مـالـك الملكِ﴾صفـةٌ اللّه، وأن﴿فـاطـر السمـوات والأرض﴾ كـذلك ـ وذلـك أن الاسم ومعه الميم بمنـزلته ومعـه «يا» فـلا تمنـع الصفة مع الميم كما لا تمنع «مع «يا».

(١) أبيات لم يعرف قائلها ـ ولكن جاءت في كتب النحو والأدب. الخزانة ١ ـ ٣٥٩، واللسان «اله» ويأتي بعدها:

مـن حيـثمـا وكـيـفـمـا وأيـنـمـا فـإنـنـا مـن خـيـره لـن نـعـدمـا

فهذا جملة تفسير وإعراب ﴿اللَّهُمَّ﴾.

ومعنى: ﴿وَتَنزِعُ الملْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾على ما ذَكَرْنـا في ﴿تُؤْتِي الملك مَنْ تَشاءُ﴾.

ومعنى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾.

أي بيدك الخير كله، خيرُ الدنيا وخيرُ الآخرة.

وقوله جلَّ وعزّ: ﴿تُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

المعنى: تـدخل أُحـدهما في الآخـر يقـال: ولـج الشيءُ إذا دخـل يلج وُلُوجاً وَوَلْجَة، وَالْوَلْج والوَلْجَةُ شيءٌ يكون بين يدي فناء.

فمعنى: ﴿تـولـج الليـل في النهـار﴾أي تنقص من الليـل فتـدخـل ذلـك النقصان زيادة في النهـار، وتنقص من النهار فتـدخل ذلـك النقصان زيـادة في الليل.

﴿وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾.

أي تخـرج الإنسان من النُّـطْفَةِ، والـطائِـر من البَيضـةِ، وتخـرج للنـاس الحب الذي يعيشون به من الأرض الميتة.

﴿وَتُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.

أي تخرج النطفة من الإنسان، والبيضة من الطائر.

ومعنى﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أي بغير تقتير، وهذا مستعمل في اللغة، يقال للذي ينفق مـوسِّعا: فلان ينفـق بغيـر حساب، أي يوسع على نفسه، وكأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً.

وذكر اللَّه جلّ وعزّ بعد هذا التقديس والتعـظيم أمر المنـافقين فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ المؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾.

القراءَة بالجـزم، وكسر الـذال لالتقاءِ السـاكنين، ولو رفعت لكـان وجهاً

فقلت: ﴿لا يتخذ المؤْمنون الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤْمِنِينَ﴾: المعنى: «أنه» من كان مؤْمناً فلا ينبغي أن يتخذ الكافر ولياً لأن ولي الكافر راض بكفره، فهو كافر. قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[1]. وقال: ﴿والمؤْمِنُونَ والمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2].

ومعنى: ﴿من دون المؤْمنين﴾، أي لا يجعل ولاية لمن هو غير مؤْمن، أي لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤْمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان كما تقول زيد دونك فلست تريد أنه في موضع مستقل وأنك في موضع مرتفع، ولكنك جعلتَ الشرفَ بمنزلةِ الارتفاعِ في المكان، وجعلت الخِسَّة كالاستقبال في المكان. فالمعنى: أن المكان المرتفع في الولاية مكان المؤْمنين.

فهذا بيان قوله: ﴿مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾[3].

ومعنى: ﴿ومَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيءٍ﴾.

أي من يَتَولَّ غيرَ المؤْمنين فاللَّهُ بَرِيءٌ منه.

﴿إلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.

«وتَقِيَّةً» قُرئَا جَمِيعاً. فأباح اللَّه جلّ وعزّ الكفر مع القصة[4]. والتَّقِيَّةُ خوفُ القتل، إلّا أنّ هذه الإباحة لا تكون إلا مع سلامة النيّة وخوف القتل.

﴿ويُحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإلى اللَّهِ المَصِيرُ﴾.

---

(١) المائدة آية ٥١.

(٢) التوبة (٩) آية ٧١.

(٣) هذا هو المعنى اللغوي ـ والآية بمعنى «من غير» أي لا ينبغي للمؤمنين أن يصادقوا الكافرين، ويتركوا صداقة إخوانهم المؤمنين.

(٤) أباح للمؤمن أن ينطق كلمة الكفر لينجو، ولكن قلبه مطمئن بالايمان ـ ومعنى مع القصة أنه ينطق بكلمة الكفر على الحكاية مع سلامة النية.

معنى: ﴿نَفْسَهُ﴾ «إيّاه» إلا أن النفس يستغنى بها هنا عن «إياه»[1] وهو الكلام[2]، وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[3] (فمِمَّا بِه)[4] خوطب العباد على قدر علمهم، ومعناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك.

وفي قوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أي تؤتي الملك من تشاءُ أن تؤتيه، وكذلك ﴿وتنزع الملك ممّن تشاءُ﴾ أن تنزعه منه إلا أنه حذف لأن فى الكلام ما يدل عليه.

ونصب: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: كأنه قال ويحذركم اللَّه نفسه في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون نصب على قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ، والقول الأول أجود.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾.

القراءَة بضم التاءِ، ويجوز في اللّغة: «تحبّون». ولكنّ الأكثر تحبّون لأنّ حببت قليلة في اللغة وزعم الكسائي أنها لغة قد ماتت فيما يحسب.

ومعنى: ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، أي تقصدون طاعته وترضون بشرائعه والمحبّة على ضروب، فالمحبة من جهة الملاذ في المطعم والمشرب والنّساءِ، والمحبّة من اللَّه لخلقه عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ومغفرته وحسن الثّناءِ عليهم، ومحبّة الإنسان للَّه ولرسوله طاعته لهما ورضاه بما أمر اللَّه به، وأتى به رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) أي التقدير يحذركم إياه.

(٢) المألوف أن يقال هذا.

(٣) المائدة ٦ ـ ١١٦.

(٤) في ك فقط.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

القراءَة بإظهار الراءِ مع اللام، وزعم بعض النحويين: أن الراءَ تدغم مع اللام فيجوز.. ويغفر لكم.. وهذا خطأٌ فاحش ولا أعلم أحداً قرأ بـه غير أبي عمـرو بن العلاءِ، (وأحسب الـذين رووا عن أبي عمرو ادغـام الرّاء في الـلاَم غالطين)[١].

وهو خطأً في العربية لأن اللاَّم تدغم في الرّاءِ، والنّون تـدغم في الرّاءِ، نحـو: (قـولـك)[٢] هـل رأيت، ومن رأيت[٣]. ولا تـدغم الـرّاءُ في الـلام إذا قلت: مـر لي بشيءٍ. لأن الـراءَ حـرف مكـرّر فلو أُدغمت في الـلام ذهب التكرير. وهذا إجماع النحويين الموثوق بعلمهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.

أي أظهروا محبّتكم للّه إن كنتم تحبّونه بطاعته واتّباع رسـوله[٤] ومعنى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

أي فـإن اللّه لا يحبهم، لأن من تـولى عن النبي ﷺ فقـد تـولى عن اللّه[٥].

ومعنى: ﴿لا يحب الكافرين﴾. لا يغفر لهم ولا يثني عليهم خيراً.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَى آدَمَ وَنُوحـاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْـرانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾.

---

(١) ليست في ك.

(٢) ليست في ك.

(٣) ومثله في القرآن ـ فإن رجعك اللّه ـ قل رب.

(٤) في ط رسله.

(٥) في ط تولى غير اللّه.

معنى اصطفاهم في اللغة: إختارهم أي جعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يُرى[1]، لأنّ العرب تمثّل المعلوم بالشيءِ المرئي، فإذا سمع السّامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهده عِياناً، فنحن نعين الشيء الصّافي أنه النقيّ من الكدر، فكذلك صفوة اللّه من خلقه، وفيه ثلاث لغات: صَفْوة وصِفْوة وصُفوة وهم من لا دنس فيهم من جهة من الجهات في الدّين والخيريّة. وقيل في معنى اصطفاهم قولان:

قال قوم: اصطفى دينهم أي اختاره على سائر الأديان. لأن دين هؤلاءِ الجماعة الإسلام، وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إنّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإسْلَامُ﴾[2].

وقال قوم: اصطفى آدمَ بالرّسالة[3] إلَى الملائكة[4] وإلى ولده، وإصطفى نوحاً وإبراهيم وآله بالرّسالة. ألَا ترى قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾[5]. فأمره اللّه تعالى أن ينَبِيءَ عنهُ ملائكته، وآل عمران هم آلُ إبراهيم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

المعنى: إصطفى ذرية بعضها من بعض ـ فيكون نصب «ذريّة» على البدل، وجائزاً أن ينصب على الحال المعنى: واصطفاهم في حال كون بعضهم من بعض. و﴿ذرّية﴾ قال النحويّون: هي فُعْلِيَّة من الذر، لأن اللّه،

---

(١) ط بما يروى.

(٢) آل عمران ٣ ـ ١٩.

(٣) عبارة ك. اصطفى آدم بالرسالة إلى ولده. ألا ترى... الخ. واصطفى نوحا وإبراهيم وآله برسالة.

(٤) ﴿يا آدم أنبئهم﴾ ـ من سورة البقرة (٢) آية ٣٣.

(٥) غير جيد لأن الآية ذكرت آل إبراهيم وآل عمران ولعله يريد من اتبع ملة إبراهيم.

أخرج الخلق من صلب آدم كالـذّرّ، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِـرَبِّكُمْ قَالُوْا بَلَى﴾[1].

وقـال بعض النحـويين: ﴿ذرّية﴾ أصلهـا ذرّورة على وزن فُعـولـة ولكن التضعيف لمّـا كثر أبـدل من الرّاءِ الأخيـرة فصارت ذُرُّويَة ثمّ أُدْغِمَت الـواو في الياءِ فصارت ذُرِّيّة.

والقول الأول أقيس وأجود عند النحويين[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ربِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَـكَ مَا فِي بَـطْنِي مُحَـرَّراً﴾.

قال أبو عبيدة: معناه قالت امرأة عمران و «إذ» لغو وكذلك»: ﴿وإِذْ قَـالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ قال معناه: وقالت: ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً. قـال جميع النحويين: إنّ ﴿إذ﴾ يدل على ما مضى من الـوقت فكيف يكون الـدليل على ما مضى من الوقت لغواً، وهي اسم مع ما بعدها.

وقال غير أبي عبيدة منهم أبو الحسن الأخفش، وأبـو العباس محمـد بن يزيد: المعنى اذكروا إذ قالت امرأة عمران.

والمعنى عندي ـ واللَّه أعلم ـ غيـر مـا ذهبت إليـه هـذه الجمـاعـة وإنّمـا العـامل في ﴿إذ قالت﴾ معنى الاصطفـاءِ ـ المعنى ـ واللَّه أعلم ـ واصـطفى آل عمـران ﴿إذ قالت إمـرأة عمـران ربّ إنّي نـذرت لـك مـا في بـطني محرراً﴾، واصطفاهم ﴿إذ قالت الملائكة يا مـريم إنَّ اللَّه اصطفاك﴾. فذكـر اصطفـاك يدل على ما وصفنا ومعنى نذرت: يدل على ما وصفنا[3].

---

(١) الأعراف (٧) آية ١٧٢.

(٢) لأن الراء ليست حرف علة فقلبها غير جيد.

(٣) لا يتسق هذا مع أول الآية ـ خاصاً بآدم وإبراهيم ونوح. ورأى الأخفش والمبـرد في تقديـر أذكر

ومعنى ﴿نذرت لك ما في بطني محرّراً﴾. أني جعلته خادماً يخدم في مَتَعَبَّدَاتِنا، وكان ذلك جائزاً لهم، وكان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرّجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متعبّده ولعبّادهم، ولم يكن ذلك النذر في النّساءِ إنما كان ذلك في الذكورة، فلمّا ولدت امرأة عمران مريم قالت: ﴿رَبِّ أنّي وضعتها أُنثى﴾ وليست الأُنثى مما يصلح للنذر، فجعل اللَّه عزّ وجلّ. من الآيات في مريم ـ لِمَا أراده اللَّه من أمر عيسى ـ أن جعلها متقبّلة في النّذر فقال عزّ وجلّ: ﴿فتَقَبَّلَهَا رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾.

الأَصل في العربية: بتقبّل حسن، ولكن قبول محمول على قوله قَبِلَهَا قَبُولاً حسناً، يقال: قَبِلْتُ الشيءَ قَبُولاً حَسَناً، (ويجوز قُبُولا)[1] إذا رَضِيتَهُ، وقَبِلَتْ الرِّيحُ قَبُولاً وهي ـ تَقْبُل، وقَبِلْتُ بالرّجل أَقْبَلُ قبالة، أي كفلت به، وقد روى قَبِلْتُ بالرّجل في معنى كفلت به على مثال فَعِلت[2]، ويقال: سقى فلان إبله قَبَلاً. أي صب الماءَ في الحوض[3] وهي تشرب منه فأصابها، وكل ما عاينت قلت فيه أتاني قُبُلا، أي معاينة، وكل ما استقبلك فهو قبل (بالفتح)[4]، وتقول لا أكملك إلى عشر من ذي قِبَل وقَبَل، المعنى قَبَل إلى عشر مما نشاهده من هذه الأيام، ومعنى «قِبَل» عشر نَسْتَقْبلها، ويقال: قَبلت العين تقبل قبلا إذا أقبل النظر على الأنف[5]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يَأْتِيَهَا العَذَابُ قُبُلاً﴾[6]، وقِبَلا وقَبَلا: كله جائز، فمن قرأ ﴿قُبُلا﴾ فهو جمع قَبِيلٍ وقُبُلٍ مثل رَغيف

أقيس نحواً وأكمل معنى. وما ذكره الزجاج صحيح معنى: أي أن هذه مواقف فضلوا فيها ووجه الدلالة أنها نذرتها للَّه فقبلها تعالى. وهذا اصطفاء، ولكنه لا يعارض رأي الأخفش.

(١) ك فقط.

(٢) بفتح العين وكسرها.

(٣) في اللسان صب الماء على أفواهها، والمعنى واحد.

(٤) ليست في ك ـ والمراد فتح القاف.

(٥) وفعله كنصر ومصدره قبلاً وقُبولاً بضم القاف ويقال قبلت العين كفرح وكنصر وأقبلت اقبالاً، واقبالت ـ وهو أقبل بين القبل كان ينظر إلى طرف أنفه.

(٦) الكهف ١٨ ـ ٥٥.

ورُغُف، المعنى: أو يأتيها العذاب ضُروباً ومن قرأ «قِبلا» بالكسر فالمعنى: ﴿أو يأتيهم﴾ العذاب معاينة، ومن قرأ «قَبلًا» بالفتح فالمعنى: ﴿أو يأتيهم العذاب﴾ مقابلا، والقَبْلَة: جمع قَبْل شبيهة بالفَلْكةِ، أي بفلكة المِغزل تكون في القلادة[١].

ومعنى: ﴿أَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ أي جعل نشوءَها نشوءًا حسناً، وجاءَ «نباتا» على غير لفظ أنبت، على معنى نبت نباتاً حسناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

في هذا غير وجه، يجوز: «وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءَ» - بالمدّ -، «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ، وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا - بالقصر﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾بالقصر.

وفي ﴿زكريًّا﴾ ثلاث لغات هي المشهورة المعروفة - زكرياءُ بالمدّ وزكريَّا - بالقصر. غير منون في الجهتين جميعاً، وزكريّ بحذف الألف معرب منون. فإما ترك صرفه فلأنَّ في آخره ألفي التأنيث في المدِّ[٢]. وألف التأنيث في القصر، وقال بعض النحويين: إنه لَم يُصرف لأنَّه أعجميّ، وما كانت فيه ألف التأنيث فهو سواءٌ في العربية والعجمية[٣]. لأن ما كان أعجميًا فهو يتصرف في النكرة، ولا يجوز أن تصرف الأسماءُ التي فيها ألف التأنيث في معرفة ولا نكرة لأن فيها علامةَ التأنيث وأنَّها مصوغة مع الاسم صيغة[٤] واحدة، فقد فارقت هاءَ التأنيث فلذلك لم تصرف في النكرة، ويجوز كفلها زكرياءَ بنصب زكرياءَ، ويجوز في هذا الموضوع زكريا بالقصر، فمن قرأ كَفَّلَه

---

(١) اسم جنس جمعي على غير القياس مثل كمأة وكم.

(٢) النحويون عادة يقولون ألف التأنيث الممدودة، يعنون الهمزة التي قبلها ألف مد، فعبر هنا بألفي التأنيث، يعني ما آخره ألف وهمزة.

(٣) ألف التأنيث وحدها تَكْفِي للمنْعِ مِنَ الصَّرْفِ.

(٤) في ك. مصنوعة. صنعة.

زكرياءُ ـ رفعه بفعله[1]، فالمعنى فيما ذكر أبو عبيدة ضمنها، ومعناه في هذا ضمن القيام بأمرها. ومن قرأ كفلها زكرياءَ ـ بالنَّصب ـ فالمعنى: وكفَّلها اللَّه زكرياءَ، وأما اللغة الثالثة فلا تجوز في القرآن لأنها مخالفة المصحف، وهي كثيرة في كلام العرب.

وقوله جلّ وعز: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾.

القصر والمدُّ في زكريا. والقراءة بهما كثيرة كما وصفنا و﴿المحراب﴾: أشرف المجالس والمقدَّم فيها، وقد قيل أن مساجدهُمْ كانت تسمى المحاريب، والمحراب في اللغة الموضع العالي الشريف.

قال الشاعر:

ربَّة محراب إذا جئتها　　لم أَلقها أو أرتقى سلما[2]

ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[3] ونصب كُلَّمَا بقوله: ﴿وجد﴾ أي يجد عندها الرزق في كل وقت يدخل عليها المحراب ـ فيكون ما مع دخل بمنزلة الدُّخول ـ أي كل وقت دخول[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾.

أي من أين لك هذا.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

---

(١) والفعل مخفف ومشدد ـ أي قام زكريا بكفالتها.

(٢) البيت لوضاح اليمن ـ اللسان «حرب» الجمهرة ١ ـ ٢١٩.

ووضاح هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال. له قصص يروى مع أم البنين. يريد أنها شريفة ثرية ذات مكان مرتفع. فلا أقابلها إلا بارتقاء السلم.

(٣) سورة ص (٣٨ ـ ٢١) أي تسلقوا السور المرتفع.

(٤) هذا تلفيق بين تقديرين ـ فهي إما «كلما» كلمة واحدة فهي ظرفية بمعنى كل وقت. وهو الواضح فيها، وأما كل ما دخل ـ فهي بمعنى كل دخول دخله عليها.

وإنما سأل زكريا عن الرزق لأنه خاف أن يأْتيها من غير جهته فتبيّن عنده أنَّه من عند اللَّه، وذلك من آيات مريم، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وجعلناها وابنها آيةً للعالمين﴾(١) فمن آياتها أنها أوّل إمرأة قُبلت في نذر في المتعبّد، ومنها أن اللَّه أنشأ فيها عيسى ـ عليه السلام ـ من كلمة أَلقاها إليها، ومنها أن اللَّه عزّ وجلّ ـ غذاها برزق من عنده لم يجْرِهِ على يد عبد من عبيده، وقد قيل التفسير أنها لم تُلْقَمْ ثدياً قطّ.

ومعنى ﴿إنَّ اللَّه يَرْزُقُ مَنْ يشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أي بغير تقتير، و﴿حساب﴾. إن شئت فتحت الأَلف وأَلزمتها جهة الفتح، وإن شئت أَملتها إلى الكسر، لانكسار الحاءِ، وذلك كثير في لغة العرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هُنالِكَ دَعَا زَكَرِيّا رَبَّهُ﴾.

﴿زكريا﴾ ـ بالمدّ والقصر على ما وصفنا. المعنى عند ذلك دعا زكريّا ربّه، أي عندما صادف من أمر مريم، ثمَّ سأَل اللَّه أَن يرزقه ذريّة طيبة، و﴿هنالك﴾ في موضع نصب لأنَّه ظرف يقع من المكان والأَحوال ـ أَحوال الزَّمان.

والمعنى في ذلك المكان من الزمان ومن الحال ـ دعا زكريّا ربّه كما تقول من هنا قلت كذا وكذا، ومن هنالك قلت كذا وكذا أي من ذلك الوجه وتلك الجهَة، وهذا في غير المكان على المثل جرى. وَكَسْرُ لام ﴿هنالك﴾ وقع لالتقاءِ السّاكنين لأَنَّ هنالك إشارة إلى مكان متراخ، أو حال من أَحوال الزَّمان نسبتها إلى المكان وقال: ﴿طيبة﴾ للفظ ذرّية.

و﴿هنالك﴾ لا يجب أن يعرف في رفع ولا جر لأنه في الإشارة إلى المكان بمنزلة الإشارة في هذا وهذاك إلى سائر الأَشياءِ. فهو مضارع للحروف التي جاءَت لمعنى(٢).

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ٩١.

(٢) أشبه الحروف فهو مبني لذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ﴾.

و «فناداه الملائكةُ». الوجهان جميعاً جائزان، لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث، لأنَّ معناها معنى جماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير. كما يقال جمع الملائكة. ويجوز أن تقول نادته الملائكة وإنما ناداه جبرائيل وحده لأن المعنى أتاه النِّداءُ من هذا الجنس، كما نقول ركب فلان في السّفن، وإنما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك جعل ركوبه في هذا الجنس.

ويجوز ﴿أن اللَّه يُبَشِّرك﴾ و «إنَّ اللَّهَ يُبَشِّـرُكَ» بفتح إن وكسرها فمن فتح فالمعنى نادته بأنَّ اللَّه يبشرك أي نادته بالبشارة، ومن كسر أراد قالت الملائكة: إنَّ اللَّه يبشرك. وإنَّ بعد القول أبداً مكسورة.

وفي ﴿يبشرك﴾ ثلاث لغات: (إن اللَّه يبشِّرك) [(١)] بفتح الباءِ وتشديد الشَّين وهي قراءَة كثيرة جدًّا، ويبْشُرُكِ - بإسكان الباءِ وضم الشِّين، وقرأ حميد[(٢)]، وحده «يُبْشِـرُكِ» - بضم الياءِ وإسكان البـاءِ وكسر الشِّين، فمعنى يُبَشِّـرك، ويَبْشرك: البشارة، ومعنى يُبشرك يسرّك ويفرحك. يقال بشَّرت الرجل أُبشَّره وأَبْشُرُه إذا أَفْرَحته، ويقال بَشُرَ الرجل يَبْشُرُ، وأنشد الأخفش والكسائي وجماعة من النحويين:

وإذا لقيت الباهشين إلى النِّدا غُبراً أكُفُّهُمْ بقاع مُمْحِل[(٣)]

(١) ليست في ك.

(٢) هو حميد بن قيس الأعرج أخذ عن مجاهد بن جبير وعرض عليه قراءته ثلاث مرات وروى عنه سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء وآخرون. توفي ١٣٠ هـ.
وهناك ثلاثة آخرون من القراء يسمون باسم حميد - ولكنهم متأخرون منهم من روى عن الكسائي ومنهم من روى عن نافع أو يعقوب والمراد هنا - الأعرج - لقدمه وشهرته. فلا ينبغي أن يكون هناك لبس بينهم.
أنظر: غاية النهاية ت ١١٩٨، وأنظر ت ١١٩٩ - ١٢٠١.

(٣) الأبيات من قصيدة جيدة في المفضليات ١١٦، وفي اللسان «كرب - بشر - يسر». لعبد قس بن خفاف =

فـأعنهـم وابْشُر بمَـا بَـشُـرُوا بــه   وإذا هم نـزلـوا بضنـك فـأنـزل

فهذا على بشُر يبْشُر إذا فرح، وأصل هذا كله من أنَّ بشرة الإنسان تنبسط عند السّرور، ومن هذا قولهم فلان يلقاني بِبشْرٍ، أي بوجه منبسط.

ويحيى إسم سماه اللّه تعالى. تولَّى هو - عزّ وجلّ - ذلك ولم يسمّ أحد قَبْل يحيى بيحيى، ويحيى لا يتصرف عربيًا كان أو أعجميًّا، لأنَّه إن كان أعجمياً فقد إجتمع فيه العجمة والتعريف ولو كان عربياً لم ينصرف لشبهه بالفعل وأنه معرفة، [علم].

ونصب ﴿مصدِّقاً﴾ على الحال.

ومعنى ﴿مُصَدِّقاً بكَلِمَةٍ منَ اللَّه﴾ أي يُصَدِّق بأَمْر عيسى لأن يحيى فُرِضَ عليه - وإن كان يحيى أسنَّ من عيسى - أتباعُ عيسى(١).

ومعنى ﴿سَيِّداً وَحَصُوراً﴾.

السيِّد الذي يفوق في الخير قومه، ومعنى ﴿حصوراً﴾ أي لا يأتي النِّساءَ، وإنما قيل للذي لا يأتي النِّساءَ حصور لأنه حُبِسَ عما يكون من الرجال، كما يقال في الذي لا يتيسّر له الكلام قد حُصِرَ في منطقه، والحصور الذي لا ينفق على النَّدامى، وهو ممن يُفْضِلُونَ عليه قال الشاعر(٢):

البرجمي يوصي ابنه - وهو جاهلي من معاصري النابغة. وهـذه القصيدة تحوي كثيراً من الخلال الكريمة والتجارب النافعة.

الباهشون إلى النداء: المتطلعون إليه من بهش: بحث عن الشيء. وغبرا أكفهم: أي مغبرة من كد السفر - أو هو كناية عن الطاقة وخلو السيد، والمعنى ساعدهم وأفرح بفرحهم - وإذا أصابهم الضنك فاحتمله معهم.

(١) فرض على يحيى أن يصدق بعيسى وأن يبشر الناس برسالته فهذا معنى التصديق - أما أتباعه فغير ممكن لأن عيسى لم يبدأ رسالته إلا بعد قتل يحيى أوحبسه.

(٢) هو الأخطل. (اللسان: سور - حصر). والديوان ١١٦.

يصف نديمه بالأدب وأنه لا يعربد إذا شرب - ويروي سَئَّار بمعنى لا يبقى سؤرا في الكأس. والمربح الجواد يذبح الإبل للأضياف.

وشـارِبٍ مُربـحٍ بالكـاس نـادمني   لا بـالحَصُـور ولا فيهـا بسـوّار

ويروى ولا فيها بِسَئّار، أي نادمني وهو كريم منفق على النَّدامي، والسّوّار الْمُعَـرْبِد يُسـاوِر نديمـه أي يَثبُ عليه، والسّـار الذي يُفْضِـل في إنائـه إذا شرب، والحصور الذي يكتم السر، أي يحبس السّرّ في نفسه قال جرير.

ولقـد تسقَّـطني الـوشـاة فصـادفـوا   حَصِـراً بسـرّك يـا أُميمَ ضنينـا[1]

والحصـير هذا المـرمُول[2] الـذي يُجلس عليـه، وإنمـا سمي حصيـراً لأنـه دوخـل بعضه في بعض في النسيـج أي حبس بعضه عـلى بعض، ويقال للسِّجْن الحصير لأن الناس يُحصرون فيه، ويقـال حصرتُ الـرجلَ إذا حبستـه، وأحصره المـرض إذا منعـه من السّـير، (والحصـير الملك)[3] وقـول اللّه ـ جـلّ وعـلا: ﴿وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً﴾[4] أي حبسـا، ويقال أصـاب فلانـاً حَصَرٌ، إذا احتبس عليه بطنه، ويقال في البول أصابه أسر إذا احتبس عليه بوله.

ومعنى ﴿من الصّـالحين﴾ الصّـالح الـذي يؤدي إلى اللّه ما عليـه ويؤدي إلى الناس حقوقهم.

وقوله جلّ وعلا: ﴿قالَ رَبِّ أَنَّى يكُونُ لِي غُلَامٌ﴾.

أي كيف يكون لي غلام. قال الكميت:

أنّى وَمـن أيـن آبـك الـطّرب   مـن حيث لا صبـوة ولا لـعب[5]

---

(١) تسقط ـ حاول أن يستنزل لسانه بكلمة ـ والضنين بالشيء الحريص عليه. وفي اللسان رجل حصر كتوم للسر لا يبوح به ـ والبيت به ـ (حصر ـ سقط) ورواية في الأخيرة حَجِئا بسرك ـ من حجيء بالشيء كفرح ـ ضنَّ به.

(٢) رمل النسيج رقعه، ورمل الحصير والسرير زينه بالجوهر ونحوه وأرملته فهو مرمول ومرمل. أي منسوج متداخل بعضه في بعض.

(٣) ليست في ك.

(٤) الإسراء ١٧ ـ ٨.

(٥) هو الكميت بن زيد الأسدي من مشهوري المتشيعين لبني هاشم وله فيهم قصائد تعرف:

«أي» كيف ومن أين آبك الطَّرب [1].

ويقال غلام بيِّن الغُلوميَّة والغلاميّة والغلومة.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ﴾.

بمعنى قد بلغت الكبر وفي موضع آخر ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2]، وكل شيءٍ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك.

ومعنى﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

أي مثل ذلك يفعل اللّه الّذي يشاؤه. وإنَّما سأل زكريا لأنَّه أحبَّ أن يعلم أيأتِيه الولد وامرأتُه عاقر وهو مُسِنٌّ، أم يجعله اللّه على هِيئة من يُولَدُ له ويجعل إمرأته كذلك، أم يأتيها الولدُ وهما على الهيئةِ التي لاَ يكونُ معها ولد، فأعلمها اللّه أنَّ ذلك هينّ عليه كما أنشأهما ولم يكونا شيئاً، وأنه يعطيهما الولد وهما في هذا السن.

ويقال في﴿عاقر﴾ قد عقُرَتْ المرأة وعَقَرَتْ، وهي عاقر، وهذا دليل أنَّ عاقراً وقع على جهة النَّسب[3]، لأنَّ فَعُلتْ أسماءُ الفاعلين فيه على فعيلة[4]، نحو ظَرُفت فهي ظريفة[5]، وإنما عاقر له ذات عقر، ويقال قد عقر الرجل يعقر عقراً: إذَا انقطع عليه الكلام من تعب وكلال. والعَقار كل مال له أصل، وقد قيل إن النخل خاصّة يقال له عَقَار. وعُقْرُ دار قوم أصل مُقَامِهِمْ الذي عليه مُعَوَّلهم، وإذا انتقلوا عنه لنُجْعةٍ فرجوعهم إليه. ويروى عن علي أنه قال: «ما

بالهاشميات. وهذا البيت من إحداها. وقد توعده هشام بن عبد الملك فاختفى مدة ثم عفا عنه.
الأغاني ١٥ ـ ١١٣ والبيت في ك مقلوب. صدره عجزه.

(١) ليست في ك. آبك عادلك.

(٢) مريم (١٩) آية ٨.

(٣) هي نسبة مثل تامر ولابن وليست صفة مشبهة.

(٤) يريد الصفات المشبهة باسم الفاعل.

(٥) في القاموس: عقرت كعنى عقارة بفتح العين وضمها، وعقرت من باب ضرب عقراً وعقراً وعقارة فهي عاقر. ا هـ. ملخصاً وعلى هذا تكون عاقر صفة مشبهة ويقال: رجل عاقر وعقير.

غـزي قوم في عُقْـرِ دارهم إلاَّ ذُلُّوا»، أي مـا غُـزُوا في المكـان الـذي هـو أصـل لمقامهم.

ومعنى ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

أي علامة أعلم بها الوقت الذي تهب له فيه الغلام.

﴿قال آيتـك ألا تُكَلِّـمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾.

أي علامة ذلك أن يُمْسَكَ لسانُك عن الكلام وأنت صحيح سَوِيٌّ وقال في موضوع آخر: ﴿آيتك ألاَّ تكلِّمَ النَّاس ثلاث ليال سوياً﴾[١] أي وأنت سَوِيٌّ.

ومعنى الرّمز تحريك الشفتين باللفظ من غـير إبانـة بصوت إنمـا هو إشـارة بالشفتين، وقد قيل أن الرّمز هو إشارة بالعينين، أو الحـاجبين والفم، والـرمز في اللغـة كل مـا أشرت بـه إلى بيان بلفظ، أي بـأي شيءٍ أشرت، أبفم أم بيـد أم بعينين والرّمز والترمّز في اللغة الحركة والتحرك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ والإِبْكَارِ﴾.

قيل ﴿سبّح﴾: صلِّ، ويقال فرغت من سَبحتي أي من صلاتي، وإنما سمّيت الصّلاة تسبيحاً لأن التَّسبيح تعظيم اللّه وتبـرئته من السـوءِ فالصّـلاة يوحّـد اللّه فيها ويحمد، ويوصف بكل ما يبرّئه من السوءِ فلذلك سمّيت الصلاة السُّبحة.

﴿والإبكار﴾ يقال فيه أبكر الرجل يُبْكِر إبْكاراً، وبَكَّر يُبَكِّر تبكيـراً وبَكَر يبكُـر في كل شيءٍ يتقدَّم فيه، وقول الناس فيما تقدم من الثمار: «قد هَرِفَ» خـطأ[٢]، إنمـا هي كلمة تبـطئة، وإنمـا تقول العـرب في مثل ذلـك: قد بكَّـر، ويسمّى ما يكون منه[٣] الباكورة.

---

(١) سورة مريم ١٩ ـ ١١ ـ سوياً حال من المخاطب.

(٢) أي أن العامة تطلق هرف على ما تقدم من الثمار وهو خطأ. وما تقـدم منها مـا جاء قبـل أوانه. وفي القاموس: أهرفت النخلة عجلت إتاءها كهرّفت تهريفاً، وهـرَّفوا إلى الصـلاة ـ بالتشـديد ـ عجلوا. ־. وأهرف غلط من الجوهري.

(٣) من الثمار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾.

معنى ﴿اصطفاك﴾: اختارك، وقالوا في طهَّرك ـ طهَّرك من الحيض والنِّفاس ـ ومعنى طهَّرك ـ والله أعلم ـ أي جعلك طاهرة من سائر الأدناس[1]. إلاَّ أنَّ الأوّل قد جاءَ في التفسير وقيل إن معنى ﴿اصطفاك على نساءِ العالمين﴾ أي على نساءِ أهل دهرها. وجائز أن يكون على نساءِ العالمين كلهم، أي اختارك لعيسى على نساءِ العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساءِ العالمين[2].

ومعنى ﴿اقنُتي لِرَبِّكِ﴾: أي اعبديه بالقول والعمل.

﴿واسجدي واركعي﴾: معنى الركوع قيل السّجود المعنى اركعي واسجدي، إلا أن الواو إذا ذكرت فمعناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشّيئين قبل الآخر. لأنها تؤذن بالاجتماع، والعمل، والحال تدل على تقدّم المتقدِّم من الإثنين[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نوحيه إِلَيْك﴾.

أي الأخبار التي قصصناها عليك في زكريا ويحيى ومريم وعيسى من أنباء الغيب، أي من أخبار ما غاب عنك، وفي هذا دليل على تثبيت نبوة النَّبي ﷺ لأنه أنبأ بما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي وقد أجمعوا أن النبي ﷺ كان أمياً، فإنباؤه إياهم بالأخبار التي في كتبهم على حقيقتها من غير قراءة الكتب دليل على أنَّه نبيّ وأن الله أوحى إليه بها.

ومعنى ﴿إِذْ يُلْقُون أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

أي هذا أيضاً مما لم تحضره، ومعنى الأقلام ههنا القِدَاحُ وهي قداح جعلوا

---

(١) أي الأخلاقية، وليس منها الحيض.

(٢) في الأصل وك. من مرة من نساء العالمين، بمعنى أنه لم يحدث مرة أن حملت أنثى من غير زوج كما حصل لك.

(٣) العمل يعني أداء الصلاة، وجعل الركوع فيها أولا يدل على أن الواو ليست للترتيب، هذا إذا كانت الصلاة إذ ذاكِ هيَ صلاتنا بعد الإسلام. وإلا فالمراد مجرد عبادة الله والإذعان له.

عليها علامات يعرفون بها أَيُّهم يكفل مريم على جهة القـرعة ـ وإنمـا قيل للسهم القلم لأَنَّه يُقْلَمَ أي يُبْرَى، وكل ما قـطعت منه شيئاً بعد شيء فقـد قَلَمْتَه، من ذلـك القلم الذي يكتب بـه، إنما سمي لأَنـه[1] قلم مرّة بعـد مـرّة، ومن هـذا قلمت أظافري.

ومعنى ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

أي لينظروا أَيّهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها، ومعنى ﴿لديهم﴾ عندهم وبحضرتهم.

﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾:

إذ نصب بقوله ﴿مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ و ﴿إِذ﴾ الثانية معلقة بيختصمون أي إذ يختصمون إذ قالت الملائكة، فإِذ منصوبة بيختصمون[2].

ويكون المعنى أنهم اختصموا بسبب مريم وعيسى، وجائز أَن يكون نصب إذ على ﴿وما كنت لديهم﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾. هذا أيضاً مما لم يشاهده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾.

سمّى اللَّه عـزّ وجلّ عيسى المسيـح، وسمّـاه عيسى، وسمي ابتـداءَ أَمـره كَلِمَةً (منه)[3] فهو. ﷺ كلمة من اللَّه أَلقـاها إلى مـريم، ثم كوّن تلك الكلمـة بشراً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿اسْمُهُ﴾ وإنما جرى[4] ذكر الكلمة لأَن معنى الكلمة معنى

---

(١) في ط لأنه قد قلم ـ يريد سمي قلماً.

(٢) الأقرب ما ذكره من تعلقها بلديهم، فهم لم يختصموا عند نداء الملائكة.

(٣) ليست في ك.

(٤) الضمير المذكر في «اسمه» صح عوده على «الكلمة» وهي مؤنثة لأنها بمعنى الولد. أي يبشرك بولد.

الولد، المعنى أن اللّه يبشرك بهذا الولد، ﴿وَجِيهاً في الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

﴿وجيهاً﴾ منصوب على الحال، والوجيه الذي له المنزلة الرفيعة عند ذوي القَدْر والمعرفة، ويقال قد وَجُهَ الرجلُ يَوْجُه وَجَاهة، ولفلان جَاهٌ عند الناس ووجاهة عند الناس، أي منزلة رفيعة. وقال بعضُ النحويين: ﴿وجيهاً﴾ منصوب على القطع من عيسى، وقطع ههنا كلمة محال، لأنه إنما بُشِّر به في هذه الحال، أي في حال فضله فكيف يكون قطعها منه، ولم يقل لم نصب هذا القطع، فإن كان القطع إنما هو معنى، فليس ذلك المعنى موجوداً في هذا اللفظ، وإن كان القطع هو العامل فما بَيَّن ما هو، وإن كان أراد أن الألف واللام قُطِعَا منه فهذا محال لأنَّ جميع الأحوال نكرات والألف واللام لمعهود، فكيف يقطع من الشيء ما لم يكن فيه قَطُّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ويُكَلِّمُ النَّاسَ في الْمَهْدِ﴾.

معطوف على وجيهاً، المعنى يبشرك به وجيهاً ومكلماً الناس في المهد، وجائز أن يعطف يفعل على فاعل، لمضارعه بفعل فاعل، قال الشاعر: (١)

بات يعيشها بغضب باتر   يقصد في أسواقها وجائر

وَكَهْلاً:

أي ويكلم الناس كهلا، أعلمها اللّه أن عيسى يبقى إلى حال الكهولة، وقيل إن كهلا، أي ينزل من السماءِ لقتل الرجال وهو كهل ـ واللّه أعلم.

ومعنى ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.

---

(١) لم يعرف القائل والضمير للإبل، والعضب من أسما السيف والباتر الذي يستأصل بالقطع والأسوق جمع ساق. والشاهد النحوي فيه عطف جائر على يقصد، ومثله في القرآن ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويَقْبِضْنَ الملك ٦٧ ـ ١٩ والبيت في أمالي الشجري ٢ ـ ١٩٨ ويروى يغشيها بالغين، والمعنى أنه منحار يذبح إبله بكثرة للأضياف فيظل سيفه يعمل فيها مرة يقتصد وأخرى يجور.

أي يخلق الله ما يشاءُ مثل ذلك ﴿ويُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ﴾.

أي يعلمه ذلك وحياً وإلهاماً.

ونصب ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ على وجهين ـ أحدهما ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، والاختيار عندي ـ والله أعلم ـ

ويكلم الناس رسولاً إلى بني إسرائيل[1] والدليل على ذلك أنه قال: ﴿إنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

فالمعنى ـ والله أعلم ـ ويكلمهم رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم، ولو قرئت إني قد جئتكم ـ بالكسر ـ كان صواباً، المعنى إني قد جئتكم بآية من ربكم ـ أي بعلامة تثبت رسالتي[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾.

يصلح أن يكون خفضاً ورفعاً، ـ فالخفض على البدل من ﴿آية﴾، المعنى جئتكم بأني أخلق لكم من الطين، وجائز أن يكون «إنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّن الطِّينِ» يخبرهم بهذه الآية ما هي[3] أي أقول لكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير.

يقال انه صنع كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طيراً، وجاز أن يكون فأنفخ فيه للفظ الطين، وقال في موضع آخر ﴿فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[4] للفظ الهيئة.

﴿وأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

---

(١) أي هو حال ـ وهذا أرجح من حذف الفعل «ويجعله».

(٢) لم يشرح سبب الكسر، وهو أما على الاستئناف أو على تقدير قول أي قائلاً.

(٣) وفي الحالة الأولى نقرأ أن بفتح الهمزة، وفي الثانية تكسر، إذ هي مستأنفة.

(٤) المائدة ٥ ـ ١١٠.

﴿الأكمة﴾ الذي يولد أعمى، قال الراجز

هـرجت فـارتـد ارتـداد الأكمـه[1]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأُنبئكم بما تأكلون﴾.

أي أُخبركم بمأكولكم، فجائز أن تكون ﴿ما﴾ ههنا في موضع الذي، والمعنى أُنبئكم بالذي تأكلونه وتدخرونه، ويجوز أن يكون ما وماوقع بعدها بمنزلة المصدر. المعنى أُنبئكم بأكلكم وادخاركم والأول أجود، ومعنى تدخرون: جاءَ في التفسير: ما تأكلون في غدوكم[2]. وتدخرون بالدال والذال. وقال بعض النحويين إنما أختير تدخرون لأن التاءَ تدغم في الذال نحو تَذَّكَّرُونَ، فكرهوا تذخرون لأنه لا يشبه ذلك، فطلبوا حرفاً بين التاء والذال فكان ذلك الحرف الدال.

وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة:

وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالْمَهْجُورةُ حرْف أَشْبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، والمهمُوسُ حرف أضعف الاعتماد [عليه] في موضعه وجرى معه النفس.

وإنما قيل ﴿تدَّخرون﴾ وَأَصْله تذْخرون :أي يفتعلون من الذُّخْر، لأن الذال حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه والتاء مهموسة، فأبدل من مخرج التَّاءِ حرف مجهور يشبه الذال في جَهْرِها وهو الدال. فصار تَذْدَخِرُون. ثم أُدْغِمَتْ الذال في الدال، وهذا أصل الإدغام أن تُدغِم الأول في الثاني، وتذَّخِرون جائز ـ فأما ما قال في الملبس فليس تذخرون ملبساً بشيءٍ.

---

(١) لرؤبة. الديوان ١٦٦ ـ واللسان «كمه، هرج» مجاز أبي عبيدة في الآية نفسها ـ ومعنى هرجت صحت. يريد أنَّهُ أخَافه فصار يتخبط كالأعمى ولم يستطع التقدم أو الهجوم. وأنظر ص ٩١.

(٢) أي تبقونه للأكل في غدكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ من التَّوْرَاةِ﴾.

نُصِبَ ﴿مُصدقاً﴾ على الحال، المعنى وجئتكم مصدقاً لما بين يديّ أي للكتاب الذي أُنزل قبلي[١]، فهو أمري أن تتبعوني.

﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

أي لم أُحل لكم شيئاً بغير برهان، فهو حق عليكم أتباعي لأنِّي أُنَبِّئُكُمْ ببرهان، وتحليل طيبات كانت حرمت عليكم، ﴿فاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعونِ﴾: أي اتبعوني.

قال أبو عبيدة معنى: ﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

قال معناه: كل الذي حرم عليكم، وهذا مستحيل في اللغة وفي التفسير وما عليه العمل. فَأَمَّا اسْتِحَالته في اللُّغَةِ فإن البعض والجزءَ لا يُكَوِّنُ الكُلَّ وَأَنْشَدَ في ذلك أَبو عُبيدةَ بيتاً غلط في معناه وهو قولُ لبيدٍ:

تَـرَّاك مَـنْـزِلَـةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَـهَـا ... أو يَعْتَلِقْ بَعْضَ النفوس حِمَامُها[٢]

قال: المعنى «أو يَعْتَلِقْ كلَّ النفوس حمامها» وهذا كلام تستعمله الناس، يقول القائل: بعضنا يعرفك يريد أنا أُعرفك، فهذا إنما هو تبعيض[٣] صحيح، وإنما جاءَهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[٤] وهي نحو الشُّحوم وما يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أَحَلَّ لهم القتل والسَّرِقَةَ والزِّنَا فمحال.[٥]

---

(١) أي التوراة ـ وهو ـ أى تصديقه موسى عليه السلام ـ يجعلهم يتبعونه لأنه لم يعارض ديانتهم وما ألفوا من الشرائع.

(٢) معلقة لبيد شرح العشر للزوزني ص ٨٢ البيت ٥٦ والديوان ٣١١. يريد بالنفوس نفسه ـ أي إذا رأيت في مكان شيئاً أكرهه غادرت المكان إلا أن يعوقني الموت ـ ويروي أو يَعْضي.

(٣) أي كلمة بعض مستعملة في موضعها ـ لأن المتكلم بعض القوم. ولا حجة لأبي عبيدة.

(٤) النساء ٤ ـ ١٦٠.

(٥) النص صريح في أنها طيبات كانت حلالاً لهم؛ وليس منها هذه المحرمات.

ومعنى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

أي هذا طريق الدين مستوياً[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾.

معنى أحسَّ في اللغـة علمَ وَوَجَـدَ، ويقـال هـل احَسْتَ في معنى هـل أَحْسَسْتَ ويقال حَسَيْتُ بالشيء إذا عَلِمْتُه وعرفتُه

وأنشد الأصمعي:

سِـوَى أَنَّ الـعتـاقَ مـن الْمـطَايَـا   حَسْيَنَ بِـهِ فَهُـنَّ إِلَيْـهِ شُـوس[2]

ويقال حَسَّهُم القائِدُ، أي قَتَلَهُمْ.

ومعنى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

جاءَ في التفسير من أنْصـاري مع اللَّه، و«إلى» ههنـا إنما قـاربت «مع» معنى[3] بأن صارَ اللفظ لو عبر عنه «بمع» أفاد مثل هـذا المعنى، لا أنَّ «إلَى» في معنى «مع» لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز ذهب زيد مع عمرو، لأن «إلى» غاية و«مع» تضم الشيءَ إلى الشيءِ فالمعنى: يضيف نصرته إيـاي إلى نصرة اللَّه.

وقولهم إنَّ «إلى» في معنى «مَعَ» ليس بِشيءٍ. والحروف قد تقاربت في الفائدة. فَيظُن الضعيفُ العِلم باللغة أن معناهما[4] واحد.

---

(١) في الأصول «مستو».

(٢) لأبي زبيد الطائي: الطبري ١٦ ـ ١٣٧ ـ أَحْسَنَ، وأورده القـرطبي ١١ ـ ٢٤٢ والشجري ١ ـ ٩٧ كما هنا، يتحدث عن أسد عن لهم لم يره الركب ولكن أحست بـه الخيل فكـانت أعينها تميـل إلى جهته خوفاً، وشوس جمع أشوس وشوساء أي مائل البصر.

(٣) ك و «إلى» ههنا إنما قاربت معنى «مع».

(٤) أي معنى «إلى» و«مع» في هذا الموضع واحد، وليس كذلك.

من ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[(1)] ولو كانت «على» ههنا. لأدَّت هذه الفائدة، لأنك لو قلت لأصلبنكم على جذوع النخل كان مستقيماً. وأصل «في» إنما هو للوعاءِ، وأصل «على» لِمَا مع الشَّيء، كقولك: التَّمر في الجراب. ولو قلت التمر على الجراب لم يصلح في هذا المعنى، ولكن جازَ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[(1)] لأن الجذْعَ يشتمل على المَصْلوب، لأنه قد أخذه من أقطاره. ولو قلت زيد على الجبل وفي الجبل يصلح، لأن الجبل قد اشتمل على زيد، فعلى هذا مجاز هذه الحروف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾.

قال الحذاق باللغة: ﴿الحواريون﴾: صفوة الأنبياءِ عليهم السلام الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق به ونصرته فسماهم اللّه جلّ وعزّ: ﴿الحواريون﴾[(٢)] وقد قيل أنهم كانوا قَصارين فسموا الحواريين لتبييضهم الثياب، ثم صار هذا الاسم يستعمل فيمن أشبههم من المصدقين تشبيهاً بهم. وقيل إنهم كانوا ملوكاً وقيل كانوا صيادين، والذي عليه أهل اللغة أنهم الصفوة كما أخبرتك.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: الزبير ابن عمتي وحَوَارِيِّي من أُمتي. ويقال لنساءِ الأنصار حَواريَّاتٌ، لأنهن تباعدن عن قشف الأعرابيات بنظافتهن. وأنشد أبو عبيدة وغيره لأبي جلدة اليشكري[(٢)]

---

(١) سورة طه (٢٠) آية ٧١. (٢) هكذا على حكاية اللفظ.

(٢) أبو جلدة شاعر إسلامي كان من أشياع الحجاج وخلصائه ثم انقلب عليه وانضم لابن الأشعث وأخذ يحرض على الحجاج والأمويين ثم ظفر به وقتل ونقل رأسه إلى الحجاج ـ وجاء قبل هذا البيت:

بكين إلينا خشية أن تبيحها رماح النصارى والسيوف الجوارح
بكين لكيما تمنعوهن منهم وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح

أنظر المؤتلف والمختلف ٧٩ والأغاني ١١ ـ ٣١١ ـ والبيت المستشهد به في الجمهرة ١ ـ ٢٣٠، ٢ ـ

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وقال أهل اللغة في المحور وهو العود الذي تدور عليه البكرة قولين، قال بعضهم: إنما قيل له محور للدوران لأنه يرجع إلى المكان الذي زال منه، وقيل إنما قيل له محور لأنه بدورانه ينصقل حتى يصير أبيض، ويقال دقيق حُوَّارَى من هذا أي قد أخذ لبابه وكذلك عجين مُحَوَّرٌ (للذي)(١) يمسح وجهه بالماءِ حتى يصفو، ويقال عين حوراءَ إذا اشتد بياضها وخلص واشتد سوادها، ولا يقال امرأة حوراءَ إلا أن تكون مع حور عينها بيضاءَ، وما روي(٢)، في الحديث: نعوذ باللَّه من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ معناه نعوذ باللَّه من الرجوع والخروج عن الجماعة بعد الكَوَرِ. أي بعد أن كنا في الكور، أي في الجماعة يقال كَارَ الرجل عمامة إذا لفها على رأسه، وحار عمامَتَهُ إذا نقضها، وقد قيل: «بعد الكون» ومعناه بعد أن كنا على استقامة، إلا أن مع الكون محذوفاً في الكلام دليلاً عليه(٣).

وأما معنى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾(٤):

أي اكتبنا مع الذين شهدوا للأنبياءِ بالتصديق، وحقيقة الشاهد أنه الذي يبين تصحيح دعوى المدعي، فالمعنى صدقنا باللَّه واعترفنا بصحة ما جاءَ به النبي ﷺ وثَبِّتْنَا، فأكتبنا مع من فعل فعلنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

= ١٤٦ ـ اللسان (حور) والكشاف الآية نفسها وهو يرمي أهل الشام وأنصار معاوية بالكفر والتنصر، ويصف نفسه وجماعته أنهم أهل خشونة وبداوة لم تلفتهم الحضارة عن الإسلام.

(١) ليست في ك، وبها «تمسح وجهه».

(٢) في ك وفي الحديث.

(٣) في ك دليل عليه. بمعنى هو دليل عليه.

(٤) لا بد من مجيء فاء بعد أما. ولكنه في غير موضع يقتطع الكلام فيترك الخبر أو جواب الشرط. . .

الْمَكْـرُ مِنَ الخلائق خِبٌّ وخـداع، والمكر من اللَّه المجـازاة على ذلك فسمي بـإسم ذلك لأنـه مجازاة عليـه كما قـال ـ عـزّ وجـلّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْـزِئُ بِهِم﴾[1]. فجعـل مُجازَاتِهِمْ على الاستِهْـزَا بالْعَـذَابِ، لفظُه لفظُ الإستهـزاءَ. وكما قَالَ جَـلَّ وعزّ: ﴿وَجَـزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَـةٌ مِثْلُهَا﴾[2] فـالأُولى سيئة والمجـازاة عليها سُمِّيَتْ باسْمِهَا، وليست في الحقيقة سَيِّئَةً.

وجائز أَنْ يكونَ مَكْرُ اللَّهِ اسْتِدْرَاجُهُمْ من حيث لا يعلمون لأن اللَّه سلَّطَ عليهم فَارسَ فغلبتْهم وَقَتَلَتْهُمْ، والدليل على ذلك قوله عـزّ وجلّ: ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾[3].

وقيل في التفسير أيضاً إن مكر اللَّه بهم كـان فِي أَمْرِ عيسى أنـه ﷺ كان في بيت فيه كوة فدخل رجل ليقتله، ورفع عيسى من البيتِ وخـرج الرجـل في شَبَهِهِ يخبرهم أَنَّهُ لَيْسَ في البيت فقتلوه.

وجملة المكر من اللَّه مجازاتُهم على ما فعلوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾.

﴿عِيْسَى﴾ اسم أَعْجَمِي عدل عن لفظ الأَعجميةِ إلى هـذا البناءِ، وهـو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمية والتعريف فيه. ومثال اشتقاقه من كـلام العَـربِ أَنَّ عِيسى: فِعْلَى، فالألف يصلح أَنْ تكـون للتأْنيث، فـلا تتصرف في معـرفة ولا نكـرة، ويكون اشْتِقـاقه مِنْ شيئين، أَحَـدُهمَا العَيَس، وهـو بيـاض

---

(1) سورة البقرة (٢) آية ١٥.

(2) الشورى ٤٢ آية (٤٠).

(3) سـورة الروم (٣٠) ـ آيـة ١، ٢. ووجه الاستـدلال بالآيـة أن الغلبة قـد تكون لمجـرد الخـديعـة والاستدراج. فالـروم غلبوا ثم انتصـروا، واليهـــود دبـروا مكايـدهم لعيسى وحـرضــوا عليــه الرومان ثم حطمهم الرومان وشردوهم.

الإبل، والآخر من العَوْس والعِيَاسةِ إلا أنَّه قلبت الواو يا لانكسار ما قبلها(1).

فأما عيسى عليه السلام فَمَعْدولٌ من يَشوع - كذا يقول أهل السريانية.

وقال النحويون في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إليَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾.

التقديم والتأخير - المعنى أني رافعك ومطهرك ومتوفيك. وقال بعضهم: المعنى على هذا اللفظ كقوله - عزّ وجلّ - ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾(2) فالمعنى على مذهب هؤلاءِ - أن الكلام على هذا اللفظ(3).

ومعنى ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

القِراءَة بطرح التنوين، والتنوين جائز(4)، ولكن لا تقرأ به إلا أن تكون ثبتت بذلك رواية.

ومعنى: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

فيه قولان: أحدهما أنهم فوقهم في الحجة وإقامة البرهان والآخر أنهم فوقهم في اليد والبسطة والغلبة، ويكون ﴿الذين اتبعوك﴾ محمداً ﷺ ومن اتبعه فهم منصورون عَالُون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

العذاب في الدنيا القتل الذي نالهم وينالهم، وسبي الذاري وأخذ الجزية، وعذاب الآخرة ما أعده اللَّه لهم من النار.

---

(1) ك من العوس والعوس السياسة. والعياسة هي الطواف ليلا لمعرفة الحوادث.

(2) الزمر (39) - آية 42 - أي يتوفاها عند انتهاء أجلها ومجيء الوقت المحدد لموتها.

(3) أي على قياس هذا اللفظ، والمعنى إذن: سأميتك عند انتهاء أجلك، لا بأيدي - أعدائك.

(4) أي جاعِلٌ الذين اتبعوك.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

أي ما لهم من يمنعهم في الدنيا لأن الله ـ عزّ وجلّ ـ قد أظهر الإسلام على دينهم وجعل الغَلَبة لأهله، ولا أحد ينصرهم في الآخرة من عذاب الله.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

أي لا يرحمهم، ويعذبهم ولا يثني عليهم خيراً، هذا معنى البغض من الله، ومعنى المحبة منه الرحمة والمغفرة والثناءَ والجميل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾.

أي القصيص الذي جرى نتلوه عليك.

﴿مِنَ الآياتِ﴾.

أي من العلامات البينات الدلالات على تثبيت رسالتك إذ كانت أخباراً لا يعلمها إلا قارىءُ كتاب أو معلَّم أو من أُوْحيت إليه.

وقد علم أن النبي ﷺ كان أُمِّيًا لا يكتب و لا يقرأ الكتب على جهله النظر فيها والفائدة منها. فإنه ﷺ لم يعلمه أحد من الناس فلم يبق إلا الوحي، والاخبار بهذه الأخبار التي يجتمع أهل الكتاب[1] على الموافقة بالإخبار بها ـ من الآيات المعجزات[2].

ومعنى ﴿والذِّكْرِ الْحَكِيم﴾: أي ذو الحكمة في تأليفه ونظمه وإبانة الفوائد فيه ويصلح أن تكون ﴿ذلك﴾ في معنى الذي[3] ويكون ﴿نتلوه﴾ صلة، فيكون المعنى

---

(١) في ك أهل الكتب.

(٢) تقدير الكلام: الإخبار بهذه الأخبار من المعجزات، لأن أهل الكتاب يجمعون على صحة حدوثها، وكل ما أخبر به عنها.

(٣) الفرق أعرابي فقط. فباعتبار ﴿ذلك﴾ اسم إشارة يكون ﴿نتلوه﴾ خبراً. و﴿من الآيات﴾ تَبيينٌ في موضع الحال، وبإعتباره موصولاً يكون نتلوه صلة ومن الآيات خبر.

الـذي نتلوه عليك من الآيـات والذكـر الحكيم فيكون ذلـك ابتداءً، والخبـر من الآيات.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾.

﴿آدم﴾ قد بينّا أنه لا ينصرف وأن إسمه مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها، ولذا يقال لذي اللون الذي يشبـه لون الأرض آدم. و﴿خَلَقَـهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ليست بمتصلة بآدم[1]، إنما هو مبين قصة آدم[2] ولا يجوز في الكلام أن تقول مررت بـزيد قام، لأن زيداً معرفة لا يتصل به قام ولا يوصل به ولا يكون حالاً، لأن الماضي لا يكون حالاً أتت فيها[3]، ولكنك تقول: مثلك مثل زيد، تريد أنك تشبهه في فعله. ثم تخبر بقصة زيد فتقول: فعل كذا وكـذا. وإنما قيـل إن مثله كمثل آدم لأن اللّه أنشـأ آدم من غير أب، خلقـه من تـراب، فكـما خلق آدم من غـير أب كذلك خلق عيسى عليه السلام.

ويروى في التفسير أن قوماً من نصارى نجران صاروا إلى النبيّ ﷺ فقالـوا له: إنك سَبَبْتَ صـاحبنا، قـال ومن صاحبكم؟ قـالوا: عيسى. قـال: وما قلت فيه؟ قالوا: قلت إنه عبد. فقال ﷺ: مـا ذلك بعـار على أخي ولا نقيصـة، هو عبد وأنا عبد، قالوا: فأرنـا مثله[4] فأنـزل اللّه تبارك وتعـالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾إلى آخر الآية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

مـرفوع عـلى [أنه] خَبـرُ ابْتِدَاءَ مَحْـذوف: المعنى الذي أنْبَـأْنَاك بـه في قِصَّة عيسى عليه السلام [هو] الحق من ربك.

﴿فَـلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي من الشكـاكـين، والخـطاب للنبي خِـطَاب

(١) في الأصل بمتصل على تقدير شيء أو كلام متصل.
(٢) يريد أن «خلقه» جملة مستأنفة.
(٣) أي حاله واقعة الآن.
(٤) أرنا شخصاً مثله خلق من غير أب.

للخلق، لأن النبي لم يشككك في قصة عيسى، ومعنى ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾أي آتاك من عِنْدَ ربك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: أي في عيسى.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

قيل له هذا بعد أن أُوحِيَتْ إليه البراهين والحجَجُ الْقَاطِعَة في تَثْبِيتِ أَمْرِ عيسى أنه عبد، فأُمِرَ بِالْمُبَاهَلَةِ[1] بعد إقامة الحجة، لأن الحجة قد بلغت النهاية في البيان فأمر اللَّه أن يجتمع هو والنساء والأبناء من المؤمنين، وأن يدعوهم إلى أن يتجمعوا هم وآباؤهم ونساؤهم، ثم يبتهلون ومعنى الابتهال في اللغة المبالغة في الدعاءِ، وأصله الالتعان ويقال بَهَلَهُ اللَّه أي لَعَنَهُ اللَّه، ومعنى لَعَنَهُ اللَّه باعَدَهُ اللَّه من رحمته، يقال: ناقةٌ بَاهل وباهلة إذا لم يكن عليها صِرَار، وقد أُبهل الرجل ناقته إذا تركها بغير صرار[2] ورجل باهل إذا لم يكن معه عصا. فتأويل الْبَهْل في اللغة المباعدة والمفارقة للشيء.

فدعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى المباهلة لأمرين كلاهما فيه بيان أن علماءَهم قد وقفوا على أن أمر النبي ﷺ حق لأنهم إذْ أبوا أن يلاعنوا دل إباؤهم على أنهم قد علموا أنهم إن باهلوه نزل بهم مكروه، وأنهم إذا تركوا المباهلة دل ذلك ضَعَفَهُمْ[3]. ومن لا علم عنده أن فرارهم من المباهلة دليل على أنهم كاذبون، وأن النبي ﷺ صادق، وقيل إن بعضهم قال لبعض: إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة، (ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم ناراً، وما بقي نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة)[4].

---

(١) الملاعنة بأن يدعو كلٌّ على الآخر أن تصيبه لعنة اللَّه. وقد وفيت في النص، شرحاً.

(٢) صرار الناقة هو شد أخلافها بخيط لئلا يرضعها ولدها ـ والخيط يسمى، صراراً.

(٣) عبارة غير جيدة ـ والمراد دل على ضعفهم، وجملة من لا علم عنده كلام مستأنف.

(٤) لم يذكر الحديث في ك.

وهذا مكان ينبغي أن يُنْعَمَ النظر فيه، ويعلم المؤمنون بيان ما هو عليه، وما عليه من الضلال مَنْ خالفهم، لأنهم لم يَروِ أَحَدٌ أنهم باهلوا النبي ﷺ ولا أجابوا إلى ذلك.

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾.

أي إن هذا الذي أوحينا إليك من هذه البينات والحجج التي آتيناك لهو القصص الحق، ويصلح أن تكون [هو] ههنا فصلاً، وهو الذي يسميه الكوفيون عماداً، ويكون القصص خبر أن، ويصلح أن يكون [هو] ابتداء، والقصص خبره، وهما جميعاً خبر ﴿أَنَّ﴾.

ومعنى ﴿مَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ من دخلت توكيداً. ودليلاً على نفي جميع من إدعى المشركون أنهم آلهة. أي إن عيسى ليس بإله، لأنهم زعموا أنه إله، فأعلم اللّه عزّ وجلّ أن لا إله إلا هو، وأن من آتاه اللّه آيات يعجز عنها المخلوقون فذلك غير مخرج له من العبودية للّه، وتسميته آلها كفر باللّه.

ومعنى ﴿الْعَزِيزُ﴾: هو الذي لا يعجزه شيء.

و﴿الْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة الذي لا يأتي إلا ما هو حكمة.

وقوله جلّ وعزّ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: أي فإن أعرضوا عما أتيت به من البيان فإن اللّه يعلم من يفسد من خلقه فيجازيَهُ على إفساده.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

معنى ﴿سواءٍ﴾ معنى عدل، ومعنى كلمة كلام فيه شرح قصة وإن طال، وكذلك يقول العرب للقصيدة كلمة.

يروى أن حسان بن ثابت الأنصاري كان إذا قيل له أنشد قال للقائل:

هل أَنْشِدَتْ كلمة الحويدرة[1]، يعني قصيدته التي أولها:[2]

بـكـرت سـمية بـكرة فـتمتعـي

ويقال للعدل سواء وسَوَى وسُوًى، قال زهير بن أبي سلمى:

أروني خـطة لا ضـيـم فـيـهـا ... يـسـوي بيـنـنـا فـيـهـا الـسَّـوَاءُ
فـإن تُـرِكَ الـسَّـوَاءُ فـليس بـيـني ... وبـيـنـكـم بني حِـصـنٍ بـنـاءُ[3]

يريد بالسواءِ العدل كذا يقول أهل اللغة، وهو الحق.

وهو من استواء الشيءِ، ولو كان في غير القرآن لجاز: سواءً بيننا وبينكم، فمن قال سواءٍ جعله نعتاً للكلمة يريد ذات سواءٍ، ومن قال سواءً جعله مصدراً في معنى استواءً، كأن قال: استوت استواءً[4].

وموضع ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾. موضع «أن» خفض على البدل من كلمة.. المعنى تعالوا إلى أن لا نعبد إلا اللّه، وجائز أن تكون أن في موضع رفع، كأن قائلاً قال: ما الكلمة فأجيب فقيل هي ألا نعبد إلا اللّه، ولو كان ألَّا نعبدُ ألا اللّه ولا نشركُ به شيئاً لجاز على أن يكون تفسيراً للقصة في تأويل أي كأنهم

---

(١) شاعر جاهلي مقل، مضري من قيس عيلان اسمه قطبة بن أوس ـ غلب عليه لقب الحويدرة والحادرة. قال صاحب الأغاني كان حسان إذا تنوشدت الأشعار يقول هل أنشدت كلمة الحويدرة. أنظر الأغاني حـ ٣ ـ ٧٣.

(٢) عجز البيت: وغدت غدو مفارق لم تربع.

وبعده:

وتعرضت لك فاستبتك بواضح ... صلت كمنتص الغزال الأتلع

لم تربع لم ترفق، والغزال الأتلع: الطويل العنق.

والبيت في الخزانة ٤٣٧/٣ ومطلع المفضيلة رقم ٨.

(٣) من همزيته التي هجا بها آل حصن ثم ندم بعد ذلك ديوانه ١١.

واللسان (سواء). أي خطة يحكم فيها العدل.

(٤) ك. كلمة استوت.

قالوا: أي لا نعبد إلا اللّه ـ كما قالَ عزّ وجلّ: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾(١) وقَال قَومٌ معنى أن ههنا معنى يقولون إمشوا، والمعنى واحد(٢) لأن القول ههنا تفسير لما قصدوا له وكذلك «أي» يفسَّر بها، ولوكان ﴿أَلا نَعْبُدْ إلا اللَّه﴾ بالجزم لجاز على أن يكون «أن» كما فَسَّرنا في تأويل أيْ، ويكون ﴿لا نَعْبُدْ﴾ على جهَةِ النَّهْي، والمَنْهِيُّ هو النَّاهِي في الحقيقة كأنهم نهَوْا أنْفُسُهُمْ.

ومعنى﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُون اللَّهِ﴾.

أي نرْجعُ إلى أن معبودنا اللّه، وأن عيسى بشر، كما أننا بشر فلا نَتَّخِذْهُ ربًّا.

ومعنى﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أي مُقِرُّونَ بالتَّوحيد مستسلمون لما أَتتْنَا بِهِ الأَنْبياءُ من قِبلِ اللَّهِ عزّ وجلّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيم وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ والإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِه﴾.

في هذا يبين حجة على اليهود والنصارى جميعاً، لأن اليهود تدعي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كان يهودياً والنصارى تدعي أنه كان نصرانياً، وتدفع اليهود عن دعواهم، وليْسَ يَدفَعُونَ اسمَ صفتِهِ أَنَّهُ كان مُسْلِماً، وأنه لم يَكُنِ اسْمُهُ يَهُودِيًّا ولا نصرانيًّا ولا مُشْركاً، والتوراةُ والإِنجيلُ أُنزلَا مِنْ بعْدِهِ، وليس فيهما اسمه بواحد من أُديان اليهود والنصارى والمشركين، واسم الإسلام له في كل الكتب(٣)، فَدَفْعُ بعضِهِم بعضاً أَن يكون مُسمًّى بالأَسْماءِ التي هي غيْر الإِسْلام دليلٌ بَيِّنٌ

---

(١) سورة ص ٣٨٠ ـ ٦. ـ يريد أنَّ أنْ ليست مصدرية بل مفسرة.

(٢) أي أن مفسرة وهي التي تسبق بكلام فيه معنى القول دون حروفه كما في هذه الآية من سورة (ص (٣٨) ـ آية ٦) أو الآية التي معنا ـ لأن ﴿كَلِمَةٍ﴾ بها معنى القول دون حروفه.

(٣) أي ثابت له في جميع الكتب.

على نقض قولهم، وبرهان بَينٌ في تبرئة إبراهيم من سائر الأديَان إلا دين الإسلام.

ومعنى ﴿حنيفاً مُسْلِماً﴾.

معنى الحنف في اللغة إقبال صُدُور القَدمينْ كل واحدة على أُختها إقبالاً يكون خلقةً لا رجوع فيه أبداً، فمعنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على ذلكَ العقد.

وقوله جلّ وعزّ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ إتَّبعُوه وهذا النَّبيُّ﴾.

يعني محمداً ﷺ أي فهم الذين ينبغي لهم أن يقولوا إنا على دين إبراهيم ولهم ولاية.

﴿وَاللَّهُ وليُّ المؤمِنِينَ﴾. أي يتولى نصرهم لأن حزبهم هم الغالبون، ويتولى مجازاتهم بالحُسْنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

أي وأنتم تشهدون أنها آياتُ اللَّه لأنكم كُنْتُمْ تُخبُرونَ بأمْر النَّبي ﷺ قبل مَبْعَثِه، وأَصْل ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾، لِمَا تكفرون والمعنى لأيّ شيءٍ تكفُرون، وكذلك ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1] وكذلك ﴿عم يتساءلون﴾[2] و ﴿فبم يبشرون﴾[3] فإذا وقفت على هذه الحروف وقفت بالهاءِ، فقلت لمْهْ، وبمه[4]، لأن الألف حذفت في هذه الأسماءِ التي للاستفهام خاصة[5] فجوز ذلك[6]، ولا يجوز

(١) الصف (٦١) ـ آية ٢.

(٢) النبأ ٧٨ ـ ١.

(٣) الحجر (١٥) ـ آية ٥٤.

(٤) لأنها بعد حذف الألف أصبحت حرفاً مفرداً، فضمت لها هاء السكت.

(٥) هي ما الاستفهامية، والجمع لتكررها في الآيات التي ذكرت ففي كل آية اسم استفهام، أي حذفت في هذه الكلمات.

(٦) في الأصل يجوز ذلك.

ذلـك في المـوصلة[1] لأن الألف فيهن ليست آخـر الأسـماءِ[2] إنمـا الألف وسط [وحذفها][3] لأن حروف الجر عوض منها، فحذفت استخفافاً، لأن الفتحة دالة عليها، ولا يجوز إسكان هذه الحروف.

وزعم الكسائي أن الأصل كان في «كم» كما، قال: وكنت أشتهي أن تكون مفتوحة لالتقاءِ الساكنين في قولهم: «كم المال»[4] - بالكسر -. وهذا غلط من أبي الحسن، ولو كان كما يقول لكان «كَمَ مالك» كما أنك تقول: «لِمَ فَعَلْتَ».

وليس هذا القول مما يعرج عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالبَاطِلِ﴾.

أي لم تغطون الحق بباطلكم وأنتم تعلمون أنه الحق؟ يقال: لبست عليهم الأمر ألبسه. قال اللّه تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[5].

ويقـال: لَبِسْتُ الثوب أَلْبَسُـهُ، وقـال اللّه عـزّ وجـلّ: ﴿وَيَلْبَسُـونَ ثِيَـابَـاً خُضْراً﴾[6].

ولو قيل: «وتكتموا الحق» لجاز، على قولك: لم تجمعون هذا وذاك. ولكن الذي في القرآن أجود في الإعراب[7].

---

(١) لا تحذف الألف في ما الموصولة، لأن الاسم الموصـول لا يتم إلا بصلته، فـالألف ليست آخر الكلمة ولا يوقف على موصول بدون صلة.

(٢) أي في ما الموصولة في مختلف مواضعها.

(٣) أي في ما الاستفهامية.

(٤) تمنى أن تحرك ميم كم بالفتحة لا كما تنطق بالكسر.

(٥) الأنعام (٦) - آية ٩.

(٦) الكهف (١٨) - آية ٣١

(٧) النصب يجعل الواو للمعية، ويكون التوبيخ على هـذا الجمع، والـرفع بـاعتبار الـواو عاطفـة، ويدل على أن كل حدث على حدته «من لبس الحق بالباطل» وكتمان الحق، يستحق التوبيـخ، فهو أجود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

الطائفة الجماعة، وهم اليهود.

﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾.

أي أَوَّلَهُ. قال الشاعر:(1)

مَنْ كَانَ مَسْروراً بمَقْتَلِ مَالِكٍ فَليأْتِ نِسْوتَنَا بوجهِ نَهَارِ
يَجِدِ النِّسَاءَ قَوائِماً يَنْدُبْنَه قد جِئْنَ قبْلَ تَبَلُّجِ الأَسْحَار

أي في أول النهار(2).

وقد قيل في تفسير هذا غير قول، قال بعضهم: [معناه] آمنوا بصلاتهم إلى بيت المقدس وأكفروا بصلاتهم إلى البيت(3).

وقيل أن علماءِ اليهود قال بعضهم لبعض: قد كنا نخبر أُصحابنا بأشياء قد أتى بها محمد ﷺ فإن نحن كفرنا بها كلها اتهمنا أُصحابنا ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض لنوهمهم أننا نصدقه فما يصدق فيه، ونريهم أنا نكذبه فيما ليس عندنا.

---

(1) هو ربيع بن زياد شاعر مخضرم من قيس عيلان كان من ندماء النعمان بن المنذر، وأمه فاطمة بنت الخرشب ـ أم الكلمة ـ وهم أربعة أجواد شجعان حكماء، سميت بهذا من أجلهم ـ وتسمى أم المنجبين، وهو يبكي مالك بن زهير الذي قتل في عوف بن بدر.
أنظر الأغاني ١٦ ص ١٩ وما بعدها ـ (الساسي) وأمالي المرتضى ٣ ـ ٤٧ ـ وفي ١٤٩ ـ ١٥١ منها، تفاصيل هذه الحوادث، والخزانة ٣ ـ ٥٨٣. وفي اللسان (وجه) وشواهد الكشاف ١١٤ والخصائص والأغاني: ـ حواسراً تبكينه، وفي بعضها يبكين قبل تلبج الأسحار.
والمعنى من كان مسروراً بمقتله فخليق به أن يسر، لأن حزننا عليه أصابنا بكل هذا. ومعنى حواسراً يندبنه أي يكشفن عن وجوههن، وأصبحن لا يبالين أن يراهن الأجانب لما حل بهن من المهانة ـ وهذه الرواية أولى من رواية قوائماً، لأنه جاء بعد هذا البيت:

قد كن يخبأن الوجوه تسترا فالان حين بدون للنظار

وقوائما: أصبحن أي منهمكات في البكاء.

(2) ك أي أول النهار.

(3) ك إلى الكعبة.

وقيل انهم أتوا النبي ﷺ في صدر النهار فقالوا له: إنك الذي خُبّـِرْنا في التـوراة بأنـك مبعوث، ولكن أنـظرنا إلى العشي لننـظر في أمرنـا، فلمـا كـان بالعشي أتوا الأنصار فقالوا لها: قد كنا أعلمناكم أن محمداً ﷺ هو النبي الذي هو المكتوب في التـوراة، إلا أننا نـظرنا في التـوراة فإذا هـو من (ولد هـرون. ومحمد من ولد إسماعيل)(١) فليس هو النبي الذي عندنا.

وإنما فعلوا ذلك لعل مَن آمن به(٢) يرجع فهذا ما قيل في تفسير الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾.

قيـل: المعنى لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيءٍ، ممـا جاءَكم بـه إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين كان عوناً لهم على تصديقه.

وقال أهل اللغة وغيرهم من أهل التفسير: ولا تؤمنـوا أن يؤتى أحد مثـل ما أُوتيتم إلا لمن تبع دينكم، أي لا تصدقوا أن يعطى أحـدٌ من علم النبي ﷺ مثل ما أُعطيتم﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾.

ومعنى﴿أَوْيُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: أي ليس يكون لأحد حجة عند اللَّه في الإيمان به لعلم من عنده. إلا من كان مثلكم.

وقد قيل في المعنى:(٣) ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُـدَى اللَّه أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْـلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾.

أي الهدى هو هذا الهدى، لا يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم(٤).

---

(١) ليست في ك وعبارتها فإذا هو من ولد إسماعيل.

(٢) ط آمن به منهم.

(٣) ك. قيل: المعنى:

(٤) جمع بين رأيين ـ الأول لا نفي فيه، و﴿الهدى﴾ مبتدأ، و﴿هدى اللّه﴾ بدل أو عطف و﴿أن يؤتى﴾ خبر ـ يعني أن الهدى أن يدعو لما أنتم عليه لا لشيء يخالفه. والوجه الثاني مـا شرحـه. ويجوز أن تكون جملة ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ توكيداً للأولى.

قـالِ بعض النحـويين معنى: «أن» ههنـا معنى «لا» وإنمـا المعنى أن لا يؤتى أحد مثل مـا أُتيتم، أي «لأن» لا تؤتى فحذف «لا» لأن في الكـلام دليلاً عليها، كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[1] أي لئلا تضلوا.

قـال أبو العبـاس محمد بن يـزيد: «لا» ليست ممـا يحـذف ههنـا ولكن الإضافة ههنـا معلومة، فحـذفتَ الأول وأقمتَ الثاني مقـامه، المعنى يبين اللّه لكم كراهة أن تضلوا وكذلك ههنـا قال: إن الهـدى هدى اللّه كـراهة أن يؤتى أحـد مثل مـا أُوتيتم: أي من خالف دين الإسـلام، لأن اللّه لا يهـدي من هـو كاذب كفار، فهدى اللّه بعيد من غير المؤمنين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قل إن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاءُ﴾.

(أي نبوته وهداه يؤتيه من يشاءُ)[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾.

اتفق أبو عمرو، وعاصم والأعمش[3] وحمزة[4] على إسكـان الهاءِ [من يؤده] وكذلك كل ما أشبـه هذا من القـرآن اتفقوا على إسكـان الهاءَ فيـه، نحو ﴿نُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾[5] و ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾[6] وقوله: ﴿مَا تولى﴾[6] إلا حرفاً حكي عن

(١) النساء ٤ ـ ١٧٦. وليست آن إذن بمعنى لا، ولكن في الكلام «لا» محذوفة.

(٢) ك. فقط.

(٣) هو سليمان بن مهران أسدي بالولاء، أصله من بلاد الري نشأ ومات بالكوفة ١٤٨ هـ كان عالماً بالقرآن والفرائض والحديث، ذا ورع وفي أخلاقه عفة وترفع قيل: لم ير الملوك والأغنياء أحقـر منهم في حضرته مع فاقته وفقره. . الوفيات ١ ـ ٢١٣ ـ تاريخ بغداد ٩ ـ ١٣.

(٤) هو حمزة بن حبيب ـ تميمي ـ قيـل صميماً وقيل ولاء ـ أدرك الصحابـة ولعله قابـل بعضاً منهم ـ وهو أحد القراء السبعة ـ كوفي قرأ على جماعة منهم الأعمش وجعفـر الصادق ـ وكـان الأعمش يسميه حبر القرآن ـ توفي ١٥٦ هـ.

أنظر غاية النهاية ١١٩٠ ص ٢٦١ ـ ٢٦٤.

(٥) النساء ٤ ـ ١١٥. وأراد بإسكان الهاء عدم مدها.

(٦) الشورى ٤٢ ـ ٢٠.

ابي عمرو. وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو أنـه كسر في ﴿الْقِـهْ اليهم﴾[1] ولا فصل بين هذا[2] الحرف وسائر الحروف التي جزمها. أما الحكاية عن أبي عمرو فيه وفي غيره فغلط. كان أبو عمرو يختلس الكسرة، وهـذا كما غُلطَ عليـه في ﴿بَارِئْكُمْ﴾ حكى القراء عنه أنه كان يحذفَ الهمزة فى بارئكم[3].

وحكى سيبويه عنه ـ وهو في هذا أضبط من غيره ـ أنـه كان يكسـر كسراً خفياً، وأما نافع[4] وقُراءُ أهل المـدينة فـأشبعوا هـذه الحروف فكسـروا وأثبتوا الياءَات مثل ﴿يؤده إليك﴾[5] وهذا الإسكان الذي حكى عنـه هؤلاءِ غلط بين لا ينبغي أن يقرأ به لأن الهاءَ لا ينبغي أن تجزم ولا تسكن في الوصل إنما تسكن في الوقف.

وَفِي هذه الحُرُوفِ أربعة أَوجُهِ، يجوز إِثْبَاتَ اليَاءِ[6]، ويَجُوز حَـذْفهَا[7] [تقول] يؤده إليك بـالكسر، ويجـوز[8] يَؤدِّ هُو إِلَيْـكَ بالضَّم بـإثبات الـواو بعد الهـاءِ، ويجوز حـذف الواو وضمُّ الهـاءِ. فأمـا الوقف فـلا وجه لـه، لأن الهاءَ حـرف خفي بُيِّنَ في الوصل بالواو في التـذكير، قـال سيبويـه دخلت الـواو فِي التـذكير كمـا دخلت الألف في التأنيث، (نحـو)[9] ضربتهـو وضـربتهـا، قـال أَصْحَابه أختيرت الواو لأنها من طرف الشفتين والهاء من الحلق، فأَبَـانَتْ الواو

---

(١) النمل ٢٧ ـ ٢٨ : ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾. (٢) في الأصل هذه وقد تقدم ذلك.

(٣) أي بحذفِ حركتها ويسكنها ـ وبارئكم من البقرة ٢ ـ ٥٤.

(٤) نافع بن عبد الرحمن، ليثي بالولاء. أصله من أصبهان كان شديد السواد ولكنه صبيـح الوجـه، حسن الخلق فيه دعابة ـ إنتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة وتوفي بها بعد أن أقرأ أكثـر من سبعين عاماً. وتوفي ١٦٩ هـ غاية النهاية ٢ ـ ٣٣٠، ابن خلكان ٢ ـ ١٥١.

(٥) الياء في مد الهاء من يؤده.

(٦) في ك بإثبات الياء أي القراءة بإثباتها.

(٧) ك حذفها تبعاً.

(٨) ك بالكسر وإثبات الياء.

(٩) ليست في ك.

الهـاءَ، وإنَّمَا، تحـذف الياءُ لعلة تقلب الـواو إليهـا، فـإذا حـذفت اليـاءُ بقيت الكسرة فأما في الوقف فلا يجوز البتة[١].

وقد أكثر الناس في تفسير القنطار، وقد حكينـا ما قـال الناس فيـه. ولـم يتفقـوا على تحـديـد في مقـدار وزنـه إلا أنهم قـد اتفقـوا في أنـه الكثيـر من المال[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾:

أكثر القراءَة ﴿دُمْت﴾ بضمّ الدَّال، وقد قرِئَتْ «دِمْت» فأما دُمْت فمن قولك، دُمْت أدُوم إذا بقيت على الشيءِ مثـل قمتُ أقوم، وأمَّـا دِمْتُ ـ بالكسـر ـ فعلى قولهم دِمْتَ تَدَامُ، مثـل قولـك: خِفْتَ تُخَافُ، ويقـال قد ديم بفـلان وأدِيمَ به بمعنى دِيـرَ به وأدِيـر به، [وَهـو الذي] بـه دُرَامْ كقولهم: بـه دُوَامٌ كقولهم: بـه دوار. ويقال دام المال إذا سكن يدوم فهو دائم ومنـه: «نهى النبي ﷺ أن يُبَال في الماءِ الدَّائِم» أي السـاكن، ويقال قـد دوَّم الطَّائِـر في الجو تـدويماً، وهـو يصلح أن يكـون من وجهين، من دورانه في طيـرانه ويصلح أن يكـون من قلة حركة جناحه، لأنَّه يرى كأنه ساكن الجناح.

ومعنى: ﴿قائماً﴾ أي إلا بدوامك قائماً على اقتضاءِ دينك،

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾:

أي فعلهم ذلـك بقولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَـا في الأُمِّيِّين سَبيلٌ﴾ أي ليس علينا طريق في أخْذِ مَالِهِمْ[٣].

ـذف الياء لوجود الكسرة قبلها أما الواو السـاكنة فتقلب يـاء بعد الكسـرة، وبعد الضمـة يجوز ـذف الواو أيضاً والممنوع هو الإسكان في حال الوقف.

، ص ٣٨٣.

(٣) أي لا عقوبة ولا إثم في أكل مالهـم. والأميون أما العـرب لأنهم لم يكونـوا يقرأون ولا يكتبـون فالكلمة من أمي وأما المراد جميع الأمم عدا اليهود من «أمة وأمم» أي الاميون.

وصف اللَّه عزّ وجلّ: ﴿أكلَهُمُ السُّحْت وخيانتهم﴾، وقد قيل في التفسير: إنهم عاملوا قوماً من المشركين فلما انتقلوا إلى الإسلام قالوا ليس علينا لكم سبيل إنما عاملناكم وأنتم على دينكم ذلك. فأعلم اللَّه إنهم يكذبون، قال عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي وهم يعلمون أنَّهم يَكْذِبُونَ. فرد اللَّه قولهم فقال: ﴿بلى﴾: وهو عندي ـ واللَّه أعلم ـ وقف التمام، ثم استأنف فقال عزّ وجلّ: ﴿مَنْ أوفى بِعَهْدِهِ واتَّقَى فإن اللَّه يحب المتقين﴾: أي فإن اللَّه يحبه، ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله بلى لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح. كقولهم نحن أهل تقوى في فعلنا هذا ـ فأَعْلَمَ اللَّه أن أهل الوفاءِ بالعهد والتُّقَى يحبهم اللَّه، وأنهم المتقون، أي الذين يتقون الخيانة والكفر بالنبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ لَا خَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ﴾:

هذه الجملة خبر إنَّ، ومعنى الخَلاق النصيب الوافر من الخير، ومعنى قوله: ﴿لا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾: في قوله: ﴿لا يكلمهم اللَّه﴾ وجهان، أحدهما أن يكون إسْماع اللَّه أولياءَه كلامه بغير سفير، خصوصية يخص اللَّه بها أولياءَه كما كلم موسى فكان ذلك خصوصية له دون البشر أجمعين، وجائز أن يكون ﴿ولا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم﴾ تأويله الغضب عليهم، والإعراض عنهم كما تقول: فلان لا ينظر إلى فلان ولا يكلمه، وتأويله أنه غضبان عليه، وإن كلمه بكلام سوء لم ينقض ذلك.

ومعنى ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يجعلهم طاهرين ولا يثني عليهم خيراً، ومعنى عذاب أليم: أي موجع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بالكِتَابِ﴾.

هذه اللام في ﴿وإن منهم لفريقاً﴾ تؤكد الكلام زيادة على توكيد «إن» لأن

«إن» معناها توكيد الكلام، ولذلك صار لضم يوصل بها في الإيجاب، تقول: واللّه أن زيداً قائِم، وكذلك تصل الضم باللام، فيقول واللّه لزيد قائم ولا تلي هذه اللام «إنَّ» لا يجوز «إن لزيداً قائم» بإجماع النحويين كلهم وأهل اللغة.

ومعنى ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾: أي يحرفون الكتاب، أي يعدلون عن القصد، (ويجوز يُلَوُّونَ ـ بضم الياءِ والتشديد)[1] ﴿لتَحْسَبُوُه﴾ ولتْحسِبُوه ـ بكسر السين وفتحها ـ يقال حسِبَ يَحْسَبُ ويَحْسِبُ، جميعاً، ويقال لويت الشيءَ إذا عَدلته عن القصد ليا ولويت الغريم لِيَاناً إذا مَطَلْتُه بدينه قال الشاعر:[2]

قد كنت داينت بها حساناً مخافة الإفلاس والليانا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ما كان لبشر أن يؤْتيه اللّه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون اللّه﴾

أي أن اللّه لا يصطفى لنبوته الكذبة، ولو فعل ذلك بشر لسلبه اللّه عزّ وجلّ: آيَات النبوة وعلاماتها ونصب﴿ثم يقول﴾: على الاشتراك بين أن يؤْتيه وبين يقول، أي لا يجتمع لنبي أتيان النبوة والقول للناس كونوا عباداً لي. ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ والربانيون أرباب العلم. والبيان. أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير اللحية لَحياني ولذي الجمة الوافرة جُماني.

وقد قرىءَ ـ ﴿بما كُنْتُمْ تُعلِّمُونَ الكتاب﴾. ﴿وتَعلَّمون﴾ ـ بضم التاءِ وفتحها، ﴿وبما كنتم تَدْرُسُونَ﴾ اي بعلمكم ودرْسِكُمْ عَلِّمُوا الناس وبيِّنوا لهم. وجاءَ في

---

(١) ليست في ك.

(٢) هو رؤبة والأبيات في ملحقات ديوانه ١٨٧ وفي ابن يعيش ٦ ـ ٦٥ والكتاب ١٩١ وتنسب لزياد العنبري المعنى بعثُ الإبل بالدين لحسان ثقة في وفائه وخوفاً من مماطلة غيره وإفلاسه ـ اللين: المماطلة.

التفسير ﴿كونوا ربَّانِيِّين﴾ أي: «علماءَ فقهاءَ» ليس مَعْنَاه كما تعلمون فقط، ولكن ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدى العلماء والحكماء، لأن العالم إنما ينبغي أن يقال له عالم إذا عمل بعلمه، وإلا فليس بعالم، قال اللّه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1] ثم قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي لو كانوا وَفَّوا العلمَ حقَّه ـ وقد فسرنا ما قيل في هذا في مكانه.

ومعنى: ﴿ولا يَأْمُرَكُمْ أن تتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنبيِّينَ أَرْبَاباً﴾:

أي ولا يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبيين لأنَ الذين قالوا: إن عيسى عليه السلام إلهٌ عبدوه واتَّخذوه ربًّا، وقال قوم من الكفار إن الملائكة أَربَابُنا، ويقال إنَّهم الصابئون، ويجوز الرفع في ﴿وَلَا يَأْمُرُكُم﴾ أي لا يأمركم اللّه[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾.

موضع ﴿إذ﴾ نصب ـ المعنى ـ واللّه أعلم ـ واذكر في أَقاصيصك ﴿إذ أخذ اللّه ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة[3]﴾ ـ إلى قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾. «ما» ههنا على ضربين: ـ يصلح أن يكون للشرط والجزاءِ وهو أَجود الوجهين، لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من آمر الرسل فهذه طريقته، واللام دخلت في ما كما تدخل في «إنْ» التي للجزاءِ[4] إذا كان في جواب القسم، قال اللّه عزّ وجلّ:

---

(١) البقرة ٢ ـ ١٠٢.

(٢) الرفع على أنه مستأنف والنصب على أنه معطوف على أن يؤتيه.

(٣) تكملة الآية: ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾.

(٤) اللام في ﴿لتؤمنن به﴾ جاءت في جواب ما الشرطية لأنها مسبوقة بلام قسم ـ وعند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما ويكتفى بجواب الأول منهما. كما في الآية التي ذكرت.

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيْ أَوْحَيْنَـا إِلَيْكَ﴾ ـ وقـال : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ﴾[١].

فاللام في «إن» دخلت مؤكـدة موطـدة للام القسم. ولام القسم هي التي لليمين لأنَّ قولك: واللَّه لئن جئتني لأُكرمنك. . . إنما حلفـك على فعلك إلا أن الشرط معلق به[٢] فلذلك دخلت اللام على الشرط فإذا كانت ما في معنى الجزاءِ فموضعها نصب بقـوله﴿لما آتيتكُمْ﴾ والجزاءُ قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ به﴾ ويجوز أَنْ يكـونَ في معنى الذي ويكون موضعها رفعاً[٣].

المعنى أخـذ اللَّه ميثـاقهم أي استحلفَهم للذي آتيتكم، والمعنى أتيتكمـوه ﴿لتؤْمنن به﴾ فتكون ما رفعا بالابتداءِ ويكـون خبر الابتـداء لتؤْمنن به، وحـذفت الهـاءُ من ﴿لما آتيتكم﴾ لطول الاسم. فأَعلم اللَّه ـ عـزّ وجلّ: أنـه عهـد إلى كـل رَسُولٍ أَنْ يُؤمِنَ بغيره من الـرسل فصـارَ العهد مشتمـلاً على الجمـاعة أن يؤمن بعضهم ببعض وأن ينصر بَعْضُهُمْ بعضاً.

ومعنى قوله :﴿فاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ من الشَّاهِدِينَ﴾ : أي فتبينوا لأن الشـاهد هو الذي يصحـح دعوى المـدعي وشهادة اللَّه للنبيين تبيينه أمـر نبوتهم بـالآياتِ المعجزات. ويجوز[٤]ـ وقد قرىءَ بـه ـ «لِمَا آتيتكم» فتكـون اللام المكسـورة معلقة بقوله أَخَـذَ[٥] المعنى أخذ الميثـاق لاتيانِكُمْ الكِتَـاب والحكمة، وقـرأَ بعضهم، لَمَّا آتَيْنَاكم من كتاب وحكمـة أي لما آتينـاكم الكتاب والحكمـة أَخَذَ الميثـاقَ ويكون الكلام يؤول إلى الجزاءِ ـ كما تقول: لما جئتني أكرمتك.

---

(١) الإسراء ١٧ ـ ٨٦ ـ ٨٨.

(٢) القسم عليه معلق بالشرط. أي الإكرام معلق بالمجيء.

(٣) ويقدر العائد محذوفاً أي الذي آتيتكموه. ولا داعي لهذا إذا كانت شرطية.

(٤) ك وقد يجوز.

(٥) ك. معلقة بقوله أخذ الميثاق والمعنى أخذ الميثاق لإتيانه إياكم به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ :

ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق بالمعنى: ﴿فمن تولى﴾ أي أعرض عن الإيمان بعد أخذ الميثاق على النبيين، وأَخْذُ الميثاق على النبيين مشتمل على الأخذ على أممهم[١]، أي فمن تولى بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبي «فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ»:

أي الذين خرجوا عن القصد وعن جملة الإيمان.

ويصلح أن تكون ﴿هُمْ﴾ ههنا اسماً مبتدأ، و ﴿الفاسقون﴾ خبرهُ و«هم» «مع» الفاسقون خبر أولئك. وصلح أن يكون «الفاسقون» مرتفعاً[٢] بأولئك «وهم» فصل - وهو الذي يسميه الكوفيون العماد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أفغيرَ دِينِ اللَّهِ يبغُونَ﴾: أي أفغير دين اللَّه يطلبون، لأنه قد بين أنه دين اللَّه وإنهم كفروا وعاندوا وحسدوا بغياً - كما فعل إبليس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوعاً وَكَرْهاً﴾:..
جاءَ في التفسير أنه أسلم من في السموات كلهم طوعاً، وأسلم بعض من في الأرض طوعاً وبعض كرهاً. لما كانت السنة فيمن فُرِض قتاله من المشركين أن يقاتَلَ حتى يسلم سمي ذلك كرهاً، وإن كان يسلم حين يسلم طائعاً، إلا أن الوصلة كانت إلى ذلك بِكُرهٍ، ونصب ﴿طوعاً﴾ مصدراً، وضع موضع الحال. كأنه[٣] أسلموا طائعين ومكرَهين، كما تقول جئتك ركضاً ومشياً[٤]، وجئت راكضاً وماشياً، ويجوز أن يكون واللَّه أعلم - على معنى ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ - أي خضعوا من جهة ما فطرهم عليه ودبرهم به، لا

---

(١) ك من تبعهم.

(٢) في الأصول كلها مرتفعين. وسبق للزجاج مثل هذا - أعاد الضمير بمعنى القوم الفاسقين.

(٣) كان الكلام والتعبير.

(٤) على أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، كما تقول: جئتك سعياً على القدم.

يمتنع ممتنع من جِبِلَّةٍ جبل عليها[1] ولا يقـدر على تغييـرها، أحب تلك الجِبِلَّةَ أو كرهها. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يدل على تصديق هذا القـول.

لأن المعنى انـه بـدأكم على إرادتـه شئتم أو أبيتـم، وهـو يبعثكم كما بـدأكم. فـالتـأويـل: أتبغـون غيـر الـدين الـذي هـذه[2] صفتـه، ثم أمر الله ـ عزّ وجلّ ـ النبي ﷺ وأمته أن يقـولوا آمنـاً بالله ومـا أنزل علينـا، وأن يقولوا ويعتقـدوا أنهم لا يفرقـون بين جميـع الرسـل في الإيمان بهم. لا يكفـرون ببعضهم كـما فعلت اليهـود والنصـارى، وأعلم الله أنـه لا يقبـل دينـاً غـير دين الإسلام ولا عملاً إلا من أهله. فقـال عزّ وجـلّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَـيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ـ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾:

﴿يَبْتَغِ﴾ جزم بمن ـ وقوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَل مِنْهُ﴾ الجواب.

ومعنى ﴿من الخاسرين﴾ أي ممن خسر عمله، والـدليـل عـلى ذلـك قـولـه عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدّوا عَنْ سَبيلِ اللّه أَضَلَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3]

وقوله عـزّ وجلّ: ﴿كَيْفَ يَهْـدِي اللّهُ قَوْمـاً كَفَرُوا بَعْـدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِـدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾:

يقـال إنها نـزلت في قـوم ارتـدوا ثم أرادوا الـرجـوع إلى الإسـلام ونيَّتهم الكفر. فأعلم الله أنه لا جهة لهـدايتهم لأنهم قد استحقـوا أن يضلوا بكفرهم، لأنهم قد كفروا بعد البينات التي هي دليل على صحـة أمر النبي ﷺ، وقيـل إنها نزلت في اليهود لأنهم كفروا بالنبي بعد أن كانـوا ـ قبل مبعثـه ـ مؤمنين. وكـانوا يشهدون بالنبوة لَهُ فلما بعث عليه السلام ـ وجاءَهم بالآيـات المعجزات وأنبـأهم بما في كتبهم مما لا يقدرون على دفعه، وهو ـ ﷺ أمي ـ كفـروا به بغيـاً وحسداً،

---

(١) فطرة برأه الله عليها.

(٢) في الأصل «هو».

(٣) القتال ـ ١.

فأعلم اللَّه أن جزاءهم اللعنة، فقال: ﴿أُولَئِكَ جزاؤهم أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ والملاَئِكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

ومعنى لعن الناس (أجمعين)[1] لهم أن بعضهم يوم القيامة يلعن بعضاً ومن خالفهم يلعنهم، وتأويل لعنة اللَّه لهم تبعيده إياهم من رحمته[2] وثنائه عليهم بكفرهم[3].

ومعنى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾.

(أي) فيما توجبُه اللعنة أي[4] في عذاب اللعنة ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون عن الوقت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

أي أظهروا أنهم كانوا على ضلال وأصلحوا ما كانوا أفسدوه وَغرُّوا به مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِمَّنْ لاَ عِلْمَ عِنْدَه ﴿فَإِنَّ اللَّه غَفُورٌ رحِيم﴾.

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن من سعة رحمته وتفضله أن يغفر لمن اجترأ عليه هذا لاجتراءِ لأن هذا ما لا غاية بعده، وهو أنه كفر بعد تبين الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِم ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهمْ وَأُولَئِكَ هم الضَّالُونَ﴾.

يقال في التفسير أن هؤلاءِ [هم] النفرُ[5] الذين ارتدوا بعد إسلامهم ثم أظهروا

---

(١) أجمعين ليست في ك.

(٢) ط ولعن اللَّه لهم.

(٣) أي تبعيدهم من ثنائه عليهم، وفي ك ثناؤه وهو خطأ.

(٤) أي ليست في ك.

(٥) قدرنا كلمة «النفر» هي الخبر لخلو الجملة من الخبر وهو تقدير لكلام الزجاج وهو بعيد، لأن الخبر كما هو ظاهر - جملة - ﴿لن تقبل توبتهم﴾.

أنهم يريدون الرجوع إلى الإسلام، فأظهر اللّه أمرهم لأنهم كانوا يظهرون أنهم يرجعون إلى الإسلام وعندهم الكفر - والدليل على ذلك - قوله - عزّ وجلّ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ لأنهم لو حققوا في التوبة لكانوا غَيْرَ معتدين، ويدل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً﴾.

لأن الكافر الذي يعتقد الكفر ويظهر الإيمان عند اللّه كمظهر الكفر لأن الإيمان [هو] التصديق والتصديق لا يكون إلا بالنية.

ومعنى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً﴾.

أي لو عمل من الخير وقدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى اللّه لم ينفعه ذلك مع كفره.

قال أبو إسحق. وكذلك لو افتدى من العذاب بملءِ الأرض ذهباً لم يقبل منه. فأعلم اللّه عزّ وجلّ أنه لا يُثِيبُهُمْ على أعمالهم بالخير ولا يقبل منهم الفداءَ من العذاب[١].

وقال بعض النحويين إن الواو مسقطة - قال المعنى فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً لو افتدى به - وهذا غلط لأن الفائدة في الواو بينة[٢] وليست الواو مما يلغي[٣].

---

(١) يفهم هذا أن الآية تنص على عملين مختلفين، الصدقة في الدنيا والافتداء في الآخرة وليس الأمر كذلك. إذ المعنى أنه لا يقبل منهم افتداء بملء الأرض ذهباً وهم لا يستطيعون ذلك - حتى لو استطاعوه ما نفعهم - وهي حديث عن يوم القيامة للنص ﴿وماتوا وهم كفار﴾ أما في هذه الدنيا فلهم أن يتوبوا.

(٢) إذ هي تفيد أن ذلك أمر مستبعد - فهو لا يستطيع أن يقدِّمَ هذا ولو استطاعه ما قبل منه.

(٣) ليست من الحروف التي يقدر عدمها مثل لا في القسم. وعبارة الفراء الواو ههنا قد يستغنى عنها فلو قيل ملء الأرض ذهباً لو افتدى به كان صواباً». والزجاج يريد، أن الواو أفادت المبالغة.

يقال ملأت الشيء أملؤه مَلئاً، المصدر بالفتح لا غير ـ قال سيبويه والخليل: الملءُ ـ بفتح الميم ـ الفعل. وتقول: هذا ملءُ هذا أي مقدار ما يملؤه، كما يقال: رَعَيْت رَعْياً والمال في الرعي فهذا فرق بين[1].

وقال بعض النحويين: يقال مَلأتُ مَلْئاً ومُلْئاً[2] وهذا غلط بين لأن الموصوف ههنا إنه لو ملك مقدار ما يملأ الأرض ما قبل منه، وليس يقال. إن قدر أن يفعل، أي أن يملأ الأرض، إنما المتقرب به الذهب الذي هو ملءُ الأرض، لا أن يَملأ:

يقال ملأت الشيء مَلْئاً وقد مَلِيءَ فلان مَلأً وهو مملوءٌ إذا زكم[3] والملأ أشراف القوم، وتَقول أنت أملأ بهذا أي أثرى وأوثق، ورجل مَلِيءٌ بين الملاءَة، يا هذا. فأما ما يكتبه الكتاب، أنت المَلِيُّ بالياءِ فخطأٌ وهم مجمعون عليه، هذا غلط. والمُلاءَةُ التي تلبس، ممدود، والمُلاَوَةُ من الدهر القطعة الطويلة، ومن هذا قولهم. أَبْلِ جَديداً[4] وتَمَلَّ حَبِيباً أي عش مع حبيبك دهراً طويلاً، و﴿ذهباً﴾ منصوب على التمييز ـ قَال سيبويه وجميعُ البصريين: إنَّ الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين المِلء أَنْ يكون جرًّا، وحقيقة تَفْسيره: أَن المعنى ما يملؤُهُ من الذهب وكذلك إذا قلت: عندي عشرون درهماً أي ما يُعادِل هذا المقدارَ من الدّراهِم، وجائز أن يكون ـ والله أعلم قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ

---

(١) رعياً في رعيت رعياً مصدر. أما في المال في الرعي فهي اسم أي الماشية في الكلاء. والمصدر هو عمل الشيء واحداثه أما الاسم فهو للشيء الذي حدث. والعمل لا يفتدى به إنما يفتدى بالمال.

(٢) بضم الميم وفتحها.

(٣) الملأة بالضم كالمتعة والملاءة والملاء الزكام يصيب من امتلا المعدة. وملوء فهو مَلِيء وأملأه الله أملاء أي أزكمه فهو مملوء ـ على غير قياس، إذ قياس الرباعي مفعل لا مفعول.

(٤) ط تجديد. دعوة بطول العمر وإفناء الثياب.

ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾، يعني اليهود لأنهم كانوا تائبين في وقت إيمانهم بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فأعلم اللَّه أن تلك التوبة وذلك الإيمانَ لَيْسَ بمقبُول، لأنّهم كفروا بعدُه وزادوا كفراً، فإن كفرهم بما كان ينزل على النبي ﷺ وقتاً بعد وقت زيادة في الكفر ـ وكذلك الإقامة[1] عليه زيادة فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

قال بعضهم: إن كل ما يُتقرّبُ به إلى اللَّه من عمل خير فهو إنفاق، وروي عن ابن عمر أنه اشترى جارية كان هَوِيهَا فلمّا ملكَها أَعْتقهَا ولمْ يُصِبْ منها. فقيل له: أَعْتَقْتَهَا بعد أن كنتَ هويتَها ولم تصب منها. فتلا هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾. وفعل ابن عمر هذا ينبغي أن يَقْتَدِيَ به الناس في أن لا يضنوا بجليل ما يملكونه في التقرب به إلى اللَّه تعالى

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي فإن اللَّه يجازي عليه لأنه قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾[2] فإذا عمله جوزي عليه.

وتأويل ﴿ما﴾ تأويل الشرط والجزاءِ، وموضعها نصب «بتنفقوا» المعنى، وأي شيء تنفقوا فإن اللَّه عليم به والفاءُ جواب الجزاءِ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى إلا الطعام الذي حرَّمه إسرائيلُ على نفسه، ويروى: أنه وجد وجعاً، وقيل في التفسير: إن ذلك الوجع كان عرق النساءِ

(١) في ط إقامة زيادة.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ ـ ٧.

فنذر إنْ أبرأه[1] اللّه[2] أن يترك أحبَّ الطعام والشراب إليه. وكان أحب الطعام والشراب إليه لحومَ الإبل وألبانَها، فحرّم اللّه ذلك عليهم بمعاصيهم كما قال: ﴿فبظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[3].

وأعلم اللّه أن الذي حرمه إسرائيل على نفسه كان من قبل أن تنزل التوراة، وفي أعظم آية للنبي لأنه أنبأهم بأنهم يدعون أن في كتابهم ما ليس فيه، ودعاهم مع ذلك إلى أن يأتوا بكتابهم فيتلوه لِيُبَيِّنَ لهم كذبهم فأبوا، فكان إبَاؤهم دليلاً على علمهم أن النبي ﷺ قد صدق فيما أنبأهم به، ولو أتَوْا بِها لم يَكونوا يَخْلونَ من أحد أمرين: إما أن يزيدوا فيها ما ليس فيها في ذلك الوقت فيعلم بعضهم أنه قد زيد، أو ينزل اللّه بهم عقوبة تبين أمرهم، أو أن يأتوا بها على جملتها فيعلم بطلان دعواهم منها. فقصتهم في هذه الآية كقصة النصارى في المباهلة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِك﴾.

أي من بعد ما ذكرنا من ظهور الحجة في افترائه: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

وقوله عزّ وجلّ -﴿إن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾.

قيل: إنه أول مسجد وضع للناس، وقيل: إنه أول بيت وضع للحج. ويقال: إنه البيت المعمور وأن الملائكة كانت تحجه من قبل آدم، وإنه البيت العتيق. فأما بناؤه فلا شك أن إبراهيم بناه. قال اللّه تعالى: ﴿وإذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أي يَقولان: ﴿ربنا تقبل

(١) ك إن برأ منه - ولا يقال عرق النساء - وهذا مما عابه الزجاج على ثعلب في كتابه «الفصيح» انظر المعجم ١ - ١٣٩.

(٢) ك جازى عليه أن يترك.

(٣) النساء ٤ - ١٦٠.

منا﴾(١). فأما المقْدِس فسليمان بناه. وخبر﴿إن﴾ [هو]﴿لَلَّذِي ببكة﴾. وهذه لام التوكيد، وقيل: إن بكة موضع البيت وسائر ما حوله مكة. والإجماع أن بكة ومكة الموضع الذي يحج الناس إليه، وهي البلدة، قال اللَّه ـ عزّ وجلّ: ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾(٢) وقال: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾.

فأما اشتقاقه في اللغة: فيصلح أن يكون الاسم اشتق من إلَبكّ، وهوبك الناس بعضُهم بعضاً في الطواف أي دفع بعضهم بعضاً، وقيل: إنما سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة. ونصب﴿مُبَارَكاً﴾ على الحال. المعنى: الذي بمكة في حال بركته.

﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ يجوز أن يكون﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ في موضع رفع. المعنى: وهو هدى للعالمين.

«فأمَّا مكة» بالميم فتصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة والميم تبدل من الباءِ، يقال: ضربة لازب ولازم، ويصلح أن يكون الاشتقاق من قولهم: «امْتَكَّ الفصيل» ما في ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يُبْقِي فيه شيئاً. فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها ـ والقول الأول أعني البدل أحسن(٣).

ومعنى﴿أوَّل﴾ في اللغة ـ على الحقيقة ابتداءُ الشيءِ فجائز أن يكون المبتدأ له آخر، وجائز أن لا يكون له آخر فالواحد أول العدد والعدد غير متناه، ونعيم الجنة أول وهو غير منقطع، وقولك: هذا أول مال كسبته جائز ألا يكون

(١) البقرة ٢ ـ ١٢٧. وإبراهيم لم ينشىء البيت وإنما جدده أو أعلاه وكان موجوداً من قبل فاختار جواره مقاماً لابنه إسماعيل وقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة﴾.(إبراهيم ١٤ ـ ٣٧).

(٢) الفتح ٤٨ ـ ٧٤.

(٣) إبدال الميم من الباء.

بعده كسب، ولكن إرادتك: «هذا ابتداءُ كسبي». ولو قال قائل: أولُ عبد أَمْلِكُه فهو حر فملك عبداً أعتق ذلك العبد[1]، لأنه قد ابتدأ الملك فجائز أن يكون أول بيت هو البيت الذي لم يكن الحج إلى غيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَات مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

قد رويت عن ابن عباس أنه قرأ «آية بينة مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ» جعل مقام إبراهيم هو الآية، والذي عليه الناس: ﴿فيه آياتٌ بيِّنَات﴾والمعنى: فيه آيات بينات: تلك الآيات مقام إبراهيم، ومن الآيات أيضاً: أَمْنُ من دخله، لأن معنى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ يدل على أن الأمن فيه.

فأما رفع﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾فعلى أن يكون على إضمار هي مقام إبراهيم. قال النحويون: المعنى فيها مقام إبراهيم وهذا كما شرحنا، ومعنى أَمْنِ من دخله: أن إبراهيم عليه السلام سأل اللَّه أن يُؤَمِّن سكان مكة فقال: رب إجعل هذا بلداً آمناً. فجعل اللَّه عزّ وجلّ أمن مكة آية لإبراهيم وكان الناس يتخطفون حول مكة، قال اللَّه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعلنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[2] فكان الجبار إذا أراد مكة قصمه اللَّه، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿أَلم تَرَ كيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأَصْحَابِ الْفِيْلِ﴾[3] وكانت فارس قد سبت أهل بيت المقدس[4] فأما أهل مكة فلم يطمع فيهم جبار.

ويقال: قد أمن الرجل يأمن أَمْناً وأَماناً. وقد رويت إمناً، والأكثر الأفصح: «أَمْن» بفتح الألف قال اللَّه [عزّ وجلّ] ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[5].

---

(١) ك لعتق.

(٢) العنكبوت ٥٩ ـ ٦٧.

(٣) الفيل ١٠٥ ـ ١.

(٤) الذين سبوهم هم البابليون. ولكنهم وقعوا بعد ذلك تحت سيطرة. فارس أيضاً.

(٥) النور ٢٤ ـ ٥٥.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾.

يقرأ بفتح الحاءِ وكسر الحاءِ والأصل الفتح: يقال: حججتُ الشيءَ أحْجه حَجا إذا قصدته. والحِج اسم العمل - بكسر الحاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.

موضع مَنْ خفض على البدل من «الناس» المعنى: ولله على من إستطاع من الناس حج البيت [أن يحج].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

قيل فيه غير قول: قال بعضهم من كفر: من قال إن الحج غير مفترض، وقال بعضهم: من أمكنه الحج فأدخره إلى أن يموت. وهو قادر عليه فقد كفر. وقيل: إنها إنما قيلت لليهود لأنهم قالوا: ان القصد إلى مكة غير واجب في حج أو صلاة. فأما الأول فمجمع عليه. ليس بين الأمة اختلاف في أن من قال: إن الحج غير واجب على من قدر عليه كافر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَا أَهلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عوَجاً﴾:

أي تبغون لها العوج، يقال في الأمر والدين عوج وفي كل شيءٍ مائل عوج، والعرب تقول: ابغني[1] كذا وكذا، أي أطلبه لي، وتقول: أَبْغِنِي كذا وكذا بفتح الألف تريد[2] أعني على طلبه أي أطلبه معي كما تقول: أَعْكِمْنِي[3] وأَحْلِبْنِي أي أَعِنّي على العَكْمِ والحَلْبِ.

ومعنى: ﴿وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ﴾ أي وأنتم تشهدون بما قد ثبت في نفوسكم أن أمر النبي حق والله غير غافل عن عملكم.

---

(١) في ك.. ابغ.

(٢) من بغى بمعنى طلب، وأبغاه أعانه على بغيه.

(٣) العكم: حزم المتاع في ثوب ونحوه، كضرب، والعِكْم - بكسر العين - ما عكم به، كالعكام والحبل الذي يربط به عكام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

يعني بالفريق الصنف الذين كفروا، أي إن قلدتموهم ردوكم كافرين، أي وإن كنتم على غير دينهم وكنتم في عقدكم ذلك كافرين فكذلك إن أطعتموهم واتبعتوهم فأنتم كافرون.

وقوله عزّ وجلّ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾. أي على أي حال يقع منكم الكفر وآيات اللَّه التي أتى بها النبي ﷺ دالة على توحيد اللَّه ونبوة النبي ﷺ تتلى عليكم وفيكم رسوله يبين لكم هذه الآيات، وجائز أن يقال فيكم رسوله والنبي شاهد، وجائز أن يقال لنا الآن فيكم رسول اللَّه لأن آثاره وعلاماته والقرآن الذي أتى به فينا وهو من الآيات العظام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾.

أي من يمتنع باللَّه، ويستمسك بحبل اللَّه ﴿فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾، و«يعتصم» جزم بمن. والجواب: ﴿فقد هدى﴾، ومعنى اعتصمت بكذا وكذا في اللغة: استمسكت وامتنعت به من غيره(١) وكذلك ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٢) ومعنى: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي من الماءِ﴾(٣) أي يمنعني من الماءِ أي لاذا عِصمة ولاذا امتناع من اللَّه(٤).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.

أي اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قال بعضهم ﴿حق تقاتِه﴾: أن يطاع

---

(١) أي احتميت وصنت نفسي به من ضرر يلحقني إذا لم أمتنع به.

(٢) هود ١١ ـ ٤٣.

(٣) الآية نفسها.

(٤) تفسير «لا عاصم اليوم» بأنه صيغة نسب نحو لابن وتامر أي ذو لبن وتمر. أي شخص حلت به العصمة.

فلا يعصي وأن يذكر فلا ينسى، ومعنى يذكر فلا ينسى: أن يذكر عند ما يجب من أمره فلا يتجاوز أمره، وقال بعضهم هذه الآية منسوخة نسخها قوله جلّ وعزّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾(١) وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) وتقاة: أصلها وقاة وهي من وقيت إلا أن الواو لم تأت في هذا المثال على أصلها، ولم يقل في هذا المثال شيءُ إلا والتاء فيه مبدلة من الواو وكذلك قالوا تخمة إنما هي من الوخامة، وكذلك قالوا: في فُعال نحو التراث والتجاه، وتجاه في معنى المواجهة.

وهذا المثال فيه أوجه: إذا بنيت فُعْلَة من وقيت قلت تقاة وهو الذي يختاره النحويون، ولم يأتِ في اللغة على هذا المثال شيءُ إلا وقد أبدلت التاء من واوه.

ويجوز أن يقال وقاة، وأَقاه لأن الواو إذا انضمت وكانت أولا فأنت في البدل منها بالخيار، إن شئت أبدلت منها همزة، وإن شئت أقررتها على هيئتها، وأن شئت في هذا المثال خاصة أبدلت منها التاءَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

لفظ النهي واقع على الموت والمعنى: واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام. المعنى: كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك. وإنما جاز هذا لأنه ليس في الكلام لبس، لأنه يعلم منه أنهم لا ينهون عما لا يفعلون، ومثله في الكلام، «لَا أَرَيَنَّكَ هَهُنَا» فالنهي واقع في اللفظ على المخاطبة والمعنى: لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا رأيته ولكن الكلام قصد به إلى الإيجاز والاختصار إذ لم يكن فيه نقص معنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾.

---

(١) التغابن ٦٤ ـ ١٧.

(٢) البقرة ٢ ـ ٢٨٦.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال المعنى: كونوا مجتمعين على الإعتصام به، وتفسير﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، أي استمسكوا بعهد الله، والحبل في لغة العرب: العهد. قال الأعشى[1].

وإذا أجوز بها حبال قبيلة   أخذت من الأخرى إليك حبالها

ومعنى ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أي تناصروا على دين الله[2] وأصل تفرقوا تتفرقوا إلا أن التاءَ حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد في كلمة، والمحذوفة الثانية لأن الأولى دالة على الاستقبال فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال[3] وهو مجزوم بالنهي، الأصل ولا تتفرقون فحذفت النون لتدل على الجزم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

ذكَّرهم الله بعظيم النعمة عليهم في الإسلام لأنهم كانوا في جاهليتهم يقتل بعضهم بعضاً، ويستبيح كل غالب منهم من غلبه فحظر عليهم الإسلام الأنفس والأموال إلا بحقها، فعرفهم الله ـ عزّ وجلّ ـ ما لهم من الحظ في العاجل في الدخول في الإسلام.

---

(١) يصف مسيراً له، والضمير للناقة، أي إذا جاوزت بها حماية قبيلة أخذت عهداً بالحماية من قبيلة أخرى. ورواية البيت في اللسان (حبل): وإذا تجور بها حبال، وأيضاً في الديوان ٢٩ ت محمد حسين والقصيدة من جياد شعره ـ يمدح بها عمرو بن معد يكرب.

(٢) تفسير بالمعنى اللازم ـ والمعنى الأصلي: لا تختلفوا وتتباعدوا بعضكم عن بعض فيذهب منكم الناصر.

(٣) هي تا المضارعة ـ تدل على مضارعة الفعل ـ والاستقبال هذا مفهوم من النهي والنحويون على جواز حذف أي منهما، والمضارعة ما زالت مفهومة. وقد سبق هذا.

وقيل نزلت في الأوس والخزرج. لأنهم كانت بينهم في الجاهلية حروب دائمة قد أتت عليها السنون الكثيرة، فأزال الإسلام تلك الحروب وصاروا إخواناً في الإسلام متوادين على ذلك، وأصل الأخ في اللغة أن الأخ مقصدُه مقصد أخيه، وكذلك هو في الصداقة أن تكون إرادة كل واحد من الأخوين موافقة لما يريد صاحبه والعرب تقول: فلان يتوخى مسارَّ فلان أي يقصد ما يسره.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

أي كنتم قد أشرفتم على النار[1] وشفا الشيءُ، حرفه مقصور يكتب بالألف، وتثنيته شفوان،وقال ـ ﴿فأنقذكم منها﴾، ولم يقل منه لأن المقصود في الخبر النار. أي فأنقذكم منها بالنبي ﷺ.

وقوله جلّ وعلا ـ ﴿كذلك يبين اللّه لكم آياته﴾.

الكاف في موضع نصب. المعنى مثل البيان الذي يتلى عليكم يبين اللّه لكم آياته.

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

أي لتكونوا على رجاءِ هدايته.

وقوله جلّ وعلا: ﴿ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمةٌ يدعُون إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرونَ بِالمعْرُوفِ وينْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾.

اللام مسكنة وأصلها الكسر، الأصل ولِتَكن منكم ولكن الكسرة حذفت لأن الواو صارت مع الكلمة كحرف واحد وألزمت الحذف[2]، وإن قرئت

(١) أما نار جهنم لأنهم كانوا كفاراً وهو غير جيد لأنهم كانوا أهل جاهلية ولكن وجب عليهم الإسلام بظهور النبي محمد ﷺ والمراد بالنار الهلاك والفناء بسبب طول العداء وكثرة القتلى، وقيل لولا ظهور الإسلام لفنيت القبيلتان.

(٢) أي حذف الكسرة.

ولتكن - بالكسر - فجيد على الأصل، ولكن التخفيف أجود وأكثر في كلام العرب.

ومعنى - ﴿ولتكن منكم أُمة﴾ - والله أعلم - ولتكونوا كلكم أُمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» تدخل ههنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس(١) وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ومثل هذا من كتاب الله ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾(٢) ليس يأمرهم باجتناب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الأوثان فإنها رجس(٣) ومثله من الشعر قول الشاعر:

أخو رغائب يعطيها ويُسألُها ... يأبى الظلامة منه النوفل الزفر(٤)

أي هو النوفل الزفر، لأنه قد وصفه بإعطاءِ الرغائب، والنوفل الكثير الإعطاءِ للنوافل، والزفر الذي يحمل الأثقال.

والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جلّ وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

ويجوز أن تكون أُمرت منهم فرقة، لأن قوله ﴿ولْتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير﴾ ذكر الدعاة إلى الإيمان، والدعاة ينبغي أن يكونوا علماءَ بما يدعون إليه

---

(١) هو تجريد نحو ليكن منك عالم أي كن أنت كذلك.

(٢) الحج ٢٢ - ٢٠.

(٣) «مِنْ» إذن تجريدية - أي اجتنبوا الأوثان - والظاهر أنها بيانية: اجتنبوا الرجس الذي هو عبادة الأوثان. والتجريد أوضح في البيت والبيانية أوضح في الآية.

(٤) الزفر: السيد: أي لديه ما يشتهي الناس ويجود به ويسأله من يريد وهو سيد لا يجسر أحد أن يعتدي عليه. اللسان (فقر. زفر) قيل البيت لأعشى قيس وقيل لأعشى باهلة أنظر الكامل ١ - ٥٧ ت (أبو الفضل) وفي الخزانة ١ - ٩٠ شرح للقصيدة كلها منسوبة لأعشى باهلة وهي مرثيته أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي. وليست في ديوان أعشى قيس ت محمد حسين وأعشى باهلة شاعر جاهلي اسمه عامر بن الحرث من عامر بن عوف بن وائل وكان المنتشر من هذه القبيلة أيضاً - فارساً شجاعاً - وأنظر أمالي المرتضى ٣ - ١٠٨.

وليس الخلق كلهم علماءَ والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض، وكذلك الجهاد.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أي والذين ذكرناهم المفلحون، والمفلح الفائز بما يغتبط به. و﴿هم﴾ جائز أن يكون إبتداءً و﴿المفلحون﴾ خبر[1] أولئك وهم فصل، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

أي لا تكونوا كأهل الكتاب، يعني به اليهود والنصارى وكتابهم جميعاً التوراة، وهم مختلفون، كل فرقة منهم - وإن اتفقت في باب النصرانية أو اليهودية - مختلفة أيضاً، كالنصارى الذين هم نسطورية ويعقوبية وملكانية، فأمر اللّه بالإجتماع على كتابه، وأعلم أن التفرق فيه يخرج أهله إلى مثل ما خرج إليه أهل الكتاب في كفرهم، فأعلم اللّه أن لهم[2] عذاباً عظيماً، فقال: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم أخبر بوقت ذلك العذاب فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

أي يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، وابيضاضها إشراقها وإسفارها، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾[3] أسفرت واستبشرت لما تصير إليه من ثواب اللّه ورحمته، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ اسودادها لما تصير إليه من العذاب، قال اللّه: ﴿ووجوه يومئذ عليها غَبَرَةٌ﴾[3].

---

(١) إذا كان «هم» مبتدأ فالمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك، وإذا كان «هم» فصلاً، فالمفلحون خبر أولئك.

(٢) في الأصل أنه لهم عذاب.

(٣) سورة عبس وتولى (٨٠ - ٣٩).

والكلام[1]. تسود وتبيض بفتح التاءِ ـ الأصل «تسودد» و «تبيَضِض» إلا أن الحرفين إذا اجتمعا وتحركا[2] ادغم الأول في الثاني. وكثير من العرب تكسر هذه التاءَ من تسود وتبيض والقراءَة بالفتح والكسر قليل إلا أن كثيراً من العرب يكسر هذه التاءَ ليُبيّن أنها من قولك أبيض وأسود فكأن الكسرة دليل على أنه كذلك في الماضي[3].

وقرأ بعضهم «تَسْوادّ وتَبْياض» وهو جيّد في العربية إلا أن المصحف ليست فيه ألف فأنا أكرهها لخلافه على أَنَّهُ قد تحذف ألفات في القرآن نحو ألف إبراهيم وإسماعيل ونحو ألف الرحمن[4] ولكن الإجماع على إثبات هذه الألفات المحذوفة فى الكتاب في اللفظ، وتبيَضّ وتسودّ إجماع بغير ألف فلا ينبغي أن يقرأ بإثبات الألف.

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ اسْودَّت وُجُوهُهُم﴾.

تدل على أن القراءَة تسود، ومن قرأ بالألف تسواد وتبياض وجب أن يَقْرأ: فأما الذين اسوادَّت وجُوههم.

وجواب أما محذوف[5] مع القول. المعنى فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وحُذفَ القولُ لأنّ في الكلام دليلاً عليه وهذا كثير في القرآن، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالملائِكَةُ يَدْخُلونَ عليهمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ علَيْكُمْ﴾[6] المعنى يقولون:

---

(١) الكلام العربي في جملته. انظر المزهر ١ ـ ١٠٤. (٢) في الأصيل: وتحركا الفعل ولا معنى له.

(٣) الكسر لغة أسد (ضحى الإسلام) ٢ ـ ٢٤٣ وأما قوله أنه من أبيض وأسود أي مكسور العين

(٤) معتلها بَيِض وسَوِدَ.

من الوجهة الإملائية يجوز في إبراهيم إسماعيل ـ حذف الألف وإثباتها ـ أما الرحمن فتحذف ألفها إذا كانت في إسم أو بسملة.

(٥) في الأصل محذوفة.

(٦) الرعد ـ ١٣ ـ ٢٤.

﴿سلام عليكم﴾ وكذلك قوله: ﴿وإسماعيل ربنا تقبل منا﴾[1] المعنى يقولان ربنا تقبل منا - هذه الألف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التقرير والتوبيخ. وإنما قيل لهم ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ لأنهم كفروا بالنبي، وقد كانوا به مؤمنين قبل مبعثه.

وهذا خطاب لأهل الكتاب:

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّه هُمْ فيهَا خَالِدُونَ﴾.

أي في الثواب - الذي أصارهم اللَّه إليه برحمة - خالدون.

أَعْلَمَ أنه إنما يدخل الجنة برحمته وإن اجتهد المجتهد في طاعة اللَّه لأن نعم اللَّه عزّ وجلّ دون الجنة لا يكافئها اجتهاد الآدميين.

وقال في رحمة اللَّه وهو يريد ثواب رحمة اللَّه كما قال: ﴿واسأل القرية﴾ المعنى أهل القرية، كما تقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق، المعنى يطؤهم مارة الطريق.

وذكر ﴿فيها﴾ ثانية على جهة التوكيد.

وقوله جلّ وعلا: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾.

أي تلك التي قد جرى ذكرها حُجَجُ اللَّه وعلاماته نتلوها عليك أي نعرفك إياها ﴿وما اللَّه يريد ظلماً للعالمين﴾ أي من أعلم اللَّه أنه يعذبه فباستحقاق يعذبه.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾.

ولو كانت «وإليه ترْجِعُ الأمور» لكان حسناً ولكن إعادة اسم اللَّه أفخم وأوكد، والعرب إذا جرى ذكر شيءٍ مفخم أعادوا لفظه مظهراً غير مضمر، أنشد النحويون قول الشاعر:

---

(١) البقرة ٢ - ١٢٧.

لا أرى الموت يسبق الموت شيءٌ نغص الموت ذا الغني والفقيرا[1]

فأعادوا ذكر الموت لفخامة في نفوسهم.

وقوله جلّ وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

يعني به أمة محمد ﷺ وقيل في معنى «كنتم خير أمة أخرجت» كنتم عند اللَّه في اللوح المحفوظ ـ وقيل كنتم منذ آمنتم خير أمة وقال بعضهم معنى ﴿كنتم خير أمة﴾ هذا الخطاب أصله أنه خوطب به أصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمة محمد، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

أي توحدون اللَّه بالإيمان برسوله لأن من كفر بالنبي لم يوحد اللَّه، وذلك أنه يزعم أن الآيات المعجزات التي آتى بها النبي ﷺ من ذات نفسه، فجعل غير اللَّه يفعل فعل اللَّه.

وآيات الأنبياءِ، لا يقدر عليها إلا اللَّه عزّ وجلّ.

ويدل على أن قوله: ﴿وتؤمنون باللَّه﴾: تقرون[2] أن محمداً ﷺ نبي اللَّه، قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

فأهل الكتاب كفروا بالنبي ﷺ فصاروا كفاراً باللَّه فأعلم اللَّه أن بعضهم وهو القليل منهم آمن باللَّه فقال:

﴿مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

والفاسق الذي خرج عن أمر اللَّه.

---

(١) البيت في الخزانة ١ ـ ١٨٣، وشواهد المغني ٢٩٦. واللسان ـ (نغص) وينسب لعدي بن زيد، ولسوادة ابنه، ولأمية بن أبي الصلت. فالأعلم الشنتمري نسبه لسوادة بن زيد، والشجري نسبة لعدي، وفي شرح شواهد المغني ١٨٦ لأي منهما ـ وأنظر سيبويه ١ ـ ١٨٣.

(٢) في ك والأصل: أي تقرون أن محمداً.

ووعد اللَّه النبي ﷺ والمؤمنين في أهل الكتاب أنهم منصورون عليهم، وأنه لا ينالهم من أهل الكتاب اصطلام ولا غلبة فقال: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أذًى﴾.

أي يؤذونكم بالبهت والتحريف، فأما العاقبة فتكون للمؤمنين، قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ﴾[1] يعني به أهل الكتاب، وأعلمهم في هذه الآية أنهم إن قاتلوهم ولوهم الأدبار وسلبوا النصر وكذلك كان أمر اليهود.

وقوله جلّ وعلا: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

والحبل العهد. فأعلم اللَّه أنهم بعد عز كانوا فيه يبلغون في الذلة ما لا يبلغه أهل مكة، وكانوا ذوي منعة ويسار، فأعلم اللَّه أنهم يذلون أبداً إلا أن يعزوا[2] بالذمة التي يعطونها في الإسلام. وما بعد الاستثناءِ، ليس من الأول[3] أنهم أذلاءُ إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه.

وأعلم اللَّه أنهم جعلتْ عقوبتهم هذه العقوبة الغليظة في الدنيا والآخرة لتغليظ ما ركبوه[4] فقال ـ جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرونَ بِآيَاتِ اللَّه وَيَقْتُلون الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

وضعُ ذلك رفع بالابتداءِ المعنى أمرهم ذلك وحقهم ذلك بكفرهم، وقتلهم الأنبياءَ وأعاد ذكر ذلك ثانية فقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

---

(١) الحشر: ٥٩ ـ ١٢.

(٢) في ط يقروا.

(٣) أي إنه استثناء منقطع ولا داعي لهذا إذ المستثنى منه عموم الظرف أي في أي مكان إلا مكاناً يعتزون فيه بحبل اللَّه ـ وعلى تقدير المستثنى منه هو الذلة ـ ويكون تقديره كما ذكر.

(٤) ما ارتكبوه من أفعال ذميمة.

الاعتـداءُ المجاوزة في كـل شيءٍ - مجاوزة القـدر - المعنى حقهـا بكفـرهم - فأعلم الله أنهم غير متساوين فقال:

﴿لَيْسُوا سَواءً﴾ وهذا وقف التمام.

أي ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواءً.

قال أبو عبيدة: ﴿ليسوا سواءً﴾ جمع ليس، وهو متقدم كـما قال [القـائل]: أكلوني البراغيث[1] وكما قال: ﴿عموا وصَمُّـوا كثير منهم﴾[2] وهـذا ليس كما قـال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى، فأخبر الله أنهم غير متساوين فقال ليسوا سواءً. ثم أنْبأ بافتراقهم فقال: ﴿مِنْ أهل الكتابِ أُمَّةٌ قَائمَةٌ﴾.

قال أهل اللغة معنى قائمة مستقيمة، ولم يبينوا حقيقة هـذا وذكر الأخفش المعنى أُمة قائمة، أي ذو أُمَّةٍ قائمة والأُمة الطريقة من أَممت الشيء إذا قصدته.

فالمعنى والله أعلم: من أهل الكتاب أُمة قائمة، أي ذوو طريقة قائمة.

قال النابغة الذبياني:

حلفت فلم أتـرك لنفسـك ريبـة ... وهـل يـأْتمن ذو أُمـة وهـو طـائـع[3]

أي هل يأْتمن ذو طريقة من طـرائق الدين وهـو طائـع. فإنما المعنى أنه لا يستوي الذين قتلوا الأنبياءَ بغير حق والذين يتلون آيات الله آناءَ الليل وهم ذوو طريقة مستقيمة.

---

(١) عبارته في مجاز القرآن «العرب تجوز في كلامهم مثل هذا أن يقولوا -: أكلوني البراغيث، قـال أبو عبيدة: سمعتها من أبي عمرو الهزلي.. وفي القرآن ﴿عموا وصموا كثير منهم﴾ وقد يجوز أن نجعله كـلامين، فكأنـك قلت: «ليسوا سوا من أهل الكتـاب، ثم قلت أمـة» وخـطأ أبي عبيـدة واضح في كلا التقديرين. وقد خطأه القرطبي بما ذكره الزجـاج. وكلام الفـراء في تفسيره (١ - ٢٣٠) يتفق في بعض وجوهه مع أبي عبيدة.

(٢) المائدة ٥ - ٧١.

(٣) سبق شرحه ص ٢٨٤ والمذكور في ك هنا هو الشطر الثاني فقط.

ومعنى ﴿آناءَ الليل﴾ ساعات الليل، قال أهل اللغة واحد آناءِ الليل إِنْى وآناءَ مثل، نِحْى وأَنْحاءٍ وأنشد أهل اللغة في ذلك قول الشاعر:[(١)]

حُلوٌ وَمُرٌّ كعطف القدح مِرَّتُهُ　　بكل إِنْيٍ حداه الليلُ يَنْتَعِلُ

قالوا واحدها إِني مثل مِعْي وأمعاء، وحكى الأخفش «إِنْوٌ».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

معناه وهم يصلون لأن التلاوة ليست في السجود، وإنما ذكرت الصلاة بالسجود لأن السجود نهاية ما فيها من التواضع والخشوع والتضرع.

ومعنى يَتْلُونَ في اللغة يُتْبِعُونَ بعض الشيءِ بعضاً، وقد اسْتَتْلاكَ الشيءَ إذا جعلك تَتْبَعَهُ قال الشاعر:[(٢)].

قد جعلت دلوى تستتليني　　ولا أُحب تبع القرين

إن لم يُرد سماحتي وَلِيني

وقال بعض أهل اللغة: المعنى منهم أمة قائمة وأُمة على غير ذلك، وأنشد في ذلك قول الشاعر:[(٣)]

عصاني إليها القلب أني لأمره　　سميع فما أدري أرشد طلابها

ولم يقل أم هو في غيٍّ لأن في الكلام دليلاً عليه، قال: والعرب تضمر هذا. إذا عرفت مثل هذا ـ عرفت المعنى[(٤)].

---

(١) هو المتنخل الهذلي مالك بن عويمر ـ من شعراء هذيل وفصحائهم، وقصيدته هذه جيدة رثى بها ابنه «أُثَيْلا» قتله بنو سعد في خبر طويل ذكره صاحب الأغاني وجزءاً من القصيدة به هذا البيت. الأغاني ٢٠ ـ ١٤٥ ـ وما بعدها. وأنظر ديوان الهذليين ٢ ـ ٣٥ والخزانة ٢ ـ ١٣٨، وفي الديون: كعطف القدح، أي طوى كما طوى القدح، ومرته قتلته. والقدح السهم.

(٢) اللسان (تلا) الأول والثاني فقط ـ وفيه ولا أريد تبع القرين.

(٣) أبو ذؤيب الهزلي، في ١ ـ ٧١ ديوان الهزليين كما هنا، وفي معاني الفراء (١ ـ ٣٠) عصيت إليها، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٤) ك. إذا عرفت المعنى.

وهذا الذي قال خطأٌ فاحش في مثل هذا المكان، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى في هذه القصة بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه، ويقتلون الأنبياءَ بغير حق، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن منهم المؤمنين الذين هم أُمة قائمة، فما الحاجة إلى أن يقال غير قائمة وإنما المبدوءُ به ههنا ما كان من فعل أكثرهم من الكفر والمشاقة للنبي ﷺ فذكر من كان مبايناً هؤلاءِ وذكر في التفسير أن هذا يعني به عبد اللَّه بن سلام وأصحابه:[1]

ومعنى﴿ويأمرون بالمعروف﴾ههنا أي يأمرون باتباع النبي ﷺ
﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: عن الإقامة على مشاقته ﷺ.
وقوله عزّ وجلّ:﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوه﴾.

قرئت بالياءِ والتاءِ وكلاهما صواب ـ كما قال اللَّه عزّوجل: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[2] ـ فالخطاب لسائر الخلق ومن قال فلن تُكْفَروه فهو لهؤلاءِ المذكورين وسائر الخلق داخل معهم في ذلك.

وموضع﴿يفعلوا﴾جزم بالشرط[3]، وهو﴿ما﴾والجواب﴿فلن يكفروه﴾.

قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾.

أي لا تمنعهم أولادهم مما هو نازل بهم، لأنهم مالوا إلى الأموال في معاندتهم النبي ﷺ لأن الرياسة إنما قامت لهم ـ أعني ـ رؤساءَ اليهود ـ بمعاندتهم النبي ﷺ.

---

(١) أي لا يدل سياق الاية على أنها جاءت لتبين أنهم قسمان ـ وإنما سياقها أن تبين أن منهم طائفة صالحة. والقسم الأول علم نصاً، ويفهم الثاني باللزوم لكنه ليس ما جاءت الآية لبيانه.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ ـ ٧.

(٣) ك وهي ما.

والدليل على أنهم كسبوا بذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللّه ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (١).

ثم أعلم اللّه عزّ وجلّ أن مثل ما ينفقونه في تظاهرهم على النبي ﷺ في الضرر لهم: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾- والصر البرد الشديد، ﴿أصابت حرث قوم﴾-أي زرع قوم ظلموا أنفسهم. فعاقبهم اللّه بإذهاب زرعهم - فأهلكته(٢). فأعلَم أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح في هذا الزرع وقيل أنه يعني به أهل مكة حين تعاونوا وأنفقوا الأموال على التظاهر على النبي ﷺ وقال بعضهم: ﴿مثل ما ينفقون﴾، أي مثل أعمالهم في شِرْكِهم كمثل هذه الريح.

وجعل فيها صر أي صوت، وهذا يخرج في اللغة(٣).

وإنما جعل فيها صوتاً لأنه جعل فيها ناراً كأنها نار أحرقت الزرع - فالصر على هذا القول صوت لهيب النار، وهذا كله غير مُمْتَنع، وجملته أن ما أنفق في التظاهر على عداوة الدين مضر مهلك أهله في العاجل والآجل.

قوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾.

«البطانة» الدخلاءِ الذين يستبطنون ويتبسط إليهم، يقال فلان بِطانة لفلان أي مُداخل له ومُؤانس، فالمعنى أن المؤمنين أُمِروا ألا يداخلوا المنافقين ولا اليهود، وذلك أنهم كانوا لا يبقون غاية في التلبيس على

---

(١) البقرة ٢ - ٧٩ وفي الأصل كتاب اللّه.

(٢) نص الآية: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، وما ظلمهم اللّه ولكن أنفسهم يظلمون﴾.

(٣) أي يأتي هذا المعنى في اللغة: يقال ريح صِرٌّ وصَرْصَرٌ: أي شديدة البرد والصوت.

المؤمنين. فأُمروا بألا يداخلوهم لئلا يفسدوا عليهم دينهم. وأخبر اللَّه المؤمنين بأنهم لا يألونهم خبالا، أي لا يُبْقُون غاية في إلقائهم فيما يضرهم، وأصل الخبال في اللغة ذَهاب الشيءِ قال الشاعر:[١].

ابني سليمي لستم ليد   إلا يدا مخبولة العضد[٢]

أي قد ذهبت عضدها.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي ودوا عَنَتَكُمْ، ومعنى العنت إدخال المشقة على الإنسان، يقال فلان متعنت فلاناً، أي يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، ويقال قد عِنتَ العظم يَعْنَتُ عَنَتَا إذا أصابه شيءٌ بعد الجبر، وأصل هذا كله من قولهم: «أكَمَةٌ عُنُوتٌ» إذا كانت طويلة شاقة المسلك، فتأويل أعنتُّ فلاناً، حَمَلْتُه على المشَقَّةِ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾.

خطاب للمؤمنين، أُعلموا فيه أن منافقي أهل الكتاب لا يحبونهم وأنهم هم يصحبون هؤلاءِ المنافقين بالبر والنصيحة التي يفعلها المحب وإن المنافقين على ضد ذلك.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ المؤمنين ما يُسِرُّه المنافقون وهذا من آيات النبي ﷺ، قال بعض النحويين: العرب إذا جاءَت إلى اسم مكنى قد وصف «بهذا» جعلته بين «ها» و«ذا»، فيقول القائل أين أنت فيقول المجيب: هأنذا،

---

(١) هو قيس بن الخطيم.

(٢) كتاب سيبويه ٢ - ٣١٧ ت هرون - والفراء ١ - ٣١٧ والديوان ٢١ وفي ابن يعيش ٢ - ٩٠ البيت لطرفة ويروي ابني لبيني - ويروى إلا يدا ليست لها عضد. وهذا هو الصحيح لأن القافية فيه بالرفع - ومنها.

ابني لبيني إن أمكنتم أمة   وإن أباكم عَبْدُ

قال وذلك إذا أرادوا جهة التقريب، قال فإنما فعلوا ذلك ليفصلوا بين التقريب وغيره[١].

ومعنى التقريب عنده أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول هذا زيد[٢].

والقول في هذا عندنا أن الاستعمال في المضمر أكثر فقط، أعني أن يفصل بين «ها» و«ذا» لأن التنبيه أنْ يَلِيَ المضْمَرَ ابْيَنُ، فإن قال قائل: ها زيد ذا، وهذا زيد، جاز، لا اختلافَ بين الناس في ذلك، وهذا عندنا على ضربين: ـ جائز أن يكون «أولا» في معنى الذين كأنه قيل: هأنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم، وجائز أن يكون تحبونهم منصوبة على الحال وأنتم ابتداءٌ وأُولاءِ الخبر. المعنى: أنظروا إلى أنفسكم محبين لهم. نهوا في حال محبتهم إياهم.

ولم يشرحوا لم كسرت ﴿أُولاءِ﴾، وأولاءِ أصلها السكون لأنها للإشارة، ولكن الهمزة كسرت لسكونها وسكون الألف ﴿وتؤمنون﴾ عطف على تحبون.

ومعنى﴿تُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ﴾.

أي تصدقون بكتب اللَّه كلها.

﴿وإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾. أي نافقوكم.

﴿وإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

فأنبأ اللَّه عزّ وجلّ ـ بنفقاتهم ههنا كما أنبأ به في قوله [تعالى] ﴿وَإِذَا

---

(١) اسم الإشارة أما للقريب نحو هأنذا، وأما للبعيد نحو هأنَذَلِكَ.

(٢) اسم الإشارة ليس خبراً ـ ففي الآية الخبر ﴿تحبونهم﴾ ولو حذف اسم الإشارة ما ضر ذلك بالمعنى. وهذا غير ما يراه الزجاج.

لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[1].

ويقال عَضَضْتُ أَعَضُّ، ويقال رجل عِضٌّ إذا كان ملازم خصم، أي يُصِرُّ على المخاصمة، والفعل منه عَضَضْتُ. والعُضُّ علف الأمصار[2] الذي تعلفه الإبل نحو النوى والقت والكسب، وإنما قيل له عض لأنه أكثر لبثاً في المال وأبقى شحماً[3] والأنامل واحدها أَنْمُلَة[4] وهي أطراف الأصابع ولم يأت على هذا المثال بغير هاء ما يعني غَيْرَ الواحد إلا قولهم قد بلغ أَشُدَّهُ، أمّا الجمع فكثير فيه أو نحو أكعب وأفلس وأيمن وأشمل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾.

أي إن تظفروا وَتُخْصِبُوا ساءَهم ذلك.

﴿وإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بهَا﴾.

أي: إن نالكم ضد ذلك فرحوا، ﴿وإِنْ تصْبِرُوا وَتتَّقُوا لا يضُرُّكم كيْدُهُمْ شيْئاً﴾.

ضمن اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ للمؤمنين النصر إن صبروا وأعلمهم أن عدوانهم وكيدهم غير ضار لهم. و «لَا يَضُرُّكم» الأجود فيه الضم لالتقاءِ الساكنين الأصل لا يضرركم، ولكن كثيراً من القراءِ والعرب يدغم في موضع الجزم، وأهل الحجاز يظهرون التضعيف وهذه الآية جاءَت فيها[5] اللغتان جميعاً ـ فقوله [تعالى]: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ على لغة أهل الحجاز، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكم﴾

---

(١) البقرة ٢ ـ ٧٦.

(٢) العضر، ـ بضم العين ـ العجين تعلفه الإبل.

(٣) كأنه يعض بجسمها ويثبت فيها.

(٤) بتثليث الهمزة والميم ـ تسع لغات.

(٥) في الأصل فيه.

على لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين حسن، ويجوز «لَا يَضُرُّكُمْ» «ولا يُضِرُّكُمْ» فمن فتح فلأن الفتح خفيف مستعمل في التقاءِ الساكنين في التضعيف، ومن كسر فعلى أصل التقاءِ الساكنين، وقد شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب.

وقرئت: لا يَضِرْكُمْ من الضَّيْرِ، والضَّيْرُ والضُّرُّ جميعاً بمعنى واحد، وكذلك الضَّرُّ - وقد جاءَ في القرآن: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[1] وَجَاءَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2] وقدْ ذكَرَ الفرَّاءُ أَنَّ الكسائي سمع بعض أهل العالية يقول: «ما تضُورُّني» فلو قرئت على هذا لا يضُركُم جاز.

وهذا غير جائز[3] ولا يقرأ حرف من كتاب اللَّه مخالفٌ فيه الإجماع على قول رجل من أهل العالية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذْ غدوْتَ منْ أَهْلك تُبَوِّيءُ الْمُؤْمنينَ مقاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.

روى أن النبي ﷺ رأى في منامه كَأَنَّ عليه درْعاً حصينةً. فأولها المدينةَ، فأمر ﷺ المسلمين - حين أقبل إليهم المشركون[4] بالإقامة بها إلى أن يوافيهم المشركون فتكون الحرب بها فَذَلك تَبْويئُهُ المقاعدَ للقتال. قال بعضهم معناه مَواطِنَ للقتال والمعنى واحد. والعامل في «إذْ» معنى اذكر - المعنى أذكر إذ غدوت، والعامل في﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾. [تُبَوِّيءُ][5] المعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت، ومعنى﴿تفشلا﴾ تَجْبُنَا وَتَخورا.

﴿وَاللَّهَ وليُّهُمَا﴾: أي همت بذلك واللَّه ناصرهما.

---

(١) سورة الأعراف ٧ - ١٢٥.

(٢) سورة الإسراء ١٧ - ٦٧.

(٣) غير جائز في القرآن.

(٤) حين قدم المشركون لحربهم يوم أحد.

(٥) مما اضطرنا لزيادته إذ لا يتم معنى الجملة بدونه، وما بعده يؤيده. ويجوز أن يكون العامل إذ محذوفة أيضاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ نَصرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُم أَذلَّةٌ﴾.

مَعْنى ﴿أذلَّة﴾. عَدَدُكُمْ قليـل، وكان المسلمون في تلك الحرب ثَلاثمَائـة وبضعةَ عشر وكانوا في يوم أُحد سَبْعَمائةٍ، والكفـارُ في يوم أُحُـدٍ ثلاثـة آلاف، وكانوا[١] في يوم حنين إثني عشر ألفاً فأعلم اللَّه ـ جلَّ وعزّ ـ أنهم حينما أُلـزموا الطاعة أنه ينصرهم، وهم قليل وعدوهم أضعافُهم، وفي يوم أُحد نزل بهم مـا نزل لمخالفـة أمر النبي ﷺ في أن جـاوزوا ما أُمِـرُوا به، فجعـل اللَّه ذلك لهم عُقُوبة لئلا يَجْبُنُوا[٢] وجاءَ في بعض الخبر: «الفِـرارُ من الزحف كُفـرٌ». ومعناه عنـدي واللَّه أعلم ـ من فعْل الكفـار، لَا أنه يخـرجُ الإنسـانَ من الإيمـان إلى الكفر. وقد عفا اللَّه فيه، فقال: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَـوْمَئِذٍ دُبُـرَهُ إِلَّا مُتحرِّفـاً لِقَتَال أَو مُتَحيِّزاً إِلَى فِئَة فَقَدْ بَاءَ بغضَبٍ مِن اللَّه. ومأْواه جهنَّمُ﴾[٣].

وأَذلَّـة جميع ذَليـل، والأَصـل في فعيـل إذا كـان صفـة أن يجمـع على فُعـلاءِ، نحو ظَـريف وظُـرفَـاءَ، وشَـريـك وشُـرَكَـاءَ، ولكن فعـلاءَ أجتنب في التضعيف. لو قيل جللاءَ وقللاءِ في جليـل وقليل، لأجتمـع حرفـان من جنس واحد، فعدل به إلَى أَفْعِلة من جمع الأَسماءِ في فعيل، نحـو جريب وأَجْـربة، وقفيز وأَقْفزة[٤].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ويَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾.

---

(١) المسلمون.

(٢) لأنهم إن جبنوا أصابهم مثل ذلك.

(٣) سورة الأنفال، والاستشهاد غير جيـد ـ لأن ذلك لا يعـد فراراً ولأن الآيـة لا تدل على عفـو عن الفـارين، والأقرب في هـذه الآية: ﴿إن الذين تـولـوا منكم يـوم التقى الجمعـان إنمـا استـزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا اللَّه عنهم﴾ آل عمران ٢ ـ ١٢٢.

(٤) الجريب من الطعـام والأرض مقدار معلوم ـ عشـرة أقفزة كـل قفيز منهـا عشرة أعشـر ـ الجريب مكيال قدره أربعة أقفزة ـ وقال أبو زيد لا أحسب الجريب كلمة عربيـة. وفي القامـوس: القفيز مكيال ثمانية مكاكيك ومن الأرض قدره مائة وأربعة وأربعون ذراعاً. والمكوك كتنـور مكيال يسع صاعاً ونصفاً. أو نصف رطل إلى ثمان أواقٍ، أو نصف الويبة. . . الخ.

أي من وجههم، و «هـذا»[1] نعت لفـورهم، و ﴿يُمْـدِدْكُمْ﴾ جـواب الجزاءِ[2] يقال أمددت الجيش بعدد، وأَمَدّ الجرح إذا صارت فيه المِـدَّة، يُمِد فهو مُمِدٌّ، ومدّ النهر ومدّه نهر آخر.

وقوله جـلّ وعزّ: ﴿مُسَـوِّمِينَ﴾ قرئت مسـوِّمين ومسَوَّمِينَ ومعنى مسـومين: أخذ من السُّومَة، وهي العلامـة، كانـوا يعلِّمون بصـوفة أو بعمـامة أو مَـا أشبه ذَلـك، ومسـوَّمين: معلَّمِينَ. وجـائـز أن يكـون مُسَـوِّمينَ: قـد سَـوَّمُـوا خيلَهم وجعلوهَا سائمة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُم﴾.

وما جعل ذكر المدد إلا بشرى لكم ولتمكنوا في حربكم

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الّذين كَفَرُوا﴾.

أي لينقل قطعة منهم.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾.

أي يهـزمهم، قال أبـو عبيدة: يقـال كَبَتِـهُ اللّه لـوجهـه أي صـرعـه اللّه لوجهه، والخائب الذي لم ينل مَا أَمّل[3].

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ لَـكَ مِنَ الأمْر شيءٌ أَو يَتـوبَ عَلَيْهم أَو يُعَذِّبَهُمْ فإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

أنزل عليه ذلـك ﷺ لأنه في يـوم أُحدٍ شُـجّ وكُسِرتْ ربـاعيته فقـال وهو يمسـح الدم عن وجهـه: كيف يفلح قوم فعلوا هـذا بنبيهم وهو يـدعـوهم إلى ربهم، فأعلمه اللّه جلّ وعزّ ـ أن فلاحَهُم ليس إلَيْه وأنه ليس له من الأمر شيءٌ

(١) كلمة «هذا» صفة لأنها بمعنى المشار إليه، فهي مشتق معنى.

(٢) الجواب الذي يفيد جواب الشرط.

(٣) نص الآية: ﴿أويكبتهم فينقلبوا خائبين﴾.

إلا أن يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين، وأن ثوابه على اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ في ذلك.

ونصب ﴿أو يتوب﴾ على ضربين: جائز أن يكون عطفاً على قوله: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم. والوجه الثاني على النصب بأو إذْ كانت في معنى إلا أن. فالمعنى: ليس لك من الأمر شيءٌ أي ليس يؤْمنون إلا أن يتوب اللَّه عليهم، أو حتى يتوب اللَّه عليهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾.

﴿الرِّبا﴾ قليلهُ وكثيرهُ قد حُرّم في قوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿وأَحلَّ اللَّه البيع وحرَّم الرِّبا﴾(١)، وإنما كان هذا لأن قوماً من أهل الطائف كانوا يُربون. فإذا بلغ الأَجل زادوا فيه وضاعفوا الربا.

وقال قوم [معناه] لا تُضَاعِفُوا أَمْوَالَكُمْ بالرِّبَا.

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي لتكونوا على رجاءِ الفلاحِ، والمفلح [هو] الذي أدرك ما أَمَّل من الخير، واشتقاقه من فَلَحَ الحديد إذا شقه، فإنما هو مبالغة في إدراك ما يوصل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

أَي اتَّقوا أن تُحلُّوا ما حرَّم اللَّه، فإنّ من أَحلّ شيئاً مما حرم اللَّه فهو كافر بإجماع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰوات والأَرضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقِينَ﴾.

أَي لمن اتَّقى المحارم، وروي عن النبي ﷺ أَنَّ بيْن مصراعي بَاب

(١) البقرة ٢ ـ ٢٧٥.

الجنّة مسيرةَ أربعين عاماً، وليأتين عليه يومٌ يزدحمُ عليه الناس كما تزدحم الإبل وردت خِمصاً ظِماءً[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْكَاظِمينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

أي أُعدت للذين جرى ذكرهم وللذين يكظمون الغيظ، ويروى عن النبي ﷺ ما من جرْعةٍ يتجرعها الإنسان أعظمُ أجراً من جرعةِ غيظٍ في الله. يُقال كَظَمْتُ الغيظ أكظمهُ كظْماً إذا أمْسكْتُ على ما في نفسي[2] منه، ويقال كظم البعير على جرَّته إذا ردّها في حلقه، وكظم البعير والناقة كُظوماً إذَا لمْ يجتر، قال الراعي:

فأَفضْن بعد كُظُومهنَّ بجرةٍ　　من ذي الأَباطِح أذ رَعين حقيلاً[3]

والْكِظَامة سير يشد بِهِ الوَتَر على سِيَةِ القوْس العربيَّةِ، والكظمية، والكظَائمُ حفائر تحفَر من بئْر إلى بِئر ليجري الماءُ من بعضها إلى بعض وكاظمة موضع بالبادية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا اللَّهُ﴾.

الرفع محمول على المعنى، والمعنى وأيّ أحدٍ يغْفِرُ الذُّنُوبَ؟ ما يغفرها إلا الله.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾، الإصرارالإقامة على الشيءِ، وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾.

---

(١) الخِمْصُ والخميصُ والخُمْصَانُ الضامر البطن. أي وردت جائعة ظامئة فهي تتسابق على الماء.

(٢) ك أمسكت على ما في نفسك.

(٣) أنظر لأميته آخر ديوان جرير ط القاهرة ١٣٧٣ هـ. يصف الإبل صبرت طويلاً ثم أفاضت بحرارها. والحقيل نبت، ومكان بالبادية. فالمراد إما: حين رعين هذا النبت أو حين ارتعين في هذا المكان. وقد تقدم هذا البيت.

معنى قد خلت قد مضت، ومعنى سُنَن أَهلُ سنن أي أَهل طَرائق، والسُّنَّةُ الطَّريقَةُ، وقول الناس: فلان على السنَّةِ معناه على الطَّريقة، ولم يحتاجوا أن يقولوا على السُّنَّةِ المستقيمة لأَنَّ في الكلام دليلاً على ذلك، وهذا كقولنا «مُؤْمنٌ» معناه مصدق وفي الكلام دليل على أنه مؤمن بأُمور اللَّه عزّ وجلّ - التي أُمر بالإيمان بها، والمعنى إنكم إذا سِرْتُمْ في أسفاركم عرفتم أخبار قوم أُهلكوا بتكذيبهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْن إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أَي لَا تَضْعُفوا، يُقال وَهَنَ يَهِن إذا ضَعُفَ فضمنَ اللَّه عزّ وجلّ - النَّصْر بقوله: ﴿وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾.

و﴿قُرح﴾ جميعاً يقرأان، وهمان عند أَهل اللغة بمعنى واحد ومعناه الجراح وألمُها يُقالُ قَدْ قَرِحَ يَقْرَحُ قَرْحاً، وأَصابه قَرْحٌ، قال بعضهم كأَن القُرح الجُرْح، وكأَن القَرْح الألم.

﴿وتلكَ الأَيَّامُ نُداولُها بيْنَ النَّاسِ﴾.

أَي نجعل الدُّولة في وقت من الأوقات للكافرينَ على المؤْمنين إذا عصَوْا فيما يُؤْمَرُون به، من مُحَاربَة الكفار، فأَما إذا أَطاعوا فهم مَنْصُورونَ أَبداً، كما قال اللَّه - عزّ وجلّ - ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المفْلِحُونَ﴾(١).

ومعنى ﴿وليعَلم اللَّه الذين آمنوا ويتَّخذَ مِنْكُمْ شهَداءَ﴾.

أَي ليعلم اللَّه من يُقيم على الإِيمَانِ بعد أَن تناله الغلبة، أَي يجعل لهم الدَّولَة في وقت من الأوقات ليعلمَ المؤْمنين.

---

(١) سورة المجادلة ٥٨ - ٢٢.

وتأويل وليعلم اللَّه الذين آمنوا ـ واللَّه عزّ وجلّ ـ قد علمهم قبل ذلك: معناه يعلم ذلك واقعاً منهم ـ كما قال عزّ وجلّ ـ ﴿ولَنَبلوَنَّكُمْ حتى نَعلم المُجاهِدينَ منكُمْ والصَّابِرينَ﴾[1].

أي ليقع ما علمناه غيباً مشاهدة للناس، ويقع منكم. وإنما تقع المجازاة على ما علمه اللَّه من الخلق وقوعاً لا على ما لم يقع وما لم يعلموه ـ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[2]. وقال: ﴿إنما تجزون ما كنتم تعلمون﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمنُوا ويَمْحَقَ الكَافِرينَ﴾.

المعنى جعل اللَّه الأيام مداولة بين الناس ليمحص المؤمنين بما يقع عليهم من قتلَ في حربهم، أو ألم أو ذهاب مال، ويمحق الكافرين: ليستأصلهم. وجائز أن يكون يمحقهم يحبط أعمالهم، وتأويل، المحص في اللغة التَّنْقِيَةُ والتخليص، ـ قال محمد بن يزيد ـ رحمه اللَّه ـ يقال مَحَصَ الحبل مَحْصاً، إذا ذَهَبَ منه الوبَرُ حتى يَمْلَصَ وحبل مَحِصٌ أَوَ مَلِصٌ بمعنى واحد، قال وتأويل قول الناس: مَحِّصْ عَنَّا ذُنُوبَنَا: أي أَذْهِب عنا ما تعلَّق بنا من الذنوب.

وأخبرنا محمد بن يزيد أن حُنَيْفَ الحَنَاتِمِ ورَدَ ماءً يُقال له «طُوَيْلِع»[4] فقال: «واللَّه أنك لَمَحِصُ الرشا بعيد المستقى مظل على الأعداءِ، ولو سألتني أعناق الإبل لأعطيتك» أي لو تقطعت أعناق الإبل إليك لقصدتك. ومعنى مَحص الرِّشَاءِ أي هو طين حُرٌّ، فالرشا تَتَملصُ من اليد. فمعنى يمحّص

(١) سورة القتال ٤٧ ـ ٣١.

(٢) سورة آل عمران ٣ ـ ١٥٨.

(٣) سورة الطور ٥٢ ـ ١٦.

(٤) اللسان عن الأزهري ـ طويلع ركية عادية بناحية الشواجن عذبة الماء قريبة الرشاء.

الذين آمنوا: يخلِّصهم من الذُّنوب. وقال محمد بن يـزيد ـ رحمـه اللّه ـ أيضاً وغيـره من أهل اللغـة مَحَصَ الظبي يَمْحَص إذا عَـدا عدْواً شَـديداً، وقـال هو وحده: تأْويله أنّه لا يخْلط حدتَه في العَدو وَنْياً ولا فُتُوراً.

وقـال غيره مَحَص الـظَّبْيُ يَمحص ومحِصَ بمعنى واحد: إذا عَـدا عدواً يكادُ أن يَنْفد(١) فيه من شدته. ويقال: ويُستَحَب من الفَرَس أن تُمَحَّصَ قوائمُه أي تخلص من الرَّهَل(٢).

قال أبو إسحق: وقرأْتُ عليه أيضاً عن الخليل: المَحصُ التخليص يقال مَحَصت الشيءَ أمْحَصه محْصاً إذا خلصته وقال بعض أهـل اللغة: ﴿وليمحص اللّه الذين آمنوا﴾ أي وليمحص اللّه ذنـوب الذين آمنـوا ـ ولم يُخْبَـرُوا بحقيقـة المحص ما هو(٣).

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَـدْخُلُوا الجَنَّـةَ وَلَمَّـا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّـذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقرأها الحسن: ويعلمِ الصَّابرينَ بالكسر على العـطف ومن، قرأ ويعلمَ الصابرين فعلى النصب بالواو. المعنى ولمـا يقع العلم بـالجهاد والعلم بصبـر الصابرين، ولما يعلم اللّه ذلك واقعاً منهم. لأنه جـلّ وعزّ يعلمـه غيباً، وإنَّمـا يجازيهم على عَملهم، وتأْويـلُ «لَمَّا» أنهـا جواب لقَـول القَائـل قد فَعـل فلان فَجوابه لمَّا يفْعل(٤) وإذا قال، فَعَل فجوابه لَم يفعل، وإذا قال: لقـد فجوابـه مَا

(١) انفد انقطع أي يكاد يقتل من شدة الجهد.

(٢) أي الدهن والشحم. قال: محصُ الشوي معصوبة قوائمه.

(٣) أي يخلصهم منها كما يخلص الفرس من الرهل ـ وذلك بعفـوه سبحانـه، أو بتوفيقهم إلى مثل هذا العمل الذي يرفع درجاتهم عند اللّه ويزيل سيئاتهم.

(٤) إذا قال «قد فعل» ـ ففي كلامه بعض توكيد ـ فيجاب بلما ـ وهي تدل أنه للآن لم يفعل ـ وينتظر وقـوعه ـ وإذا قـال «فعل» ـ فهـو خـال من التـوكيـد فيجـاب بلم وهي تـدل أنـه لم يحـدث في

يفعل، كأنه قال: واللَّه هو يفْعل، يريد ما يُسْتقْبل فجوابه لَنْ يفعـل ولا يفعل. هذا مذهب النحويين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَقَدْ كُنتُمْ تَمنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تلقَوْهُ﴾.

أي كنتم تمنَّـون القتال، هـو سبب الموت، والمعنى ولقـد كنتم تمنـون سبب المـوت، وذلـك أنهم كـانـوا يتمنّـونَ أَنْ يُـطْلَقَ لهم القتــال - قـال اللَّه عـزّ وجلّ: ﴿أَلم تَـر إلى الذين قيـل لهم كفوا أيـديكم وأقيمـوا الصـلاة وآتـوا الـزكاة فلمـا كتب عليهم القتال إذا فـريق منهم يخشون النـاس كَخَشْيـةِ اللَّهِ أو أشد خشية﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدْ رأَيْتُمُوهُ وأَنْتُمْ تَنظُرونَ﴾.

قيـل فيه غيـر قول. قـال الأخفش معنـاه التـوكيـد، وقـال بعضهم وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

والمعنى - واللَّه أعلم - فقـد رأيتموه وأنتم بصـراءُ كما تقـول: قـد رأيت كذا وكذا، وليس في عينيك عَمَهٌ(٢) أي قد رأيته رؤية حقيقية، وهـو راجع إلى معنى التوكيد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومـا مُحمَّد إلاَّ رَسُـول قَدْ خَلتْ منْ قَبْلِهِ الـرُّسُل﴾. أي قد مضت من قبله الرسل، المعنى أنه يمُوت كما ماتَت الرسُل قبله.

﴿أفإنْ مَاتَ أو قُتِل انْقَلبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

أي ارتَددْتُم عن دينكم - وروي أن بعض من كان في يوم أُحد ارتـدّ(٣)،

الماضي. اما إذا قال لقد فعل - ففيه مـزيد تـوكيد. لأنـه بالـلام وقد، فيجـاب بتوكيـد مثله - مَا فعل.

(١) النساء ٤ - ٧٨.

(٢) أي ليس بعينيك عمي يحجب رؤيته. وفي الأصول «علمه» ولا يناسب ما بعده.

(٣) ارتد أي رجع قبـل أن يصل إلى ميـدان الحرب، وكـان النبي ﷺ رفض مساعـدة اليهود، إذ لا =

ويعضهم مضى مسافة ثلاثة أيام، فأعلم اللّه جلّ وعزّ أن الرسُلَ ليْست باقية في أممها أبداً وأنّه يجب التمسك بما أتَتْ به، وإن فُقِدَ الرسُولُ بموت أو قتل.

وألف الاستفهام دخلت على حرف الشرط[(١)] ومعناها الدخول على الجزاءِ، المعنى أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قُتل، لأن الشرط والجزاءَ معلق أحدهما بالآخر فدخلت ألف الاستفهام على الشرط وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاءِ، كما أنك إذا قلت هل زيد قائم فإنما تَسْتفهم عن يامه لا من هو، وكذلك قولك ما زيد قائماً إنما نفيت القيام ولم تنف زيداً، لكنك أدْخلْت «ما» على زيد لتعلُم من الذي نُفي عنه القيامُ، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالدون﴾[(٢)].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بإذْنِ اللَّهِ﴾.

المعنى ما كانت نفس لتموت إلا بإذن اللّه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿كِتَاباً مُؤَجَّلا﴾.

على التوكيد، المعنى كتب اللّه ذلك كتاباً مؤجلاً أي كتاباً ذَا أَجَلٍ، والأَجَلُ هو الوقْتُ المعلوم، ومثل هذا التوكيد قوله ـ عزّوجلّ: ﴿كِتَابَ اللَّه عليكم﴾[(٣)] لأنه لما قال: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم﴾[(٤)] دل ذلك على انه مفروض عليهم فكانَ قوله: ﴿كتاب اللَّهِ عليكم﴾ توكيداً، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الذي أتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ لأنه لما قال: ﴿وَتَرَى الجِبَال تَحْسَبُهَا

= يستعان بمشرك على مشرك، ورجع حليفهم عبد اللّه بن أبي بعد ذلك ومعه ثلث المحاربين اليهود.

(١) في ط، ب، حروف الشرط.

(٢) في ط، ب، حروف الشرط.

(٣) الأنبياء ٢١ ـ ٢٤

(٤) النساء ٤ ـ ٢٤ ـ ٢٣.

جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[1]، دل ذلك على أنه خَلَق اللّه وصُنعُه، فقال: ﴿صُنع اللّه﴾ وهذا في القرآن في غير موضع - وهذا مجراه عند جميع النحويين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾.

أي من كان إنما يقصد بعمله الدنيا أُعطي منها، وكل نعمة فيها العبد فهي تفضل من اللّه إعطاءٌ منه. ومن كان قصده بعمله الآخرة آتاه اللّه منها، وليس في هذا دليل أَنه يحرمه خير الدنيا، لأَنه لم يقل ومن يرد ثواب الآخرة لم نؤته إلا منها، واللّه عزّ وجلّ ذو الفضل العظيم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وكَأَيِّن مِّنْ نَبِيٍّ قَاتَل مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾.

تفسيرها «كم من نبي»، وفيها لغتان جيدتان بالغتان يقرأُ بهما جميعاً. يقرأُ وكأَيِّن بتشديد وكائِن على وزن فاعل. وأَكثر ما جاءَ الشعر على هذه اللغة قال جرير:[2]

وكائن بالأَباطح من صديق ... يراني لو أَصَبْتُ هو المصابا

وقال الشاعر أَيضاً:[3]

---

(١) النمل ٢٧ - ٨٨.

(٢) من بائيتِهِ له في مدح الحجاج. الخزانة ٢ - ٤٥٥، ابن يعيش ٣ - ١١٠ وشواهد المغني ٧١٨ الأباطح جمع أبطح، وبطحاء. كل مكان متسع، ويقصد هنا منشأه بالصحراء أي إن له أصدقاء يرونه كأنفسهم إذا مسه ضر ألموا له كانه بهم.

(٣) هو عمر بن شاس من فحول الجاهليين المخضرمين عده ابن سلام من شعراء الطبقة العاشرة أدرك الإسلام شيخاً وقال ابن حجر (الإصابة ٥٨٦٨) إنه شهد موقعة القادسية. وأنظر الأغاني ١٠ - ٦٣، بولاق وأمالي المرتضى ١ - ٢٩٧ ورواية البيت بهما يردي المقنعا ١ - ٢٩٧ أي يقتله وفي هذه الرواية يردى مقنعاً - أي يقتل، يريد رددناه بالقتل رغم ما هو فيه من سلاح.

وكـائن رَدَدْنـا عنكمــو من مـدجّــج يجيءُ أمـام الألـف يُـردَى مقـنَعـا

ومثل التشديد قوله:

كَــأيِّن في الـمعــاشــر مـن أُنــاس أخــوهـم فــوقَهـم، وهُـمُ كــرام[١]

أعلم اللَّه جلّ وعزّ أن كثيراً من الأنبياءِ قاتَل معه جماعة فلم يهنوا ـ فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿رِبّيُّونَ كثيرٌ﴾.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

معنى ﴿فما وهنوا﴾ فما فَتَروا، ﴿وما ضَعفُوا﴾: وما جَبُنُوا عن قتال عدوهم، ومعنى ﴿ما استكانوا﴾: ما خضعـوا لعدوهم وتقـرأ ـ وهو الأكثـر[٢] رِبّيُّون بكسـر الراءِ، وبعضهم يقرأ رُبيون ـ بضَم الراءِ.

وقيـل في تفسير ربيـون. كثيراً أنهم الجمـاعات الكثيـرةُ، وقـال بعضُهم الرِّبوة عشَرةُ آلاف[٣] وقيل الرِّبيون العلماءُ الأتقياءُ: الصُّبُـر على ما يُصيبُهُم في اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ وكلا القولين حَسنٌ جميلٌ، وتقرأ: قَتَلَ معه، وقَاتَل معه، فمن قرأ قاتل المعنى إنهم قاتلوا وما وهنوا في قتـالهم، ومن قرأ قُتِـل، فالأجـود أن يكون «قتل» للنبي عليـه السلام المعنى. وكـأيِّن من نبي قتل ومعـه ربيون فمـا وهنوا بعد قتله[٤]، لأن هؤلاءِ الذين وهنوا كانوا توهموا أنَّ النبي ﷺ قتل، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن الـربانيين بعـد قتل نبيهم مـا وهنوا. وجـائز أن يكـون قتل للربانيين، ويكون فما وهنوا، أي ما وهن من بقي منهم.

(١) المعاشر جمع معشر وهم أهل الشخص ـ والمعشر الجمـاعة يستعمـل للرجال دون النسـاء، لا واحد له من لفظه. المعاشر جماعات الناس يريدون يرفعون نـزيلهم عن كرم خُلُق وطيب نفس لا عن مراءاة وتضجر.

(٢) ك وهي الأكثر.

(٣) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ.

(٤) ليس بجيد لخلو الجملة من واو الحال. وإنما هو قتـل ممن معه، كمـا تقول: أصـاب له ولـدأ وقتل له صديقاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا كانَ قَولَهمْ إلا أَن قَالُوا ربَّنَا أغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

تقرأ ﴿قولهم﴾ بالنصب ويكون الاسم: ﴿إلا أَن قالوا﴾ فيكون المعنى ما كان قَوْلَهُمْ إلا استغفارُهم، أي قولهم اغفر لنا - ومن قرأها بالرفع جعل خبر كان ما بعد إلا، والأكثر في الكلام أَنْ يكون الاسمُ هو ما بعد إلا - قال اللّه عزّ وجلّ ﴿فما كان جوابَ قومه إلا أن قَالوا﴾[1] ﴿وما كان حُجَّتهُمْ إلا أَنْ قالوا﴾[2].

ومعنى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي ثبتنا على دينكَ. وإذا ثَبَّتَهُمْ على دينهم ثبتوا في حربهم - قال اللّه عزّ وجلّ - ﴿فَتَزِلَّ قدم بعد ثبوتها﴾[3] المعنى تَزِلُّ عن الدين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فآتَاهُم اللّه ثَوَابَ الدُّنيَا﴾.

أي ظفَّرهم وغَنَّمهُم. ﴿وَحُسْنُ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾.

المغفرة وما أعد لهم من النعيم الدائم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿بَلِ اللّه مَولاكُمْ﴾.

أي هو وليكم، وإذا كان وليهم فهو ناصرهم ﴿ألا إنَّ حزب اللّه هم الغالبون﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَنُلقي في قُلوب الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: نُصرت بالرُّعْبِ، وقال يُرْعَب مني عَدوي من مسيرةِ شهر، وقال اللّه عزّ وجلّ: في سورة الحشر: ﴿وقذف في قُلوبِهمُ الرُّعب﴾[4].

---

(١) النمل ٢٧ - ٥٩.

(٢) الجاثية ٤٥ - ٥. ذلك لأن المصدر المؤول من أن والفعل أولى أن يكون مبتدأ.

(٣) النحل ١٦ - ٢٤.

(٤) الحشر الآية (٢).

وقوله عزَ وجلّ: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِه سُلطاناً﴾.

أي أشركوا بـه مَا لم يُنـزّل به حُجَّـةً، والسلطان في اللغة الحجـة ومثله ﴿ما أغنى عنِّي ماليه هلك عني سلطانيه﴾(١) أي ذهبت عني حجيته.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنه﴾.

معناه تستأصلونهم قتلا، يقال حسهم القـائد يحُسهم حسّـا إذَا - قتلهم، ويقال هل حَسَسْتَ كذا وكذا أي هل رَأَيتَه أو علمته. ويقال ما حَسَسْتَ فلانـاً، وهل حَسَسْتَ له - والكسر أكثر - أي ما رفُقْت عليه ولا رحمتـه ويقال جيءَ بـه من حِسِّـك وبَسّك، أي من حيث مـا كان ولم يكن، كـذلـك لفظ الأصمعي، وتـأويله جيءَ به من حيث تـدركه حـاسَّة من حـواسّك، أو يـدركه تصَـرُّف من تَصرّفك، ومعنى ﴿بإذْنه﴾ بعلمه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿حتى إذَا فَشِلْتُم﴾.

أي جَبُنتم عن عدوكم، ﴿وتنازعتم﴾ اختَلَفْتم من بعد ما أَرَاكُمْ مَا تُحبُّونَ: لأنهم أُعطوا النصر فخالفوا فيما قيل لهم في حربهم فعوقبوا بأن ديل منهم(٢).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مِنكَمْ مَنْ يُريد الدُّنْيَا﴾.

أي منكم من قصده الغَنيمةُ في حربه ﴿وَمنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.

أي يقصد بحربه إلى ما عند اللّه.

وقـولـه جـلّ وعـزّ: ﴿وَلَقَـدْ عَفَـا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْـــل عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إذْ تُصعِدونَ﴾...

وتَصْعَـدون جميعاً، قـد قرِيءَ بهمـا، فمن قال تُصْعِـدُون فهو لكـل من

---

(١) الحاقة ٦٩ - ٢٩.

(٢) ذهبت الدولة منهم وانتصر عدوهم عليهم.

ابتدأ مسيراً من مكان فقد أصعد، والصعود إنما يكون من أسفل إلى فوق، ومن قرأ تَصْعَدون فالمعنى إذ تَصْعدون في الجبل ولا تَلْوُونَ على أَحَدٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَثَابكُمْ غمًّا بغَمٍّ﴾، أي أثابكم بأن غممتم النبي ﷺ أن نَالكُم غَمٌّ - بما عوقبتم به للمخَالفَة وقال بعضهم غمّاً بغم إشراف خالد بن الوليد عليهم بعد ما نالهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِكَيْلا تَحْزَنوا على مَا فَاتكُمْ﴾من غنيمة.

﴿ولا مَا أَصَابَكُمْ﴾.

أي ليكون غمكم بأن خالفتم النبي ﷺ فقط(١).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ من بَعْدِ الغَمّ أَمنَةً نُعَاساً﴾.

أي أعقبكم بما نالكم من الرُّعب أن أمنَكم أَمْناً تنامون معه، لأن الشَّديدَ الخوفِ لا يكادُ ينَامُ. و ﴿أمنَةً﴾ اسم تقول أَمن الرجل أَمْناً وَأَمَنَةً، إذا لم ينله خوف. و﴿نعاساً﴾: منصوب على البدل من أمنة، ويقرأ يغشى وتغشى طائفة منكم فمن قرأ يغشى - بالياء - جعله للنعاس ومن قرأ تغشى بالتاء جعله للأمنة. والأمنة تؤدي معنى النعاس.

وإن قرىءَ يغشى جاز - وهذه الطائفة هم المؤمنون، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفسُهُم﴾وهم المُنَافقُونَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾، أي يظن المنافقون أن أمر النبي ﷺ مضمحل.

﴿ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾: أي هم على جاهليتهم في ظنهم هذا والقراءة، ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾-قال سيبويه: المعنى إذ طائفة قد أهمتهم وهذه واو

---

(١) أي حزنكم لأنكم خالفتم النبي - أنساكم الحزن على فوات الغنيمة والحزن على ما نالكم من الهزيمة، وفقد رجال منكم.

الحـال، ولو قـرئت: ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾، على إضمـار فعل [أهــم] الذي ظهر تفسيره كان جائزاً. المعنى وأهمت طائفة أنفسهم، وجائز أن يـرتفع على أن يكون الخبر يـظنون ويكـون قد أهمتهم نعت طـائفة، المعنى وطـائفة تهمهم أنفسهم يظنون، أي طائفة يظنون بالله غير الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُـلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُـوتِكُمْ﴾.

تقرأ ﴿بيُوتكم﴾ بضم الباءَ وكسرها، وروى أبو بكـر بن عياش عن عـاصم بكسر الباءِ، قال أبو إسحق: وقرأناها بإقراء أبي عمرو عن عاصم بُيوتكم بضم الباء، والضم الأكثر الأجود ـ والذين كسروا «بِيُوت» كسروها لمجيء اليـاءِ بعد الباء و «فِعول» ليس بأصل في الكلام، ولا من أمثلة الجمع، فالاختيار «بُيوت» مثل قلب وقُلوب وفَلْس وفُلوس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَبرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

معنى «برزوا» صاروا إلى بـراز، وهو المكـان المنكشف أي لأوصلتهـم الأسباب التي عنها يكون القتل إلى مضاجعهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكم﴾.

أي يختبره بأعمالكم لأنه علمه غيباً فيعلمـه شهادة[1] لأن المجـازاة تقع على مـا علم مشاهـدة، أعني على ما وقـع من عامليـه، لا على ما هـو معلوم منهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّه لِلَّهِ﴾.

فمن نصب فعلي توكيد﴿الأمـر﴾ ومن رفع فعلي الابتـداء ـ و﴿للّه﴾ الخبر ومعنى ﴿الأمر كله للّه﴾ أي النصر وما يلقي من الرعب في القلوب للّه، أي كـل ذلك للّه.

---

(١) ك مشاهدة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾.

هذا خطاب للمؤمنين خاصة.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.

أي لم يَتولَّوا في قتالهم على جهة المعاندة، ولا على الفِرار من الزحف رغبة في الدنيا خاصة، وإنما أذكرهم الشيطان خطايا كانت لهم فكرهوا لقاءَ اللَّه. إلا على حال يرضونها، فلذلك عفا عنهم[1] وإلا فأَمْر الفِرار والتَّولّي في الجهاد إذا كانت العدة أقل من المثلين، أو كانت العدة مثلين، فالفرار أَمر عظيم[2].

قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه إِلَّا مُتَحرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾[3] وهذا يدل أن أَمر الوعيد لأهل الصلاة[4] أمر ثابت، وأن التولي في الزحف من أَعظم الكبائر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾.

القراءَة وما ثبت في المصحف على القصر وفُعَّل جمع فاعل نحو

---

(١) هذا رأي الزجاج خاصة، وقد نقله عنه بعض المفسرين منسوباً إليه، ويظهر أن الذي وجهه إليه أن بعض الصحابة الكبار أمثال عثمان بن عفان، كانوا من الفارين. ولكن حالهم لا تدل على ذلك، فهم فروا مهزومين خائفين، ثم إن الشيطان لا يأتي الناس بهذه العظة وهي التخويف من الذنوب إنما هو يغويهم ويحرضهم على فعلها.

والواضح من الآية أن ﴿استزلهم﴾ أي وقعهم في الزلل، والزلة السقطة، ومما اكتسوه في هذا الموقف مخالفة أمر النبي ﷺ حيث أمرهم ألا يبرحوا مكانهم ففارقوه. وقد عفا اللَّه عنهم لأنهم لم يكونوا ذوي قصد سيء.

(٢) أي إذا كان عدد العدو ضعف المسلمين أو أقل، وهذا هو الحكم الفقهي أخذا من الآية ﴿إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكون منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ (الأنفال ٨ ـ ٦٦).

(٣) الأنفال ٨ ـ ١٦.

(٤) أي أن المسلمين ينالون عقوبة في جهنم كالكفار، إلا أنهم لا يخلدون وهو يرد على من زعموا أن المسلمين ليسوا كذلك.

ضـارب، وضُرَّب، وشاهد وشُهَّـدُ، ويقع على فُعَّـال نحـو حـارب وحُـرَّاب، وضارب وضُرَّاب. وغُزَّاء. يجوز إلا أنه لا يكون في القراءَة لأنه ممدود[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قلوبهِم﴾.

أي ليجعل ظنهم أنهم لو لم يحضروا - وإذا لم يحضروا - الحرب اندفع عنهم ما كتب عليهم. فحسرتهم فيما ينالهم أشد.

﴿واللَّهُ يُحْيِي ويُمِيت﴾.

أي ليس الإنسـان يمنعـه تحـرزه من إتيـان أجله على مـا سبق في علم اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فبما رحمة من اللَّه لِنْتَ لَهُمْ﴾.

«ما» بإجماع النحويين ههنـا صلة لا تمنع البـاءَ من عملها فيمـا عملت. المعنى فبـرحمة من اللَّه لنت لهم. إلا أنَّ «مـا» قد أحـدثَتْ بدخُـولهـا تـوكيـد المعنى، ولـو قرئت فبمـا رحمةٌ من اللَّه جـاز، المعنى فبما هـو رحمة[٢] كمـا أجازوا. . . ﴿مثلاً مَا بَعُوضَةٌ﴾[٣] ولا تقرأَنَّ بها، فإن القراءَة سنَّةٌ [و] لا يَجُـوز أنْ يقرأَ قَارِئٌ بِمَـا لم يقرأ بـه الصحابـة أو التابعـون أو من كانَ من قُـرّاءِ الأمصار المشهورين في القراءَة.

والمعنى أن لينـك لهم ممـا يُـوجب دخـولهم في الـدين لأنـك تـأْتيهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

---

(١) أي ولم تثبت قراءة بالمد.

(٢) أي أن ما موصولة وصدر الصلة محذوف.

(٣) أجازوه إعراباً لا قراءة، والآية: ﴿إن اللَّه لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾.

الفَظّ: الغليظُ الجانب السّيِّء الخُلُق، يقال فظَظْتَ تَفِظّ فظاظة، وفظَظاً، إلَّا أَن فظاظة أَكْثَرُ لثقل التضعيف، وما كان من الأسماءِ على «فَعَل» في المضاعف فغير مدغم نحو المـدَدُ والشّرَر، وما كان على «فَعْل» فمدغم على كل حال نحو رجل صب، وأَصله صَببٌ وكذلك فظ وأصله فظَظ، ومثله من غير المضاعف. قد فرِقْتَ تفرق، فرَقاً، وأَنْتَ فَرِقٌ، وإذا اضطر شاعر رد فَعْلاً إلى أَصله في المضاعف قال الشاعر:

مهلا أَعاذل قد جربت من خلقي ۞ أني أَجود لأقوام وقد ضَنِنُوا(١)

«والفظ ماء الكرش، والفرث وسمي فظاً لغلظ مشربه».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْر﴾.

أي شاورهم فيما لم يكن عندك فيه وحي، فأَما مَا فيه أَمر من اللَّه جلّ وعزّ ووحي فاشتراك الآراءِ فيه ساقط.

وإنما أَراد اللَّه عزّ وجلّ ـ بذلك السنة في المشاورة، وأَن يكرم أَصحابَه بمشاورته إياهم، ثم أَمر بعد الإجماع على الرأْي ﷺ بالتوكل على اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ﴾.

أَي لَا تَظن أَنّك تنال مَنالاً تحبه إلّا باللَّه جلّ وعزّ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾.

وأَن «يُغَل» قرئتا جميعاً.

فمن قرأَ ﴿أن يَغـل﴾ فالمعنى: وما كان لنبي أَن يخونَ أُمَّته وتفسير ذلك أَن

---

(١) اللسان (ضن) شرح شواهد المغني ٣٢٦ كتاب سيبويه ١٦٥ باريس، الخصائص ١٦٠ وهو لقعنب بن أم صاحب بن ضمرة من غطفان شاعر إسلامي توفي في سنة ٩٥ هـ ويسمى أيضاً قعنب الفزاري لأن فزارة من غطفان، التبريزي ٤ ـ ١٢ والبيت من الشواهد النحوية على فك ما يستحق الإدغام.

النبي ﷺ جمع الغنائم في غزاة، فجاءه جماعة من المسلمين فقالوا: ألا تقْسِم بيْنَنا غنائمنا فقال ﷺ لو أن لكم عندي مثلَ أحد ذهباً ما منعْتكم دِرْهَماً أترونني أغُلكم مغْنَمكمُ، ويروى عن النبي ﷺ أنَّه قال: ألَا لا أعرفَنَّ رجُلاً يأْتي يوْمَ القِيامة ومعه شاة قد غَلَّهَا لها ثغاء، ألا لا أعرفَنَّ رجلاً يأْتي يوم القيامة ومعه بعيرٌ قد غله له رُغَاء، ألا لا أعرفَنَّ رجلا يأْتي يوم القيامة ومعه فرس قد غله له حَمْحَمة.

ومن قرأ أن يُغَلَّ فهو جائز على ضربين: أي ما كان لنبي أن يغُلَّه أصحابه، أيِ يُخَوِّنُوه ـ وجاءَ عن النبي ﷺ لا يَحْبِسْ أحدكم خيطاً ولا مخيطاً.

وأجاز أهل اللغة أن يُغَلَّ أن يُخَوَّنَ[١] ويقال: أغْلَلْتُ الجلد إذا سلخته فأبقيت فيه شيئاً من الشحم، وقد غل الرجل يَغُلُّ إذا خان لأنه أخذ شيئاً في خفاء، فكل ما كان من هذا الباب فهو راجع إلى هذا، من ذلك الغال وهو الوادي الذي ينبت الشجر وجمعه غُلّان، ومن ذلك الغِلُّ وهو الحقد، وتقول قد أغلَّت الضَّيْعَة فهي مُغِلَّةٌ إذا أتَتْ بِشيْءٍ وأصلها باق ـ قال زهير:

فَتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلّ لأهلها قرى بالعراق من قَفِيزٍ ودرهم[٢]

والغلالةُ: الثوبُ الذي يُلْبَسُ «تحت الثياب»[٣] والذي يلبس تحت الدرع ـ درع الحديد ـ غِلَالَة، وَتَغَلَّلْت بالغالية «وتغليت»[٤] إنما هو جعلها في

(١) هذا هو الوجه الثاني ـ أي لا يبغي ان يخونوه، ولا أن يتهموه بالخيانة.

(٢) من معلقته ـ والضمير يعود على الحرب التي ذكرت في بيت سابق:

(وما الحرب إلا ما عرفتم وذقتموا)

يقول إنها لا تنتج لهم ما تنتج الأرض الزراعية من ثمار وأموال ولكن تنتج لهم فتياناً مشائيم كأحمر ثمود، ديوانه ـ ٢٠ وفي شرح العشر للتبريزي فتنتج.

(٣) ليست في ك. وفي ط ـ الذي يلبس تحت الثياب.

(٤) ليست في ك. وتغليت أصله تغللت ـ قلبت اللام ياء ـ كما في تقضي البازي. والغالية نوع من الطيب يدهن به، وتغليت بها تطيبت.

أُصول الشعر. والغلُّ الماء الذي يجري في أُصول الشجر.

ومعنى ﴿وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾.

معنى إذا ههنا ينوب عما مضى من الزمان وما يستقبل جميعاً والأصل في «إذ» الدلالة على ما مضى، تقولُ أَتيتك إِذْ قُمتَ وآتيك إذا جئتني، ولم يقل ههنا «إذ ضربوا» في الأرض، لأنه يريد شأْنهم هذا أبداً، ومثل ذلك في الكلام: فلان إذَا حدث صدق، وإذا ضُرِبَ صبر. «فإذا» لِمَا يُستقبل، إلا أَنَّه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا بما خبر منه فيما مضى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ﴾.

يقال شاورت الرجل مُشاوَرةً وشَواراً، وما يكون من ذلك فاسمه المَشُورَة، وبعضهم يقول المشورة. يقال فلان حسن الصورة والمشورة أي حسن الهيئة واللباس وإِنَّهُ لَشِيِّر (صيِّنٌ)[1] وحسن الشارة والشُّوار متاعَ البيت، ومعنى شاورت فلان أَظهرت في الرأْي ما عندي وما عنده، وشُرْت الدابة أَشُورها إذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها. ويقال شُرْتُ العسلَ وأَشَرْتُ العَسلَ إذا أَخذته من مواضع النحل وعسل مشور، قال الأعشى[2].

كأن القرنفل والزنجبيل ... باتا بفيها وأريا مشورا

«والأَرْيُ العسلُ، ويقال عسل مُشَار، قال الشاعر:

وغناء يأْذَنَ الشيخُ لَه ... وحديث مثل مَاذِيٍّ مُشَار[3]

(١) ليست في ك. وفي ط ـ الذين يلبس ويلبس تحت الثياب.
طيب يدّهن به، وتغليت بها تطيَّبتُ.

(٢) في اللسان (شور): كان جَنِيّاً من الزنجبيل بات بفيها وقال: أشرته لغة.

(٣) عدي بن زيد ـ اللسان (شور) وقبله:

وقلاهٍ قد تلهيت بها ... وقصرت اليوم في بيت عذارى
ويأذن بمعنى يستمع.

قوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾.

يقرأ رضوان بكسر الراءِ، ورضوان بضم الراءِ، وقد روينا جميعاً عن عاصم.

﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

يروى أن النبي ﷺ حين أمر المسلمين في أحد باتباعه، اتبعه المؤْمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ: أن من اتبع النبي ﷺ فقد أتبع رضوان اللَّه، ومن تخلف عنه فقد باءَ بسخط من اللَّه ومعنى باءَ بذنبه: إحتمله، وصار المذنب مأوى الذنب، ولذلك[1] بوأت فلاناً منزلاً أي جعلته ذا منزل.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي المؤمنون ذوو درجة رفيعة، والكافرون ذوو درجة عند اللَّه وضيعة[2] ومعنى ﴿هم درجات﴾: هم ذوو درجات، لأن الإنسان غير الدرجة «كما تقول: الناس طبقات أي ذوو طبقات»[3] وأنشد سيبويه.

أَنْصب للمنية تعتريهم رجال أم هُمُو درج السيول[4]

(١) ك، وط ولذلك باء بذنبه.

(٢) الكلمة غامضة في الأوصل، وأصلحناها كذلك.

(٣) عن ك فقط.

(٤) من شواهد سيبويه عن يونس - وروايته رجالي. ويروى أيضاً: أرجعا للمنون يكون قمصي لريب الدهر.. ونصْب بضم النون أي هدف - ودرج السيول المنحدر الذي يجرف فيه السيل والبيت لابن هرمة - إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل - وهم الخوارج انتسبوا إلى قريش ورفعوا نسبهم إلى فهر فلم يقبله عمر، وقبله عثمان وفرض لهم. ابْنُ هرمة شاعر جيد - كان مشهوراً بالإسراف في شرب النبيذ، يشكو كثرة الفانين منهم كأنهم هدف الموت أو بِمُنْحَدَرٍ قد تساقطوا.

أنظر الأغاني ٩ - ١٠١، الخزانة ١ - ٢٤٠.

اللسان - (درج).

اي هم ذوو درج، ويجوز أم هموُدرجَ السيول على الظرف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لقد مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعثَ فِيهِمْ رسُولاً من أنفُسِهِم﴾.

بعث اللّه محمداً ﷺ رسولاً وهو رجل من الأميين لا يتلو كتاباً ولا يخطه بيمينه، وبعثه بين قوم يَخْبُرونه ويعْرفونه بالصدق والأمانة وأنه لم يقرأ كتاباً ولا لُقِّنَه فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، والأنبياء الماضية لا يدفع أخباره كتاب من كتبِ مخالفته، فأعلم اللّه أنه منَّ على المؤمنين بإرساله من قد عُرِفَ أمرُه، فكان تناول الحجة والبرهان وقبول الأخبار والأقاصيص سهلا من قِبَلِه، وفي ذلك أعظم المنة.

وقد جاءَ في التفسير أنه يراد رسول من العرب ولو كان القصد في ذلك ـ واللّه أعلم ـ أن أمره إنما كانت فيه المنة أنه من العرب لكان العجم لا حجة عليهم فيه[1].

ولكن الأمر ـ واللّه أعلم ـ أن المنة فيه أنه قد خُبِرَ أمْرهُ وشَأْنهُ وعَلِمَ صدقهُ، وأتى بالبراهين بعد أن قد علموا أنه كان واحداً منهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾.

هذه الواو واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك في الكلام قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا، فيقول قائل مجيباً له أَوَ هو ممن يقول ذلك[2].

وقيل في التفسير إن هذه المصيبة عنى بها ما نزل بهم يوم أُحد،

---

(١) لكان هي جواب لو، المعنى لو كانت المنة بالنبي أنه عربي ما كان هناك منة على غير العرب لأنه ليس منهم ـ مع أنه منة على كل من استفاد من الإسلام عربياً أو غير عربي وأيضاً الآية. . ﴿لقد من اللّه على المؤمنين﴾ ولم يقل على العرب.

(٢) الأشهر بين النحويين أنها واو العطف قدم عليها حرف الاستفهام لان الاستفهام له الصدارة ومنه أفتطمعون، أو لم ير الذين كفروا.

و﴿أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ أصبتم في يوم أُحد مثلها وأصبتم يوم بدر مثلها، فأصبتم مثلَيْ ما أصابكم.

﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾: أي من أين أصابنا هذا.

﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أي أصابكم بمعصيتكم النبي ﷺ وما من قوم أُطاعوا نبيهم في حربهم إلا نُصِرُوا، لأنهم إذا أطاعوا فهم حزب اللَّه، وحزب اللَّه هم الغالبون.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَبِإِذنَ اللَّهِ﴾ أ ما أصابكم كان بعلم اللَّه.

﴿وَلِيَعْلَمَ المؤْمِنِين وليَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾:

أي ليظهر إيمان المؤْمنين بثبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة الصبر على ما ينزل بهم في ذات اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

القراءَة بالرفع ﴿بل أحياءٌ عند ربهم﴾ ولو قرئت بل أحياءَ عند ربهم لجاز المعنى احسَبْهُمْ أَحْياءَ وقيل في هذا غير قول: قال بعضهم لا تحسبهم أمواتاً في دينهم بل هم أحياء في دينهم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كان مَيْتاً فأَحْيَيْنَاه وجَعَلْنَا له نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ﴾(١).

وقال بعضهم: لا تحسبهم كما يقول الكفار إنهم لا يبعثون بل يبعثون.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وقيل إن أرواحهم تسرح في الجنة وتلذ بنعيمها، فهم أحياءٌ عند ربهم، قال بعضهم: أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، ثم تصير إلى قناديل تحت العرش.

---

(١) الأنعام ٦ - ١٢٢.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

أي لم يلحقوا بهم في الفضل إلا أن لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فَمَوضع «أنْ» خفض: المعنى يستبشرون بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المؤْمِنِينَ﴾.

﴿إن﴾ في موضع خفض المعنى ويستبشرون بأن اللّه لا يضيع ويجوز.. ﴿وإن اللّه لا يُضيع أجر المؤمنين﴾، على معنى واللّه لا يضيع أجر المؤْمنين، وكذلك هي في قراءة عبد اللّه «واللّه لا يُضيع». فهذا يقوى وإن بالكسر.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الَّذينَ استَجَابُوا لِلَّه والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾.

أي من بعد ما أصابهم الجرح، ومن قرأ القُرح فمعناه ألم الجرح، ﴿الذين﴾ جائزٌ أنْ يكون في موضع خفض على النعت للمؤمنين، والأحسن أنْ يكون في موضع رفع بالابتداءِ ويكون خبر الابتداءْ للذين أحسنوا منهم وإتقوا أجر عظيم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الَّذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ الناسَ قَدْ جمَعُوا لَكُمْ﴾.

يقال في التفسير إنَّ قائِل هذا نعيم بنُ مسعود الأشجعي[1] بعثه أبو سفيان وأصْحابه يُثَبِّطُونَ النبي ﷺ وأصحابه عن لُقِيِّهِمْ، وكان بين المسلمين وبين المشركين في يوم أُحد موعد للقاء ببدر الصغرى، فلم يلتفت المسلمون

(١) ويكني أبا سلمة الأشجعي. أسلم في موقعة الخندق وهو الذي أوقع الخلف بين حي قريظة وغطفان. وقتل في موقعة الجمل وقيل مات قبل ذلك في خلافة عثمان الإصابة: ٨٧٨٠.

إلى تخويف نعيم وعزموا على لقاء القوم وأجابوه بأن قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وتأويل حسبنا اللَّه أي: الذي يكفينا أَمرهُمْ اللَّهُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَزَادَهُم إيماناً﴾.

أي زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم وإقامة على نصرة نبيهم، وصاروا إلى بدر الصغرى، وألقى اللَّه في قلوب المشركين الرعب فلم تغفلوهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

المعنى فلم يخافوا ما خافوا، وصاروا إلى الموعد الذي وعدوا فيه، فانقلبوا بنعمة، أي انقلبوا مؤمنين قد هربِ منهم عدوهم. وقيل في التفسير إنهم أقاموا ثلاثاً واشتروا أُدْماً وزَبيباً رَبِحُوا فيه، وكل ذلك جائز، إلا أن انقلابهم بالنعمة هي نعمة الإيمان والنصر على عدوهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾.

أي ذلك التخويف الذي كان فعل الشيطان، أي هو قوله[1] للمخوفين، يخوف أولياءه، قال أهل العربية: معناه يخوفكم أولياءه، أي من أوليائه، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي كنتم مصدقين فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف، وقال بعضهم يخوف أولياءه، أي إنما يخاف المنافقون، ومن لا حقيقة لإيمانه، فلا تخافوهم، أي لا تخافوا المشركين.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾.

(١) ك أي الشيطان سوله للمخوفين ـ وقوله هنا بمعنى كلامه.

وقرئت ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً وقد قرئت ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم.

معنى ﴿نملي لهم﴾، نؤخرهم - وهؤلاءِ، قوم أعلم اللَّه النبي ﷺ أنهم لا يؤْمنون أبداً، وأن بقاءَهم يزيدهم كفراً وإثماً.

فأما الأعراب - فقال أبو العباس محمد بن يزيد: إن من قرأ بالياءِ يحسبن فتح أن، وكانت تنوب عن الاسم والخبر[1] تقول حسبت أن زيداً منطلق، ويصح الكسر مع الياءِ - بمبح: ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم بكسر إن. وهو جائز على قبحه، لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع أن، كما يبطل مع اللام، تقول حسبت لَعَبْدُ اللَّه منطلق، وكذلك قد يجوز على بعد: حسبت أن عبد اللَّه منطلق.

ومن قرأ ولا تحسبن الذين كفروا لم يجز [له] عند البصريين إلا كسر إن، المعنى: لا تحسبن الذين كفروا، إملاؤنا خير لهم ودخلت أن مؤكدة.

وإذا فتحت أنَّ صار المعنى ولا تحسبن الذين كفروا إملاءَنا[2] قال أبو إسحق وهو عندي في هذا الموضع يجوز على البدل من الذين، المعنى لا تحسبن إملاءَنا للذين كفروا خيراً لهم وقد قرأ بها خلق كثير.

ومثل هذه القراءَة من الشعر قول الشاعر:[3]

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هلك واحد ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّما

---

(١) أي تسد مسد مفعولي حسب.

(٢) فالجملة إذن ناقصة ولهذا منعه البصريون. . وقدره الزجاج بدلاً مفعولاً أول والثاني هو «خيراً».

(٣) هو عبده بن الطبيب. يرثي قيس بن عاصم من ميميته المعروفة.

عليك سلام اللَّه قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

والبيت في ابن يعيش ٣ - ٦٥.

جعل هلكه بدلاً من قيس، المعنى فما كان هلكُ قيس هلكَ واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ اللَّه لِيَذَر المُؤْمِنينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْـهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

يروى في التفسير أن الكفار قالوا للنبي ﷺ تخبرنا بأن الإنسـان في النار حتى إذا صار مِنْ أهل مِلَّتك قلت إنه من أهل الجنَّة. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ أن حُكمَ من كفر أن يقال له: إنه من أهل النار، ومن آمن فهو ـ ما آمن وأقام على إيمـانـه وأدَّى مـا افتـرِضَ عليـه ـ من أهـل الجنـة وأعلم أن المؤمنين وهم ﴿الـطَّيِّب﴾[1] مُـمَيزُّون مـن ﴿الـخـبـيـث﴾ أي مـخـلَّصُـون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كانَ اللَّه لِيُطْلِعَكُم علَى الغَيْب﴾.

أي مـا كان اللَّه ليعلمكم من يصيـر منكم مؤمناً بعـد كفـره، لأن الغيب إنما يطلع عليه الرُّسُل لإقَامة البُرهَان، لأنهم رسل وأن ما أَتَوا بِه من عند اللَّه، وقد قيل في التفسير: ما بالُنا نحن لا نكـون أنبياء، فـأعلم اللَّه أن ذلك إليـه، وأنه يختار لرسالاته منْ يشاءُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يبْخَلُونَ بِمَا آتَـاهُمُ اللَّهُ من فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم﴾.

هـذا يعني به علمـاءَ اليهود الـذين بخلوا بمـا آتـاهم اللَّه مِنْ عِلْمِ نبـوة النبي ﷺ. ومشاقة وعداوة وقد قيل إنهم الذين يبخلون بالمال فيمنعون الزكاة. قال أهل العربية: المعنى، لا يحسبن الذين يبخلون البخل هـو خيراً لهم. ودل ﴿يبخلون﴾ على البخل. و﴿هو﴾ ههنـا فصـل، وهـو الـذي يسميـه الكـوفيـون العماد، وقد فسرناه إلا أنا أغفلنا فيه شَيئاً نذكره ههنا:

---

(١) أي المقصودون بكلمة «الطيب» في الآية ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾.

زعم سيبويه أن هو، وهما، وهم، وأنا، وأنت، ونحن وهي، وسائر هذه الأشياءِ إنما تكون فصولاً[١] مع الأفعال التي تحتاج إلى اسم وخبر[٢] ولم يذكر سيبويه الفصل مع المبتدأ والخبر، ولو تأول متأول أن ذكره الفصل ههنا يدل على أنه جائز في المبتدأ أو الخبر كان ذلك غير ممتنع[٣].

قال أبو إسحق والذي أرى أنا في هذه، ولا يحسبن الذين ـ يَبْخلون بالياء. ويكون الاسم محذوفاً[٤]. وقد يجوز ولا تَحسبن الذين يبخلون على معنى ولا تحسبن بُخل الذين يبخلون، ولكن حذف البخل من ههنا فيه قبح[٥]، إلا أن حذفه مع قولك: ولا يحسبن الذين يبخلون قد دل يبخلون [فيه] على البخل، كما تقول من كذب كان شراً له، والقراءَة بالتاءِ عندي لا تمنع، فيكون مثل ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية، فكذلك يكون معنى هذا: لَا تَحْسَبَنَّ بُخل الباخلين خيراً لهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

أي اللَّه يغني أهلهما فيغنيان بما فيهما، ليس لأحد فيهما ملك فخوطب لقوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه فقيرٌ وَنَحْنُ أغنياءُ﴾.

هؤُلاءِ رؤساء أهل الكتاب لما نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّه قرضاً حَسَناً

---

(١) تقع ضمير فصل.

(٢) النواسخ التي تدخل على مبتدأ أو خبر.

(٣) ولكنه مستبعد لوجود ﴿لا يحسبن﴾ ويجوز أن الجملة قبل دخول حسب: ما آتاهم اللَّه من فضله هو خير. وجيء بالفصل لبعد الخبر عن المبتدأ.

(٤) تقديره «بخلهم».

(٥) لأنه صدر الجملة والمضاف إليه ليس بمعناه فلا يسد مسده.

﴿فَيُضَاعِفَهُ لَه أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾[1] قالوا نرى أن إله محمد يسْتَقْرِض مِنّا فنحن إذن أغنياء وهو فقير، وقالوا هذا تَلْبِيساً على ضَعَفَتِهِمْ، وهم يعلمون أن اللّه عزّ وجلّ: لا يستقرض من عَوَزٍ، ولكنه يَبْلو الأخيار فهم يعلمون أن اللّه سمَّى الإعطاءَ والصَّدَقَةَ قَرضاً، يؤكد به أن أضعافه ترجع إلى أهله، وهو عزّ وجلّ يَقْبِض ويبسُط أي يوسع ويُقَتِر.

فأعلم اللّه عزّ وجلّ أنه قد سَمِع مقالتهم، وأعلم أن ذَلك مُثْبَتٌ عليهم، وأنهم إليه يرْجعونَ فيجازيهِمْ على ذلك وأنه خبير بعملهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾.

ومعنى﴿عذاب الحريق﴾ أي عذابٌ مُحْرِقٌ بالنَّار، لأنَ العذاب يكون بِغَيْر النّار. فأعلم أن مجازاة هؤُلاءِ هذا العذاب.

وقوله ﴿ذوقُوا﴾ هذه كلمة تقال للشيء يوئس من العَفْو يقال ذق ما أنت فيه أي لَسْت بمتَخَلِّصٍ منه.

وقوله جلّ ذكره: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾.

هذا من نعت «العبيد»[2] الذين قالوا ﴿حتى تأتينا بقربان تَأْكله النار﴾، أي عهد إلينا ألّا نؤمن لرسول حتى تكون آيتُه هذه الآية. فأعلم اللّه -عزّوجلّ- أن أسلافهم قَد أتتهم الرُّسل بالبينات. وبالذي طلبوا[3]. فقتلوهم. فقال: ﴿فلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾.

(١) البقرة ٢ ـ ٢٤٥.

(٢) في ط من نعت اليهود.

(٣) المعجزات التي طلبوها وهي القربان تأكله النار.

وهم لم يكونُوا تَوَلَّوْا القتل، ولكن رضُوا بقتل أُولئك الأنبياءِ فشركوهم في القتل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالزُّبُرِ والكِتَابِ المُنِيرِ﴾.

الزبر جمع زبور والزبور كل كتاب ذو حكمة. ويقال زبرت إذا كتبت. وزبرت إذا قرأت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنَّمَا تُوفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

ولا يجوز أُجُورُكم على رفع الأُجور وجعل ما في معنى الذي[1]، لأن يوم القيامة يصير من صلة ﴿توفون﴾، وتوفون من صلة ما فلا يأتي ما في الصلة بعد أُجوركم[2] و﴿أُجوركم﴾ خبر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾.

أي نُحِّيَ وأُزيلَ ﴿فقَدْ فازَ﴾ يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقي ما يغبط به: قد فاز، وتأْويله تباعد من المكروه ولقي ما يحب

ومعنى قول الناس مفازة إنما هي من مهلكة، ولكنهم تفاءَلوا بأَن سموا المهلكة مفازة. والمفازة المنجاة، كما تفاءَلوا بأَن سموا اللديغ السليم، وكما سموا الأَعمى بالبصير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكمْ﴾.

معناه لَتُخْتَبَرُنَّ أي تقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن من غيره، وهذه

---

(١) تقدم أن «ما» في ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾، يمكن أن تكون موصولة وهي لا تجوز هنا لما يترتب على ذلك من عمل الصلة في اسم ذكر بعد الخبر.

(٢) إذا حلت «إنما» فصارت «إن ما» فما اسم موصول صلة توفون، وأجوركم خبر: «أي أن الذي توفونه يوم القيام أجوركم» لكن يوم القيامة مؤخر عن الخبر ـ فقد جاء معمول الصلة بعد تمامها وهذا لا يجوز.

النون دخلت مؤكدة مع لام القسم وضُمَّت الواوُ لسكونها وسكون النون. ويقال للواحد من المذكرين: لتبلَيَنَّ يا رجل، وللاثنين لتبليَانِّ يا رجلان، ولجماعة الرجال: لتبْلَوُنَّ. وتُفتَح الياءُ من لَتَبْلَيَنَّ في قول سيبويه لسكونها وسكون النون، وفي[1] قول غيره تبنى على الفتح لضم النون إليها كما يبنى ما قبل هاءِ التأنيث[2]، ويقال للمرأة لتُبْلَيِنَّ، يا امرأة، وللمرأتين لتبليَانّ يا امرأتان ولجماعة النساءِ لتُبْلَيْنَانِّ يا نِسْوة، زيدت الألف لاجتماع النونات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولتَسمَعُن من الَّذِينَ أُوتُوا الكتاب مِنْ قَبْلِكُمْ ومِنَ الَّذِينَ أشْرَكوا أذًى كَثِيراً﴾.

روي أن أبا بكر الصديق ﷺ سمع رجلا من اليهود يقول: «إن اللَّه فقير ونحنُ أغنياءُ» فلطمه أبو بكر فشكا اليهودي ذلك إلى النبي ﷺ فسأله النبي: ما أراد بلطمك فقال أبو بكر سمعت منه كلمة ما ملكت نفسي معها أن لطمتُه، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ولتَسْمعُنَ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾، وأذى مقصور يكتب بالياءِ، يقال قد أذِيَ فلان يأذى أذًى، إذا سمع ما يسوءُه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لتبيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾.

وليبيننه، بالياءِ والتاءِ، فمن قال ليبيننه بالياءِ، فلأنهم غَيبٌ[3]، ومن قال بالتاءِ حكى المخاطبة التي كانت في وقت أخذ الميثاق، والمعنى أن اللَّه أخذ منهم الميثاق ليبينن أمر نبوة النبي ﷺ.

﴿فَنبَذُوه وراءَ ظُهورهم﴾:

---

(١) في ط ومن.

(٢) الإختلاف في علة الفتح. فهي عند سيبويه فتحت لالتقاء الساكنين وغيره يعتبر النون جزءاً من الكلمة ألحقت بها كالتاء من المؤنث.

(٣) جمع غائب ـ أي غائبون.

معنى ﴿نبذوه﴾ رَمَوْا بـهِ يقال للذي يـطرح الشيء ولا يَعْبَأُ بـه: قد جعلت هذا الأمر بظهر، وقد رميته بظهر. قال الفرزدق[1]:

تميم بنَ قيس لا تكونَن حاجتي   بظهر، فلا يعيا علي جوابها

أي لا تتركنها لا يُعْبَأُ بها.

وأنبأ اللَّه عمّا حمل اليهود الذين كانوا رؤساءَ على كتمان أمر النبي ﷺ فقال: ﴿واشْتَرَوا بِهِ ثَمَناً قليلاً﴾:

أي قبلوا على ذلك الرشا، وقامت لهم رياسة اكتسبوا بها، فذلك حَمَلَهُمْ على الكفر بما يخفونه[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بما أَتَوْا ويُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا بما لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

هؤلاءِ قوم من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ وخرجوا من عنده فذكروا لمن كان رآهم في ذلك الوقت أن النبي ﷺ قد أتاهم بأشياءَ قد عرفوها، فحمِدهُم من شاهدهم من المسلمين على ذلك، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وأقاموا بعد ذلك على الكفر، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - النبي ﷺ أمْرهم وأعْلَمه أنهم ليْسوا بمَفَازة منَ العذَاب أي ليسوا ببعد من العذاب.

---

(١) وجه به إلي تميم بن زيد القيني من قضاعة. كان عاملاً للحجاج على السند وكان معه ولد يقال له خنيس وأمه رقوب أي ليس لها غيره فلماطالت إقامتهم في البعث استغاثت بقبر غالب، أبي الفرزدق، فكتب له أبياتاً منها هذا البيت وبعده.

وهب لي خنيساً واحتسب فيه منة   لحاجة أم ما يسوغ شرابها

أتتني وعاذت يا تميم بغالب   وبالحفرة الشاوي عليها ترابها

ولم تكن الكتابة منقوطة في هذا الوقت فلم يعرف تميم من المراد أخنيس أم حبيش - وكان في الجيش خمسة يسمون بأحد هذين الاسمين فسرحهم جميعاً. أنظر ذيل الأمالي ٧٧٠، والأمالي ٧٧/٣، والكامل ٢٩١/١ (التجارية).

(٢) حملهم على إنكار الحق الذي يخفونه.

ووقعت ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهم﴾ مكررة لطول القصة. والعرب تُعيدُ إذا طالت القصَّة [في] حسبت وما أشبهها، إعلاماً أن الذي جرى متصل بالأول، وتوكيداً[1] للأول، فنقول: لا تظنَنَّ زيداً إذا جاءَك وكلمك بكذا وكذا - فلا تظننه صادقاً، تعيد - فلا تظنن توكيداً - ولو قلت لا تظن زيداً إذا جاءَك وحدثك بكذا وكذا صادقاً جاز، ولكن التكرير أوكد وأوضح للقصة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وِلِلَّه مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ واللَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قدِيرٌ﴾.

أي هو خالقهما[2]، ودليل ذلك قوله - عزّ وجلّ: ﴿خالق كل شيءٍ﴾[3] و ﴿خلق السموات والأرض﴾[4] وأعلم أن في خلقهما واختلافِ الليل والنهارِ ايـاتٍ[5] ﴿لأولى الآلباب﴾ أي ذَوي العقول. والآيات العلامات، أي من العلامات فيهما دليل على أنّ خالقَهما واحد ليس كمثله شيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يذْكُرُونَ اللَّهَ﴾.

هذا من نعت ﴿أُولي الأَلباب﴾، أي فهؤلاءِ يستدلون على توحيد الله - عزّ وجلّ - بخلقهِ السموات والأرض وإنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم ﴿قِيَاماً وقُعُوداً وعلَى جُنُوبِهِم﴾.

معناه ومضطجعين، وصلح في اللغة أن يعطف «بعلى» على - ﴿قياماً وقعوداً﴾ لأن معناه ينبىءُ عن حال من أحوال تصرف الإنسان، تقول: أنا أسير

---

(1) لأن الفصل بين الفعل والمفعول قد طال.

(2) في ط خالقها.

(3) الأنعام ١٠٢/٦.

(4) في آيات أنظر سورة ١/٦.

(5) في ط الآيات.

إلى زيد ماشياً وعلى الخيل. المعنى ماشياً وراكباً. فهؤلاءِ المستدلون على حقيقة توحيد اللَّه يذكرون اللَّه في سائر هذه الأحوال.

وقد قال بعضهم: ﴿يذكرون اللَّه قياماً وقُعُوداً وعلى جنوبهم﴾، أي يُصَلُّونَ على جميع هذه الأحوال على قدر إمكانهم في صحتهم وسَقَمِهم.

وحقيقته عندي ـ واللَّه أعلم ـ أنهم موحدون اللَّه في كل حال.

﴿ويتفكرون فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأرضِ﴾.

فيكون ذلك أزيدَ في بصيرتهم، لأن فكرتهم[1] تُرِيهُمْ عظيم شأنهما، فيكون تعظيمهم للَّه على حسب ما يقفون عليه من آثار رحمته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ربَّنَا ما خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾.

معناه يقولون ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ أي خلقته دليلاً عليك، وعلى صدق ما أَتَتْ به أنبياؤكَ. لأن الأنبياءَ تأْتي بما يَعْجِز عنه المخْلُوقُونَ. فهو[2] كالسّموات والأرض في الدليل على توحيد اللَّه.

﴿سُبْحَانَكَ﴾: معناه براءَةً لك من السوءِ وتنزيهاً لك من أن تكون خلقتها باطلاً.

﴿فقِنَا عذَابَ النَّارِ﴾:

أي فقد صدقنا رسلك وأنَّ لَكَ جَنَّةً ونَاراً فقنا عذاب النار.

﴿ربَّنَا وآتنا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾:

معناه واللَّه أعلم ـ على أَلْسُنِ رُسُلِكَ.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

---

(١) أي تفكيرهم.

(٢) ما أتت به الأنبياء من المعجزات.

أي قد صدقنا يوم القيامة فلا تخزنا، والمُخْزَى في اللغة المُذلُّ المحقور بأمر قد لزمه بحجة، وكذلك أَخْزَيته. أي أَلزمته حُجَّة أَذَلْته معها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَاد﴾ :

أي قد وعدت من آمن بك ووحدك الجنة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُم رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم﴾.

المعنى فاستجاب لهم ربهم بأَنّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذَكَرٍ أو أنْثَى. وإن قرئت إنِّي لا أُضيع عمل عامل منكم جائز بكسر إن ويكون المعنى قال لهم ربهم: إنِّي لا أُضيع عمَل عامل منكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثَوَاباً﴾:

مصدر مؤكد، لأن معنى ﴿لأُدْخِلَنَّهُمْ جنَّاتٍ تجري مِنْ تَحتها الأَنْهَارُ﴾ «لأثيبنَّهُم» ومثله ﴿كِتَاب اللَّهِ عَلَيْكم﴾[1] لأن قوله عزّ وجلّ ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم...﴾[2].

معناه: كتب الله عليكم هذا «فكتابُ اللَّه - مؤكد - وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] قد علم أن ذلك صنع اللّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ﴾.

خطاب للنبي ﷺ وخطاب للخلق في هذا الموضع، المعنى لا يغرنكم أَيُّها المؤمنون، ويروى أَن قوماً من الكفار كانوا يتَّجرون ويربحون في أَسفار كانوا يسافرونها، فأَعلم اللّه عزّ وجلّ - أَن ذلك مما لا ينبغي أَن يُغْبَطُوا به، لأن

(١) سورة النساء (٤) - اية ٢٤.

(٢) سورة النساء (٤) - آية ٢٣.

(٣) سورة النمل (٢٧) آية ٨٨، وقد سبق هذا التمثيل.

مصيرهم بكفرهم إلى النار ولا خَيرَ بخَيْرٍ بعده النار، فقال عزّ وجلّ:

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾:

أي ذلك الكسب والربح الذي يربحونه متاع قليل. وأعلم جلّ وعزّ أن من أراد اللّه واتقاه فله الجنة فقال:

لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

نُزُلاً مؤكد أيضاً، لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها.

وواحد الأبرار بَارٌّ وأَبرَار، مثل صاحب وأصحاب ويجوز أن يكونَ بَرّ وأبرار، على فَعْل وأفْعَال، تقول بررت والدي فأنا برّ، وأصله برَر، لكن الراءَ أُدغمَت للتضعيف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَاشِعِينَ للَّه﴾.

أي من عند أهل الكتاب من يؤمن خاشعاً للَّه[1].

﴿لَا يَشْتَرونَ بآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قليلاً﴾.

وإنما ذكر هؤلاءِ لأن ذكر الذين كفروا جرى قبل ذكرهم فقال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ واشْتَروْا بِهِ ثَمَناً قللاً﴾.

أخبر - جلّ وعزّ - بما حمل اليهود على الكفر، وأخبر بحال من آمن من أهل الكتاب وأنّهم صدقوا في حال خشوع ورغبة عنْ أن يشتروا بآيات اللّه ثمناً قليلاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمنُوا اصْبِرُوا﴾.

أي على دينكم، ﴿وَصَابروا﴾: أي عدوكم ورَابطُوا: أقيموا على جهاد

(١) بينهم قوم خشع.

عدوكم بالحرب والحجة، ﴿واتَّقوا اللَّه﴾ في كل ما أمركم به، ونهاكم عنه.

﴿لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ولعل ترج، وهو ترج لهم، أي ليكونوا على رجاءِ فلاح - وإنما قيل لهم ﴿لعلكم تفلحون﴾: أي لعلكم تسلمون من أعمال تبطل أعمالكم هذه، فأما المؤمنون الذين وصفهم اللَّه جلّ ثناؤه فقد أفلحوا. قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر وصف المؤمنين. فهؤلاءِ قد أفلحوا لا محالة وإنما يكون الترجي مع عمل يتوهم أنه بعض من العمل الصالح.

الفهارس

بحوث لغوية ونحوية

البحث	رقم الصفحة

البحث	رقم الصفحة

البحث	رقم الصفحة

الأعلام الذين لهم تراجم في حواشي الكتاب

رقم الصفحة

النحويون واللغويون :

رقم الصفحة

الأبيات الشعرية

حرف الراء

حرف السين

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

أنصاف الأبيات

الرجـز

الأمثـال

فهرس المواضيع